

الطبعة الشرعية
بإذن من الورثة

لفضيلة الشيخ
عَظِيمٌ تَصَقَّرُ

مَوْسُوعَةٌ

الْحُسَيْنِ الْكَلْبِ

فِي الْفَتَاوَى وَالْأَحْكَامِ

حظيت هذه الطبعة بتصحيحات
وتنقيحات بالغة الأهمية

الجزء الأول

العقائد

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية، القاهرة
٢٣٩١٧٤٧٠ - ٢٣٩٠٣٧٤٦



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

صقر، عطية .

موسوعة أحسن الكلام في الفتاوى

والأحكام / لعطية صقر .

- القاهرة : مكتبة وهبة ، ٢٠١١ .

مج ٢٠١ : ٢٤ سم

المحتويات : العقائد

تدمك X ٢٨٢ ٢٢٥ ٩٧٧

١- الفتاوى الشرعية

٢- علم الكلام

أ- العنوان

ديوي ٢٥٩

موسوعة أحسن الكلام

في الفتاوى والأحكام

٧ أجزاء

فضيلة الشيخ / عطية صقر

الطبعة الأولى لمكتبة وهبة

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

((طبعة مزيّدة ومنقّحة عن الطبعة السابقة))

مراجعة وتصحيح وفهرسة

الشيخ / سعد حسن محمد

المدرس بالأزهر الشريف

مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -

عابدين - القاهرة

الجزء الأول : العقائد

٤٠٨ صفحة ١٧ x ٢٤ سم

رقم الإيداع : ٢٠١١/١٥٦٣

I.S.B.N. : الترقيم الدولي :

977-225-283-X

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة
(للطباعة والنشر) . غير مسموح بإعادة
نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء
منه ، أو تخزينه على أجهزة
استرجاع أو استرداد إلكترونية ،
أو ميكانيكية ، أو نقله بأى وسيلة
أخرى ، أو تصويره ، أو تسجيله على
أى نحو ، بدون أخذ موافقة كتابية
مسبقة من الناشر .

All rights reserved to Wabab Publisher.
No Part of this Publication may be
reproduced, stored in a retrieval
system, or transmitted, in any form or
by any means, electronic, mechanical,
photocopying, recording or otherwise,
without the prior written permission of
the publisher .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، أوضح للناس معالم الدين ، وشرع من الأحكام ما بها مخرجهم من الظلمات إلى النور ، وجعل في الدين حكماً فصلاً ووضحت به مصالح الخلق ، سبحانه خلق فسوى وقدر فهدى ، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين ، وحجة على الناس أجمعين . ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ... وبعد

كان الناس يستفتون رسول الله ﷺ ثم من بعده الصحابة ، ومن بعده التابعين ، ثم نشأت المذاهب الفقهية المشهورة ، ومن بعدهم العلماء المجتهدون يفتون الناس وفق واقعهم المعاصر مستلهمين كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ، وعمل الصحابة .

قامت دار الغد العربي عام ١٩٩٤ بطبع كتاب «أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام» في شكل كتب دورية لا تضم الفتاوى المتجانسة تحت المجموعة التي تناسبها كالعقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والأسرة .. وذلك لطول الزمن وشوق القارئ إلى معرفة الحكم .. وقد كان كل جزء شاملاً لعدة فتاوى من المجموعات المختلفة .

ثم قامت إحدى دور النشر بطبع هذه الفتاوى أربعة أجزاء في مجلدين بصورة لم تنل رضى الشيخ - رحمه الله - ولأنه كان سمحاً لم يتخذ أي إجراء .. واكتفى أنه بعد انتهاء مدة التعاقد ألا يسمح لهذه الدار بطبع الكتاب مرة أخرى .. وانتهى التعاقد لسببين أولهما وفاة الشيخ في ٩ ديسمبر ٢٠٠٦ م ، ثانيهما أن العقد ينتهي في فبراير ٢٠٠٧ م .

ثم عهد الشيخ - رحمه الله - إلى مكتبة وهبة بطبع الفتاوى الجديدة التي لم تشر من قبل .. والتي أفتى بها بعد صدور الطبعتين السابقتين في جزء مستقل ، قامت المكتبة بإعداده طبقاً لأبواب الفقه ، وصدر عام ٢٠٠٦ م .

وعكف الشيخ - رحمه الله - ورتب الكتاب كاملاً طبقاً لأبواب الفقه بعد أن أضاف إليها الفتاوى الجديدة التي لم ترد في أي طبعة سابقة ، وأضاف إلى بعضها ما لا بد من إيضاح

فضلاً عن الفتاوى التي لم تُطبع في أي دار نشر وتلافي السليبيات والأخطاء التي كانت في جميع الطبعات السابقة مما أثر على الفهم المقصود من الفتاوى للقارئ .

أما لماذا هذه الطبعة «الأولى لمكتبة وهبة» والتي نقدم لها الآن ؟

أولاً : لنفاد الطبعات السابقة كما ذكرت .

ثانياً : قيام ورثة الشيخ - رحمه الله - بتنفيذ وصيته بطبع هذه الطبعة المزيّدة والمنقحة والمصححة بالمكتبة .

ثالثاً : لقد قامت المكتبة بتخريج الإحالات بالهامش بدلاً من كونها في متن الكتاب تسهلاً على القارئ للوصول إلى الحكم الشرعي الذي أراد الشيخ إيضاحه . وقد راعينا جميع الملاحظات التي أبدأها فضيلته قبل وفاته على جميع الطبعات السابقة .

وشاءت إرادة الله أن يظهر هذا العمل المتكامل بعد وفاة فضيلة الشيخ .. وقياماً بواجب مكتبة وهبة في نشر الثقافة الإسلامية لإنقاذ المسلمين مما يعانونه من أزمات ، التزمت بالمنهج الذي وضعه الشيخ في طبع «موسوعة أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام» .

وإننا إذ نقدم للعالم الإسلامي هذه الموسوعة الدينية ، التي تضم كثيراً من الفتاوى العصرية الهامة التي يحتاجها المسلمون في هذه الأيام التي كثرت فيها الآراء وتضاربت الأقوال ، بسبب غياب المنهج الإسلامي الحكيم ، الذي لا يوافق أبداً على التعصب لرأي اجتهد به ، وهو المنهج الذي سار عليه عمالقة الفكر الإسلامي منذ مئات السنين ، حيث أثر عنهم هذا القول الحكيم : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب .

وقد رأت «مكتبة وهبة» في الفتاوى التي حمل أمانتها فضيلة الشيخ عطية صقر - رحمه الله - ونشرتها أهم المجلات الدينية في مصر وغيرها ، وأذاعتها أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية سنوات طويلة - رأت أن لها صدى عظيماً في جميع الأوساط الدينية قاصيها ودانيها ، لما تميزت به من الدقة والأمانة وعرض الوجه المشرق للشريعة والتعايش مع الناس فيما يفكرون من مسائل الدين وربطها بأحداث العصر .

هذا هو الكتاب ، أما الكاتب - رحمه الله - فعلى الرغم من معرفة الكثيرين لشخصيته وجهوده ، وعلى الرغم من زهده في الأضواء التي كانت تلاحقه فلا بد أن نسجل في هذا العمل لمحات من سيرته ، وذلك للتاريخ ، ولتوضيح الصورة أمام القارئ ليطمئن أكثر وأكثر على ما يُقدم إليه من معلومات في أخطر مجال للبحث وهو الفتاوى .

السيرة الذاتية :

لقد ولد فضيلته في قرية «بنا باي» مركز الزقازيق شرقية في يوم الأحد ٤ من شهر الله المحرم سنة ١٣٣٣ هجرية «٢٢ من نوفمبر سنة ١٩١٤ ميلادية ٢٣ من هاتور سنة ١٦٣١ قبطية» .

وحفظ القرآن الكريم وسنه تسع سنوات وجوَّده بالأحكام وسنه عشر سنوات في كتاب القرية ، وبعد التحاقه بالمدرسة الأولية التحق بمعهد الزقازيق الديني سنة ١٩٢٨م وتخرج في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر وحصل منها على الشهادة العليا سنة ١٩٤١م واختار تخصص الوعظ فحصل منه على شهادة العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد سنة ١٩٤٣م وكان ترتيبه فيها الأول .

ثم عين فور تخرجه إماماً وخطيباً ومدرساً بوزارة الأوقاف ، وتسلم عمله بمسجد عبد الكريم الأحمدى بباب الشعرية بالقاهرة في ١٦ من أغسطس سنة ١٩٤٣م ، ثم نقل إلى مسجد الأربعين البحري بالجيزة «عمار بن ياسر حالياً» في فبراير ١٩٤٤م ، ثم عين واعظاً بالأزهر سنة ١٩٤٥م ، في طهطا محافظة سوهاج ، ثم انتقل إلى السويس سنة ١٩٤٨م ، ثم إلى رأس غارب بالبحر الأحمر سنة ١٩٥١م ، ثم إلى القاهرة سنة ١٩٥٥م ، ورفي مفتشاً للوعظ ثم مراقباً عاماً حتى أحيل إلى التقاعد في نوفمبر سنة ١٩٧٩م .

وعمل أثناء ذلك مترجماً للغة الفرنسية بمراقبة البحوث والثقافة سنة ١٩٥٥م ، ووكيلاً لإدارة البحوث ١٩٦٩م ، ومدرساً بالقسم العالي للدراسات الإسلامية والعربية بالأزهر ، ومديراً لمكتب شيخ الأزهر سنة ١٩٧٠م ، وأميناً مساعدًا لمجمع البحوث الإسلامية .

بعد التقاعد : عمل مستشاراً لوزير الأوقاف ، وعضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وعضواً بلجنة الفتوى ثم رئيساً لها ، وانتخب عضواً بمجلس الشعب سنة ١٩٨٤م ، وعين عضواً بمجلس الشورى سنة ١٩٨٩م ، ثم مديراً للمركز الدولي للسنة والسيرة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالأوقاف سنة ١٩٩١م ، مع رئاسته للجنة الموسوعة الفقهية بالمجلس .

وفي مجال النشاط الخارجي : تعاقد مع وزارة الأوقاف بالكويت سنة ١٩٧٢م لمدة سبع سنوات ، وسافر في رحلات إلى إيران ثم إندونيسيا سنة ١٩٧١م ، وليبيا سنة ١٩٧٢م ،

والبحرين ١٩٧٦م ، والجزائر سنة ١٩٧٧م ، كما سافر في مهمة رسمية بعد التقاعد إلى السنغال ونيجيريا وبنين والولايات المتحدة الأمريكية وباكستان وبنجلاديش وماليزيا وبورني وسنغافورة ، وزار باريس ولندن .

وفي مجال النشاط العلمي : شارك في البرامج الدينية بالإذاعة والتلفزيون ، ونشرت له الصحف والمجلات مقالات وفتاوى ، وقام بالخطابة والوعظ ، وعقد الندوات في دور التعليم والمؤسسات المختلفة ، مع نشاطه في لجنة الفتوى ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، والرد على الاستفسارات الدينية تحريرياً وشفوياً .

حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٣م ، وعلى نوط الامتياز من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٩م .

مؤلفاته : إلى جانب البحوث والمقالات والفتاوى له مؤلفات كثيرة ، منها :

- ١ - الدعوة الإسلامية دعوى عالمية ، فاز بجائزة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
 - ٢ - الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه .
 - ٣ - بيان للناس عن التيارات الحديثة والمسائل الخلافية « جزآن » .
 - ٤ - البابية والبهائية « تاريخاً ومذهباً » .
 - ٥ - المنهج السليم إلى طريق الله المستقيم .
 - ٦ - فن إلقاء الموعظة .
 - ٧ - من أدب الدعوة .
 - ٨ - التفرقة العنصرية .
 - ٩ - دولة العلم والإيمان .
 - ١٠ - المحافظة على الأسرار .
 - ١١ - التدخين في نظر الإسلام .
 - ١٢ - خير رفيق إلى بيت الله العتيق .
 - ١٣ - مناقشة الفريضة الغائبة .
 - ١٤ - الإسلام دين العمل .
 - ١٥ - منهج الإصلاح في دعوة محمد ﷺ .
 - ١٦ - الزكاة وآثارها الاجتماعية .
- مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
مجمع البحوث الإسلامية .
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

- ١٧- الرق في نظر الإسلام . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ١٨- الحجاب وعمل المرأة . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ١٩- التعريف بالإسلام «الإسلام عقيدة وسلوك» . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ٢٠- الإسلام والتحرر من الجوع . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ٢١- مغزى العبادات في الإسلام . القوات المسلحة .
- ٢٢- الإسلام ومكافحة المخدرات . القوات المسلحة .
- ٢٣- موسوعة أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام . (سبعة مجلدات) مكتبة وهبة .
- ٢٤- موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام (٦ مجلدات) . مكتبة وهبة .
- ٢٥- فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة . مكتبة وهبة .
- ٢٦- س ، ج للمرأة المسلمة (١٠٠ سؤال وجواب) . مكتبة السنة .
- ٢٧- دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة . مؤسسة الصباح بالكويت .
- ٢٨- توجهيات دينية واجتماعية . مؤسسة الصباح بالكويت .
- ٢٩- المصطفون الأخيار في الرد على شبهات حول الأنبياء . مؤسسة الصباح بالكويت .
- ٣٠- الإسلام في مواجهة التحديات . مؤسسة الصباح بالكويت .
- ٣١- الإسلام ومشكلات الحياة «مجموعة فتاوى» . مؤسسة الصباح بالكويت .
- ٣٢- من نور القرآن الكريم «نماذج حية للربط بين الدين والحياة» . مؤسسة الصباح بالكويت .
- ٣٣- نظرات في التربية الإسلامية . مؤسسة الصباح بالكويت .
- ٣٤- مختصر السيرة النبوية . وزارة الأوقاف - الكويت .
- ٣٥- منارات على الطريق «في الدين والأدب والاجتماع» . تحت الطبع .
- ٣٦- من علوم القرآن الكريم . تحت الطبع .
- ٣٧- في رحاب الحج . تحت الطبع .
- ٣٨- الإباحة ومنزلتها في التشريع . تحت الطبع .

إن صاحب هذه الترجمة أثرت عليه مهنته الأولى وهي الدعوة التي يجب أن يكون الداعي فيها واسع الاطلاع ، مستعداً للإجابة على كل سؤال يوجه إليه ، في أي قطاع من قطاعات الثقافة الدينية ، بل وغير الدينية أحياناً ، ومع سعة الاطلاع يحرص على التنظيم

الذي يساعد المتحدث أو الكاتب على الاستيعاب والمراجعة بسهولة ، كما يساعد السامع والقارئ على الإلمام والحرص لما يسمع ويقرأ ، وعلى سرعة التذكر عند الحاجة .

ويلاحظ في عرضه للأحكام الشرعية عدم التعصب لمذهب فقهي ، فهو يعرض أكثر من رأي للفقهاء بأمانة ما أمكن ، وإذا كان له رأي خاص يتناسب مع ظروف العصر ويحقق المصلحة ، أشار إلى المذهب أو العالم الذي سبقه بذلك ليطمئن القارئ إلى أنه ليس رأياً نابعاً من هوى شخصي ، أو تحت تأثير آخر ، ثم يترك الفرصة لاختيار القارئ ما يشاء ، فهو يعرض ولا يفرض ، مؤكداً أن اختلاف الآراء - فيما ليس فيه نص قاطع - رحمة للناس ودليل على حيوية التشريع الإسلامي وهذه الروح السمحة المتجردة عن الأنانية الفكرية والسلوكية تجعل لهذا المؤلف الضخم موقعاً طيباً في نفوس المستفيدين منه ، لأنها تنبع من قوله الله سبحانه ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] وقوله تعالى ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] وقول النبي ﷺ « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » .

وتوفي فضيلته فجر يوم ٨ من ذي القعدة سنة ١٤٢٦ هـ . الموافق ٩ ديسمبر ٢٠٠٦ م . بعد حياة من العطاء للإسلام والمسلمين .. أسأل الله أن ينفع بها المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

أيها القارئ الكريم .. إن الكمال لله وحده فإن كان الكتاب ليس به خطأ .. فهذا من فضل الله .. وإن كان غير ذلك لا قدر الله .. فهذا جهد المقل .. حيث رُتب الكتاب وطُبع بعد وفاة الشيخ - رحمه الله - .

وأخيراً نرجو أن نكون قد قدمنا خدمة جديدة لأمتنا الإسلامية ولديننا الحنيف ، وخدمة لمصرنا العزيزة وأزهرها الشريف .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ومن الله نستمد العون والتوفيق .

الناشر
مكتبة وهبة

القاهرة في غرة ذي الحجة ١٤٣١ هـ

الموافق ٧ نوفمبر ٢٠١٠ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فقد رغب إليَّ الكثيرون ممن التقيت بهم على موجات الأثير وعلى الشاشة الصغيرة ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، وفي اللقاءات والندوات المختلفة - أن أجمع لهم إجابات الأسئلة التي نشرت بوسائل النشر المختلفة ، ليسهل الرجوع إليها ، والإفادة منها ، حيث إنها غطت كثيراً مما يهم المسلم معرفته من المسائل الدقيقة ، وبخاصة ما تنفس عنه التطور من قضايا ومشكلات ، وحيث إنها أشبه بالبحوث التي تعتمد قضاياها على الأدلة الواضحة .

ولكثرة ما يشغلني من أعمال في الحقل العلمي الذي هيأني الله له ، كنت أرجئ تحقيق هذه الرغبة ، لعلني أجد من الوقت ما يسمح لي بتنظيم هذه الإجابات ، ثم أحسست أن الوقت يجري بسرعة ، وأن الأعباء تزداد يوماً بعد يوم ، فاستخرت الله تعالى في نشر المهم منها وتقدمت إلى القراء بالجزء الأول من هذه الإجابات ، وستتلوه أجزاء أخرى إن شاء الله ، حاولت أن أضع في كل جزء منها نوعيات من العقائد والعبادات والمعاملات والأسرة والمرأة بوجه عام ، ومن المسائل المتفرقة التي لا تدخل تحت باب من هذه الأبواب بصفة مباشرة .

وقد حاولت أن يكون الأسلوب مبسطاً ، مع عدم إهمال الناحية الفنية ، حتى يستفيد منها أكبر عدد ممكن من القراء ذوي المستويات المختلفة ، منبهاً إلى أنني قد أتعرض للمذاهب الفقهية المختلفة في المسألة الواحدة ، ليأخذ القارئ ما يناسب مذهبه الفقهي إن كان ملتزماً له ، أو ما يجد فيه حلاً لمشكلته التي يعانيتها ، وقد أتعجل فأختار ما هو أوفق دينا وأيسر تطبيقاً ، غير مُدَّعٍ لنفسي درجة الاجتهاد ولو في أدنى صورته ، فهازلنا ندين بالفضل - بعد الله - لتراث علمائنا وآراء فقهاءنا ، وإن كان العصر يفرض

علينا أحياناً أن نستأذنهم في التعايش مع الظروف الجديدة والعرف الجاري الذي قرروا اعتباره في تفسير النصوص إن أعوزها التفسير من الكتاب والسنة وآثار من يعتد بآثارهم ، ما دام لا يصادم نصاً قطعاً ولا أصلاً مقررأ .

وأنبه السادة القراء إلى أمور ثلاثة :

أولها : أنني قد راعيت في هذه الطبعة أن تكون مبوبة حسب أبواب الفقه المعروفة . ثم أضفت بعض الفتاوى تحت عنوان (متفرقات) لتكمل فائدة الكتاب .

ثانيها: أن بعض الإجابات التي أوردتها في هذا الكتاب قد نشرت بصورة أو بأخرى في بعض كتبي التي أخرجتها باسمي أو باسم آخر ، فأكتفي أحياناً بالإحالة عليها أو بالإجابة المختصرة لتستكمل من المظان الأخرى .

ثالثها: أن هذه الإجابات هي جهد شخصي يعبر عن اختياري فقط ، ولا يعبر عن رأي لجنة الفتوى التي تشرفت بعضويتها عدة سنوات ثم تشرفت برئاستها ، ولا مجمع البحوث الإسلامية الذي أشرف بعضويته ، وإن كان أكثرها -بحمد الله- لا يتناقض ولا يمس هاتين الجهتين بسوء ، مع ملاحظة أن بعض الإجابات قد توليت أنا وضعها وصياغتها في لجنة الفتوى ومجمع البحوث ، ولا أريد من نشرها هنا إلا الانتفاع بها ، والله هو العليم بذات الصدور .

رابعها : إنني وضعت في اعتباري أن بعض الأقوال والأحكام المنقولة أو المختارة لا تعجب نفراً من الناس ، فَرَضاً الناس غاية لا تدرك ، وإذا كان الله سبحانه وهو الخالق والمنعم لم يؤمن به كل من يتقلبون في نعمته ، بل إن بعض المؤمنين يسخطون أحياناً على قضائه وقدره ، وإذا كان أشرف الخلق وخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام قد سخط عليه بعض قومه وهم أعرف به ، فكيف لإنسان آخر أن يطمع في كسب رضا كل الناس عليه؟

أسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، إنه سميع مجيب .

عطية صقر



١ - التعريف بأصحاب المذاهب الأربعة

من الخير أن أعطيك أيها القارئ فكرة عن أصحاب المذاهب الأربعة ، وعن مصطلحات علماء الفقه وعلماء الحديث ، التي تصادفك كثيراً في هذا الكتاب ، حتى تتضح لك الصورة المرادة منها ، وتكمل الاستفادة بها .

١ - أصحاب المذاهب الأربعة :

١ - أبو حنيفة :

هو النعمان بن ثابت ، ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان ، وسمع من علماء التابعين أمثال عطاء بن أبي رباح ونافع مولى عبدالله بن عمر ، وكانت طريقته في الاستنباط كما حدث عن نفسه : إني أخذ بكتاب الله إذا وجدته ، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات ، فإذا لم أجده في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم ، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم - أي النخعي - والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب وأمثالهم فلي أن أجتهد ما اجتهدوا ، وكان يعتمد كثيراً على القياس والاستحسان وسميت مدرسته بأهل الرأي ، توفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ ومن أصحابه : أبويوسف ، وزفر ، ومحمد بن الحسن ، والحسن بن زياد .

٢ - مالك :

هو مالك بن أنس بن مالك صاحب «الموطأ» ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ ، أخذ العلم عن عبدالرحمن بن هرمز وربيعه الرأي كما أخذ عن نافع مولى عبدالله ابن عمر ، وابن شهاب الزهري . وكان يعتمد في فتياه على كتاب الله أولاً ثم على سنة رسول الله ﷺ ، ويعطي لما جرى عليه العمل في المدينة أهمية كبيرة ، ثم القياس ، ونسب إليه العمل بالمصالح المرسلة ، أي التي لم يشهد لها من الشرع بالبطلان ولا بالاعتبار نص معين ، توفي سنة ١٧٩ هـ .

٣- الشافعي :

هو محمد بن إدريس بي شافع صاحب «الأم» ولد بغزة سنة ١٥٠هـ ورحل إلى مكة وأخذ عن شيخها مسلم بن خالد الزنجي ، ثم تلقى عن الإمام مالك بالمدينة ، واطلع في بغداد على كتب فقهاؤها ، وانتهى به المطاف إلى مصر وتوفي بها سنة ٢٠٤هـ ، وهو الذي كتب كتبه بنفسه وأملاها على تلاميذه ، وأساس مذهبه مدون في رسالته الأصولية ، فهو يحتج بظاهر القرآن حتى يقوم دليل على إرادة غير الظاهر ، ثم السنة التي دافع فيها عن العمل بخبر الواحد الثقة الضابط ما دام متصلاً بالرسول ﷺ ثم الإجماع ، ومعناه عنده عدم العلم بالخلاف ، لأن العلم بالإجماع في نظره غير ممكن ، ثم القياس الذي له أصل معين ، ولم يكن متحمساً للاستحسان والمصالح المرسلة .

٤- ابن حنبل :

هو أحمد بن حنبل بن هلال صاحب المسند ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ ، سمع أكابر المحدثين مثل سفيان بن عيينة وروى عنه البخاري ومسلم ، وتلقى فقه الشافعي ثم اجتهد لنفسه ؛ وهو من أهل الحديث المجتهدين الذين يعملون بخبر الواحد من غير شرط متى صح سنده ، ويقدم أقوال الصحابة على القياس ، وهو في رجال الحديث أثبت منه في رجال الفقه ، وله وقفته المشهورة في فتنة القول بخلق القرآن ، توفي ببغداد سنة ٢٤١هـ .

وهناك مذاهب درست ، من أشهرها مذهب عبدالرحمن الأوزاعي المتوفى سنة ١٥٧هـ ومذهب محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ . ومذهب داود الظاهري المتوفى سنة ٣٢٤هـ .

وقبل ظهور المذاهب الأربعة كان هناك من الصحابة من اشتهروا بالفتيا وترد أسماؤهم كثيراً في كتب الفقه منهم : السيدة عائشة أم المؤمنين ، والخلفاء الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل

وأبي بن كعب ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وعبدالله
ابن عمرو بن العاص .

ومن التابعين غير من ذكرت أسماؤهم في تراجم الأئمة : مجاهد بن جبر ،
وعكرمة مولى ابن عباس ، وعلقمة النخعي ، ومسروق بن الأجدع ، والأسود
ابن يزيد النخعي ، وشريع القاضي ، وسعيد بن جبير ، وطاووس بن كيسان ،
والحسن البصري .

ومن الأسماء التي اشتهرت في فقه الإمام أبي حنيفة :
ابن أبي ليلى ، وبشر بن غياث ، والطحاوي ، والقدوري ، والكاساني ،
والسرخسي .

ومن الأسماء التي اشتهرت في فقه الإمام مالك :
عبدالله بن وهب ، وأشهب ، ويحيى بن كثير ، وأسد بن الفرات وسُحْنُون ،
وأصبع بن الفرج ، وابن عبد البر ، والقاضي عبد الوهاب ، والباجي ، وابن رشد ،
وابن العربي ، والقاضي عياض .

ومن الأسماء التي اشتهرت في فقه الإمام الشافعي :
البويطي ، والمزني ، والربيع المرادي ، وابن سريج ، والكرابيبي ، والزعفراني ،
والإسفرائيني ، والماوردي ، والشيرازي ، والجويني ، والغزالي ، والنوي .

ومن الأسماء التي اشتهرت في فقه الإمام أحمد :
الأثرم ، والمروزي ، وإسحاق بن راهويه .
ويمكن التعرف على نبذ من تواريخ هؤلاء الأعلام من كتاب «تاريخ التشريع»
للشيخ محمد الخضري .



٢- الاصطلاحات الفقهية

ترد في كتب الفقه ألفاظ يجب فهم المراد منها حتى يكون تعبد المؤمن تعبدًا صحيحاً ، من هذه الألفاظ : الفرض ، الواجب ، السنة ، المندوب ، المستحب ، الحرام ، المكروه ، المباح .

فالفرض والواجب اسمان لما طلب حتماً ، ويعبر عن ذلك بما يثاب المرء على فعله ويعاقب على تركه ، إلا أن الفرض عند الحنفية ما ثبت طلبه بدليل قطعي الثبوت والدلالة ، كآيات القرآن والمتواتر والمشهور من السنة إذا كان نصاً لا يحتمل معنى آخر ، أما الواجب فهو ما ثبت بدليل ظني الثبوت أو الدلالة أو هما معاً ، مثال الفرض عندهم قراءة ما تيسر من القرآن في ركعتين من أي صلاة ، ومثال الواجب أن يكون المقروء فيهما هو الفاتحة ، ويترتب على ترك الفرض بطلان الصلاة ، وعلى ترك الواجب سهواً سجود السهو ، وعلى تركه عمداً وجوب إعادة الصلاة مادام الوقت موجوداً ، فإن خرج الوقت فقد أساء . وعلى هذا يكون ترك الفرض موجباً للعقاب ، وترك الواجب موجباً لعقاب أخف منه .

أما عند غير الحنفية فلا فرق بين الفرض والواجب ، سواء طلب بدليل قاطع أو مظنون لكنهم يفرقون بينهما في الحج ، فيقولون : الفرض ما لا يجبر بدم كالوقوف بعرفة وطواف الإفاضة ، والواجب ما يجبر بدم كرمي الجمار والمبيت بمنى ، وترك الفرض يبطل الحج ، وترك الواجب لا يبطله .

وهناك فرض يعرف بفرض الكفاية ، وهو الذي إذا فعله البعض سقط الطلب عن الباقي ، ولو تركوه جميعاً أثموا ، كصلاة الجنازة ، بخلاف فرض العين الذي يجب على كل مكلف أن يقوم به ، ولو تركه لأثم .

ومثل الفرض والواجب : الركن والشرط ، لا يصح العمل إلا بهما ، غير أن الأول جزء من ماهية العمل ، كركوع الصلاة ، والثاني ليس جزءاً منها ، كالوضوء واستقبال القبلة وستر العورة في الصلاة .

والسنة ما كان طلبه غير جازم ، أو ما يثاب المرء على فعله ولا يعاقب على تركه
ومنه ما واطب عليه النبي ﷺ ويسمى سنة مؤكدة كركعتي الفجر ، وما لم يواظب
عليه كركعتين قبل المغرب ، والمندوب والمستحب كالسنة ، وبعضهم جعل
المندوب والمستحب لما لم يواظب عليه النبي ﷺ والسنة لما واطب عليه .
والحرام ما طلب الشارع الكف عنه طلباً جازماً أو ما يعاقب المرء على فعله
ويثاب على تركه ، كالسرقة والقتل .

والمكروه ما طلب الشارع الكف عنه طلباً غير جازم ، كأكل البصل عند
الذهاب إلى المسجد ، وهذا يسمى مكروهاً تنزيهاً ، وهناك مكروه يسمى مكروهاً
تحريماً وهو في مقابل الواجب عند الحنفية ، فيه عقوبة لكنه أخف من عقوبة الحرام ،
كالصلاة في الأوقات المنهي عنها .

أما ما لم يطلب الشرع فعله ولا الكف عنه فهو المباح ، الذي لا يثاب المرء على
فعله ولا يعاقب على تركه .

هذا ، وهناك اصطلاح : باطل وفاسد ، وهما اسمان لمسمى واحد عند بعض
الفقهاء ، وهو ما يجزئ عن فاعله ولا تترتب عليه آثار ، كالصلاة إذا نقص ركن
منها أو تخلف أحد شروطها ، وفرق بعضهم بين الباطل والفاسد ، ويمكن التوسع
في معرفة ذلك من كتب الفقه .



٣- التقليد والتلفيق

في كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» جاء أن هناك خلافات للعلماء في بعض الأحكام الفقهية وأنه لا يجوز التعصب لأي رأي اجتهادي غير مجمع عليه ، ومن ليس عنده استعداد للاجتهاد في مسألة عليه أن يسأل من له علم بها ، ويجوز له أن يقلد أي مذهب من المذاهب المعروفة ، ولا يلتزم بمذهب معين ، لأنه يعتبر عامياً والعامي لا مذهب له ، وإذا قلد مجتهداً في مسألة فليس له تقليد غيره فيها اتفاقاً ، ومن التزم مذهباً معيناً ففي الرجوع إلى غيره من المذاهب ثلاثة أقوال : المنع والجواز ، والجواز فيما لم يعمل به وعدم الجواز فيما عمل به ، على ألا يكون التقليد للغير موقعاً في أمر يجتمع على إبطاله الإمام الذي كان على مذهبه والإمام الذي انتقل إليه ^(١).

قد قال المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية الأسبق والمتوفى ١٩٣٥م: يجوز التقليد والتلفيق من مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم ممن علمت مذاهبهم ، لضرورة وغير ضرورة ، قبل العمل وبعده ، في العبادات والمعاملات ، تخفيفاً ورحمة بالأئمة ، وفضل الله واسع .

هذا ، وكما يجوز التقليد في العمل يجوز في الإفتاء ، فلا يجب التزام المفتي لمذهب واحد ، وله أن يختار من المذاهب ، أو من أقوال أصحاب المذهب ما يراه مناسباً للحال ومحققاً للمصلحة العامة ومن هنا نرى اختلاف بعض الفتاوى بين القديم والحديث ، وبين بلد وآخر .

ومن الصواب عند إصدار فتوى أن يشار إلى المذهب أو إلى المقتضى للاختيار .

١- تفصيل هذا الخلاف يرجع فيه إلى الجزء الثاني من ((البيان)) ص ١٧٣ .

٤ - بعض رجال الحديث ومصطلحاتهم

أولاً : من أشهر رجال الحديث الذين لهم كتب مطبوعة :

- ١ - محمد بن إسماعيل البخاري ، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .
 - ٢ - مسلم بن الحجاج النيسابوري ، المتوفى سنة ٢٦١ هـ .
وكتابهما أصبح الكتب بعد القرآن الكريم .
 - ٣ - أحمد بن حنبل صاحب المسند ، والمتوفى سنة ٢٤١ هـ .
 - ٤ - أبو داود سليمان السجستاني ، والمتوفى سنة ٢٧٥ هـ .
 - ٥ - محمد بن عيسى الترمذي ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ .
 - ٦ - محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه ، والمتوفى سنة ٢٧٣ هـ .
 - ٧ - أحمد بن شعيب النسائي ، المتوفى سنة ٣٠٣ هـ .
 - ٨ - الدارقطني ، المتوفى سنة ٢٨٥ هـ .
 - ٩ - الحاكم النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ .
 - ١٠ - البيهقي ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .
 - ١١ - الطبراني ، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .
 - ١٢ - ابن خزيمة ، المتوفى سنة ٣١١ هـ .
 - ١٣ - ابن جبان ، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .
- وهناك موطأ الإمام مالك وفيه غير الأحاديث النبوية .

ثانياً : هناك في عرف المحدثين ما يسمى بالحديث الصحيح ، والحديث الحسن ، والحديث الضعيف .

فالصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله ، واتصل سنده ولم يكن به شذوذ ولا علة قاذحة [ومن أقسامه المشهور والمتواتر] والحديث الحسن كالصحيح إلا أن الرواة المعروفين بالصدق فيهم قصور في الضبط عن ضبط رواية الصحيح .

والحديث الضعيف ما فقد شرطاً من شروط الصحة والحسن ، وأنواعه كثيرة يرجع إليها في الكتب المختصة ، والأولان يقبلان في إثبات الأحكام العملية ، ولا يقبل الثالث إلا في فضائل الأعمال ، وفي ذلك كلام كثير لا مجال لذكره الآن .

ثالثاً : تصادفك في هذا الكتاب وفي غيره ألفاظ عند رواية الحديث لا بد من معرفة معناها مثل :

١- « متفق عليه » والمراد أن البخاري ومسلماً أخرجاه في صحيحيهما ، وعند ابن تيمية في كتابه « منتقى الأخبار » وشرحه « نيل الأوطار » للشوكاني ، يستعمل هذا الاصطلاح فيما رواه البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل .

٢- « رواه الشيخان » المراد بهما البخاري ومسلم .

٣- « رواه الخمسة » المراد بهم عند ابن تيمية والشوكاني : أحمد وأصحاب السنن الأربعة وهم : أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي .

٤- « رواه الجماعة » أي رواه السبعة كلهم : البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة المذكورون .



العقائد

- الإيمان بالله
- الملائكة
- الكتب
- القرآن الكريم

الإيمان بالله

س : ما هو الدليل المقنع على وجود الله وعلى أن محمداً رسول حق من عند الله؟

ج : ١ - الدليل المقنع على وجود الله هو آثاره المشاهدة التي لا يمكن أن تكون موجودة بنفسها من غير قوة كبرى على قدرة وعلم وصفات يصدر عنها هذا الإبداع وهي قوة الله تعالى ، ومن البدييات أن كل صنعة لابد لها من صانع ، وكلما كانت الصنعة أحكم كان صانعها على أعلى مستوى من الحكمة ، وكما قال الحكماء : ليس هذا العالم مخلوقاً بالطبع أو بالعلة ، لأن مطبوع الطبيعة لا يختلف ، بل يلتزم شكلاً واحداً ، ومعلول العلة لا يتخلف ، بل لابد أن يكون ملازماً لعلة وجوداً وعدمًا ، حدوثاً وقدمًا .

إن الإيمان بوجود الله حقيقة مقررة في فطرة الإنسان منذ خلق ، كما نص الحديث الصحيح .

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء » يقول أبو هريرة راوي الحديث : اقرءوا إن شئتم ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم : ٣٠] ^(١) .

إن الرجل البدوي حين سئل عن وجود الله نطق بفطرته فقال : البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير ؟ وأنت تعلم أن آدم عليه السلام خلق وهبط على الأرض وفي قلبه هذه الحقيقة ، ونشأت ذريته الأولى على هذا الإيمان . ولما تفرقوا في طول الأرض وعرضها شغلهم طلب العيش والمأوى عن التفكير في

١ - رواه البخاري ومسلم .

خالق هذا الكون ، وساقطهم فطرتهم إلى أن هناك من هو أقوى منهم ، يُسيّرهم ،
ويسيطر عليهم ، بما يروونه من كواكب ونجوم ومخلوقات شتى ، وحاولوا التقرب
إليها أو التحصن ضد خطرهما ، وكما يحدثنا علماء الفلسفة والأجناس البشرية ،
رمزوا إلى هذه القوة الخفية بما يعبر عن عقيدتهم في شكل تمثال أو غيره ، ومن هنا
جاء الرسل لتلفت أنظار الضالين إلى حقيقة الألوهية .

ومهما يكن من شيء فإن علماء العصر الحديث - على الرغم من تنكر بعضهم
للدين الذي عاشوا في ظله قروناً ، وحرّمهم كثيراً مما يحتّمه انطلاق الفكر ونشاط
الإرادة - لم يستطيعوا أن ينكروا وجود الله وراء هذه المادة التي هي وعاء علمهم
وتجاربهم ، وكان أسلوبهم في البحث بعيداً عن الأسلوب الديني التقليدي الذي
ثاروا عليه ، ولو شئت لأوردت لك كثيراً من أقوال كبارهم في إثبات وجود الله ،
ولكني أحيلك على كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» الذي جمع فيه «جون كلوفر
مونسم» الباحث الديني الاجتماعي كثيراً من شهادات علماء أمريكا المتخصصين في
كل العلوم ، بما يؤكد اعتراف العلم بوجود الله .

وإن شئت دليلاً على طريقة المتكلمين وعلماء التوحيد على وجود الله أحيلك
على «رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده ، ولعلك توفق إلى فهم الأسلوب
الموضوع للاستدلال على وجوده سبحانه .

وأعتقد أيها السائل أنك ما دمت مسلماً ومؤمناً بالتالي بوجود الله فلا تشغل
نفسك بأمر لا يعني به إلا الفلاسفة والعلماء المتخصصون الذين ينفقون وقتاً كبيراً
في الجدل والمناقشة . ونحن أحوج ما نكون إلى أي وقت وأي جهد يبذل في سبيل
المعركة المصرية التي يخوضها المسلمون عامة في هذه الأيام .

٢- إن قيام سيدنا محمد ﷺ بالدعوة إلى دين جديد حقيقة تاريخية مقررة لاشك
فيها ، وتلك آثارها شاهد صدق عليها . ولما جاء بالدعوة وكذبه قومه طلبوا منه ما يدل
على صدقه ، بالإضافة إلى ما عرفوه عنه من صدق وأمانة ، وقد انتزع منهم هذا
التصديق المبدي بقوله «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير

عليكم أكنتم مصدقي»؟ قالوا : ماجربنا عليك كذباً فقال لهم : «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ولذلك جاء على لسان من عرضت عليه الدعوة وعرف أنه مشهور بالصدق : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله .

فلما أصرروا على كذبهم ظلماً وعلواً وقد استيقنت أنفسهم صدقه طلبوا منه آية أي علامة تدل على صدقه في أنه رسول الله من عند الله ، وليس مدعيًا ذلك من نفسه فجاءهم بالقرآن متحدياً إياهم به ، فعجزوا عن الإتيان بمثله ، بل بعشر سور ، بل بسورة واحدة ، على الرغم من أنهم فرسان البلاغة والفصاحة . وقد نص على ذلك قول الله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

وحيث إنهم عجزوا عن محاكاته : عُلم أنه ليس من صنعه فيكون من صنع الله وحده ، الذي جعل هذه المعجزة دليلاً على أن الرسول مبعوث من عند الله . وقد صح في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» .

وإذا صدقنا بالقرآن معجزة صدقنا برسالة سيدنا محمد ﷺ بكل ما جاء به ، فالآيات في القرآن كثيرة تثبت رسالة جميع الرسل السابقين وإن شئت توضيحاً لهذه الحقيقة فارجع إلى «رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده .



س : ما الفرق بين الرب والإله ؟

ج : الرب في اللغة هو المالك للشيء ، ويطلق على السيد المالك للعبد ، وعلى المربي ، ولا يقال «الرب» مطلقاً بغير إضافة لشيء إلا الله تعالى ، المتكفل بمصالح الخلق ، أما بالإضافة فيطلق على غير الله ، كرب الدار ورب الفرس ، ذكره الأصفهاني في «المفردات» .

والإله بالتعريف اسم للمعبود بحق ، وهو الله سبحانه ، وإذا ذكر بدون التعريف «إله» كان اسماً لكل معبود ولو باطلاً .

ويقول الراغب الأصفهاني في « المفردات » الإله حقه ألا يجمع ، إذ لا معبود سواه ، لكن العرب - لاعتقادهم أن ههنا معبودات - جمعوه فقالوا : الآلهة .

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا ﴾ [الأنبياء : ٤٣] ، وقال ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [ص : ٥] .



س : قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ [الزخرف : ٨٤] فهل يفيد ظاهر الآية تعدد الآلهة؟

ج : ليس المعنى أن هناك إلهين ، واحداً في السماء وواحداً في الأرض ، لأن تعدد الآلهة ممنوع ، والإسلام دين التوحيد الخالص ، والنصوص في ذلك كثيرة ، وهو سبحانه القائل ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] والقائل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] .

وإنما المعنى في الآية الواردة في السؤال أن الألوهية ثابتة لله في السموات وفي الأرض ، أي في الكون كله .

ونفي التعدد مصحوب بالدليل وهو فساد الكون ، بسبب تنازع الآلهة ، كل يزعم أنه الأحق بالألوهية ، وحتى لو اتفقا فما هو الداعي إلى الإله الثاني المعطل عن مجال تصرف الإله الأول ، والاستدلال المنطقي موجود في كتب التوحيد .



س : يقول بعض المؤرخين إن إطلاق لفظ ابن الله على بعض الناس موجود قبل ميلاد المسيح عليه السلام فهل هذا صحيح؟

ج : جاء في كتاب «التثليث في المرأة» تأليف : كوثر نيازي وزير الإعلام والحج في باكستان سنة ١٩٧٤م أن قسطنطين هو الذي روج أن عيسى عليه السلام «ابن

الله» عندما اعتنق المسيحية وهو حاكم اليونان واليونان يعتقدون أن أفلاطون هو ابن الإله «أبولو» لأن خطيب أمه «باركشين» وجدها حبلى فناده «أبولو» لاتقربها فهي حبلى بولد منى ، فصاروا يطلقون على أفلاطون «ابن الله» وقد ولد سنة ٢٩ قبل الميلاد^(١).

وكثير من اليونان من أشيع أنهم ولدوا من غير أب ، ومنهم فيثاغورس المولود سنة ٥٧٥ قبل الميلاد ، وسموه ابن الله ، ويقول : أبوة الله أطلقت بالمعنى المجازي على كثيرين منهم ، أي العباد المخلصين .



س : لماذا يتحدث الله عن نفسه بقوله «نحن» مع أنها للجمع ، فهل هناك معه إله آخر؟

ج : إن القرآن الكريم نزل من عند الله بلغة العرب التي هي لغة رسوله ﷺ ، وقد نزل في أرقى درجات البلاغة والفصاحة ﴿لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء : ١٩٥] .
ومما جرت به عادة العرب أن يعبر المتكلم عن نفسه بلفظ «أنا» فإذا كان معه غيره قال «نحن» كما أن لفظ «نحن» يستعمل عند تعظيم المتكلم لنفسه ، وتعظيم الإنسان لنفسه له دواع تدعو إليه ، فقد يكون ذا منصب أو جاه أو حسب أو نسب فيتحدث عن نفسه تفاخراً وتكبراً من أجل التفاخر والتكبر ، وقد يكون لإدخال الرهبة في قلوب الآخرين ، كأنه عدة أشخاص لا شخص واحد ، وقد يعبر عن نفسه بلفظ «نحن» لتعدد مآثره أو مواهبه ، كأنه عدة أشخاص في شخص واحد ، فالكثرة والتعدد بالنظر إلى الأثر لا إلى المؤثر .

وأسلوب التعظيم للمتكلم أو المخاطب موجود في اللغات الأخرى وليس قاصراً على اللغة العربية ، ويستعمل في مثل الأغراض المذكورة .

فإذا كان رب العزة يقول ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان : ٢٨] فالمقام مقام امتنان بالخلق والإنعام ومقام تخويف وإرهاب

١ - من كتاب التناقض بين الدين والعلم . تأليف : درابر .

للكافرين ، يتناسب معه ضمير التعظيم الذي يعطي معنى القوة والهيبة ، وإذا كان يقول ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفَظُونَهُ ﴾ [الحجر : ٩] فالمقام مقام الاقتدار الذي يدخل الطمأنينة على حفظ الله للقرآن الذي أنزله بقدرته وحكمته . وإذا كان يقول ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ [غافر : ٥١] ففيه اطمئنان لحماية الله لرسله ونصرهم على أعدائهم ، كأنها حمايات بوسائل متعددة .

وأعتقد أن المؤمن حين يقرأ القرآن وفيه أسلوب التعظيم لله لا يتسرب إلى نفسه أي شك في وحدانيته سبحانه ، وهو جدير بكل عظمة وإجلال لا يمكن أن يكون لغيره من القدرة والإنعام ما يصرف الناس عن عبادته وحده .



س : وردت بعض النصوص التي تثبت أن لله يداً ورجلاً ، نريد بياناً للمراد منها؟

ج : وردت نصوص في الكتاب والسنة تثبت أن لله عيناً ويداً ورجلاً ، مثل قوله تعالى ﴿ وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنَيَّ ﴾ [طه : ٣٩] وقوله ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] وقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم « لاتزال جنهم يلقي فيها وتقول : هل من مزيد . حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول : قط قط » . وقوله «الحجر الأسود يمين الله تعالى في الأرض يصافح بها من شاء من خلقه»^(١) ، وقوله « رأيت ربي في أحسن صورة ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثندوتي»^(٢) أي ثديي .

وقوله في الحديث القدسي عن الله سبحانه «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٣) . والعلماء إزاء هذه النصوص فريقان مع اتفاقهم على أن الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فريق يطلق عليه اسم السلف وفريق يطلق عليه اسم الخلف ، والسلف يؤمنون بدلالة هذه الألفاظ على معانيها الحقيقية الموضوعه لها في اللغة العربية ،

١ - رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه .

٢ - رواه الطبراني والترمذي وقال : حسن غريب .

٣ - رواه البخاري .

فيثبتون لله عيناً ويداً ورجلاً ولكنها ليست كأعيننا وأيدينا وأرجلنا لاستحالة التشابه بينه وبين المخلوقات ، والخلف يؤولون هذه الألفاظ التي جاءت على أصول اللغة العربية بما فيها من حقيقة ومجاز ، فيريدون بالعيون لازمها وهو العناية والعلم ، وباليدين لازمها وهو القدرة والإنعام ، وبالرجل والقدم القدرة والسرعة وزيادة الفضل والكرم .

وهذه الألفاظ من التشابه الذي نزل به القرآن وقال عنه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] فالسلف يقفون على ﴿ اللَّهُ ﴾ والخلف يصلون ولا يقفون : أي يعطفون ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ على لفظ ﴿ اللَّهُ ﴾ أما السلف فيجعلون الواو للاستئناف لا للعطف . وفي هذين الموقفين جاءت العبارة : مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم .



س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ؟
ج : ذكر استواء الله على العرش في عدة مواضع من القرآن الكريم ويحتاج الأمر إلى بيان المراد من العرش ، والمراد من الاستواء ، ونسبة ذلك إلى الله سبحانه ، فالعرش لفظ مشترك يطلق على أكثر من معنى فهو بمعنى سرير الملك ، قال تعالى ﴿ قَالَ نَكُرُوْهَا عَرْشَهَا ﴾ [النمل : ٤١] وقال تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف : ١٠٠] وهو بمعنى سقف البيت ، وبمعنى المُلْك والسلطان .
والاستواء هو الاستقرار ، واستوى إلى السماء أي قصد ، واستوى أي استولى ، واستوى أي اعتدل ، واستوى أي علا وارتفع .
واستواء الله على العرش فيه أربعة عشر قولاً كما قال القرطبي في كتابه «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلا» والأكثر من المتقدمين والمتأخرين ينزهون الله عن الجهة والتحيز ، لأن ذلك من صفات الحوادث ، فيؤولون استواء الله على العرش بالملك والسلطان ، يقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

وإذا كان في الاستواء على العرش علو فهو علو مكانة ومنزلة ومجد وليس علو مكان ، إن التأويل في مثل هذه الآيات المشتبهات هو مذهب الخلف ، أما السلف وهم أهل القرون الثلاثة الأولى من الهجرة فلا يؤولون ، ويشتون الجهة لله كما نطق كتابه وأخبرت رسله ، ولم ينكر أحد منهم أنه استوى على عرشه حقيقة ، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء ، فلا يعلم حقيقته إلا الله ، يقول الإمام مالك رضي الله عنه : الاستواء معلوم -يعني في اللغة- والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة . وكذلك قالت أم سلمة رضي الله عنها ، ويقول أبو الحسن الأشعري وغيره : هو مستو على عرشه بغير حد ولا كيف .
والخلاصة : أن السلف يتركون النصوص على ظاهرها ولا يؤولونها ، والخلف يؤولونها بما يثبت أن الله سبحانه ليس كمثله شيء ، والكل متفق على تنزيه الله سبحانه عن المشابهة للحوادث^(١).



س : وردت أحاديث تقول إن الله ينزل إلى السماء الدنيا لسمع دعاء التائبين والمسترزقين ، فكيف يكون هذا النزول ، وهل الله في مكان ينزل منه؟
ج : روى البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي ﷺ قال «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» .

هذا الحديث من المتشابه الذي يوجد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية ، والمسلمون حياله فريقان ، فريق يطلق عليهم اسم السلف ، وفريق يطلق عليهم اسم الخلف ، فالأولون يؤمنون بأن الله سبحانه ينزل من عرشه إلى سماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله وكماله ، بعيداً عن المشابهة للحوادث كما قال سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] والآخرين يصرفونها عن ظاهرها ويريدون بها

١ - انظر تفسير القرطبي ج ٧ ص ٢١٩ ، وكتابه المذكور .

لازمها ، بمعنى القرب والرحمة وسرعة الاستجابة كما يجيء في كلام العرب تعبيراً عن الرجل الكريم بأنه لا تطفأ له نار .

وعلى شاكلة ذلك كان تفسيرهم لليد والعين في قوله تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح : ١٠) وقوله ﴿وَلْيُضَنِّعْ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه : ٣٩] .

ومن موقف السلف والخلف من الإيمان بالظاهر ومن التأويل كان الوقف في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران : ٧] فالأولون يقفون عند قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويكون قوله : ﴿وَالرَّاسِخُونَ . . .﴾ كلاماً مستأنفاً ، أو مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ ءَمَّا بِهِ﴾ والآخرين لا يقفون عند قوله ﴿اللَّهُ﴾ وإنما يصلون به على العطف ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فالذي يعلم التأويل عند الأولين هو الله قط ، والذي يعلمه عند الآخرين الله والراسخون في العلم^(١) .



س : هل صحيح أن الله سبحانه يضع قدمه في جهنم ، وكيف يفهم هذا ؟

ج : يقول الله سبحانه ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق : ٣٠] المفسرون فريقان في قول جهنم ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ففريق يقول : المعنى ليس هناك مكان لزيادة أحد على من هم فيها ، فقد امتلأت ، كقول النبي ﷺ فيما روي عنه «هل ترك لنا عقيل من ربع أو منزل» يعني ما ترك . فمعنى الكلام النفي . وفريق يقول : المعنى هل هناك أحد يزداد على من فيها ، ففيها متسع لمن يلقي فيها ؟

وعلى كلا المعنيين يصح أن يُنطق الله النار فتقول هذا الكلام ، ويصح أن يراد بذلك التشبيه فقط ، يعني كأنها تقول ذلك . والمعنى الأول أصح .

ثم جاء في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال « لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلى

١ - راجع موضوع : الرحمن على العرش استوى ص ٢٧ .

بعض وتقول قَطْ قَطْ ، بعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » وفي رواية «وأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله يقول لها ، قَطْ قَطْ ، فهناك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ، فلا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً» فقول «قط قط» في الرواية الأولى من جنهم ، وفي الرواية الثانية من الله .

يقول القرطبي : القدم هنا قوم يقدمهم الله إلى النار ، وقد سبق في علمه أنهم من أهل النار ، وكذلك الرّجل وهو العدد الكبير من الناس وغيرهم ، ويبين هذا المعنى ما روي عن ابن مسعود أنه قال : ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مِقْمَعٌ ولا تابوت -وهي أدوات التعذيب - إلا وعليه اسم صاحبه ، فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته ، فإذا استوفى كل واحد منهم ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قال الخزنة : قط قط ، حسبنا حسبنا . أي اكتفينا اكتفينا . وحينئذ تنزوي جنهم على من فيها وتنطبق ، إذ لم يبق أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرّجل والقدم .

لكن قال بعض العلماء : إن معنى وضع الله رجله أو قدمه في النار إخضاعها وإسكانها ، حتى لا تطلب زيادة على من فيها ، كمن يريد أن يعبر عن قهره وانتصاره على عدوه فيقول : وضعته تحت قدمي ، وليس لله سبحانه قدم ولا رجل كما هو معهود للمخلوقات ، فليس كمثله شيء ، وإذا سكنت النار عن طلب المزيد بعث الله بخلقه ليسكنهم المنازل في الجنة ، وهذا دليل على سعة رحمة الله تعالى .

وخلاصة الكلام في القدم أنه من المتشابه الذي يؤمن به السلف ، فالله له قدم ورجل ويد وعين وإصبع كما ورد في القرآن والسنة ، لكن هذه الأشياء ليست كالمعهودة في المخلوقات ، أما الخلف فينفون أن لله أعضاء بالمعنى الحقيقي ، والمراد منها لازمها ، فالتعبير مجازي والمراد القوة والعناية والرعاية والعلم .



س : هل صحيح أن من حفظ أسماء الله الحسنى دخل الجنة حتى لو كان عاصياً وكم عددها ، وما الفرق بينها وبين الصفات ؟

ج : جاء في كتاب «الأذكار»^(١) ، أن الله سبحانه قال ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠] وأن النبي ﷺ قال «إن لله تسعة وتسعين اسماً» «مائة إلا واحداً» من أحصاها دخل الجنة ، إنه وتر يحب الوتر» ثم ذكر الأسماء .

وقال إن الحديث رواه البخاري ومسلم ، أما الأسماء فرواها الترمذي وغيره بسند حسن . ومعنى أحصاها حفظها كما فسره البخاري والأكثر ، ويؤيده أن رواية في الصحيح «من حفظها دخل الجنة» وقيل : معناه من عرف معانيها وآمن بها ، وقيل معناه : من أطاقتها بحسن الرعاية لها ، وتخلق بها يمكنه من العمل بمعانيها .

وجاء في شرحه لصحيح مسلم^(٢) أن العلماء اتفقوا على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها ، لا الإخبار بحصر الأسماء ، ولهذا جاء في الحديث الآخر : «أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال : لله تعالى ألف اسم . قال ابن العربي ، وهذا قليل فيها .

وجاء في تفسير القرطبي للآية المذكورة الإشارة إلى العلاقة بين الاسم والمسمى والفرق بين الاسم والصفة ، وأحال توضيح ذلك إلى تأليفه الخاص عن شرح أسماء الله الحسنى ثم قال : الذي يذهب إليه أهل الحق أن الاسم هو المسمى أو صفة له تتعلق به ، وذكر أن الأسماء في الآية تعني التسميات ، لأن الله واحد والأسماء جمع ، وقال القاضي أبو بكر^(٣) عن أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين : إنها عبارات عن كون الله تعالى على أوصاف شتى ، منها ما يستحقه

٢- ج ١٧ ص ٥ .

١- للإمام النووي ص ١٠٤ .

٣- في كتاب التمهيد .

لنفسه ، ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به ، وأسماءه العائدة إلى نفسه هي هو ، وماتعلق بصفة له فهي أسماء له ، ومنها صفات لذاته ، ومنها صفات أفعال ، وهذا تأويل قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي التسميات الحسنى . هذا ، وعلماء الكلام قالوا: تسمية الله بالأسماء توقيفية ، أي يتوقف إطلاقها على الإذن فيه ، وذلك للاحتياط ، احترازاً عما يوهم باطلاً ، لعظم الخطر في ذلك^(١).

لعل في هذه الكلمة الموجزة ما يكفي للإجابة على السؤال ، وكتب التوحيد والتفسير فيها متسع لمن أراد الاستزادة والمهم هو العمل بمقتضى الإيمان بهذه الأسماء وليس الاكتفاء بحفظها أو حصر عددها ، فالعلم للعمل وليس لمجرد الحفظ .



س : هل يجوز إطلاق أسماء الله الحسنى على المحلات التجارية وغيرها مثل «تسالي الرحمن ، ألبن الرزاق»؟

ج : أمثال هذه الأمور يرجع فيها إلى المعنى الذي يعنيه من كتب هذه العناوين ، وإلى النية الباعثة على ذلك ، فإذا قصد مثلاً من «ألبن الرزاق» أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرزق اللبن ويخلصه من بين مواد كثيرة على ما يؤخذ من قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُم فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِذُوا بِطَوَائِفِهَا مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَرٍ لِّبَنَاءٍ خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل : ٦٦] فلا مانع من ذلك ، وإذا نوى بذلك جلب الزبائن من الصالحين الذي يحسون بنعمة الله فلا مانع أيضاً . فالأعمال بالنيات كما هو معروف .



س : ما هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ؟

ج : يقول الله سبحانه ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠] ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

١ - جاء ذلك في كتاب ((المواقف)) للإيجي وشرح معاني هذه الأسماء ، فيرجع إليه .

الإنسان مخير في أن يدعو ربه بأي اسم من أسمائه التي ذكرت في القرآن الكريم ، ويزيد عددها على التسعة والتسعين التي ذكرت في الحديث الذي رواه الترمذي ، وجاء في فضلها حديث البخاري ومسلم «من أحصاها دخل الجنة» أي من حفظها وعمل بما فيها .

وهناك من الأسماء ما هو أقرب للاستجابة عند الدعاء به ، وهو اسم الله الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى ، والراجح من أقوال العلماء أنه مؤلف من عدة أسماء ، بناء على الأحاديث الواردة فيه ، فقد روى أصحاب السنن أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو ويقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال والذي نفسي بيده لقد سأَل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى ، كما رووا أيضاً أنه سمع رجلاً يدعو بقوله : اللهم لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام . فقال النبي ﷺ «لقد دعا الله باسمه الأعظم» وفي بعض الروايات أن اسم الله الأعظم موجود في آية ﴿وَاللَّهُمَّ اكْفِنا بِهَذَا الْمَرْغُوبِ﴾ [البقرة : ١٦٣] وفي فاتحة سورة آل عمران ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران : ٢] ^(١) .

والظاهر من تعدد الروايات أن القاسم المشترك بينها هو توحيد الله سبحانه ، والدعاء بالتوحيد فيه إخلاص وثقة بالله ، ونفي للشريك عنه ، وتقرير أنه لا يستحق أحد سواه أن يُلجأ إليه فلا بد لكل دعاء أن يصحبه هذا الشعور حتى يكون في موضع الرجاء للقبول .

من هذا نرى أن اسم الله الأعظم موجود في القرآن الكريم . على أن هناك أسماء لله لم ينزل بها قرآن ولم يثبت بها حديث ، فقد جاء في بعض أدعية النبي ﷺ «أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب غمي» ^(٢) .



١- رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح .
٢- رواه ابن السني عن أبي موسى الأشعري ، وذكره النووي في كتابه ((الأذكار المتخبة من كلام سيد الأبرار)).

س : هل هناك فرق بين الرحمن والرحيم ؟

ج : الصفتان مشتقتان من الرحمة ، والرحمن هو البالغ الذروة في الرحمة ، والرحيم هو صاحب الرحمة الكثيرة ، فالرحمن أبلغ منه ، والرحمن خاص بالله تعالى ، لأنه لا يمكن لأحد سواه أن يبلغ الذروة فيها ، أما الرحيم فيمكن أن يوصف به غير الله سبحانه ، ومن هنا قال الأكثرون : إن الرحمن علم على الله وليس صفة ، لا يطلق على أحد سوى الله ، وما جاء عن البعض من وصف مسيلمة بأنه رحمن اليمامة ، وقول بعض الشعراء :

وأنت غيث الورى لا زلت رحماناً

فمن المبالغة في الكفر والضلال ، وقيل : إن ما كان فيه أل « الرحمن والرحيم » فهو خاص بالله تعالى ، وما ليس فيه « أل » بأن كان نكرة مثل « رحمن ورحيم » أو مضافاً مثل « رحمن اليمامة ورحيم بني فلان » فليس خاصاً بالله .
ورحمة الله صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والإنعام ، وأما الرحمة بالنسبة لما سوى الله فمعناها رقة في القلب تقتضي الإنعام .



س : هل من أسماء الله تعالى الجميل ؟

ج : روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس »^(١).

معنى قوله « إن الله جميل » أن كل أمره سبحانه حسن وجميل ، فله الأسماء الحسنی وصفات الجمال والكمال ، قال أبو القاسم القشيري : معناه جليل ، وقيل معناه : جميل الأفعال بكم والنظر إليكم ، يكلفكم اليسير ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل . يقول

١- رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

النووي : هذا الاسم ورد في الحديث الصحيح ، وورد في الأسماء الحسنى وفي إسناده مقال ، والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى : ومن العلماء من منعه ، وقال إمام الحرمين أبو المعالي : ما ورد به الشرع جوازنا إطلاقه ، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتجوز ولا منع ، فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد الشرع ، ولو قضينا بتحريم أو تحليل لكنا مثبتين حكماً بغير الشرع ، ثم لا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما نقطع به في الشرع ، ولكن ما يقتضي العمل وإن لم يوجب العمل فإنه كاف ، إلا أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ، ولا يجوز التمسك بها في تسمية الله تعالى وصفته ، قال النووي : وقد اختلف أهل السنة في تسميته تعالى ووصفه من أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به الشرع ولا منعه ، فأجازه طائفة ومنعه آخرون إلا أن يرد به شرع مقطوع به من نص كتاب أو سنة متواترة أو إجماع على إطلاقه ، فإن ورد به خبر واحد فقد اختلفوا فيه ، فأجازه طائفة ، وقالوا : الدعاء به والثناء من باب العمل ، وذلك جائز بخبر الواحد ، ومنعه آخرون لكونه راجعاً إلى اعتقاد ما يجوز أن يستحيل على الله تعالى ، وطريق هذا القطع ، قال القاضي : والصواب جوازه ، لاشتماله على العمل ولقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ وهو كما قال .

هذا ما ورد عن كمال الدين الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ في كتابه « حياة الحيوان الكبرى »^(١).

وخلصته أن إطلاق اسم « الجميل » على الله فيه خلاف ، وفي اختلاف الآراء سعة.



س : قال تعالى عن أهل الكتاب ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] فهل كانوا يعبدونهم ويتقربون إليهم ؟

ج : قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ

١- ج ١ ص ٤٥٧ عند كلامه عن الدر.

أَنْتَ يُؤَفِّكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

في هاتين الآيتين نعى على اليهود والنصارى الذين نسبوا إلى الله ولداً كما قال الكفار: الملائكة بنات الله، ونعى عليهم أنهم اتخذوا رؤساءهم الروحيين أرباباً من دون الله، فما معنى اتخاذهم أرباباً؟

جاء في تفسير القرطبي ^(١) قال أهل المعاني: جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شيء، ومنه قوله تعالى ﴿قَالَ أَنْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي كالنار. وقد سئل حذيفة عن معنى هذه الآية هل عبدوهم؟ فقال: لا، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرّموا عليهم الحلال فحرّموه، وروى الترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال «ما هذا يا عدي اطرح عنك هذا الوثن» وسمعتة يقرأ في سورة براءة ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ثم قال «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه» قال: هذا حديث غريب لا يعرف إلا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.

يؤخذ من هذا أن تفسير اتخاذهم أرباباً بطاعتهم في التحليل والتحرير ليس فيه نص صحيح يعتمد عليه، وإنما هو اجتهاد غير ملزم، فغاية ما يمكن أخذه من الآية أن طاعة الأحرار والرهبان طاعة مطلقة كطاعة الله خطأ، لأن هؤلاء الرؤساء غير معصومين، فقد تجر طاعتهم إلى العصيان أو الكفر.

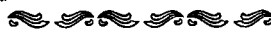
والإسلام إذا كان يأمر طاعة أولى الأمر فذلك محله في غير المعصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد صح في حديث المبايعات الذي رواه البخاري ومسلم أن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا

ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً^(١) عندكم فيه من الله برهان .

ومع عدم الطاعة في المعصية هل يجوز الخروج على ولي الأمر وعزله ؟ إن حديث عبادة يدل على أنه لا تجوز المناظرة إلا عند ظهور الكفر الواضح الذي ليس فيه شبهة ، ومنه الطعن في صلاحية حكم الله ، واعتقاد ما أجمع على حرمة كالزنا والربا أنه حلال ، أما ارتكاب المحرمات بغير اعتقاد حلها فهو عصيان لا يخرج به إلى الكفر ولا يميز الخروج عليه ، لكن النووي حمل الكفر في الحديث على المعصية ، وابن حجر فصل في الموضوع فقال : والذي ظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدر في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر ، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية ، فإذا لم يقدر في الولاية نازعه في المعصية ، بأن ينكر عليه برفق ، ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف ، ومحل ذلك إذا كان قادراً .

وعلى ضوء ما قاله ابن حجر : إن فسق الإمام ولم يكفر وجب نصحه بالأسلوب الذي يرجى منه الخير ولا يؤدي إلى فتنة .

ووضع قوانين تحليل الحرام كالربا والخمر حرام دون شك ، لكن لا يحكم بالكفر على واضعها والحاكم بها بناء على قوله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] إلا إذا كان هناك اعتقاد بأن حكم الله غير صحيح ، وأن القانون الوضعي هو الصحيح ، والطاعة لهذه القوانين غير جائزة ، سواء كانت من منطلق كفر من وضعوها أو عصيانهم وفسقهم ، لأن طاعتها تدخل تحت الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ ﴾ [التوبة : ٣١] ولا بد من تغيير هذا المنكر ، لكن بالطرق المشروعة التي لا تؤدي إلى فتنة^(٢) .



١- البواح - بضم الباء هو الصراح - بضم الصاد - الذي جاء في رواية الطبراني ، وهو أيضاً البراح - بضم الباء وبالراء بدل الواو - الذي جاء في بعض الروايات ، والمراد به الظاهر البيّن الذي تشهد له النصوص ولا يقبل التأويل .

٢- يمكن الرجوع إلى كتابنا ((نعم ، الإسلام هو الحل ولكن أين الطريق)) الذي أعيد نشره بعنوان ((المنهج السليم إلى صراط الله المستقيم)) أو إلى كتابنا : ((الإسلام ومشاكل الحياة)) أو إلى الجزء الأول من كتاب ((بيان للناس من الأزهر الشريف)) .

س : هل رؤية الله تعالى ممكنة ؟

ج : اتفق علماء الكلام على أن الله سبحانه يجوز أن ينكشف لعباده انكشافاً علمياً تاماً بأن يخلق الله فيهم علماً تاماً ضرورياً بذاته ، كما اتفقوا على أن الرؤية الحاصلة بين الحوادث لبعضهم في الدنيا تكون في مكان وجهة وبارتسام صورة المرئي في العين ، لكنهم اختلفوا في رؤية ذات الباري بدون مقابلة وجهة ولوازم الرؤية للشاهد ، فقال أهل السنة ممكنة وقال غيرهم غير ممكنة .

واستدل أهل السنة بقول الله تعالى في شأن طلب موسى لرؤيته ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرٰنِيْ وَلٰكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنْ اَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرٰنِيْ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] حيث قالوا : لو لم تكن ممكنة لما طلبها موسى ، وأن الله علّقها على ممكن وهو استقرار الجبل .

وقال غيرهم إن الله نص على ذلك بقوله ﴿ لَنْ تَرٰنِيْ ﴾ وهو نفي يفيد التأييد كما يقولون . وكذلك بقوله ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

ومناقشة الأدلة محلها كتب الكلام والتفسير . وهذا الخلاف هو في الدنيا - أما رؤيته في الآخرة ، فقد جاء فيها قوله تعالى ﴿ وَجُوهٌُ يُؤْمِدْنَ نَاضِرَةً ۖ اِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةً ۝٢٢ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وعليها حمل قوله تعالى ﴿ لِّلَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا الْحُسْنٰى وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ [يونس: ٢٦] فالزيادة هي رؤيته سبحانه في الجنة ، وفي حديث البخاري ومسلم أن الناس يرون ربهم يوم القيامة كالشمس لاشك فيها وكالقمر ليلة البدر لا شك فيه وروى الحديث عن أكثر من عشرين صحابياً من كبار الصحابة .

وهي كلها رؤية بدون كيف ولا انحصار ، وقد رأى الرسول ربه ليلة المعراج ، لأنه كان في حالة غير عادية حيث كيّفه الله تكييفاً خاصاً اخترق به السموات ولم تؤثر فيه قوانين الأرض والسماء ، ولم يكن عند سيدنا موسى هذا الاستعداد فلم يستطع رؤيته . والرؤية في الآخرة ممكنة وواقعة لأن قوانينها غير قوانين الدنيا وقد أفاض القسطلاني في «المواهب اللدنية» والزرقاني شارحها - في الكلام على الرؤية وبخاصة رؤية النبي لربه ليلة المعراج ^(١) .

١ - يمكن الرجوع إلى هذا المصدر لمن أراد الاستزادة (المقصد الخامس في الإسراء والمعراج) .

وأعجبني ما ختم به البحث من نقل قول القرطبي في « المفهم » شرح صحيح مسلم ، وهو التوقف في هذه المسألة ، وعزاه لجماعة من المحققين ، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع ، وغاية ما استدل به الطائفتان - المجيزة والمانعة - ظواهر متعارضة قابلة للتأويل . قال : وليست المسألة من العمليات - غير العقائد - فيكتفى بالأدلة الظنية ، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي . اهـ .

وأنصح بعد إطالة النقاش في هذه المسألة ، وبالاستعداد بالعمل الصالح للقاء الله يوم القيامة ، وسنعرف بحق ويقين ما نتنازع فيه .



س : سمعنا حديثاً يقول « إنكم ترون ربكم يوم القيامة » فهل هذا حديث صحيح؟

ج : ذكرنا في إجابة سابقة خلاف الناس في رؤية الله في الدنيا ، وأشرنا إلى أن هناك أخباراً تؤكد جواز رؤيته في الآخرة ، وزيادة في التأكيد نقول : جاءت في ذلك أحاديث متفق عليها ، منها حديث رواه البخاري ومسلم عن أكثر من عشرين من أكابر الصحابة منهم أبو سعيد الخدري الذي سأل النبي ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً » قلنا لا ، قال « فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ، ثم ينادي مناد : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أهل الصليب مع صليبيهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات - بقايا - من أهل الكتاب ، وبعد إلقاء اليهود والنصارى في جهنم يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر ينتظرون رؤية الله ، فيأتيهم على غير الصورة التي رأوه أول مرة . . . وعند رؤيته يسجد له كل مؤمن ، ولا يستطيع من كان يسجد له رياء وسمعة . . إلى آخر الحديث . وفي حديث آخر للبخاري ومسلم « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان » .

يؤخذ من هذا أن أهل الموقف جميعاً يرون الله ، وتكون الرؤية للمؤمنين نعيماً
ولغيرهم شقاء ، يوضحه قوله تعالى ﴿ وَجْهٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ ٢٣ ﴾ وَوَجْهٌ يُؤْمِنُ
بَاسِرَةٌ ﴿ ٢٤ ﴾ تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاكِرَةٌ ﴿ ٢٥ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٥] فإذا فرغ من الكافرين وألقى
بهم في جنهم يرى المؤمنون ربهم مرة ثانية ، فقد ورد في صحيح مسلم « إذا دخل
أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض
وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً
أحب إليهم من النظر إلى ربهم » ثم تلا هذه الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾
[يونس : ٢٦] فرؤية الله في الآخرة واقعة ولا ينبغي الجدل فيها ، وعلينا أن نستعد
للقائه في جنة النعيم فذلك أولى .



س : تأتي في بعض الآيات صفات الله تعالى فيها عبارة « كان » مثل « كان الله
غفوراً » فهل هذه الصفات ، كانت في الماضي وزالت عنه وتغيرت أم باقية؟

ج : إذا وصف الله نفسه في القرآن الكريم لم يأت هذا الوصف دائماً مقروناً
بلفظ « كان » فكثيراً ما يأتي الوصف بدون ذلك . قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٩] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢]
﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وفي بعض الآيات يأتي الوصف مع لفظ « كان » كقوله تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٩] وقوله ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٦] وقوله
تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] .

وليس المراد بذلك أن الله سبحانه كان متصفاً بالمغفرة والرحمة والعلم والسمع
والبصر في زمن مضى ، ثم زالت عنه هذه الصفات في الزمن الحاضر ولا يتصف بها في
المستقبل ، ذلك لأن تقسيم الزمن إلى ماض وحاضر ومستقبل هو بالنسبة لنا نحن ،
حين نتحدث ونحدد ما يقع من أحداث قبل زمن الحديث عنها أو في أثناء الحديث
أو بعده ، أما الله سبحانه فهو منزّه عن الزمان . وما كان مخلوقاً لا يتحكم فيمن خلقه .

وكان الله سبحانه حين يقرن صفاته بلفظ «كان» يبين لنا أنه موصوف بذلك قبل أن نخبرنا ، بل قبل أن يخلقنا ، فهي صفات أصيلة فيه وجبت له لذاته لا لعله أوجدتها فيه . فقد كان الله بصفاته ولا شيء معه . وقد نبه المفسرون على ذلك ، فجاء مثلاً في تفسير الجلالين لقوله تعالى في أول سورة النساء ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] قوله : أي لم يزل متصفاً بذلك . وقال الجمل في الحاشية : نبه به على أن «كان» قد استعملت هنا في الدوام ، لقيام الدليل القاطع على ذلك .



س : هل هناك حديث يقول : تخلقوا بأخلاق الله ، وكيف يقال عن صفات الله إنها أخلاق ؟

ج : لا يوجد حديث عن النبي ﷺ بهذا اللفظ ، ذلك أن الخلق كما عبر عنه العلماء ملكة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير فكر ولا روية ، ولا يمكن أن يعبر عن صفات الله مثل الرحمة والعدل بأنها آثار للملكة راسخة في النفس .

والذي ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها سئلت عن أخلاق النبي ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن^(١) . وجاء في زيادة : يغضب لغضبه ويرضى لرضاه .

وقد علق العارف بالله عمر شهاب الدين بن محمد بن عمر السهروردي المتوفى ببغداد في المحرم سنة ٦٣٢ هـ - في كتابه عوارف المعارف على قول السيدة عائشة بقوله : ولا يبعد أن قول عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وإيحاء إلى الأخلاق الربانية ، فاحتشمت الحضرة الإلهية أن تقول : كان متخلقاً بأخلاق الله تعالى ، فعبرت عن المعنى بقولها : كان خلقه القرآن ، استحياء من سُبُحات الجلال ، وسترأً للحال بلطيف المقال ، وهذا من وفرة عقلها وكمال أدبها^(٢) .

١ - رواه مسلم وغيره .

٢ - الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٤ ص ٢٤٦ .

فإذا جاء التعبير على لسان بعض رجال التصوف بلفظ «أخلاق الله» فلم يجي هذا التعبير عن النبي ﷺ. وإن كانت صفات الله سبحانه معروفة.



س : ما معنى قوله تعالى ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران : ٥٤] مع أننا نعرف أن المكر صفة مذمومة لاتليق بالله سبحانه؟

ج : في مفردات الراغب الأصفهاني أن المكر هو صرف الغير عما يقصده بحيلة ، وذلك ضربان ، مكر محمود ، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل ، وعلى ذلك قال ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ومذموم ، وهو أن يتحرى به فعل قبيح ، قال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر : ٤٣] وقال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠] وقال تعالى ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل : ٥١] وقال في المحمود والمذموم ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل : ٥٠] وقال تعالى ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران : ٥٤] ومن دعاء الرسول ﷺ «اللهم امكر لي ولا تمكر علي» يعني أن كفار بني إسرائيل دبوا حيلة لقتل سيدنا عيسى عليه السلام ، ودبر الله أمراً آخر لحمايته فألقى شبه عيسى على غيره ، ورفع عيسى إليه ، والله خير من يدبر الأمور ولا يغلبه أحد .

هذا ما نقلته عن مفردات الأصفهاني بتصرف بسيط في تكميل بعض الآيات ، وما يوضح معنى الآية الواردة في السؤال ، أما التفسير الوافي فيرجع فيه إلى كتب التفسير ، ومن هنا نعرف أن المكر هو التدبير ، فإن كان في شر فهو مذموم ، وإن كان في خير فهو محمود .



س : هل صحيح أن من صلى الصبح ثم جلس حتى تطلع الشمس يكون له ثواب عمرة؟

ج : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة » قال : قال رسول الله ﷺ « تامة تامة تامة »^(١).

من هنا نعلم فضل صلاة الصبح جماعة في المسجد والمكث فيه مع الاشتغال بذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلاة الضحى التي أقلها ركعتان . ولا يستبعد أحد أن يكون ثواب ذلك كثواب حجة وعمرة ، ففضل الله واسع ، يقبل القليل ويعطي الجزيل ولذلك نظائر كثيرة منها :

١ - فضل ليلة القدر ، فإن قيامها خير من ألف شهر كما نص عليه القرآن الكريم .
٢ - فضل أداء الفرض في رمضان ، فتوابه كثواب سبعين فرضاً في غيره ، كما جاء في حديث سلمان الذي رواه ابن خزيمة في صحيحه .

٣ - قراءة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . . . ﴾ تعدل قراءة ثلث القرآن كما رواه مسلم وغيره .

٤ - النفقة في سبيل الله يضاعفها الله ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

٥ - روى البخاري ومسلم وغيرهما أنه ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل » .

٦ - روى البخاري ومسلم وغيرهما أنه ﷺ قال « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »

١ - رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب أي رواه راو واحد فقط ، وجاءت رواية أخرى عن أبي أمامة بإسناد جيد للطبراني بهذا الثواب ، كما جاءت روايات فيها مقال لكن تقبل في فضائل الأعمال بهذا الثواب وبغيره ، والثابت كما رواه مسلم وغيره أن النبي ﷺ كان إذا صلى الصبح جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس

وغير ذلك كثير في الشريعة الإسلامية ، يكون العمل قليلاً ويكون ثوابه كبيراً مادام مستكملاً لأركانه وشروطه مع الإخلاص لله سبحانه . وهذا تشجيع على الإقبال على طاعة الله بالفعل أو العزم عليه كما جاء في الصحيح أن من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر حسنات .

وإذا كان النبي ﷺ قد أخبر أن العمرة في رمضان تعدل حجة معه كما رواه مسلم فليس معنى ذلك أنها تكفي عن الحج إذا كان قادراً عليه ، بل لا بد من أدائه ، وكذلك إذا كانت صلاة الفريضة في رمضان تعدل سبعين فريضة فيما سواه فليس معنى ذلك أن من ترك سبعين صلاة تكفي عنها صلاة واحدة في رمضان ، بل لا بد من قضاء كل ما فات ، وكذلك إذا صح الحديث كما رواه مسلم أن الصلاة في مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، فليس المراد أن الصلاة الواحدة تكفي عن ألف صلاة تركها ، ومثل ذلك ما رواه أحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه - لا يعني أن يهمل الإنسان في الصلاة سنوات طويلة ثم يعوض كل ما فات بصلاة واحدة أو أكثر قليلاً في المسجد الحرام .



س : نسمع من بعض المتصوفة ومن لهم ميول دينية أن هناك علماً لدنياً ليس موجوداً في كتاب الله وسنة رسوله ، فهل هذا صحيح؟

ج : ذكر القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ في تفسيره لقول الله تعالى في سورة الكهف ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف : ٦٥] ناقلاً عن الإمام أبي العباس أن قوماً من زنادقة الباطنية قالوا : إن الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة ، أما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص ، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم ، وقالوا : وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار ، وخلوها من الأغيار ، فتنجلي لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية فيقفون على أسرار الكائنات ، ويعلمون أحكام

الجزئيات ، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات ، كما اتفق للخضر ، فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم ، وقد جاء فيما يقولون : استفت قلبك وإن أفتاك المفتون . قال شيخنا : وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب ، لأنه إنكار ما علم من الشرائع ، وأحكام الله لا تكون إلا عن طريق رسله المبلّغين الميئين لشرائعه وأحكامه .

وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقيني الضروري وإجماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله إلا من جهة الرسل ، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ الذي جعله الله خاتم الأنبياء والرسل ، فلا نبي بعده ولا رسول .

وبيان ذلك أن من قال : إنه يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه هو حكم الله ، وأنه يعمل بمتقضاه ولا حاجة إلى كتاب وسنة - فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة ، وهذا نحو ما قاله الرسول ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي . . .» .

والقسطلاني المتوفى في سنة ٩٢٣ هـ في كتابه «المواهب اللدنية» وشارحه الزرقاني^(١) نقلا عن بعض كبار التصوف أن من علامة محبة الله إثارة طاعته ومتابعة نبيه ، وعن غيره لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة البدعة . فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول ﷺ ، بدعواه علما لدنيا أوتيته ، فهو من لدن الشيطان والنفس . وإنما يعرف كون العلم لدنيا روحانياً بموافقته لما جاء به الرسول ﷺ من ربه تعالى .

فالعلم اللدني الآتي لصاحبه من عند غيره نوعان ، أحدهما لدني رحاني وثانيهما لدني شيطاني ، والمميز لذلك هو الوحي ، ولا وحي بعد الرسول ﷺ . قال الجنيد : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . وأما قصة موسى والخضر وقوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ فالتعليق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني - إلحاد وكفر يخرج عن الإسلام ، موجب لإراقة الدم . وذلك أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى

الخضر ، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته ولو كان مأموراً بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ، ولهذا قال له : أنت موسى نبي بني إسرائيل؟ قال : نعم . فرسالته خاصة ، ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقليين ، فرسالته عامة للجن والإنس في كل زمان . ولو كان موسى وعيسى حيَّين لكانا من أتباعه كما في الحديث . فمن ادعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى ، أو جَوَّز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه لأنه كفر . وليس من خاصة أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه ، والعلم اللدني الرحاني هو ثمرة العبودية ، والمتابعة لهذا النبي الكريم ، وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه ، كما قال علي ابن أبي طالب لأبي جحيفة وقيس بن عباد والأشتر النخعي - في سنن النسائي - حين سئل : هل خصَّكم يا أهل البيت رسول الله ﷺ بشيء دون الناس من أسرار علم الوحي كما تزعم الشيعة ؟ فقال : لا إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه ، فهذا هو العلم اللدني الحقيقي .

وقد جعل السيوطي في كتابه «الإتقان» فصلاً عن كلام الصوفية في القرآن ، فيه تحذير شديد لما يخالف ما اتفق عليه .

س : هل من الحديث ما يقال «عندي أطعني تكن ربانياً تقول للشيء كن فيكون» ؟
ج : لم أجد هذا الكلام حديثاً صحيحاً ، وإن كان هناك ما يؤيد معناه مثل «وما يزال عبيدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به .. ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه»^(١) .

س : ما هو الشرك الخفي ؟

ج : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال» ؟ فقلنا : بلى يا رسول الله فقال «الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل

١ - رواه البخاري .

فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»^(١) . وجاءت فيه روايات بالفاظ متقاربة كلها تفيد أن الرياء مذموم ، كأن الإنسان يشرك مع الله غيره في أداء العبادة ، قال تعالى في ذم المرائين ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : ١٤٢] وقال تعالى ﴿قَوْلٌ لِلْمُضِلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۖ وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ ۖ﴾ [الماعون : ٤ - ٧] .

والأحاديث في ذم الرياء كثيرة ، منها حديث مسلم في الثلاثة الذين يكونون أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة ، المجاهد والعالم والجاد ، كانوا يحرصون على ثناء الناس عليهم ، وحديث البخاري ومسلم «من سمع سمع الله به ، ومن يراء يراء الله به» أي من أظهر عمله للناس يراء أظهر الله نيته الفاسدة يوم القيامة وفضحه على رءوس الأشهاد . وحديث ابن خزيمة في صحيحه «يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر» قالوا وما هو؟ قال «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً ، لما يرى من نظر الناس إليه ، فذلك شرك السرائر» وجاء في حديث أحمد والطبراني أن النبي حذّرهم من هذا الشرك الخفي فسأله كيف يتقونه؟ فقال «قوالوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه» وفي بعض الروايات : يقال ذلك ثلاث مرات كل يوم .



س : نسمع بعض العلماء يقولون أو يكتبون بعد أن يجيبوا على سؤال ديني ، أو يبحثوا قضية دينية «الله ورسوله أعلم» فاعترض بعض الناس على هذه العبارة وقالوا إنها من الشرك ، فهل هذا صحيح؟

ج : بعد التحذير من الإسراع في الحكم على أي شيء بدون علم دقيق ، وبخاصة في الأمور الدينية - أقول : إن كتب الدين مملوءة من قديم الزمان بهذه

١ - رواه ابن ماجه والبيهقي .

العبارة ، وبخاصة في الأحكام الاجتهادية التي ليس فيها نص قاطع . ولم يعترض عليها أحد من يوثق في علمهم ، وذلك يوحى بالإجماع على جوازها .

والأصل في ذلك قبل الإجماع أنها قيلت أمام الرسول ﷺ ولم يمنعها ، فقد روى البخاري ومسلم أنه في حجة الوداع سأل في خطبته يوم النحر بمنى قائلاً للصحابة: « أي شهر هذا ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال « أليس ذا الحجة » فقالوا : بلى . وحدث مثل ذلك حين سألهم عن اليوم والبلد ولم ينكر عليهم هذه العبارة . وروى مسلم ^(١) أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل « هل تدري ما حق الله على العباد ؟ » قال : الله ورسوله أعلم ، قال « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ثم قال له بعد مدة (هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟) فقال : الله ورسوله أعلم ، قال « ألا يعذبهم » فلم ينكر الرسول على معاذ قوله : الله ورسوله أعلم .

وفي الحق إنها عبارة صادقة ، فالله سبحانه هو أعلم مَنْ خَلَقَ عَلَى الإِطْلَاق ، كما أن رسول الله ﷺ أعلم من الصحابة ومن أرسل إليهم بالأحكام الدينية التي حصلوها عن الله ، والتي أذن بإصدارها وأمرنا بطاعته فيها . والنصوص كثيرة في ذلك ، منها قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ الرَّحْمَنِ لِيُنذِرَ لِقَوْمِهِمْ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ [النجم : ١٠] وقوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] . بهذا وبغيره لا يوجد مبرر لاعتراض بعض الناس على عبارة « الله ورسوله أعلم » .



س : إذا كان السجود لله وحده فلماذا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، وكيف سجد أخوة يوسف له ؟

ج : أولاً : سجد الملائكة لآدم ليس سجد عبادة ، بل سجد تحية .

ثانياً : الذي أمر بذلك هو الله ، ولا بد من امتثال أمره ، لكن لو أمر أحد غير الله بالسجود لغير الله حرم الأمر وحرم الامتثال ، جاء في الحديث النبوي « لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » (١) .

وقال المفسرون بعد اتفاقهم على أن سجد الملائكة لآدم لم يكن سجد عبادة: إن الله أمرهم أن يضعوا جباههم على الأرض ، وذلك تكريماً لآدم ، أو كان السجود لله ولكن القبله هي آدم ، كما يقال : صلى الإنسان للقبله ، أي إليها ، وقيل : إن السجود لم يكن سجوداً مادياً بأية هيئة ولكنه سجد معنوي هو الإقرار والاعتراف بفضل آدم . ومهما يكن من شيء فإن السجود للتحية - لا للعبادة - ظل معروفاً من قديم الزمان حتى زمن يعقوب عليه السلام قال تعالى عن يوسف ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف : ١٠٠] بل بقى إلى زمن الرسول ﷺ ولما رأى الصحابة سجد الشجر والجمل له قالوا: نحن أولى بالسجود لك فقال : « لا ينبغي أن يسجد إلا لله رب العالمين » وروى ابن ماجه في سننه والبستي في صحيحه أن معاذ بن جبل لما قدم من الشام سجد لرسول الله ﷺ فقال « ما هذا؟ » قال : يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأباطرتهم وأساقفتهم ، أردت أن أفعل ذلك بك ، فقال « فلا تفعل فإنني لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب (٢) لم تمنعه » .

من هذا يعرف أن سجد العبادة ممنوع ، وأن سجد التحية لآدم كان بأمر من الله ، وسجد إخوة يوسف كان للتحية أيضاً ، ونهى عنه الإسلام مطلقاً ، حتى لو كان للتحية.



١ - رواه الترمذي وصححه .

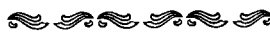
٢ - القتب رحل صغير على قدر سنام الجمل .

س : ما هو سبُّ الدهر ، وكيف تكون عباراته لتجنبها ، وحكمة النهي عنه في الإسلام ؟

ج : سب الدهر يكون بعبارات مختلفة تدل على الضيق منه ولعنه واحتقاره . ولا يلجأ إليه إلا من وقع في أزمة شديدة لا يجد خلاصاً منها ، وبخاصة إذا وجد غيره من الناس يتمتع بكل أنواع النعيم . والرسول ﷺ نهى عن لعن أي شيء كما رواه أبو داود والترمذي «من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه» .

والذي يلعن الزمان أو المكان خالف هدي الرسول ﷺ في النهي عن اللعن ، وبخاصة الدهر ، جاء في حديث البخاري ومسلم «قال الله تعالى : يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر ، بيدي الليل والنهار» وفي رواية «أقلب ليله ونهاره ، وإذا شئت قبضتهما» وفي رواية لمالك «لا يقل أحدكم : يا خيبة الدهر ، فإن الله هو الدهر» يقول الحافظ المنذري : معنى الحديث أن العرب كانت إذا نزلت بأحدهم نازلة أو أصابته مصيبة أو مكروه يسب الدهر ، اعتقاداً منهم أن الذي أصابه هو فعل الدهر ، فكان كاللعن للفاعل ، ولا فاعل لكل شيء إلا الله تعالى خالق كل شيء ، فنهاهم النبي ﷺ عن سب الدهر ، لأنه مدرجة لسب فاعل الأمور وخالقها ، وهو الله تعالى .

والدهر ليس اسماً من أسماء الله تعالى ، فالله هو خالقه وخالق كل شيء ، ومهما يكن من شيء فإن أسماء الله تعالى ليست محصورة في التسعة والتسعين ، كما في الحديث الآخر الذي يقول «أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك» وعلماء الكلام قالوا : تسمية الله بالأسماء توقيفية ، أي يتوقف إطلاقها على الإذن فيه ، وذلك للاحتياط ، احترازاً عما يوهم باطلاً لعدم الخطر في ذلك^(١) . وعلى هذا فلا يجوز الحلف بالدهر على أنه من أسماء الله .



١ - جاء هذا في كتاب ((المواقف)) للإيجي ، وشرح معاني هذه الأسماء ، فيرجع إليه .

س : ما حكم الدين فيمن يسبون الديك أو أي شيء آخر يدل أن يسبوا الدين؟

ج : يجري على السنة بعض الفساق عبارة سب الدين ، وذلك ردة وكفر لها حكمها ، وأحياناً يقول الشخص « يلعن ديك أمك » وحكمه أنه إذا كانت نيته سب الدين ولكن يتستر بلفظ الديك حتى لا يؤاخذ به أحد عليه فهو مرتد عند الله سبحانه ، لأن الإنسان يحاسب عند ربه بحسب نيته ، أما بالنسبة لنا فلا نحكم عليه بالردة ، لأننا مأمورون بالحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر .

وأحذر هؤلاء من هذه العبارة التي لو تعودوها فقد يصرحون بسب الدين وهنا يكون الكفر ، مع أن النبي ﷺ نهى عن سب الديك فقال : « لاتسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة » وفي لفظ « فإنه يدعو إلى الصلاة »^(١).



س : ما حكم من يحلف ويقول : أكون على غير دين الإسلام إن فعلت كذا؟

ج : قال النووي^(٢) : يحرم أن يقول الإنسان : إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو برىء من الإسلام ونحو ذلك .

فإن قاله وأراد حقيقة تعليق خروجه عن الإسلام بذلك صار كافراً في الحال ، وجرت عليه أحكام المرتدين . وإن لم يرد ذلك لم يكفر ، لكن ارتكب محرماً ، فيجب عليه التوبة ، بأن يقلع في الحال عن معصيته ، ويندم على ما فعل ، ويعزم على ألا يعود إليه أبداً ، ويستغفر الله تعالى ويقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله .



١ - رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه بإسناد جيد.

٢ - الأذكار ، ص ٣٥٦.

س : ما حكم من قال لمسلم يا كافر ؟

ج : روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال : « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه » وفي رواية لها « من دعا رجلاً بالكفر ، أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » ومعنى حار رجع .



س : يتحدث الناس كثيراً عن الوسيلة ما بين مجيز ومحرم ، نريد تحديد المراد منها وبيان حكمها الصحيح ؟

ج : موضوع الوسيلة والتوسل اشتد الخلاف فيه أخيراً ، وبخاصة عندما نشر كتاب الوسيلة لابن تيمية ، ففريق قال بمشروعيته ، وفريق آخر قال بعدم مشروعيته ، وقد تغالى كل من الفريقين في التمسك برأيه ، والتغالي في كل شيء مدرجة إلى التعصب إن لم يكن هو التعصب نفسه ، وهو يؤدي إلى نتائج خطيرة ، أدناها تمزق المسلمين وأقصاها رمي بعضهم بعضاً بالكفر ، وترجمة ذلك إلى معاملات عنيفة .

والتعصب من الفريقين أدى إلى إسراف كل منهما في حشد الأدلة التي تؤيد وجهة نظره حتى لو كانت ضعيفة السند ، وإلى الإغراق في تأويل ما صح سنده ليقف إلى جانبه حتى لو كان التأويل بعيداً ، وإلى الاستشهاد بما وقع من كبار الشخصيات حتى لو كانوا ممن لا يؤخذ عنهم التشريع .

وهذا أمر لا يقره الدين الذي يدعو إلى الوحدة ، وإلى الاعتدال وعدم التعصب وعدم الإسراف . فهناك نصوص محكمة قطعية الثبوت واضحة الدلالة ، وهناك أصول راسخة تكون المعالم الأساسية للدين ، يجب أن يحتكم إليها ، ويرد كل اختلاف إلى ما تدل عليه ، وذلك لتقريب وجهات النظر وتخفيف حدة التعصب ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

إن المغالين في الإنكار على التوسل عمدوا إلى نصوص واردة في الكفار وطبقوها على المسلم الذي يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ، كما فعل الخوارج من قبل ، فحكموا على كثير من المسلمين بالكفر بناء على نصوص وردت في الكافرين نقل البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : شرار خلق الله الخوارج ، عمدوا إلى آيات نزلت في المشركين فجعلوها في المسلمين . ومثل ذلك قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

وذلك كاستشهادهم بقول الله تعالى حكاية عن المشركين ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٢٣] في أن من يتوسل إلى الله بشخص كان مشركاً ، مع أن المتوسل لم يعبد من توسل به .

والمغالون في التوسل أفرطوا في حب الصالحين فوضعوهم فوق ما يستحقون ، حتى قال بعضهم : إن فيهم من يتصرف في الكون وإن كان ذلك كله بإرادة الله تعالى ، لكن الاعتقاد في سمو منزلتهم كان ينسيهم ربهم . والرسول ﷺ حذر من التغالي في حبه ، مع أن حبه في قمة الحب الواجب على المؤمن كما في الحديث الشريف « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار » فقال عليه الصلاة والسلام « لاتطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ، ولكن قولوا عبدالله ورسوله » .

والحد الوسط الذي يجب أن نقف عنده جميعاً ، ونلتقي عنده إخواناً متحابين هو :

١- الاعتقاد بوحدانية الله تعالى ، لا شريك له في ملكه ، هو الخالق والرازق والنافع والضار ، وإليه يرجع الأمر كله ، وكل شيء يمس هذه الوحدانية ممنوع .

٢- الاتجاه بالعبادة إليه وحده ، لانشارك به أحداً فيها كما قال سبحانه ﴿ إِنَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] وقال ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

٣- الإيمان بأن الله يكرم من يشاء من عباده بما يشاء من فضله ومن أنواع هذا الإكرام قبول دعائه والاستجابة له ، كما قبل دعاء المرسلين بتحقيق الخير لهم أو دفع الشر عنهم . ومن ذلك ما ورد في سورة الأنبياء عن دعاء نوح بنصره على من كذبه ، ونجاته ومن معه من الغرق ، وأيوب بكشف الضر عنه ، ويونس بنجاته من بطن الحوت ، وزكريا بطلب الذرية . وما ورد في سورة البقرة وإبراهيم عن دعاء إبراهيم وإسماعيل بأمن البلد الحرام والحج إليه وبعث رسول إلى الأمة المسلمة من ذريتهما .

ومن الإكرام قبول الشفاعة للناس بإذنه ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ﴿ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٣] .

ومن الإكرام منع العقاب عمن يستحقونه من أجل وجود من يحبه الله فيهم ، كما قال تعالى ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

٤- الإيمان بأن الله قادر على أن يخرق العادات التي ألفها الناس ونظموا عليه أمور حياتهم ، وخرق العادة إن كان لنبي سمي معجزة ، وإن كان لولي صالح سمي كرامة ، وفي القرآن والسنة عن أخبار المعجزات والكرامات كثير .

٥- كل من ظهرت على أيديهم المعجزات والكرامات يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى هو فاعلها ، ولا قدرة لهم عليها إلا بقدرته تعالى ولم ينسبها أحد لنفسه على الحقيقة ، مع جواز ذلك على سبيل المجاز ، وذلك واضح في قول عيسى عليه السلام ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزَيِّتُ الْأَكْثَمَ وَالْأَنْثَرَمَ وَأُنْجِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

٦- عبادة الله يجب أن تكون على الوجه الذي ارتضاه للتقرب به إليه ، وما سوى ذلك مرفوض ، وهذا الوجه الذي ارتضاه موجود في كتابه وسنة نبيه ، ومنه

ما هو واضح لا غموض فيه ، وما يحتاج إلى بيان قام ببعضه الأئمة المجتهدون . وما كان مجمعاً عليه أو دليلاً قطعي الثبوت والدلالة لا يجوز العدول عنه ، وما كان غير ذلك كان للاجتهاد فيه نصيب ولا يجوز القطع بأن من خالفه فقد عصى الله ورسوله ، وذلك مبسوط في كتب الأصول .

٧- يجب اعتبار النية عند الحكم على أي فعل يصدر من العبد كما قال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» . وإذا لم نعلم نية العبد وجاز لنا أن نحكم على الظاهر فإن هذا الحكم لا يكون قطعياً تترتب عليه آثار خطيرة على النفس أو المال أو العرض أو الدين . وقد صح أن النبي ﷺ قال : «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» والذي يحكم الحكم الصحيح على العبد هو الله سبحانه وتعالى ، لأنه أعلم بنيته ، فإن أفصح لنا العبد عن نيته وقصده كان الحكم عليه صواباً أو أقرب إلى الصواب .

ومعرفة الحقيقة والمجاز في اللغة العربية تفيد في هذا الموضوع . فلو قال أحد مثلاً : المطر هو الذي أنبت النبات ، وأسند الإنبات إلى المطر حقيقة دون تدخل من قدرة الله وإرادته كان ذلك كفراً ، أما إذا كان يعتقد أن الإنبات هو بقدرة الله وأن المطر لا يعدو أن يكون سبباً فذلك أمر لا غبار عليه ، ولا يجوز رمي قائله بالكفر . وأسلوب المجاز مستعمل بكثرة عند العرب وموجود في القرآن الكريم والسنة النبوية .

٨- إذا وجدنا خطأ في العبادة قولاً أو عملاً وجب علينا أن ننبه المخطئ إليه ، لأن ذلك من ضمن ما كلفنا الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذي ينبه على الخطأ من يعلم بأنه خطأ ، قال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . ويجب أن يكون التنبيه بالأسلوب الذي رسمه الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] فمن كان جاهلاً بالحكم كانت الوسيلة تعليمياً له والتعليم

لا بد أن يكون حكيماً يختار له الأسلوب المناسب . ومن كان عالماً بالحكم ولكنه مقصر في التطبيق كانت الوسيلة وعظماً له قائماً على الترغيب في الخير والترهيب من الشر ، ويلزم أن يكون الأسلوب مهذباً متناسباً مع حجم الموضوع وحال من يوجه إليه النصيح ومن كان متعصباً لفكره أو أسلوبه لا ينقصه العلم ولا تفيدته الموعظة فهو يلجأ إلى المناقشة والجدال كان التهاور معه بالطريقة المثلى ، يختار له أحسن الأساليب ، لأن طرفي النقاش يقفان موقف الند للند ، والفائز منهما من يدلي بأحسن ما عنده قولاً وفعلاً .

٩- من أهم ما يساعد على تقريب وجهات النظر ، وجمع أصحاب الفكر على كلمة سواء ، تحرير المراد من الألفاظ وتحديد المفاهيم ، ولهذا سنبدأ ببيان معنى الوسيلة والتوسل وما يراد منهما ، ثم نذكر الحكم بما يتفق مع هذا المعنى .

معنى الوسيلة والتوسل :

جاء في مختار الصحاح : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير ، والجمع الوكيل والوسائل والتوسيل والتوسل واحد ، يقال : وسل فلان « بالتشديد » إلى ربه وسيلة ، وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل .

وجاء في القاموس المحيط : الوسيلة المنزلة عند الملك ، وتوسل إلى الله تعالى عَمِلَ عملاً تقرب به إليه .

وفي القرآن الكريم جاء لفظ الوسيلة في موضعين ، أولهما في قوله تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] ثانيهما في قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] كما جاء في السنة في قول النبي ﷺ « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

أما المراد منها في الحديث فواضح ، لأن النبي ﷺ هو الذي بينه ، لكن المراد بها في الآيتين يتردد بين أمرين ، أولهما القربة أو الطاعة التي يتوصل بها الإنسان إلى ما يريد ، وأفضل ما يريده المؤمن هو رضوان الله تعالى ، وثانيهما الغاية أو المنزلة التي يتوصل إليها بالقربة أو الطاعة .

جاء في تفسير القرطبي للآية الأولى : الوسيلة فعيلة من توسلت إليه أي تقربت ، قال عنتره :

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك ، تكحلي وتخضبي
وعليه فالوسيلة هي القربة والعمل كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وعطاء
والسدي وغيرهم . وجاء في تفسيره للآية الثانية أن معناها : يطلبون من الله الزلفة
والقربة ، ويتضرعون إلى الله في طلب الجنة وهي الوسيلة . وعليه فالوسيلة هي
الغاية المطلوبة من العمل .

وذكر ابن الأثير في « النهاية » بعد ذكر حديث مسلم المتقدم هذه المعاني الثلاثة
فقال : الوسيلة في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ، والمراد في الحديث
القرب من الله تعالى ، وقيل هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل هي منزلة من منازل
الجنة كما جاء في الحديث .

ومن هنا نرى أن الوسيلة قد يراد بها الطريقة الموصلة إلى الغاية ، أو الغاية نفسها
بصرف النظر عن تحديدها أو الغاية الخاصة المحددة ، وهي منزلة في الجنة ،
ولاخلاف بين أحد من المسلمين في هذا الإطلاق ، إنما وقع الخلاف في المعنى
الأول عند تحديد الطريقة التي يتوصل بها الإنسان إلى رضوان الله تعالى ، ومع ذلك
لا يشك أحد في أن هذه الطريقة بشكل إجمالي تقوم على أمرين أساسيين ، أولهما
الإيمان وثانيهما التقوى أو العمل الصالح ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧] وقال ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] لكن الخلاف يدور حول بعض الألفاظ والعبارات المتعلقة
بالإيمان والتقوى ، نذكر أهمها فيما يلي :

١ - التوسل إلى الله بالنبي والأنبياء :

لا شك أن رسول الله ﷺ وسيلتنا إلى الله ، من حيث إنه معلّم ومرشد ، فطاعته وحبّه أساس حب الله للعبد ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وكذلك دعاؤه لنا من وسائل القرب من الله ، وأيضاً شفاعته العظمى يوم القيامة ، وشفاعته الخاصة لبعض أمته ، والذين يسألون له الوسيلة بعد إجابة المؤذن كما سبق في الحديث الذي رواه مسلم . ولا يختلف في ذلك أحد من المسلمين ، إنما الخلاف في قول بعض الناس : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك أن تغفر لي ، أو استشفع به إليك وهذا القول يحتمل توجيهين :

الأول : التوسل بالنبي ﷺ ليدعوا له ، وهذا لا يشك أحد في جوازه وبخاصة في حياته ، فقد طلب الصحابة منه الدعاء فدعاهم وأجيب دعاءه . روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة وقال : يا رسول الله ، هلك المال وجاع العيال ، فادع الله لنا . فدعا النبي فنزل المطر مدة أسبوع فقال الأعرابي : تهدم البناء وغرق المال ، فادع الله لنا . فدعا فقال « اللهم حوالينا ولا علينا » فانزاح السحاب .

وجاء في البخاري عن أنس أيضاً أن عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس فقال : اللهم إنا كنا إذا أجذبنا توسلنا إليك بنبيك فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون . فكان العباس يدعو وهم يؤمنون لدعائه فسقوا .

الثاني : التوسل بذات النبي ﷺ ، بمعنى أن يدعو الداعي ربه راجياً الإجابة إكراماً للنبي لمنزلته عنده . ومثل النبي في ذلك غيره من الأنبياء ، فيقول الداعي : أسألك اللهم بنبيك أو بجاه نبيك أن تغفر لي .

وهذه العبارة تحتمل أمرين :

أ- أحدهما القسم وأداة القسم هي الباء مثل : بالله أن تجلس أو تفعل كذا ، على معنى أقسم بالله . والجمهور يمنعون القسم بغير الله يقول النبي ﷺ : « من

كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» . وأجاز أحمد بن حنبل في رواية عنه القسم بالأنبياء .

ب- وثانيهما عدم القسم ، إذا أريد بالباء السببية ، والمعنى أسألك يا الله بسبب نبيك أن تكرمني ، فإن كان المراد : بسبب الإيمان به ووجه وطاعته فلا غبار عليه ، لأنه توسل بعمله هو ، وهو قربة إلى الله تعالى . وإن كان المراد : بسبب ذاته ، أو بسبب منزلته من الله ووجاهته عنده ، فهذا هو الذي احتدم الخلاف حوله بين العلماء .

ففرق ينكره ، لأن مجرد الجاه لا يعطي الشفاعة ، وعلى رأس هذا الفريق ابن تيمية ، وقد ألف في ذلك رسالة خاصة ، حاول فيها أن يرد ما جاء عن الصحابة في جوازه ، إما بالطعن في السند بالضعف أو الوقف على الصحابة أو على من ليس قوله أو فعله حجة ، وإما بالتأويل ، فيؤول ما ثبت منه على أنه توسل بدعاء النبي أو دعاء غيره كما حدث في استسقاء عمر بدعاء العباس ، وكما حدث في حديث الأعمى ، وسيأتي بعد ، ومنه توسل الناس في الموقف يوم القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم عند الله ، أي ليدعوا الله لهم ، وأن النبي ﷺ يدعو ، بعد أن يرفع رأسه من السجود تحت العرش ، فيقول له ربه : ارفع رأسك وسل تعط ، واشفع تشفع . فيقول : يا رب أمتي . وفريق يثبت ، ومنهم العز بن عبد السلام الذي قال في فتاويه : لا يجوز أن يتوسل إلى الله بأحد من خلقه إلا برسول الله ﷺ إن صح حديث الأعمى .

واستدل هذا الفريق بما أثر في ذلك ، ومنه :

١- كان أهل الكتاب بنو قريظة والنضير يتوسلون بالنبي ﷺ قبل وجوده لينصرهم الله على أعدائهم . قال تعالى في اليهود ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة : ٨٩] فكانوا إذا قاتلوا المشركين قالوا : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ، فينصرهم الله .

٢- عن عثمان بن حنيف أن ضريراً طلب من النبي ﷺ أن يدعو الله له بالعافية ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بقوله « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا رسول الله إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفعه فيَّ » وفي رواية « فإن كان لك حاجة فمثل ذلك » قال عثمان : فو الله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً كأنه لم يكن به ضرر .

وجاء أن عثمان بن حنيف أرشد رجلاً إلى ذلك فقضى له عثمان بن عفان حاجته . ويرد الفريق المانع بأن الشفاء ليس بهذا الدعاء ، وإنما بتوسل الأعمى بدعاء النبي وشفاعته ، ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله . لكن أجاب هؤلاء بأنه لا مانع أبداً أن يكون الشفاء بدعاء الأعمى لربه مستشفعاً بالنبي ، ولذلك قال : اللهم فشفعه فيَّ . وقد كان الأعمى صادقاً في الدعاء خاشعاً فاستجاب الله له ، ولو صدق غيره وخضع في دعائه ما كان هناك مانع من الاستجابة . وما دام الأمر فيه احتمال فلا يتحتم المنع .

٣- علم النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يقول : « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وبإبراهيم خليلك . . . » ورد عليه بأنه حديث غير صحيح .

٢- التوسل إلى الله بحق النبي والأنبياء :

جعل بعض العلماء هذه العبارة كالتوسل بذات النبي والأنبياء وجاههم ومنزلتهم عند الله ، فيقال فيها ما قيل من قبل .

فريق ينكره كابن تيمية ومن معه . ومن قبلهم أبو حنيفة وأصحابه حيث قالوا : لا يسأل بمخلوق ولا يقول أحد : أسألك بحق أنبيائك . قال القدوري في شرح الكرخي في باب الكراهة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول : بمعاقب العز من عرشك ، أو بحق خلقك . وهو قول أبي يوسف ، قال أبو يوسف : بمعقد العز من عرشه هو الله ، فلا أكره هذا ، وأكره أن يقول : بحق فلان أو بحق

أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام . قال القدوري المسألة بخلقه لالتجوز ، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق ، فلا تجوز وفقاً .

ويعلق ابن تيمية في رسالته على ذلك بما ملخصه : إن الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه من أن الله لا يسأل بمخلوق له معنيان ، أحدهما المنع بالقسم بالمخلوق على المخلوق ، وبالأولى على الخالق ، والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد ، وقد حكى إجماع الصحابة على ذلك ، وقيل مكروه كراهة تنزيه . والأول أصح ، لأن الحلف بغير الله شرك .

أما الحلف بالأنبياء فعن أحمد روايتان ، إحداهما لا ينعقد اليمين به ، كقول الجمهور مالك وأبي حنيفة والشافعي ، والثانية ينعقد اليمين به ، واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضي وأتباعه .

ويرد ابن تيمية على ادعاء بعضهم أن الإمام مالكا يجوز التوسل بالأنبياء ، أي السؤال بهم إلى الله ، ويقول : إن قول مالك لأبي جعفر المنصور - الذي سأله ، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله؟ - ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] سنده منقطع . ووضح ابن تيمية وجوه ضعف هذه الحكاية لأن مالكا وغيره إذ يقول باستقبال الرسول عليه السلام يقول باستقبال القبلة في الدعاء .

وهذا الخبر جاء في كتاب «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» للنبهاني . أن القاضي عياضاً ذكره في الشفاء ، وساقه بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس فيه وضاع ولا كذاب ، كما قال ابن حجر في «الجواهر المنظم» : رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه ، وقال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية رواها علي بن فهر بإسناد جيد ، كما ذكرها السبكي في «شفاء السقام في

زيارة خير الأنام» والسمهودي في (خلاصة الوفا) ووضح النبهاني^(١). وذكرها المغني^(٢).

وفريق لا ينكر التوسل بحق النبي والأنبياء ، فلهم حق على الله ، كما أن لغيرهم حقاً عليه سبحانه . قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] وقال ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تَرْتَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] وفي حديث الصحيحين يقول النبي ﷺ « يا معاذ ، أتدري ما حق الله على عباده ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال « حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ » قال « حقهم عليه ألا يعذبهم » .

وهذا الحق عام لكل العباد ، وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون ، فهو كجاههم ومنزلتهم يجوز التوسل به . ومما يدل على ذلك ما يأتي :

أ- عن أنس - رضي الله عنه - قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد - رضي الله عنها - وكانت ربت النبي ﷺ ، وهي أم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - دخل عليها الرسول فجلس عند رأسها وقال : رحمك الله يا أمي بعد أمي . وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : « الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين »^(٣) .

ب- روى البيهقي بإسناد صحيح في كتابه « دلائل النبوة » الذي قال فيه الحافظ الذهبي : عليك به فإنه كله هدى ونور : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ »

١- شواهد الحق ، ص ١٨٧ . ٢- ابن قدامة ، ج ٣ ص ٥٩٠ .

٣- هذا الحديث رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن خبان والحاكم ، وصححه .

قال : يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إليّ ، وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك»^(١) .

ج- روى ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا إليك ، فإني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، أقبل الله عليه بوجهه ، واستغفر له سبعون ألف ملك»^(٢) .

د- هناك أحاديث أخرى مثل «إذا سألتكم الله فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم» يقول ابن تيمية عنه : إنه كذب وحديث دعاء الحفظ الذي جاء فيه : «وأسألك بحق نبيك . . .» يقول عنه : إنه منكر وحديث الأربعة الذين دعوا عند الكعبة ، ذكره ابن أبي الدنيا في مجاب الدعوة ، ويقول عنه ابن تيمية أيضاً إنه كذب .

يقول المانعون للتوسل بحق النبي والأنبياء : صحيح أن حق الأنبياء على الله لا مزية فيه ، ولكنه بمعنى رفع الدرجات وقبول الشفاعات والدعاء إذا شاء ، كما قال سبحانه : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] أما أن يكون مجرد هذا الحق مما يقتضي إجابة الدعاء إذا سأل أحد الله به ، فذلك غير مسلم . لكن يمكن أن يقال في الرد على هذا : إن تفسير الحق للأنبياء بذلك فقط تحكم لا دليل

١- رواه الحاكم أيضاً وصححه والطبراني ، وزاد فيه ((وهو آخر الأنبياء من ذريتك)) . وهذا الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً على عمر . ورد عليه المانعون بأن تصحيح الحاكم مما أخذ عليه في هذا الحديث وغيره .

٢- ذكره السيوطي في الجامع الكبير . ويقول المعلق على كتاب الوسيلة لابن تيمية : إسناده ضعيف .

عليه . فلماذا لا تكون ذواتهم ووجودهم وسيلة للخير ، كما قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَهَ لِيَعْدِيَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] كما كان لوجود العباس نفسه عند الاستسقاء أثر في رحمة الله لعباده عند الاستسقاء؟ وليس عمر بأقل درجة من العباس في قبول الدعاء لو كان المقصود هو الدعاء فقط .

٣- التوسل بغير الأنبياء :

التوسل إلى الله بالصالحين من عباده إن كان بمعنى طلب الدعاء منهم فلا مانع أبداً وقد طلب النبي ﷺ من عمر رضي الله عنه ألا ينسأه من دعائه عندما استأذنه للسفر إلى العمرة وأمر أويسا القرني أن يستغفر له . وأمر أمته بطلب الوسيلة له كما مر في حديث مسلم عند إجابة المؤذن .

وإن كان التوسل بذواتهم وجاههم فإن كان بمعنى القسم فلا يجوز إذ لا يجوز القسم من العباد غير الله ، وفي الأنبياء خلاف تقدم ، وإن كان بغير القسم ففيه الرأيان المذكوران في الأنبياء . ففريق يثبته ويستدل باستسقاء عمر بالعباس ، وكذلك بتوسل معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين بيزيد بن الأسود الجرشي وكذلك بما سبق في حديث الخروج إلى المسجد « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك . . . » وذلك إلى جانب أنه لم يرد نص يمنع من هذا التوسل . وفريق ينكره ، ويؤول ما ورد من ذلك إما بضعف السند ، وإما بمعنى الدعاء ، فإن بعض العباد لهم منزلة عند الله يستجيب دعاءهم . وجاء في الصحيحين قول النبي ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » وهو في صحيح مسلم في حق أويس القرني ، ومنهم البراء بن مالك إذا اشتد الحرب بين المسلمين والكفار يقولون : يا براء ، أقسم على ربك ، فقال : يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد ، فأبر الله قسمه وانهزم العدو واستشهد البراء .

٤- التوسل بالأموات :

التوسل المذكور كان بالأحياء ، أما الأموات ففريقان ، فريق حي في قبره ، وفريق غير حي .

ومن الأحياء في قبورهم الأنبياء ، كما سيأتي بيانه ، فالتوسل بهم يجري عليه ما جرى على التوسل بهم قبل دفنهم .

فأجازه جماعة ، بدليل ما روى البيهقي في : « دلائل النبوة » أن قحطاً أصاب الناس في زمان عمر ، فجاء رجل قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، استسقى الله لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه الرسول في المنام فقال : « أتت عمر فافقرته السلام وأخبره أنهم مسقون ، وقل له : عليك الكيس الكيس » فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى وقال : يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه ، يعني لا أقصر إلا فيما عجزت عنه .

ومنع جماعة التوسل بهم ، منهم ابن تيمية الذي يقول : لو كان جائزاً ما احتاج عمر إلى التوسل بالعباس ، وكان يمكنه أن يتوسل بالنبي بعد موته ، لكن قد يرد عليه بأن عمر فعله لبيان جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ ، لأنه ربما يتوهم بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي ﷺ ، ولو استسقى عمر بالنبي لأفهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره ، كما أن من يستسقى به يكون مع الناس ، وهم كانوا مجتمعين بعيداً عن المسجد النبوي .

أما غير الأحياء في قبورهم فلا معنى لطلب الدعاء منهم . والتوسل بذواتهم وبيجاهم حكمه حكم التوسل بذوات الأنبياء وجاههم ، والله أعلم بتكريمه لهم فهو وحده الذي يحكم عليهم ، وليس لنا من حكم عليهم في حياتهم إلا بظاهر أعمالهم .

وإذا كان التوسل بحبهم واتباع سلوكهم الطيب فهو من باب توسل الإنسان لله بعمله ، وهو أمر متفق على مشروعيته ، كأصحاب الغار الذين انطبقت الصخرة عليهم فدعوا ربهم بصالح عملهم ، ففرج عنهم .

هذا وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء : لا بأس بالتوسل بالصالحين ، وقول أحمد : يتوسل بالنبي ﷺ خاصة ، مع قولهم : إنه لا يستغاث بمخلوق ، فقال : فالفرق ظاهر جداً ، وليس الكلام مما نحن فيه ، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعض يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء

ينهى عن ذلك ويكرهه - فهذه المسألة من مسائل الفقه وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه ، فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، ولكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبدالقادر أو غيره ويطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللفهان وإعطاء الرغبات ، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو مع الله أحداً ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبراً معروفاً أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه ^(١) .

هذه هي فتوى ابن عبد الوهاب ، وذلك كلام ابن تيمية في حملته على التوسل ، ولو رجعنا إلى المقدمة التي وضعناها لهذا الموضوع لأمكننا أن نلتقي جميعاً عند الحقائق المذكورة فيها إذا توافر حسن النية عند المجيزين للتوسل والمائنين له ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ^(٢) .



س : هل تجوز التسمية بعبد النبي وعبد الرسول؟

ج : لفظ العبد يطلق على الخادم وعلى المطيع ، كما يطلق لفظ السيد على المالك والأمر ، ويطلق لفظ العبد أيضاً على المخلوق كما يطلق لفظ السيد على الخالق ، ولا شك أننا جميعاً عبيد لله وهو سيدنا وخالقنا ، وواجب علينا أن نطيعه . فإذا سمي إنسان بعبد الله أو عبد الرحمن فالمعنى أنه مخلوق لله وللرحمن ، وفي الوقت نفسه يجب أن يطيع الله ويطيع الرحمن كطاعة العبد لسيده . والعبادة والعبودية فيها معنى التذلل والخضوع ، غير أن الأولى حقيقة دينية والثانية حقيقة كونية .

١ - جاء ذلك في فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة المؤلفات القسم الثالث ص ٦٨ التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٢ - ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الجزء الثاني من كتاب ((بيان للناس من الأزهر الشريف)) .

وإذا سمي إنسان بعبد الرسول أو عبد النبي ، فإن قصد به أنه مخلوق للرسول أول للنبي فذلك كفر ، لأنه لا خالق إلا الله وحده . ويغلب على الظن أن من سمي بذلك لا يقصد به أنه مخلوق للرسول ، ولكن يقصد أنه خادم مطيع للرسول ، كطاعة العبد لسيده والذي يجب الرسول لدرجة أن يسمى ولده بأنه عبد له لا يمكن أن يعتقد أن الرسول هو الذي خلقه ، والحديث يقول « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .

ومهما يكن من شيء فإن الأولى اختيار أسماء لا تثير شبهة ، والأسماء الحسنة كثيرة وفي الحديث الشريف « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » ^(١) . وفي صحيح مسلم « إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن » .



س : ما رأي الدين في قول بعض الناس للعالم يا مولانا ، أو لحامل القرآن يا سيدنا ؟

ج : ١- تحدث النووي ^(٢) عن لقب المولى ، فقال : يكره أن يقول المملوك لمالكه : ربي ، بل يقول : سيدي ، وإن شاء قال : مولاي ففي صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال « لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وضي ربك اسق ربك ، وليقل : سيدي ومولاي . . » وفي رواية لمسلم « لا يقل أحدكم : ربي ، وليقل : سيدي ومولاي » .

ثم قال ^(٣) : قال الإمام أبو جعفر النحاس في كتابه « صناعة الكتاب » : أما المولى فلا نعلم اختلافاً بين العلماء أنه لا ينبغي لأحد أن يقول لأحد من المخلوقين : مولاي . قلت : وقد تقدم جواز إطلاق مولاي ، ولا مخالفة بينه وبين هذا ، فإن النحاس تكلم في المولى - بالألف واللام - وكذا قال النحاس : يقال سيد لغير

١- رواه أبو داود بإسناد جيد. ٢- الأذكار ، ص ٣٦٠ .

٣- الأذكار ص ٣٦١ .

الفاسق ، ولا يقال السيد - بالألف واللام - لغير الله تعالى - والأظهر أنه لا بأس بقوله : المولى والسيد : لغير الفاسق .

٢- وقال النووي ^(١) اعلم أن «السيد يطلق على الذي يفوق قومه ويرتفع قدره عليهم ، يطلق على الزعيم والفاضل ويطلق على الحليم الذي لا يستغزه غضبه ، ويطلق على الكريم ، وعلى المالك ، وعلى الزوج .

وقد جاءت أحاديث كثيرة بإطلاق «سيد» على أهل الفضل ، فمن ذلك ما روينا في صحيح البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد بالحسن بن علي رضي الله عنهما المنبر فقال «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للأَنْصار لما أقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه «قوموا إلى سيدكم أو خيركم» كذا في بعض الروايات «سيدكم أو خيركم» وفي بعضها «سيدكم» بغير شك وروينا في صحيح مسلم أن سعد بن عباد رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، رأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً أيقنته .. الحديث ، فقال رسول الله ﷺ «انظروا إلى ما يقول سيدكم» .

وأما ما ورد في النهي فما رويناه بالإسناد الصحيح في سنن أبي دواد أن رسول الله ﷺ قال «لاتقولوا للمنافق سيد ، فإنه إن يك سيداً فقد أسخطم ربكم عز وجل» قال النووي : والجمع بين هذه الأحاديث : أنه لا بأس بالإطلاق : فلان سيد ويا سيدي وشبه ذلك إذا كان المسوّد فاضلاً خيراً ، إما بعلم وإما بصلاح وإما بغير ذلك ، وإن كان فاسقاً أو متهماً في دينه أو نحو ذلك كره أن يقال سيد ، وجمع بين الأحاديث أبو سليمان الخطابي «في معالم السنن» بنحو ذلك .

والخلاصة أنه لا مانع أن يطلق الإنسان لقب مولاي أو سيدي ، أو المولى أو السيد على من يستحق ذلك ديناً ، كالعالم والصالح ومعلم القرآن وزعيم الجماعة وغيرهم

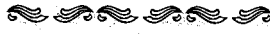
ممن ذكروا في إطلاقات السيد . أما وصف الفاسق بذلك فمكروه ، إلا إن خيف شره ، أو حصول فتنة فيجوز بمعنى من المعاني البعيدة عن الدين قياساً على ما قيل في كراهة السلام - التحية - على المبتدعين والعصاة الفاسقين ، الذين روى البخاري فيهم عن عبدالله بن عمرو قوله : لاتسلموا على شربة الخمر ، وقال النووي ^(١) : إن اضطر إلى السلام على الظلّمة بأن دخل عليهم ، وخاف ترتب مفسدة في دينه أو دنياه أو غيرهما إن لم يسلم - سلّم عليهم ، قال الإمام أبو بكر ابن العربي : قال العلماء : يسلم وينوي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى ، المعنى الله عليكم رقيب .



س : من المعلوم أن الدعاء يكون لله وأنه صاحب المدد والمعونة لكل من يطلب منه ذلك ، ولكننا نسمع بعض المحبين للأولياء ينادون قائلين : مدد يا حسين ، مدد يا سيد ، بل يقولون : مدد يا رسول الله . فهل في ذلك شرك لله والتجاء لغيره؟

ج : طلب المدد أصلاً يكون ممن يملك المدد ، وهو الله سبحانه كما قال : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠] والحديث الشريف يقول «إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله» وهناك مدد يمكن أن يطلب من غير الله ، كطلب معونة من غني ، أو علم من عالم ، أو شفاععة من ذي جاه ، وهذا جائز لا مانع منه . أما الطلب من الميت فلا معنى له ، فهو عاجز والأمر كله بيد الله ، ولئن كان الرسول ﷺ حياً في قبره كما جاء الحديث «الأنبياء أحياء في قبورهم» فإن الطلب منهم مباشرة لا يكون إلا بطلب وساطتهم له وشفاعتهم عنده ، وهذا ما يمكن أن يقوموا به ، أما شفاء المريض وقضاء حاجة المحتاج فلا يملكه إلا الله سبحانه . ومن العبث أن نطلبه من غيره .

وإذا كان المدد المطلوب هو ما يكون يوم القيامة من الشفاعة مثلاً فهو لا يكون إلا بحب هؤلاء الصالحين ، وحبهم يقتضي السير على مناهجهم . وهذا فيه رجاء أن يفيد منه الإنسان فالمرء يحشر مع من أحب .
هذا ما أراه لنفي الشرك بالله ، وبيان الوسيلة الصحيحة التي يستجاب بها الطلب ويحقق الرجاء .



س : هل صحيح أنه لا يجوز أن يقول الإنسان : ما شاء الله وما شاء فلان؟
ج : روى أبو داود بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال « لاتقولوا : ما شاء الله وما شاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » .

قال الخطابي وغيره : هذا إرشاد إلى الأدب ، وذلك أن الواو للجمع والتشريك ، وثم للعطف مع الترتيب والتراخي ، فأرشدهم ﷺ إلى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه .

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه كان يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك . ويجوز أن يقول : أعوذ بالله ثم بك . قالوا : ويقول : لولا الله ثم فلان لفعلت كذا ، ولا نقل : لولا الله وفلان .

هذا وقد جاءت روايات أخرى أخرجهما النسائي وابن ماجه وأحمد في هذا الموضوع ، تحدث عنها ابن حجر ، فيمكن الرجوع إليها^(١) .



س : من التقاليد الحديثة عند افتتاح جلسة تشريعية أو قضائية أن يقال : بسم الله وباسم الشعب ، فهل هذه الصيغة مشروعة ؟

ج : معروف أن تسمية الله مستحبة عند الشروع في أي عمل خيري ، رجاء أن يبارك الله فيه ، وجاء في ذلك قول مأثور « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله

١ - فتح الباري ج ١١ ص ٥٤٨ .

الرحمن الرحيم فهو أقطع» أي ناقص غير تام وقليل البركة ، وجاء النص على استحبابها عند دخول البيت وعند الخروج وعند تناول الطعام ولبس الملابس وعند الوضوء ودخول المسجد وغير ذلك .

فالذي يفتتح الجلسة يتبرك بذكر اسم الله تعالى مستعيناً به راجياً التوفيق ، وعند قوله : وباسم الشعب أو باسم المؤسسة يريد أن النشاط الذي يمارس أو الثمرة الناتجة عن ذلك هي بإذن من الشعب أو المؤسسة ولمصلحته ، وليس نشاطاً شخصياً ولا تقصد منه مصلحة شخصية . ويغلب ذلك في النظام الديمقراطي ، وليس الديكتاتوري ولا التيوقراطي .

وحتى لا يكون هنا شبه إشراك للشعب مع الله في المعونة على هذا النشاط أو في النتائج المترتبة عليه يستحسن أن يقال : باسم الله نبدأ ، ثم باسم الشعب نباشر النشاط أو نفتتح الجلسة ، على ضوء ما يقال في المشيئة ، فقد روى أبو داود بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان » .

فالذي يقصد بقوله التبرك فقوله مشروع ، بل مندوب ، لأنه تقرب إلى الله . والذي يقصد بقوله « وباسم الشعب » التقرب إلى الشعب واستمداد العون منه فقوله مرفوض ، كالذين يتقربون عند الذبح بأسماء الأصنام والآلهة الأخرى . وإذا كان القصد كما قدمنا فلا بأس بذلك ، فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى كما ثبت في الحديث ، ولا ينبغي التسرع بالإنكار أو الحكم بالكفر على مجرد قول ذلك .



س : هل زيارة الأضرحة مشروعة أو ممنوعة؟

ج : الأضرحة جمع ضريح ، والضريح هو الشق وسط القبر . وتعارف الناس عليه إذا دفن فيه شخص له قيمة دينية أو غيرها من القيم التي تحتل من نفوس الناس مكانة كبيرة ، واتخذت الأضرحة شكلاً معيناً من البناء تعلوه قبة تفنن الناس في شكلها وفي زخرفتها .

وكثرت هذه الأضرحة في مصر منذ عهد الفاطميين الذين أقاموا كثيراً منها لآل البيت وكبار رجال الدولة ، وعرفت بالمشاهد أسوة بما أطلق على أضرحة الأئمة من العلويين . ثم جاءت الدولة الأيوبية وأقامت مثلها لكبار رجال السنة . ومن أكبرها ضريح الإمام الشافعي .

والأضرحة شأنها شأن سائر القبور في أن زيارتها سنة لما فيها من فوائد للزائر والمزور ، ففيها للزائر عبرة وعظة ، كما في قول النبي ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروا القبور ، فإنها تزهدي الدنيا وتذكر الآخرة » . وقوله : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه ، فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » . وقد صح في مسلم أذن الله لبيه بزيارة قبر أمه ، وعدم إذنه في الاستغفار لها .

وفي الزيارة نفع للمزور بالسلام عليه والدعاء له ، وبما تقدم ذكره من أنس الميت بمن يزوره . وقد علمنا النبي ﷺ آداب الزيارة التي منها أن نقول ما علمه السيدة عائشة رضي الله عنها : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون » . وجاء في إحدى الروايات لهذا الحديث « نسأل الله لنا ولكم العافية » .



س : هل هناك فرق بين الكفر والشرك ؟

ج : الكفر فيه معنى الستر ، وقد يكون سترًا ماديًا وسترًا معنويًا ، ومن الستر المعنوي جحود النعمة وعدم الاعتراف بالجميل ، يقول الراغب الأصفهاني في «المفردات» وأعظم الكفر جحود الواحدانية أو الشريعة أو النبوة ، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً ، ثم يقول : والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يحدد الواحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثها . وقد يقال : كفر ، لمن أخل بالشريعة وترك ما لزمه من شكر الله عليه . قال تعالى ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَنْهَدُون ﴾ [الروم : ٤٤] والشرك يقول عنه الراغب الأصفهاني فيه معنى الاشتراك في شيء مادي أو معنوي ، وهو في الدين ضربان ، أحدهما الشرك العظيم ،

وهو إثبات شريك لله تعالى ، وهو أعظم كفر لأنه جحد الوجدانية ، والثاني الشرك الصغير ، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] وقوله تعالى ﴿ فَتَن كَانَ يَرْجُو لقاءَ رَبِّهِ ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] محمول على الشركين . وأما قوله تعالى ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ٥] فأكثر الفقهاء يحملونه على الكفار جميعاً ، وقيل هم غير أهل الكتاب .

والخلاصة : أن الشرك كفر بوجدانية الله وعدم إخلاص العبادة لله ، والكفر يطلق على الشرك لأنه جحود بالوجدانية ، ويطلق على من يكذب بالنبوة وعلى من يكذب الشريعة فالكافر أعم من المشرك والكفار والمشركون مصيرهم النار خالدين فيها أبداً^(١).



س : ترد على فكر الإنسان خواطر كثيرة قد يكون بعضها خطيراً فهل يحاسب عليها ، وكيف يتخلص منها ؟

ج : إن للشيطان مداخل كثيرة لإغواء الإنسان ، وأشد ما يهتم به العقيدة ، لأنها إذا انحرفت انحرف السلوك كما صح في الحديث « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »^(٢) .
والنفس مرتع خصيب لوسوسة الشيطان ، فقد تمر عليها أفكار وخواطر كثيرة ، بعضها يمر عابراً لا يمكن إلا قليلاً ، وبعضها يأخذ حيزاً من تفكير الإنسان ثم يمضي ، وبعضها الآخر قد يثبت ويرسخ ويدفع للتنفيذ .

وإذا كانت هذه هي طبيعة النفس البشرية التي خلقنا الله عليها فإنه - وهو العليم اللطيف الخبير - تجاوز عن كل هذه الخواطر ولا يؤاخذ عليها ؛ إلا في حالتين :

١- ومن أراد الاستزادة من المعرفة فليرجع إلى الجزء الأول من كتاب ((بيان للناس من الأثر الشريف)) ص ١٣٨ ففيه بيان الفروق بين الكفر والفسوق والعصيان والنفاق .

٢- رواه البخاري ومسلم .

الأولى : إذا عزم الإنسان عليها عزمًا أكيداً وصمم على تنفيذها ، بدليل حديث الصحيحين : البخاري ومسلم « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال « كان حريصاً على قتل صاحبه » .

والحالة الثانية : إذا نفذ ما عزم على تنفيذه ، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال : « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به »^(١) .

ومحل المؤاخذه على العزم على السيئة ، وإن لم يفعلها ، إذا كان المانع من فعلها عجزاً أو خوفاً من رقيب من الناس ، لكن إذا كان المانع من تنفيذ ما عزم عليه خوفاً من الله فلا يؤاخذه ، بل قد يعطيه ثواباً على مجاهدة نفسه ، وبهذا يوفق بين ما قد يكون في بعض النصوص من تضارب في الظاهر .

بعد هذا نقول : إن من خواطر السوء ما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول له : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له : من خلق ربك فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله وليتته » وقد سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال « تلك محض الإيذان » وفي رواية « صريح الإيذان » بمعنى أن الخوف من هذه الوسوسة يدل على الإيذان الخالص ، لا أن الوسوسة تكون من الإيذان .

وقد بين الحديث الدواء الناجع لهذه الوسوسة ، وهو الاستعاذة بالله والانتفاء عن التماذي فيها والركون إليها ، وذلك من وحي قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] .

وإذا استعاذ الإنسان الضعيف بالله القوي كان ذلك دليلاً على عبوديته الخالصة له ، والله يقول للشيطان الذي أقسم أن يغري الناس أجمعين ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] ويوضح هذا ما حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد؟ قال : أجاهده . قال : هذا يطول ، قال : رأيت لو

١ - رواه الجماعة في كتبهم الستة كما قال ابن كثير في تفسيره .

مررت بغنم ينبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟ قال : أكابده وأرده جهدي
قال : هذا يطول عليك ، لكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك . فلاستعانة بالله
القوي سبيل لطرده وساوس الشيطان .



س : هل كَلَّمَ الله تعالى عبدالله بن حرام بدون حجاب ، وهل تناقض ذلك مع قوله
تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى : ٥١]؟

ج : عبدالله هذا هو عبدالله بن عمرو بن حرام ، استشهد يوم أحد . وروى
البخاري أن ابنه جابراً بكاه شديداً ، ونهاه الصحابة ولكن النبي ﷺ لم ينهه عن
البكاء ، ولكن قال « ماتبكيه وما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » .

وروى أبو بكر بن مردويه البيهقي أن النبي ﷺ لما استشهد عبدالله قال لابنه
جابر « ما لي أراك مهتماً »؟ قال : يا رسول الله استشهد أبي وترك ديناً وعيلاً ، فقال
« ألا أخبرك؟ ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحاً - قال
علي : الكفاح المواجهة - فقال : سلني أعطك ، قال : أسألك أن أرد إلى الدنيا
فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب عز وجل : إنه سبق القول مني أنهم إليها لا يرجعون .
قال : أي رب فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا
بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

وفي رواية للبيهقي قال النبي ﷺ لجابر « شعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمن
عليّ عبي أعطك »^(١) .

وآية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا
فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى : ٥١] سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ :
ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال النبي ﷺ
« إن موسى لم ينظر إليه » .

١ - أسد الغابة مجلد ٣ ص ٣٤٧ ، تفسير ابن كثير مجلد ٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

ومعنى «وحيّاً» نفثاً في القلب فيكون إلهاماً ، ومنه حديث «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» جاء عبارات متقاربة رواها الحاكم وغيره ، ومن وراء حجاب كما كلم موسى ، وإرسال الرسول هو جبريل يكلم الأنبياء .

وحصر كلام الله لغيره في هذه الأحوال الثلاثة هو في كلامه في الدنيا للبشر ، أما في الآخرة فلا مانع أن يكون كلامه لهم مباشرة وكفاحاً أي مواجهة ، كما حصل مع عبدالله بن عمرو بن حرام ، وكما يحصل من كلام الله سبحانه لأهل الجنة حين يقول لهم : «أرضيتم عني»؟ فليس هناك تناقض بين الآية وكلام ابن حرام .



س : هل هناك تعارض بين الآيتين الكريمتين قال تعالى ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] وقال تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]؟

ج : أما الآية الأولى ففي تفسير اليوم رأيان :

١- أنه من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض ، كما روي عن ابن عباس ومجاهد .

٢- أنه من أيام الآخرة ، بمعنى أن يوماً من الخوف والشدة في الآخرة أو في النعيم كألف سنة عن سنى الدنيا .

وأما الآية الثانية ففي تفسير المعارج ثلاثة أقوال :

١- المعارج هي الرتب الخاصة بعظمة الله وعلوه ومراتب نعمه كما قال ابن عباس وقتادة .

٢- معارج السماء هي درجاتها أو مصاعدها ، لأن الملائكة تعرج إلى السماء كما قال مجاهد .

٣- المعارج هي الغرف التي جعلها الله لأوليائه في الجنة .

والملائكة تعرج إلى أمكنتها في السماء ، أو إلى عرش الله في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة . قال وهب : ما بين أسفل الأرض إلى العرش مسيرة خمسين ألف سنة وهو قول مجاهد ، وجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥] فقال : قوله في سورة المعارج هو من انتهى أمره من أسفل الأرض إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسون ألف سنة ، وقوله في سورة السجدة ، يعني ذلك نزول الأمر من السماء الدنيا إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقدار ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، فالصعود والهبوط يساوي ألف سنة .

وقيل المراد يوم القيامة ، أي مقدار الحكم فيه لو تولاها مخلوق خمسون ألف سنة ، قال عكرمة : وقيل يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار كما قال ابن عباس .

يقول القرطبي : وهذا القول أحسن ما قيل في الآية ، واستدل بحديث قال فيه النبي ﷺ عنه « والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصلّيها في الدنيا » ^(١) كما استدل بحديث « ما من رجل لم يؤد زكاة ماله إلا جعل الله شجاعاً من نار تكوى به جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضي الله بين الناس » ^(٢) ويؤيده ما قيل - وروى مرفوعاً - أن زمن حساب المؤمن ما بين الظهر والعصر ليكون في الجنة مستقراً وأحسن مقيلاً .

وعن ابن عباس : هي أيام سماها الله وهو أعلم بها كيف تكون وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم .

وقيل : المراد بالخمسين التمثيل لبيان طول المدة في الموقف ، كعادة العرب في وصف أيام الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر .

١- رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه .

٢- رواه البخاري ومسلم .

هذا ، وقد جاء في تعليق اللجنة العلمية بالمنتخب في تفسير القرآن الكريم ^(١) ما نصه :

يسبق القرآن بهذه الآية الكريمة - كآلف سنة - ركب العلم بتقرير أن الزمن نسبي ، وأن فكرة الزمن العالمي المطلق الذي كان يسلم به الأقدمون قبل ظهور النسبية هي فكرة خاطئة .

وبعد فهذا بعض ما قيل في التوفيق بين المدد المختلفة لليوم الذي عند الله ، والآراء مختلفة ، وما نسب إلى ابن عباس من أنه يكل علمها إلى الله هو في رأي أحسن ، لأنه ترف ذهني وانشغال بما لا طائل تحته في حياتنا الحاضرة وإن كنا نعمل الحساب ليوم القيامة لما فيه من الشدة والهول .



س : ما هو أول ما خلق الله سبحانه وتعالى في الوجود ؟

ج : جاء أن بعض الناس يقولون إنه نور سيدنا محمد ﷺ ، وأن الأحاديث الواردة في ذلك أحاديث آحاد ولم يتفق على صحتها ، فلا تصلح لبناء عقيدة عليها .

وإضافة لما ذكر أقول : روى عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء ، قال « يا جابر فإن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره - فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ،

١ - الذي أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ص ٤٩٥ .

ومن الثالث الملائكة . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السموات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار . ثم قسم الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم ، وهي المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ...» إلى آخر الحديث.

وقد اختلف : هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي ؟ فقال الحافظ أبويعلى الهمداني : الأصح أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش ، ووقع عند أول خلق القلم ، لحديث عبادة بن الصامت مرفوعاً « أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : رب وما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء » رواه أحمد والترمذي وصححه . ورويا أيضاً من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً « إن الماء خلق قبل العرش » وروى السُّدِّي بأسانيد متعددة أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء ، فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور المحمدي والماء والعرش . انتهى .

هذا ما ذكره القسطلاني ^(١) ولم يعلق هو ولا شارحه الزرقاني على هذه الأحاديث ، إلا حديث عبد الله بن عمرو ، فقد رواه مسلم ، وحديث عبادة الذي رواه أحمد ، بل ذكر الزرقاني بسند وإياه أن القلم طوله خمسمائة عام ، وعرضه كذلك ، وسننه مشقوقة ينبع منه المداد . وفي خبر مرسل أنه من لؤلؤ ، وطوله سبعمائة عام .

إن كل هذه الأخبار لا تثبت بها عقيدة ولا يضرنا الجهل بها ، ولا نسأل عنها أمام الله إلا بمقدار ما أفدنا من هذه المخلوقات لتحقيق الخلافة في الأرض . فلنترك ما وراء ذلك لعلم الله تعالى ، ونضع أمام أعيننا قوله سبحانه ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ

١- المواهب اللدنية ، ج ١ ص ٩ ، ١٠ .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴿﴾ [الكهف : ٥١] وقوله ﴿﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِئْتُمْ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿﴾ [الزخرف : ١٩].



س : هل صحيح أن الله سبحانه كان وحده ولا شيء معه ، ثم خلق العالم ليقرؤ له بالالوهية ، وما هو أول شيء خلقه من العالم ؟

ج : جاء في شرح المواهب اللدنية ^(١) حديث رواه البخاري أن وفداً من أهل اليمن أتوا الرسول ﷺ وقالوا له : جئنا للتفقه في الدين ونسألك عن هذا الأمر - أي الحاضر الموجود - فقال « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السماوات والأرض » ومعنى هذا الحديث أن الله كان في الأزل منفرداً متوحداً ، وكان الماء والعرش مبدأ خلق هذا العالم ، لأنها خلقا قبل السموات والأرض ، فلم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء ، والمراد بالذكر اللوح المحفوظ .

ويؤخذ من قصة هذا الحديث أن الكلام في أصول الدين وحدوث العالم مستمر ، كما جاء في فتح الباري لابن حجر ، وقلنا : إن هذه الأخبار لا تثبت بها عقيدة ، ولا نسأل عنها أمام الله إلا بمقدار ما أفدنا من هذه المخلوقات لتحقيق الخلافة في الأرض ، فلنترك ما وراء ذلك لعلم الله تعالى ، ولنضع أمام أعيننا قوله سبحانه : ﴿﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴿﴾ [الكهف : ٥١] وقوله ﴿﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِئْتُمْ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿﴾ [الزخرف : ١٩] هذا ، ولم أعرش على ما يتردد على الألسنة (كنت كترأ مخفياً فخلقت الخلق في عروفي) ^(٢).

١- الزرقاني ((ج ٤ ص ٣١)).

٢- انظر جواب أنيس منصور في أهرام ٢٦/٣/٢٠٠٥ ، وفيه عجز الإنسان عن معرفة أول خلق الكون الذي نراه ، فالأكوان غيره كثيرة . وما قاله العلماء عن الذرة ، وما قاله العالم الأمريكي (أدوين هابل سنة ١٩٢٠م) عن تباعد المجرات وتمدد الكون .

ثم أقول : إن النصوص في ترتيب مخلوقات الله لا تعطي حكماً قاطعاً ، لأن في ظاهرها تضارباً ، فبعضها لا يفيد تقدم خلق إحداها على خلق الأخرى ، حيث جاء العطف فيها بالواو ، وهي - كما يقول العلماء - لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً ، مثل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام : ١] وبعضها جاء العطف فيه أحياناً بحرف «ثم» الذي يفيد الترتيب والتراخي ، وقدم خلق الأرض مثل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٩] ومثل ﴿قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْإِنسَانِ الْأَوَّلِ عَلَى نَسَبٍ وَأَنَا فِيهَا وَرَكٌّ وَبَدِئْتُ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأُتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت : ٩ - ١٢] وإن كان الظاهر منها أن السماء كانت دخاناً قبل أن يستوي الله إليها ، فهل كان الدخان قبل الأرض ؟ وبعض النصوص قدم فيها خلق السماء مثل ﴿وَأَنزَلْنَا سُدَّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءَ بَنَاهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ سَعَتَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) [النازعات : ٢٧-٣٢] وقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود : ٧] وحديث الرسول ﷺ «كان الله ولا شيء معه وكان عرشه على الماء» .

وأمام هذه النصوص اختلفت أقوال المفسرين الناقلين عن السُّدِّي والكلبي وقتادة ، والراوين عن ابن عباس وغيره . يقول القرطبي (١) والله أعلم بما فعل ، فقد اختلفت فيه الأقاويل ، وليس للاجتهاد فيه مدخل .

فرأى بعضهم خلق السماء أولاً ، ورأى بعضهم خلق الأرض أولاً ، وحاول بعضهم التوفيق بين هذه النصوص فقال : أول شيء خلقه الله هو الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء : ٣٠] . وفي سنن ابن ماجه أن أبا هريرة قال للرسول ﷺ : أنبئني عن كل

شيء ، فقال «كل شيء خلق من الماء» وفي تفسير القرطبي ^(١) عن ابن عباس أن الرسول قال «أول شيء خلقه الله القلم وأمره أن يكتب كل شيء يكون» قال البيهقي : المراد أول شيء خلقه بعد خلق الماء . وروى أيضاً موقوفاً عن عبادة بن الصامت .

وكان عرشه على الماء ، فهل كان العرش مخلوقاً قبل الماء ، لأنه مظهر سلطان الله تعالى ، أو الماء كان مخلوقاً قبل حتى يستقر العرش عليه ، ثم بعد ذلك فتق الله الماء فجعل منه جزءاً أرضاً بتجميده ، وجزءاً سماءً بيخار صعد منه ؟ ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَنَقَّهُمَا﴾ [الأنبياء : ٣٠] ويكون قوله عن الماء إنه جعل منه كل شيء جملة حالية وليست دالة على أنه خلق بعد الأرض والسموات . ثم خلق الأرض كتلة جامدة - وتجميدها كان في يومين ، ويومين آخرين جعل فيها رواسي وأنهاراً ، وأمدّها بالأقوات في يومين آخرين تتم أربعة أيام ، ثم سوى السماء وهي دخان ، فجعلها سبع سموات في يومين آخرين ، فتكون الأيام ستة . ثم بعد ذلك شكّل الأرض تشكيلاً أخيراً بدحوها وتيسير العيش عليها . ويكون قوله ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ^(٢) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ^(٣) [النازعات : ٣١ ، ٣٢] إخباراً عن الماضي وبياناً عن فضله على الناس بمجموع هذه النعم ، وهي الخلق والدحو والجبال والمياه ومرتبطة بقوله ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلَآئِعِيكُمْ﴾ [النازعات : ٣٣] .

في تفسير القرطبي ^(١) (دحاها) بسطها ، وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء . ثم ذكر ^(٢) أن كلمة (بَعْدَ) قال بعضهم : إنها في موضع (مع) مثل ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِبٌ﴾ وقولهم : أنت أحق وأنت بعد ذلك سيئ الخلق . وقيل (بعد) بمعنى (قبل) قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] أي من قبل القرآن .

ولم يأت في القرآن للأرض عدد صحيح لا يحتمل التأويل إلا قوله تعالى ﴿وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق : ١٢] ورويت في ذلك أحاديث . ففي مسلم «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوّقه إلى سبع أرضين» رواه سعيد بن زيد .

٢-ج ١٩ ص ٢٠٤ .

١-ج ١ ص ٢٥٧ ، ٩٥٨ .

٣-ج ١٩ ص ٢٠٥ .

وجاء في تفسير القرطبي ^(١) عن حديث مسلم : قال البيهقي: زعم أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ ، لمخالفة ما عليه أهل التفسير والتاريخ . وطعن في رواية على بن المديني . وذكر حديث عبدالله بن سلام -السابق- خرجه البيهقي . وقيل عدد الأرض : هي سبع لم تفتق ، وقيل : فتقت وبين كل أرض خمسمائة سنة ، كما في حديث الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً .

وتفصيل هذه الأيام بالنسبة للأسبوع قيل : خلق الأرض في يومي الأحد والاثنين ، وقدر الأوقات في يومي الثلاثاء والأربعاء ، وسوى السماء سبعة في يومي الخميس والجمعة . وذلك قول عبدالله بن سلام .

وأما حديث مسلم «خلق التربة يوم السبت» كما في القرطبي ^(٢) رواه السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب الرسول ، قال : إن الله كان عرشه على الماء ، ولم يخلق قبل الماء شيئاً ، ولما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً ارتفع فوق الماء وسما عليه فسماه سماء . ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين «الأحد والاثنين» وخلق الجبال والأوقات وما ينبغي لها في يومين «الثلاثاء والأربعاء» ثم استوى إلى السماء التي كانت واحدة ثم قصفها سبع سموات في يومين «الخميس والجمعة» وأوحى في كل سماء أمرها .

عن أبي هريرة : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الخير يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة وآخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ما بين العصر إلى الليل .



١- ج ٦ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

٢- ج ٦ ص ٣٨٤ ، ٣٦٣ .

س : هل صحيح أن أعمال الناس ترفع إلى السماء يوم الاثنين والخميس؟

ج : روى الترمذي حديثاً قال : إنه حسن ، أن النبي ﷺ قال : « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » وفي هذا دليل على ندب الصوم في هذين اليومين ، وكان ﷺ يصومهما ، كما جاء التصريح بذلك في رواية ابن ماجه عن أبي هريرة . وعرض الملائكة أعمال العباد على الله في هذين اليومين أمر تنظيمي وضعه الله سبحانه لحكمة يعلمها هو ، وإن كان هو يعلم كل ما في الكون دون حاجة إلى كتابة الملائكة ورفع ذلك إليه سبحانه ، وهناك حديث رواه النسائي يدل على أن الأعمال ترفع في شهر شعبان ، وكان الرسول يحرص على صيامه كله أو صيام أكثره لأنه يحب أن يرفع عمله وهو صائم ، فما هي الصلة بين رفع الأعمال في شعبان ورفعها في كل أسبوع مرتين في يومي الاثنين والخميس؟

إن رفع الأعمال مرتين كل أسبوع لا يقصد به إخبار الله بها فهو كما قلت - غني عن هذه الوسائل ولعل القصد منه حث العباد على الطاعة وتحذيرهم من المعصية ، فالمتابعة مستمرة حاضرة غير غائبة ، وقد يوضح ذلك عمل امتحانات للمتعلمين في أثناء السنة الدراسية ، حتى لا يتكاسلوا عن المذاكرة إلى أن يقرب امتحان آخر العام فهناك يكون الجهد والتعب ، لأن نتيجته هي المهمة .

وعلى هذا الضوء يمكن فهم المقصود من عرض الأعمال في الأسبوع مرتين ، تمهيداً للعرض العام في كل سنة في شهر شعبان ، ثم العرض الأكبر يوم القيامة ليقراً كل إنسان ما كتب عليه ، ويعرف النتيجة النهائية للنشاط الذي باشره طول حياته في الدنيا .

والزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية عن الصيام في شهر شعبان ورفع الأعمال أشار إلى أن هذا الرفع هو رفع خاص ولم يوضح الخصوصية التي فيه ، فلنترك الأمر لله ولنقبل على الطاعة ولنبادر بالتوبة من المعصية ، حتى تبيض وجوهنا يوم العرض على الله سبحانه .



س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] ؟ .

ج : أبسط تفسير لهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قادر مرید لو شاء أن يجعل كل الأنفس الحية من إنس وجن وغيرهما مؤمنة مطيعة لفعل .

وذلك بأن يخلقهم من مادة أو عنصر لا يكون منه الكفر والعصيان ، كالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لأنهم خلقوا من نور ، ولكنه سبحانه وتعالى قدر أن تكون هناك مخلوقات قابلة للإيمان والكفر ، يصدر منها الطاعة والعصيان وذلك بمحض إرادتها واختيارها ، دون تدخل من الله سبحانه ، إلا بمجرد الأمر والنهي وبيان الخير والشر . فمن آمن وأطاع أدخله الجنة ، ومن كفر وعصى أدخله النار ، وذلك بعد الحساب الدقيق على ما قدموا في دنياهم ، وهذه المخلوقات الحرة المختارة لما تفعل هي الإنس والجن .

ولا يجوز أن نفهم من هذه الآية أن الله هو الذي تحكم فينا فجعل منا المؤمن والكافر وقد أراد لنا ذلك فكيف يعذبنا على ما اقترفنا .

نعم إن الله هو الذي خلقنا على هذا الطراز وبلاستعداد للإيمان والكفر ولكن بمحض إرادتنا نحن واختيارنا لما وقع منا :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ [التغابن : ٢] ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٣] ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

ولو فرض أن الله هدى كل نفس للإيمان ما كان هناك معنى لاستحقاق الجنة حيث لا يكون عمل من هذه النفس بل هو عمل الله وما كان هناك معنى لإرسال الرسل لهداية الناس إلى الخير ، فنظام الحياة الدنيا لا يصلح له إلا من يأتي منه أن يقول : نعم وأن يقول : لا ، وذلك هو الإنس والجن بما منحوا من عقل وحرية واختيار ، وبما جاءهم من وحي يرشد إلى الصواب .

والموضوع فيه كلام طويل للعلماء عن مذهب الجبرية والقدرية ، فيرجع إليه في كتب التوحيد .



س : علمنا أن الله سبحانه وتعالى يحب المحسنين والمتقين والصابرين ، ولا يحب الكافرين والظالمين ، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد ، وإذا كان كل ذلك بمشيئته فكيف يرضى الله ويشاء ما لا يرضى به ولا يحبه؟

ج : لا بد من الفرق بين الرضا والمشيئة ، فالرضا يدل على الحب والمثوبة ، أما المشيئة فتدل على الإرادة ، وإرادة الله سبحانه في خلقه لا يعلمها إلا هو ، يريد الخير ويريد الشر ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] وقال : ﴿ قُلْ إِنْ أَلَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ [الرعد : ٢٧] ولا تعرف الإرادة إلا بوقوع المراد . ولكنه لا يرضى ولا يقبل الشر ، قال تعالى : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّيْ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر : ٧] فكل شيء بإرادته سبحانه ولكن ليس كل شيء يريد به يرضى عنه ويحبه ، وهو لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن الشر ، حتى لو كان الشر في علم الله لكنه لا يأمر به ، ليكون ارتكابه بحرمة العبد واختياره فيجازي على ذلك .



س : قرأنا في الكتب أن محاجة حدثت بين آدم وموسى وأن آدم غلبه لأنه اعترض على قضاء الله فكيف يصح ذلك؟

ج : روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ، أتلومني على أمر قدر الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى» وجاء هذا الحديث بروايات أخرى .

المراد بقوله : خط لك بيده ، ألواح التوراة ، والأربعون سنة هي ما بين قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] إلى نفخ الروح فيه ، أو هي مدة لبثه طيناً إلى أن نفخت فيه الروح . وقد تحدث شراح الحديث وكثرت أقوالهم لتوضيح الصلة بين قدر الله ومسئولية العبد وخلاصة أقوالهم ما يأتي :

أنكر القدرية هذا الحديث لأنه يثبت القدر وهم لا يقولون به ، إذ لو صح لاحتج كل مخالف بالقدر السابق ، ولو ساغ ذلك لانسدَّ باب القصاص والحدود ولاحتج به كل أحد على ما يرتكب من الفواحش ، والمثبتون للحديث ردوا عليهم ، ووضحوا كيف كانت الغلبة لآدم على موسى بقولهم :

أ- إن موسى كان له مثل حال آدم حيث قتل نفساً لم يؤمر بقتلها وتاب الله عليه كما تاب على آدم ، قال تعالى ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ ۱۲۲ ﴾ [طه : ۱۲۱ ، ۱۲۲] وقال في شأن موسى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۝ ﴾ [القصص : ۱۶] وليس من اللائق أن يلوم أحد غيره على حال وقع مثلها له .

ب- إن اللوم على المخالفة يكون مشروفاً إذا كان قبل التوبة ، أما بعدها فلا فائدة تذكر منه .

ج- إن لوم موسى لآدم كان بعد موته وانتقاله من دار التكليف إلى دار الجزاء ، حيث كان لقاؤهما على أرجح الأقوال في البرزخ بعد موت موسى ، فالتقت أرواحهما في السماء كما جزم بذلك ابن عبد البر والقباسي ، وإذا كان الله قد لام آدم في الدنيا بقوله : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف : ۲۲] وهو أكرم من أن يثني العقوبة على عبده كما ورد ، فلا يسوغ لموسى أن يؤنب آدم ، والله سبحانه بكرمه لا يؤنبه بعد موته ، وقد ورد أيضاً النهي عن التشريب على الأمة التي زنت وأقيم عليها الحد .

هذا ولا يجوز أن يكون هذا الحديث متكافئاً لمن يقترف معصية ، فإذا وجه إليه اللوم يقول : هذا قدر الله ، كما قال آدم ، وذلك لأن من كان باقياً في الدنيا دار التكليف تجرى عليه الأحكام من لوم وعقوبة ونحوهما .

قال النووي : في ضمن كلامه على هذا الحديث ^(١) : ولأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي ، وإذا تاب الله تعالى على آدم وغفر له زال عنه اللوم ، فمن لومه كان

١- شرح صحيح مسلم ج ١٦ ص ٢٠٢ .

مجبوباً بالشرع ، فإن قيل : فالعاصي منا لو قال : هذه المعصية قدرها الله عليّ لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وإن كان صادقاً فيما قاله ، فالجواب أن هذا العاصي باقٍ في دار التكليف جارٍ عليه أحكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها ، وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل ، وهو محتاج إلى الزجر ما لم يمت ، فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة إلى الزجر ، فلم يكن في القول المذكور له فائدة ، بل فيه إيذاء وتحجيل . والله أعلم .



س : وردت نصوص يؤخذ منها أن الدعاء يرد القضاء وأن صلة الرحم تزيد في العمر ، فكيف يكون ذلك مع أن قضاء الله واحد وعلمه لا يتغير ؟

ج : روى الحاكم وصححه وابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ قال : «لا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ...»^(١) . وجاء في حديث البزار والطبراني والحاكم «لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء ينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان»^(٢) إلى يوم القيامة .

قال العلماء في هذا : إن القضاء نوع من علم الله تعالى بما سيكون عليه حال العبد قبل خلقه ، ومنه قضاء مبرم لا بد من وقوعه لا يدفعه ولا يرفعه شيء ، ومنه قضاء معلق في وقوعه أو رفعه على شيء ، فالموت مثلاً قضاء مبرم لا بد منه ولا يدفعه شيء ، وطول العمر قضاء معلق على فعل ، مثل صلة الرحم وعمل خير آخر ، كما في حديث «من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»^(٣) .

ومن هذا النوع المعلق أن يعلم أن الله سبحانه أن شيئاً سيحصل للعبد عند دعائه ، وأن مرضاً سيصيبه لا يبرأ منه إلا بالدعاء والعلاج ، فكل حركات العبد

١- رواه الترمذي وقال : حسن غريب ، أي رواه راوٍ واحد فقط .

٢- معنى يعتلجان : يتصارعان ويتدافعان .

٣- رواه أحمد وغيره .

والكون معلومة مكشوفة لله تعالى ، ولكنها مغيبة عنا ، ولذلك أمرنا بطاعته ، ومن الطاعة الدعاء الذي يؤكد الإنسان فيه إيمانه بضعفه وحاجته إلى الله ، وقد عبر عن هذا في الحديث بأنه العبادة أو مخ العبادة ، فإذا حصل الدعاء وتم ما أراد الله كانت إرادته مرتبطة بدعاء العبد كما علمها من قبل ، وما دام القضاء مغيباً عنا فعلينا امتثال أمر الله في الدعاء وغيره ، ولو علمنا ما قدر لنا ما كان هناك معنى للتكليف ولركدت حركة الحياة .



س : هل الإنسان مسير أم مخير ؟

ج : الله سبحانه خلق الإنسان وعلم ما سيكون عليه من خير وشر ، وجعله قابلاً للطاعة والمعصية ، وكلفه بأمور ينفذها وترك له الحرية في اختيار التنفيذ وعدم التنفيذ ، ليكون محاسباً أمام الله على ما فعله بحريته واختياره من طاعة أو معصية ، والإنسان لا يعلم ما قدر له في علم الله إلا بعد وقوع المقدر ، ولو أقدم على فعل محرم متعللاً بأنه مقدر عليه فهو مخطئ في هذا التعلل ، لأنه ربما يحول بينه وبين فعل المحرم حائل يمنعه ، وهنا يعلم أنه لم يُقدر عليه .

فالإنسان مخير في الأمور التكليفية التي يستطيع فعلها أو تركها بحريته واختياره ، أما الأمور التي لا تقع تحت حريته واختياره ، كالكوارث العامة من الزلازل والبراكين والعواصف والسيول وغيرها فهو فيها ميسر .

ثم أقول : لماذا يكثر السؤال في هذا الموضوع ، وبخاصة من يقول : إن المعاصي مقدرة علينا فلماذا نعاقب عليها ونحن مرغمون لا مفر لنا من القضاء والقدر ؟ إن الله سبحانه علم أن أبا لهب لن يؤمن بسيدنا محمد ، ومع ذلك أمر الله نبيه أن يطلب منه الإيمان ، ليكون إيمانه وعدم إيمانه بحريته واختياره ، فاختر أبو لهب الكفر ، واستمر على ذلك حتى مات كافراً ، وهنا علم تماماً أن الله سبحانه قضى في علمه أن أبا لهب سيختار الكفر ويموت عليه .

ثم أقول : لماذا يسأل الناس عن تقدير المعاصي لتبرير فعلها لأنها قضاء الله حتى لا يعاقب عليها ، ولا يسأل عن تقدير الطاعات ، ويطلب بالثواب عليها ، مع أن المعاصي والطاعات مقدرة في علم الله؟ إن الإنسان هنا في الطاعات حريص على أن ينال الثواب على طاعته لأنها عمله . وفي المعاصي حريص على أن يفر من العقاب على معصيته لأنها ليست عمله - في ادعائه - بل مقدرة عليه .

لا ينبغي أن يغالط الإنسان نفسه ، فهو مسئول عن كل شيء فعله بحريته واختياره من خير أو شر ، قال تعالى ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور : ٢١] وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدر : ٣٨] إن الأمر لو كان كما يريد هؤلاء من تقدير كل الأمور علينا وعدم الحساب عليها ما كانت هناك حاجة إلى إرسال الرسل ولا إلى البعث ولا إلى الحساب ولا إلى الجنة والنار .



س : إذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتب الضلال على الإنسان فلماذا يعاقبه عليه؟

ج : سبق الكلام على ذلك بعنوان : هل الإنسان مسير أو مخير . وزيادة على ذلك نقول :

من الآيات التي وردت في الهداية والضلال قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدر : ٣١] وقوله : ﴿يُضِلُّ بِهٖ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهٖ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهٖ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٦] وقوله : ﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ﴾ [الرعد : ٢٧] .

بقراءة هذه الآيات وأمثالها دون تدبر قد يفهم الإنسان منها أن الهداية والضلالة موكولتان إلى إرادة الله سبحانه ، وهو لا يسأل عما يفعل وليس للإنسان اختيار فهو مسير لا مخير ، وبالتالي لماذا يعذبه الله على الضلالة التي هي من فعل الله لا من فعل الإنسان؟

لا ينبغي أن يغالط الإنسان نفسه ، فهو مسئول عن كل شيء صدر منه بحريته واختياره من خير أو شر ، وهذه المسئولية مقررة في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه :

﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور : ٢١] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر : ٣٨] ولو أن الأمر كان كما يفهم البعض من تقدير كل الأمور علينا وعدم الحساب عليها لَعَمَّت الفوضى وعشنا كالمخلوقات غير المسئولة ، وما كانت هناك حاجة إلى إرسال الرسل ولا إلى البعث بعد الموت والحساب على الأعمال والجزاء بالجنة والنار . لقد علم الله سبحانه - قبل أن يخلق الإنسان - أنه سيختار الهداية أو الضلالة بحريته ، فكتب في اللوح المحفوظ أنه من المهتدين أو الضالين ، فليس هناك تحكّم واستبداد في الجزاء ، فالله سبحانه حكيم خبير متصف بكل صفات الكمال وأمرنا أن نتخلق بها كما جاء في بعض الآثار .

ولو تأملنا في الآيتين الثانية والثالثة اللتين في صدر هذا الكلام لرأينا أن الضلال هو للفاسقين الذين اختاروه بحريتهم ، وأن الهداية هي لمن أناب ورجع إلى الله بحريته ، وهذا الاختيار مطابق لما علم الله سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ ، ونقول : لماذا يتمسك بعض الناس - وهم الكافرون والعاصون - بأن الكفر والعصيان لا يصح أن يعذب عليهما الإنسان لأن الله كتبهما عليه ، ولا حرية ولا اختيار له في ذلك ، وعلى العكس يتمسك المؤمنون والطائعون بحقوقهم في الثواب بالجنة على إيمانهم وطاعتهم ، لأنهما من عمل الإنسان بحريته واختياره ، فالعاصي يريد أن يتهرب من المسؤولية والمطيع يتمسك بها ؟

لقد ضل كثير من الناس في فهم قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة : ١٣] فقال الجبريون : الخلق كلهم مجبورون في طاعتهم ، بناء على قوله ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان : ٣٠] وقال المعتزلة : الهداية مربوطة بمشيئة العباد فهم خالقون لأفعالهم ، بناء على قوله تعالى ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْقِيَ﴾ [التكوير : ٢٨] .

والحق أن هناك أموراً نحن مضطرون إليها دون اختيار ، وأمور تقع باختيارنا وإرادتنا ، وعلى الثانية يكون الثواب العقاب . وقد مثل القرطبي في تفسيره ^(١) لذلك

بحركة الارتعاش الواقعة في يد الإنسان بغير محاولته وإرادته ، وبين حركة الاختيار إذا حركها بحريته ، فالأولى مضطر إليها بعيدة عن المؤاخذة ، والثانية هي مناط المؤاخذة .

إن الواجب في قراءة النصوص في القرآن والسنة أن نعرف أن اللغة العربية سخية بالألفاظ والمعاني ، فقد يكون للفظ الواحد عدة معان مختلفة ، لكل مقام ما يناسبه منها ، وهناك الأساليب المتعددة في التعبير لا بد من الإحاطة بها حتى يصح الفهم ويمكن الاستنباط الصحيح ، وقد بين ابن القيم في كتابه « بدائع الزهور » أربعة معانٍ لكل منها مكانها المناسب .

إن الهدى والضلال في العقيدة والسلوك مرتبطان بالحرية والاختيار للأسباب المؤدية إليهما ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴿ [الزلزلة : ٧ ، ٨] ﴿ وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴾ (١٣) أَقْرَأْ كُنْتُكَ كَفَى بِفَيْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (١١) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٣ - ١٥] وبالله التوفيق .



س : في دعاء القنوت عن النبي ﷺ « وقني شر ما قضيت » فهل يقضي الله بشر؟

ج : قضاء الله كله خير وإن كان في نظر الإنسان شرًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ولذلك يجب الإيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، والإنسان إذا طلب من الله أن يقيه القضاء الشر فالشر بالنسبة له وبتقديره هو كالمرض والفقر ، وفي الحق كما يعلم الله إنه خير ، لأنه سبحانه حكيم وخبير ولطيف ورحيم ، وما يصدر عنه كله خير من هذه الزاوية .

وقد جاء أن من الناس من لا يصلحهم إلا الفقر ، والآية تقول : ﴿ وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٧]

وقوله سبحانه : ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يؤكد أن كل ما يقضي به الله خير وإن كان في نظرنا شراً بالنسبة لنا ، على أن العبارة المذكورة في السؤال «وقني شر ما قضيت» بعدها مباشرة «فإنك تقضي ولا يقضي عليك» أي أن الله هو الذي يحكم على كل فعل من أفعال العباد بالحكم الصحيح بخير أو شر ، ولا يجوز أن يقضي أحد على حكمه سبحانه فيصفه بأنه خير أو شر ، فكل فعله سبحانه خير .



س : هل الإيمان كسبي للإنسان دخل فيه أم وهبي لا دخل للإنسان فيه ؟

ج : الإيمان هو التصديق بالقلب بما جاء به النبي ﷺ وهذا التصديق أو الاعتقاد إن صدق دفع الإنسان إلى العمل واستقام سلوكه ، وكل عمل بدون إيمان لا قيمة له عند الله ، كعمل المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً .

والإيمان المجرد من العمل إيمان ناقص ، كجذر الشجرة التي ليس لها فروع ولا ثمار ، أما الإيمان الذي يتبعه عمل فهو إيمان كامل مع التفاوت في الكمال ، كالشجرة المورقة المثمرة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال : ٢ - ٤] .

والإسلام يجب من المؤمن أن يكون إيمانه كاملاً بالطاعات ليسعد في دنياه وأخراه ولا يجب منه أن يكون ناقص الإيمان لتعرضه لعقاب الله على المعاصي إن لم يتب عليه ويغفر له .

والهداية إلى الإيمان التصديقي والإيمان العملي القائم عليه هي توفيق من الله سبحانه ، لكن لكل شيء سبب ، فعلى الإنسان أن يسعى إليه ويجتهد في تحصيله ، والله يهديه إلى ما يريد ، أما بدون السعي ورغبة فلا يستحق من الله هداية ، فإذا قال الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص : ٥٦] فالمعنى

أن التوفيق للإيمان والطاعة لا يملكه إلا الله ، يعطيه لمن سلك السبيل إليه ، والرسول لا يعطي هذا التوفيق ، فما عليه إلا الدلالة عليه ، وهي المرادة بالهدى إذا نسب إليه في مثل قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] والله يهدي الناس السبيل ببيان طريق الخير وطريق الشر ، ومن أخذ الأسباب لسلوك طريق الخير هداه الله أي وفقه ، ومن أخذ الأسباب لسلوك طريق الشر أضله الله ، كما قال سبحانه ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

فالإيمان كسبي ووهبي ، كسبي بسلوك السبيل إليه ، ووهبي بتوفيق الله له ، إن صدقت نيته ، وقانون الحياة قائم على الأسباب والمسببات ، تحت مشيئة الله سبحانه ﴿ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [التكوير : ٢٩] ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفُّهُمْ أَلَمٌ مِّنْ رَبِّكُم مِّمَّنْ أَعْتَدُوا فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس : ١٠٨] .



س : هل صحيح أن النبي ﷺ قال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وهل المراد تشجيع العمل الدنيوي لكسب الرزق ، وعدم الارتكان على تقدير الأرزاق وعدم التواكل والكسل . وما صلة ذلك بالقضاء والقدر ؟

ج : مبدئياً نقول : إن الإسلام يشجع العمل والكفاح من أجل الحصول على الرزق الذي تكفل الله به بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] وضمنه قبل خلق الأحياء عليها كما قال في خلق السموات والأرض ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ لَّكُم مِّنْهُ لَا يَأْتِي الشَّيْءَ إِلَّا بِأَمْرٍ وَأَن يَأْتِيَنَّكُمْ لَتَنَسِفُونَّ فَوْقَهَا وَلَنَكْفُرَنَّ بِهَا وَلَنُنَزِّلَنَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَتَفَرَّقَ بِهَا عَقَرُنَّ وَنَزَّلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهَا غَدِيرًا غُلَّغُلًا وَجَعَلْنَا لَهَا فُجُورًا وَنُجُورًا وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ وَمَا يَفْقَهُونَ ﴾ [فصلت : ٩ ، ١٠] قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [الملك : ١٥] كما يشجع كل عمل مشروع يحقق السعادة للإنسان في دنياه وآخره ، ويرشد إلى التنسيق بين الأنشطة الدنيوية والأخروية ، كما قال سبحانه ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿ [الجمعة : ١٠] وكما صح في الحديث « إن لربك عليك حقاً ولبدنك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه » إلى غير ذلك من النصوص التي جمعت أكثرها في رسالة لي عن العمل والعمال في نظر الإسلام .

والحديث المسئول عنه رواه مسلم في صحيحه ، فقد سئل النبي ﷺ : فيم العمل اليوم ، أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل ؟ فقال : « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قالوا : ففيم العمل ؟ فقال : « من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ ﴾ [الليل : ٥ - ٧] .

والمراد أن الإنسان لا يعلم ما قُدِّرَ له ، أي كشفه الله بعلمه قبل أن يخلقه ، وهذا العلم ليس ملزماً له ، وعليه أن ينفذ ما أمره الله به ، وذلك بحريته واختياره ليكون الجزء مرتبطاً بما اختاره بحريته وإن كانت آليات الفعل من خلق الله سبحانه . هذه الإجابة مختصرة لإجابات عن أسئلة سبقت بعناوين مختلفة ، مثل : هل الإنسان مسير أو مخير ، هل الإيمان كسبي أو وهبي ، القضاء والدعاء وعمل البر ، القضاء والقدر ، ومحاكاة آدم موسى .



س : هل أطلع الله أحداً على علم الغيب ؟

ج : مما يتصل بالعقيدة الإيمان بالغيب ، كما قال تعالى في وصف المتقين ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة : ٣] . وقد وردت نصوص تتحدث عن الغيب منها : قوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] وصح في الحديث الذي رواه البخاري أنها خمس ، وهي التي جاءت في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] وقوله تعالى ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

رَصَدًا ﴿٧﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] وقوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

والغيب ما قابل الشهادة ، أي ما يغيب على الإنسان العلم به ومنه ما يمكن التوصل إليه بالوسائل المختلفة ، كالمسروق يعرف بالبحث عنه ، والمجهول يعرف بالتعلم ، كالكهرباء والفيروسات وما إليها ، ومنه ما لا يمكن التوصل إلى معرفته بالوسائل العادية بل لا بد فيه من خبر صادق ، كأحوال الآخرة ، التي يجب أن نؤمن بها لورودها في القرآن والسنة .

ومن الغيب قيام الساعة وما ذكر في مفاتيح الغيب ، وقد يعرف شيء منها بإطلاع الله سبحانه عليها من يرتضيه من الرسل ، كما نصت على ذلك الآية .

والإيمان باختصاص الله بعلم مفاتيح الغيب واجب بدليل الحصر في قوله : ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام : ٥٩] . ومن ادعى عدم اختصاصه بذلك كفر ، لأنه كذب القرآن الكريم الصريح في الدلالة عليه ، ومن حاول معرفة هذه المفاتيح ليشترك الله فيها كفر أيضاً ، أما من يحوم حولها مؤمناً بأنه لن يصل إلى العلم اليقيني بها فلا يكفر ، ومعلوماته التي يصل إليها من وراء هذه المحاولة معلومات ظنية لا يقينية ، والفرق بين علم الله تعالى ومعارف البشر يتركز في نقطتين أساسيتين ، أولاهما أن علم الله عن أي شيء شامل لجميع ما يتصل بهذا الشيء ، والثانية أن علمه سبحانه يقيني لا ظني . أما علم غيره من البشر فلن يجمع الأمرين معاً ، لا في الكم ولا في کیف ، قال تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء : ٨٥] ، وقال : ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم : ٢٨] . ولئن حصل علم بشيء عن شيء فهو علم قاصر .

وقد حاول الإنسان أن يبحث عن المجهول المستقبل منذ خلق وفيه غريزة حب الاستطلاع ، وبذل في ذلك جهوداً كبيرة ، واتخذ وسائل متعددة ، وكان من هذه الوسائل ما عرف باسم الكهانة والتنجيم والعرافة والطيرة والطرق وضرب الرمل وقراءة الفنجان وقياس الأثر وما يبتكر غير ذلك .

وفيا يلي تعريف بكل منها :

١- الكهانة : هي ادعاء علم الغيب ، بالإخبار عن المضمرات ، أو عن المغيبات في مستقبل الزمان بأية وسيلة من الوسائل ، وقد تختص بها كان فيه اتصال بالجن^(١) .

٢- التنجيم : وهو الاستدلال بالنجوم في مواقعها وتحركاتها على ما سيكون في المستقبل من مطر أو حر أو برد أو مرض أو موت وغير ذلك ، وقيل هو الكهانة^(٢) .

٣- العرافة : هي ادعاء معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها كالمسروق من الذي سرقه ، والضالة أين مكانها ، وقيل هي السحر^(٣) .

٤- الطيرة :- بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن - وهي مصدر تطير ، مثل تخير خيرة ، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما - ومعناها التشاؤم بالشيء ، أو الاستدلال من طيران الطائر ، أو من رؤية شيء أو سماع صوت على ما سيحصل للإنسان ، وقد كان العرب يزجرون الطير من أماكنها . فإن طارت يميناً استبشرت ، وإن طارت شمالاً تشاءمت ، ويقال لها أيضاً «العيافة» من عاف عيفا ، وسيجيء حديث عن الفرق بين الطيرة والفأل .

٥- الطرق : وهو الضرب بالحصا أو الودع ، وقيل : هو الطيرة وقيل : ضرب الرمل .

٦- ضرب الرمل : وهو وضع خطوط وعلامات على الرمل ، لمعرفة ما يجبأ للإنسان ويعرف أيضاً بالخط ، روى مسلم أن النبي ﷺ سئل عنه فقال : «كان نبي من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك» وكذب ابن القيم نسبة الخط إلى إدريس عليه السلام ، وجاء في تفسيره : أن «الحازي» أي المحترف لذلك يأتيه الرجل ليعرف حظه ، فيخط على أرض رخوة خطوطاً كثيرة بالعجلة ، ومعه غلام ، ثم يمحو منها على مهل خطين خطين والغلام

(١ ، ٢ ، ٣) يراجع شرح النووي على صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٢ .

يقول : ابني عيان ، أسرعا البيان ، فإن بقي خطان فهما علامة النجح ، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة ، ويقول ابن الأثير في « النهاية » : إنه علم معروف فيه تصانيف ، ويعمل به الآن ، ولهم في اصطلاحات ، يستخرجون به الضمير وغيره ، وكثيراً ما يصيبون فيه (هكذا يقول)^(١).

٧- قراءة الفنجان : وهي الاستدلال بآثار القهوة على الفنجان على ما يفكر فيه شاربها ، ويزعم بعض المعاصرين أن أثر الزفير على القهوة يعطي مؤشرات صادقة ، لكن إذا كان ذلك من الناحية الطبية أو العضوية فهل تمكن معرفة المستقبل ؟ فيه كلام .

٨- قياس الأثر : وهو أخذ قطعة من ثياب الإنسان أو متعلقاته وقياسها بالشبر والأصابع ، والاستدلال بذلك على ما يكون لصاحبه .

وهذه الأشياء وأمثالها نهى الإسلام عنها ، لأنها تتنافى مع اختصاص علم الله بالغيب يقول النبي ﷺ « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد »^(٢) ويقول « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزله الله على محمد ، ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »^(٣) ، ويقول « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »^(٤) ويقول « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدق بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد »^(٥) ويقول « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد »^(٦) ويقول : « العيافة والطير والطرق من الجبت »^(٧) والجبت ما عبد من دون الله .

١- يرجع فيه إلى شرح النووي على صحيح مسلم ، ج ٥ ص ٢٣ .

٢- رواه البزار بإسناد جيد والطبراني بإسناد حسن دون قوله ((ومن أتى كاهناً)).

٣- رواه الطبراني .

٤- رواه مسلم .

٥- رواه أصحاب السنن الأربعة والحاكم وصححه .

٦- رواه أبو داود وابن ماجه .

٧- رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه .

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن الجن لا يعلمون الغيب ، فكيف يصدقها من يعتمد على أخبارها؟ قال تعالى ﴿ فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] . والاتصال بالجن ممكن ، وكذلك استخدامهم في بعض الأغراض ، فقد سخرهم الله لسليمان كمعجزة ، فلا مانع من تسخيرهم لغيره ، ولم يرد نص يمنع ذلك ، وقد حدث لبعض الناس بطرق يعرفونها ، ووضح ذلك المحدث الشبلي في كتابه «آكام المرجان» .

يتبين من هذه النصوص أن الاعتقاد بأن غير الله يعلم الغيب علماً يقينياً شاملاً كفر بما جاء في القرآن الكريم خاصاً بذلك ، ومن مارس هذه الأعمال ينسحب حكمه على من يلجأون إليه لمعرفة الغيب ، فمن صدقه فقد كفر ، ومن لم يصدق فقد ارتكب إثماً عظيماً ينقص من إيمانه ، ولا يقبل الله صلاته أربعين يوماً .

روى الشيخان أن ناساً سألوا النبي ﷺ عن الكاهن أو الكهان فقال «ليسوا بشيء» فقالوا : يا رسول الله إنهم يتحدثون أحياناً بشيء أو بالشيء فيكون حقاً ، فقال رسول الله ﷺ « تلك الكلمة من الوحي يخطفها الجني فيقرأها - أي يلقاها - في أذن وليه ، فيخلط معها مائة كذبة » وجاء في البخاري « إن الملائكة تنزل في العنان ، وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضي في السماء ، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه ، فيوجه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

هذا وقد أبدلنا هذه الأمور وسيلة يمكن بها أن نطمئن لما نقدم عليه من عمل ، وهي صلاة الاستخارة مع دعائها المعروف الذي جاء به الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ولنسمع قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُورًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

تنبيهات

التنبيه الأول : عن علم الساعة :

سبق بيان أن علم الساعة من مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها ، والآيات القرآنية كثيرة في ذلك ، وكذلك الأحاديث النبوية الصحيحة ، التي من أقواها حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عنها ، فقال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ثم ذكر له بعض علاماتها .

ومع ذلك حاول بعض الناس قديماً وحديثاً معرفة موعدها ، وأثبت الواقع خطأهم ، ثم جاءت نحلة البهائية أخيراً وزعمت أنها تعرف موعد قيام الساعة بناء على أمرين ، أولهما سر العدد ١٩ والثاني بعض آيات من القرآن الكريم ، وفيما يلي تفصيل ذلك والرد عليه .

أولاً : العدد ١٩ المذكور في قوله تعالى في وصف جهنم : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدرثر : ٣٠] . زعموا أن له سرّاً حاولوا أن يثبتوه بحصر الحروف الموجودة في بعض السور ، أو في فواتحها من الحروف المقطعة أو في بعض الكلمات ، وبطريق التعويض عن الحروف بأرقام على النظام اليهودي في الأبجدية حددوا وقت قيام الساعة .

ويرد على هذا بأن القرآن فيه أعداد أخرى كالعشرة والمائة والألف وغيرها ، فلماذا اختاروا هذا العدد بالذات؟ وبأنهم لم يتبعوا المنهج العلمي عند حصر الحروف ، فأسقطوا بعضها ليتم لهم ما يريدون ، كما كشف عن ذلك المتبعون للحصر الذي أعلنوه ، وبأن أية مجموعة كبيرة من الأعداد يمكن التوصل منها إلى مجموعات تقبل القسمة على أي عدد من الأعداد ، وليس شرطاً أن يكون العدد ١٩ ، وذلك من البديهيات عند علماء الرياضيات^(١) ، كما زعموا أن اليهود أخبروا النبي ﷺ بأن حروف «الم» تدل على عدد السنوات التي تعيشها دعوته ولم ينكر عليهم ذلك . وهذا خبر مدسوس ليس له سند يعتمد عليه .

١- بحث الدكتور علي حلمي موسى أستاذ الفيزياء الرياضية بكلية العلوم جامعة عين شمس ، المنشور بجريدة اللواء الإسلامي : عدد ١١٦ في ٧ من رجب ١٤٠٥ هـ (٢٨/٣/١٩٨٥ م) .

ثانياً : استدلووا من القرآن الكريم بآيتين ، أولهما قول الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفِيهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧] قالوا: إن قوله ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يفيد أن بعضاً قليلاً من الناس يعلمون موعد الساعة ، وهم من هذا القليل . ويرد عليهم بأن نفي العلم عن أكثر الناس منصب على الإيذان بما سبق في الآية ، من اختصاص علم الله بها ، وبأنها ثقيلة ولا تأتي إلا بغتة ، فأكثر الناس وهم الكافرون يجهلون هذه الحقيقة المقررة في الآية ، ولا معنى لما فهموه من أن أكثر الناس جاهلون بموعد الساعة والقليل يعلمه ، ففي فهمهم لأول الآية وآخرها تضارب ، والقرآن الكريم منزّه عن ذلك .

ومع احتمال فهمهم هذا فالاستدلال به ساقط ، لأنه ليس هو الفهم الوحيد المتعين لها ، ومعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

والآية تدل بصراحة على نفي علم أحد بالساعة ، أي بوقت حدوثها ، فذلك من اختصاص الله وحده ، وذلك واضح في قصر علمها عليه سبحانه بأكثر من أسلوب ، وفي أنها تأتي بغتة ، وفي عدم علم النبي ﷺ بذلك . فلا بد من توافق آخر الآية مع هذه المقررات الصريحة فيها . ونفي علم أحد بموعدها يستوي فيه القليل والكثير من الناس .

والآية الثانية التي استدلووا بها هي قوله تعالى ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ١٥] . قالوا إن فعل «كاد» إذا كان مثبتاً يدل على نفي ما بعده ، فمن يقول : كدت أقع يدل على أنه لم يقع ، وعلى هذا فمعنى «أكاد أخفيها» أنه لم يخفها ، فتمكن معرفتها بطريق أو بآخر ، وليس حتماً أن يكون ذلك عن طريق الوحي فقط كما قال تعالى ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] بل يمكن أن يكون بطريق الحساب أو غيره .

ويرد على ذلك بأن الفعل «خفى» يستعمل في اللغة للستر وللإظهار ، فهو من الأضداد ، يقال : خفاه يخفيه خفياً ، من باب رمى . وخفياً أيضاً - بضم الخاء وكسر الفاء - وفي بعض القراءات «أخفيها» بفتح الهمزة ، وكما أن الخفي الثلاثي يفيد الستر

والإظهار كذلك يفيدهما الإخفاء وهو مصدر الفعل الرباعي أخفاه . وعلى هذا فالآية ليست دليلاً قاطعاً على مدعاهم ، فقد يكون معناها : أكاد أظهرها ، بل يجب المصير إلى هذا المعنى لتوافق الآيات بعضها مع بعض ، والمتشابه يرد إلى المحكم كما قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وهؤلاء في قلوبهم زيغ يبتغون الفتنة ، حيث تمسكوا بالمتشابه ولم يأبهوا بالمحكم الذي يجب رده إليه ، وليسوا من الراسخين في العلم على أي وجه يكون الوقف في الآية « مذهب السلف ومذهب الخلف » لأنهم في محاولتهم لتقديس العدد ١٩ خالفوا المنهج العلمي وزيفوا ، وفي عدم رد المتشابه إلى المحكم ظهر جهلهم بأصول البحث ، ولم يؤمنوا بما جاء في القرآن الكريم نصاً في عدم علم أحد بالساعة إلا الله سبحانه .

وبهذا يظهر أن استدلال هؤلاء استدلال واه ضعيف أو فاسد لا يثبت مدعاهم ، ولم يعتبروا بمن سبقهم ممن زعموا علم الساعة وحددوا موعدها فافتضح أمرهم ، وليس المهم هو معرفة وقت قيامها بل المهم هو الاستعداد لها ، وقيامه كل إنسان موته أو عقب موته ، فمن مات فقد قامت قيامته ، لأنه لا عمل بعد الموت ، بل جزاء وحساب ، كما في القيامة الكبرى . وقد نبه النبي ﷺ من سألته عنها إلى الاستعداد لها ، فكل من الموت والقيامة يأتي بغتة ، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال « ما أعددت لها »؟ قال : حب الله ورسوله ، قال « أنت مع من أحببت » .

التنبيه الثاني : عن العلم بما في الأرحام :

مما اختص الله بعلمه : ما في الأرحام ، كما سبق في الآية ، وكما قال تعالى أيضاً : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨] .

ولا ينافي ذلك ما يقال : إن بعض الناس توصلوا إلى معرفة نوع الجنين قبل أن يولد من بطن أمه ، وهو ما يزال في الرحم حتى أيامه الأولى ، ذلك أن علم الله بما في الأرحام علم شامل ، وفي الوقت نفسه علم يقيني لا ظني ، فالله يعلم المولود قبل أن يولد ، بل قبل أن يتكون أصلاً ، يعلمه علماً شاملاً ، ويخبر الملائكة ببعض ما يعلمه عنه ، وهم لا يعلمون عنه شيئاً قبل أن يخبرهم الله به ، كما قال سبحانه عنهم : ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة : ٣٢] .

جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »^(١) . وفي بعض الروايات « ذكر أم أنثى » بدل « عمله » .

فلو فرضنا أن الإنسان عرف نوع الجنين فهل يعرف ما بقى من رزقه وأجله وما تنتهي إليه حياته من سعادة أو شقاء ، على أن معرفة نوع الجنين لا تيسر في كل الحالات ، بل في فترة معينة ، أما الله سبحانه وتعالى فيعلم ذلك كل وقت ، بل قبل أن يتكون الجنين كما قلنا ، وعلم الله بذلك علم يقيني لا يتطرق إليه الشك ، وعلم الإنسان ظني وأحياناً يتخلف ، ولبعض الناس شواهد لمعرفة نوع الجنين لا تعدو أن تكون ظنوناً^(٢) .

التنبيه الثالث : عن التنجيم :

ينبغي الفرق بين التنجيم وعلم النجوم أو الفلك ، فالتنجيم حدس واستنباط لا يقوم على أسس علمية صحيحة لا تخطئ ، أما علم النجوم فهو علم يدعو إليه

١ - رواه البخاري ومسلم .

٢ - انظر كتاب منهج الإسلام في تربية الأولاد .

الدين لمعرفة أسرار الكون والإيمان بالله أو تعميق الإيمان به ، وقد جاءت الآيات الكثيرة تدعو إلى التفكير في خلق السموات والأرض ، والإفادة من مسخرات الكون مادياً وأدبياً .

يقول ابن حجر الهيتمي^(١) : والمنهي عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان ، لمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الرياح وتغير الأسعار ونحو ذلك ، يزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب لاقتها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان ، وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره ، فمن ادعى علمه بذلك فهو فاسق ، بل ربما يؤدي به إلى الكفر .

أما من يقول : إن الاقتران والافتراق الذي هو كذا جعله الله علامة ، بمقتضى ما اطردت به عاداته الإلهية ، على وقوع كذا وقد يتخلف فإنه لا إثم عليه بذلك ، وكذا الإخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف بها الزوال وجهة القبلة ، وكم مضى وكم بقى من الوقت ، فإنه لا إثم فيه ، بل هو فرض كفاية .

وفي حديث الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء - أي مطر - كانت في الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : «أتدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي ، كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا - أي وقت النجم الفلاني - فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب» .

قال العلماء : من قال ذلك مريداً أن النوء هو المحدث والموجد فهو كافر ، أو أنه علامة على نزول المطر ، والذي ينزله هو الله وحده ، لم يكفر ، ويكره قول ذلك ، لأنه من ألفاظ الكفرة ، والمهم أن يكون الاعتقاد صحيحاً في أن الله هو فاعل كل شيء ، وأنه وراء الأسباب جميعاً ، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد ، وما يصل إليه الباحثون ويستنتجون هو ظن قد يصدق بعضه ويتخلف البعض الآخر .

١- الزواجر : ج ٢ ص ١١٠ .

التنبية الرابع : عن الطيرة والفأل :

سبق القول بأن الطيرة أو التطير يقوم على الربط بين ما يحصل للإنسان في المستقبل وبين رؤية شيء أو سماع صوت ، والتشاؤم نوع من التطير إذا كان رد الفعل مكروهاً ، ويقابله التفاؤل والفأل إذا كان رد الفعل مقبولاً ، وقد تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان البعض الآخر .

والباعث عليه هو رغبة الإنسان في معرفة ما يغيب له ، وهو قديم تحدث عنه القرآن الكريم ، فقال عن ثمود قوم صالح عليه السلام ﴿ قَالُوا أَطِيزَنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَظِيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [النمل : ٤٧] وعن قوم موسى عليه السلام ﴿ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ يَظِيرُوا يَمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا يَطِيرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : ١٣١] وعن أصحاب القرية التي بعث إليها أصحاب عيسى عليه السلام ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَظِيرُكُمْ مَعَكُمْ ﴿[يس : ١٨ - ١٩] .

وكان معروفاً عند العرب في الجاهلية ، وبخاصة في طيران الطير أو زجره أو زجر الوحوش وإثارتها ، فما تيامن منها سموه «السانح» وما تياسر سموه «البارح» وما استقبلهم سموه «الناطح» وما جاءهم من الخلف سموه «القعيدة أو القاعد» . ومن اشتهر عندهم بمعرفة ذلك يسمونه «العائف أو العراف» ومنهم عراف اليمامة والأبلى الأسدي وعروة بن زيد .

ومنهم من كان يقدح فيه ولا يعترف به ، كالمرقش السدوسي وجهم الهذلي ، وجاء في ذلك قول المرقش :

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحائم
فإذا الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم
لا يمينعك من بغاء الخير تعاقد التمايم
قد خط ذلك في السطور الأوليات القدائم
والواقي هو الصرد - نوع من الطيور - والحائم هو الغراب .

يقول ابن القيم : من اهتم بذلك أسرع إليه التأثير ، وكثر وسواسه فيما يسمعه ويراه ويعطاه ، فإذا أهدى إليه سفرجل أو سمع اسمه تشاءم وقال : سفر وجلاء ، وهكذا ، وذكر عدة حوادث في ذلك .

وقد ذم الله التطير وحكاه عن قوم هم أعداء الرسل ، ومعنى طائركم وطائرهم ما قضى وقدره عليهم بسبب كفرهم وتكذيبهم ، وهو راجع عليهم ، وذمه النبي ﷺ في حديث الصحيحين عن الذين يدخلون الجنة بغير الأحاديث بقوله «ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» وفي غير ذلك من الأحاديث التي سبق ذكرها . وجاء في مسلم أن معاوية بن الحكم السلمي قال : يا رسول الله ، ومنا أناس يتطيرون ، فقال «ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه ، فلا يصدنه» . فبين أن تأثيرها ليس من ذاتها ، بل من الإنسان نفسه الذي يعتقد فيها .

ومع نهي النبي ﷺ عن الطيرة كان يحب الفأل الحسن ، ففي الصحيحين «لا عدوى ولا طيرة ، وأحب الفأل الصالح» وفي لفظ «وخيرها الفأل» وفي لفظ «وأصدقها الفأل» ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «إذا أبردتكم إليّ بريداً فاجعلوه حسن الاسم حسن الوجه» وله في الفأل حوادث ، منها اختيار من اسمه «يعيش» ليحلب الناقة ورفض من اسمه «حرب» ، وأخبر عمر عن سبب ذلك ونفى أنه تطير فقال «ظننت يا عمر أنها طيرة ، ولا طير إلا طيره ، ولا خير إلا خيره ، ولكن أحب الفأل» وكره المرور يوم بدر بطريق فيه جبلان لم يعجبه اسمهما ولا اسم الساكنين فيه . وفي الصحيحين أنه قال «الشؤم في ثلاث ، في المرأة والدار والدابة» وفي الموطأ أنه أمر امرأة بالتحول من دارها لما أصابهم فيها من مكروه .

وقد علق ابن القيم على ذلك بأن الفأل ليس فيه شرك بل فيه تقرير لطبيعة الإنسان في حب الخير وكراهية الشر ، كما يحب الصوت الحسن والرائحة الطيبة والأخبار السارة عن الخصب والصحة والانتصار ، مع اعتقاد أن هذه الأمور لا تؤثر أبداً إلا بإذن الله كما في التشاؤم بالدار ، والتشاؤم قد يؤدي إلى الشرك وترك التوكل على الله . أما الفأل فيفضي إلى الأمل والطاعة وتوحيد الله . وقال بعضهم في

الفرق بين التطير والفأل : إن الفأل فيه إبانة عن شيء حاصل في النفس وهو الارتياح الذي ظهر بسماع الاسم الحسن مثلاً ، أما التطير فيه استدلال على شيء غير حاصل .

وحديث الشؤم روى بوجهين ، أحدهما بالجزم والثاني بالشرط . فالأول « الشؤم في الدار والمرأة والفرس » والثاني « إن يكن من الشؤم شيء حقاً ففي الفرس والمسكن والمرأة » فقالت طائفة : لم يجزم النبي ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ، بل علقه على الشرط ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من طرفيها . وقالت طائفة أخرى : إضافة الشؤم إليها مجاز واتساع ، أي قد يحصل مقارناً لها لأنها هي نفسها مما يوجب الشؤم ، فقد تكون الدار قد قضى الله أن يميت فيها بعضاً من خلقه ، فمن كتب الله عليه الموت في تلك الدار حسن إليه سكنها حتى يقبض فيها . سئل مالك رضي الله عنه عن الشؤم في الدار فقال : إن ذلك كذب فيما نرى ، كم من دار سكنها ناس فهلكوا ، ثم سكنها آخرون فملكوا .

وقال آخرون : إنما يلحق الشؤم من تشاء منها ، أما من توكل على الله فلا يلحقه ضرر منها ، ولذلك نصح النبي ﷺ المرأة أن تتحول عن هذه الدار ما دامت تشاء منها ، وهو من باب الرحمة والتيسير ، بدل أن يرغمها على سكنها ونفسها لم تنهياً لترك الشؤم وللاتكال على الله بعد ، فقد يزيدها ذلك اعتقاداً في التطير وهو شرك ، أو يسلمها إلى الحزن بكراهة الدار ، ولو أرغم من ضاق رزقه في بلد على عدم مفارقتها لكان ذلك هو الحرج الذي لا يرضاه الله لعباده .

ثم يجيب ابن القيم إجابة جامعة عن كل ما نسب إلى الرسول وغيره من الفأل بقوله : إن بين الأسماء والمسميات ارتباطاً بقدرة الله . وألهمه الله للعباد ، وليس ارتباط العلة بمعلولها ، بل ارتباط تناسب وتشاكل ولكل شيء من اسمه نصيب بقدر ما ، ووقوع حوادث مرتبطة بأشياء أخرى هو مصادفة واتفاق وليس على سبيل التسبب والتأثير .

ثم يقول : تعطيل الأسباب تعطيل للشرع ومصالح الدنيا ، والاعتماد عليها كلية شرك بالله تعالى ، فالمقامات ثلاثة : أحدها : تجريد التوحيد وإثبات الأسباب ، وهو

ما جاء به الشرع ، والثاني : الشرك في الأسباب بالمعبود ، والثالث : إنكار الأسباب بالكلية محافظة من منكرها على التوحيد . فالمنحرفون طرفان مذمومان ، إما قاذح في التوحيد بالأسباب ، وإما منكر للأسباب بالتوحيد ، والحق غير ذلك ، وهو إثبات التوحيد والأسباب وربط أحدهما بالآخر ، فالأسباب محل حكمه الديني والكوني ، والحكمان عليها يجريان بل عليها يترتب الأمر والنهي والثواب والعقاب ، والتوحيد تجريد الربوبية والإلهية عن كل شرك .

وذكر في التوفيق بين النهي عن الاقتراب من المجذوم وبين أكل النبي معه ، أن النبي ﷺ أثبت السبب وأمر بالفرار ، وأثبت المانع وهو التوكل فأجاز المؤكلة ، لكن لا يقدر كل أحد على المانع وهو التوكل ، فأرشد إلى مجانبة المجذوم تشريعاً للفرار من أسباب الأذى ، ووضع يده معه تعليم للأمة بدفع الأسباب بما هو أقوى منها ، وإعلام بأن الضرر والنفع بيد الله عز وجل . فالؤمن إذا وثق بالله لا يضره السبب ، كما قيل عند الطيرة « اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك » ثم يمضي لحاجته .

هذا الأثر ذكره ابن القيم في بحثه عن الطيرة والتشاؤم ، روى أبو عمرو في « التمهيد » بسند فيه ابن لهيعة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « من أرجعته الطيرة من حاجته فقد أشرك » قال : وما كفارة ذلك ؟ قال « أن يقول أحدهم .. » وذكر الحديث ، وأورد عن كعب الأحبار مثل ذلك وأنه في التوراة .



س : إذا قتل الإنسان فهل يعتبر موته قبل استيفاء العمر الذي قدره الله له ؟

ج : في كتب التوحيد هذه العبارة « والمقتول ميت بأجله » فالله سبحانه قدر له هذا الأجل وعلم أن سبب موته هو القتل ، فالعمر محدود غير متغير في علم الله تعالى ، وما يظهر للملائكة هو أن الإنسان لو وصل رحمه مثلاً طال عمره كما جاء في الحديث ، ولا يعلمون إن كان سيصل رحمه أو لا ، والذي يعلم ذلك يقيناً هو الله وحده .



س : استطاع العلم الحديث أن يعرف نوع الجنين إن كان ذكراً أو أنثى ، فهل يتعارض ذلك مع قول الله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ .

ج : يقول الله تعالى ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَرْضَوْنَ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الرعد : ٨] ويقول ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان : ٣٤] .

لا يتنافى علم البشر بنوع الجنين في بطن أمه مع علم الله بها في الأرحام ، وذلك لأربعة أمور ، أولها : أن الله يعلم ذلك قبل أن يتخلق الجنين ، أي قبل أن تتلقح بويضة الأنثى بهاء الذكر ، إلى أن يولد ، بل قبل أن يكون هناك الزواج بين الرجل والمرأة ، والطب لا يعرف ذلك إلا بعد إخصاب البويضة بزمن يمكنهم فيه الفحص والاستدلال ، وما يقال : إنهم يعرفون ذلك قبل الإخصاب بفحص ماء الرجل ومعرفة الكروموسومات الغالبة فيه ، فإن هناك عوامل أخرى لا يستطيع العلم التحكم فيها ، وكلها تحت إرادة الله سبحانه ، وما يستنبطونه مقدماً فهو لا يعدو مرحلة الظن والتخمين .

ثانيها : أن علم الله بنوع الجنين علم حقيقي لا يتخلف ، وعلم العلماء بذلك علم ظني قد يتخلف ، وبخاصة في الأيام الأولى للحمل .

ثالثها : أن علم الله بالجنين علم شامل لنوعه ورزقه وأجله وسعادته وشقائه ، وذلك غير مستطاع إلا لله سبحانه وتعالى ، الذي قدر كل شيء قبل أن يخلقه .

رابعها : أن علم الله لا يسبقه جهل ، وعلم غيره مسبوق بالجهل .

وبهذه الأمور وغيرها يظل علم الله سبحانه في قدسيته وشموله وصدقه لا يدانيه فيه مخلوق من مخلوقاته .

قال تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام : ٥٩] وقد بين الحديث هذه المفاتيح بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ كما رواه البخاري فعلمها قاصر عليه وحده «لا يعلمها إلا هو» وذلك على الوجه المبين فيما تقدم .



س : ما حكم الدين في قراءة الكف ؟

ج : الإسلام أمرنا بالعلم والبحث والنظر ، ووجهنا إلى عدم الظن في كل الأحوال ، وإلى أن تكون معلوماتنا مبنية على الحقائق ما أمكننا ذلك ، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة .

والناس من قديم الزمان لهم طرق في الاستنتاج قد تصح نتائجها وقد تبطل ، ولكنهم مع ذلك مغرمون بحب الاستطلاع ، والوصول إلى معلومات تهمهم عن طريق شواهد ومقدمات ، وسمعنا في ذلك عما يسمى بالكهانة والعرافة والتنجيم وضرب الحصا . . . وشاع في أيامنا ما يعرف بقراءة الفنجان وقراءة الكف .

وقد عكف جماعة على دراسة خطوط الكف عند ما رأوا صدق دلالاته في بعض الأحوال فنرى مثلاً الدكتورة إكرام عبدالسلام أحمد أستاذ طب الأطفال بقصر العيني تقول : هناك نوعان من خطوط اليد ، خطوط ثنايا الكف ، وهي واضحة عند النظر إليها وأساسها ثلاثة خطوط ، اثنان عرضيان تحت الأصابع الأربع ، والثالث بحد منطقة الإبهام وهو منحن وهي متشابهة في جميع الناس ، وإذا تغيرت يكون هناك شذوذ ، أما خطوط الأصابع فهي عكس ذلك لا تكاد تتشابه أو لا تتشابه مطلقاً من شخص لآخر ، وعليها الاعتماد في البصمات ، وهي ترى إما بالعدسة المكبرة وإما بالطبع بالحبر .

واكتشفت أن تغير الخطوط الثلاثة في الكف يدل على تأخر عقلي أو اختلاف في الكروموسومات التي تنشأ عنها تشوهات خلقية . وسبب ارتباط ذلك باليد يبدأ تكوينها في الأشهر الثلاثة الأولى مع تكوين أعضاء الجسم ، فأى اختلال في التكوين يظهر فيها .

وقد بحثت ارتباط الخطوط ببعض الأمراض كالتأخر العقلي وروماتيزم القلب وأمراض الجهاز العصبي ، كما يمكن دراسة بعض الأمراض أو التكهن بها من خلال بصمات الأصابع ^(١) .

وواضح من هذا الكلام أن هذه الخطوط لها ارتباط بالتكوين العضوي لجسم الإنسان وما ينشأ عنه من تأثير في القوى العقلية ، لكن التنبؤ بالمستقبل من النظر في هذه الخطوط هو الذي ما يزال رجباً بالغيب لم تقم له قواعد ثابتة يقينية .

هذا ، وقارئ الكف العالمي (دافيد براندون جونز) حاول أن يربط بين خطوط الكف وبين المستقبل بوجه عام ، وله في ذلك بحوث واطلاعات واستنتاجات كثيرة ^(١) ولكن كل ذلك لا يتعدى مرحلة الظن ، ولا ينبغي الاعتماد على أقوال هؤلاء في رسم الخطوط لحياتنا المستقبلية ، فإن المقدمات غير اليقينية لاتلزم عنها نتائج يقينية .

وقد علمنا النبي ﷺ دعاء الاستخارة في كل ما يهمننا من الأمور ، والأولى الالتجاء إلى الله بها ، فهو وحده مالك الأمر كله ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .

ويثار هنا سؤال : هل أطلع الله رسوله على ما يكون في غد ؟ والجواب ما جاء في قوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْمَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ الشَّوْءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وصح في مسلم أن عائشة رضي الله عنها قالت : من زعم أن رسول الله يخبر بما يكون في غد فقد أعظم الفرية على الله . وتلت قوله تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] .



س : ما حكم الدين في الرقى ؟

ج : الرقى جمع رقية ، وهي كلمات يقولها الناس لدفع شر أو رفعه ، أي يحصنون بها أنفسهم حتى لا يصيبهم مكروه ، أو يعالجون بها مريضاً حتى يبرأ من مرضه ، وكان العرب قبل الإسلام يعتقدون أنها مؤثرة بنفسها دون تدخل لقدرة أخرى غيرها ، واختيار كلماتها مبني على اعتقادات قد يرفضها الدين ، ولذلك كان موقف

الإسلام منها هو تصحيح الخطأ في الاعتقاد ، وتقرير أنه لا تأثير لها إلا بإرادة الله تعالى ، وكذلك رفض الكلمات التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة . فإن كانت كلماتها مقبولة مع اعتقاد أن أثرها هو بإرادة الله سبحانه كان مسموحاً بها ، مثلها مثل الدعاء أو الدواء ، وبهذا يمكن أن نفهم ما جاء من نصوص رافضة أو مجيزة لها .

فما ورد في رفضها حديث البخاري ومسلم عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب الذي جاء فيه «هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» وفي رواية لمسلم زيادة «ولا يرقون» . فالراقي وطالب الرقية مذمومان ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود ، فجذبه فقطعه ثم قال : لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الرقي والتائم والتولة شرك» قالوا : يا أبا عبد الرحمن هذه الرقي والتائم قد عرفناها . فما التولة؟ قال : شيء تصنعه النساء يتحبن إلى أزواجهن^(١) . والتولة بكسر التاء وفتح الواو .
ومما ورد في إجازتها :

أ- حديث الصحيحين من رقية بعض الصحابة بفاتحة الكتاب لسيد الحي الذي لدغ فشفاه الله ، ثم أقرهم النبي ﷺ على فعلهم وما أعطاه إياهم هذا السيد ، وبين أن العلاج بكتاب الله أحق أن يؤخذ عليه الأجر .
ب- حديث الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : أمر النبي ﷺ أن نستلقي من العين .

ج- حديث الصحيحين : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده من جسده .
د- حديث الصحيحين : أنه ﷺ كان يعوذ بعض أهله ، يمسح عليه بيده اليمنى ويقول «اللهم رب الناس أذهب الباس ، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً» .

١- رواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه .

هـ - ما رواه مسلم أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكت؟ قال « نعم » فقال جبريل : باسم الله أريقك من كل داء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، باسم الله أريقك .

و- ما رواه مسلم أنه ﷺ قال : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » .

ز- ما رواه مسلم عن أنس أن النبي ﷺ رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة .

ج- ما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال لعثمان بن أبي العاص لما اشتكى إليه وجعاً يجده في جسده منذ أسلم « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله » (ثلاثاً) وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

ط- ما رواه أبو داود أنه ﷺ أذن للشفاء بنت عبد الله أن ترقى من النملة بعد أن عرضت عليه ، وقال « لا بأس بها » النملة بكسر الميم بثور في الجنين ، والحمة ضرر ذوات السموم .

ي- ما رواه ابن ماجه أنه ﷺ أذن لعمار بن حزم في الرقية من الحية بعد أن عرضت عليه ، وقال « لا بأس بها » .

قال النووي في الجمع بين الأحاديث الناهية عن الرقى والمجيزة لها : أن المنهي عنه هو الرقية بكلام الكفار ، والرقى المجهولة والتي بغير العربية وما لا يعرف معناها ، فهي مذمومة لاحتمال أن معناها كفر أو قريب منه أو مكروه ، وأما الرقى بآيات القرآن والأذكار المعروفة فلا نهى عنها بل هي سنة^(١) وقد روى مسلم عن النبي ﷺ « اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك » .

وقال ابن حجر في فتح الباري : أجمع العلماء على جواز الرقية عند اجتماع ثلاثة شروط : أن تكون بكلام الله أو بأسمائه أو صفاته ، وباللسان العربي أو بها معناه من غيره ، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بتقدير الله^(٢) .



١- شرح صحيح مسلم ، ج ١٤ ص ١٩٦ .

٢- نفثات صدر المكمل للسفاريني : ج ٢ ص ٦٤٢ .

س : ما حكم الدين في التائب ؟

ج : التائب جمع تيممة ، قال الحافظ المنذري : يقال إنها خرزة كانوا يعلقونها ، يرون أنها تدفع عنهم الآفات . واعتقاد هذا الرأي جهل وضلالة ، إذ لا مانع إلا الله ، ولا دافع غيره . ذكره الخطابي^(١) .

فالنهى عنها عند اعتقاد أنها تؤثر بنفسها ، فذلك شرك وبدون هذا الاعتقاد جهالة ، جاء في الحديث « من علق تيممة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا أودع الله له »^(٢) . وفي حديث آخر « من علق فقد أشرك »^(٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ليست التيممة ما يعلق به بعد البلاء ، إنما التيممة ما يعلق به قبل البلاء^(٤) .

ويؤخذ من كلام المنذري أن التيممة خرزة ، وفي الحديث ذكر التيممة والودعة ، فهل هما شيء واحد؟ وإذا كان ذلك فلماذا التكرار والعطف يقتضي المغايرة ؟ وقد يجاب على ذلك بأن الودعة هي الخرزة الصدفية المعروفة التي تتكون في البحار ، والتيممة كل شيء يعلق من أية مادة تكون ، كقطعة خشب أو خرقة أو غيرها مما يعتقد الجهلة منفعته . وتفسير عائشة يدل على أنها كانت للحفظ من الإصابة ودفع الشر ، وليست للاستشفاء من مرض واقع .

ومهما يكن من شيء فإن اعتقاد أن هذه الأشياء تؤثر بنفسها دون توقف على إرادة الله تعالى يتنافى مع الإيمان .

ومثل التائب ما يعرف بالأحجبة ، وهي كتابات تعلق بقصد دفع الشر أو رفعه ، فإن كانت كلمات من القرآن الكريم أو ذكر الله تعالى ، مع اعتقاد أنها لا تؤثر إلا بإرادته سبحانه فلا يؤثر ذلك على الإيمان ، مع التنبيه على صيانة كلام الله تعالى من كل ما يخل بتوقيره ، ومع التوصية بطلب العلاج عند المختصين .

١ - الترغيب والترهيب : ج ٤ ص ٩٦ .

٢ - رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد جيد والحاكم وصححه .

٣ - رواه أحمد برواة ثقات .

٤ - رواه الحاكم وصححه .

وجاء في زاد المعاد لابن القيم^(١) أن جماعة من السلف أجازوا كتابة شيء من القرآن ثم إذابته بالماء و التداوي به سقياً أو غسلاً ، روي ذلك عن مجاهد ومثله عن أبي قلابة ، ويذكر عن ابن عباس أنه أمر أن يكتب لامرأة يعسر عليها ولادها أثر من القرآن ثم يغسل ويسقى .

وجاء في « الفتاوى الإسلامية »^(٢) : اختلف العلماء في جواز كتابة بعض آيات من القرآن أو أسماء لتكون تائم ، فقالت طائفة بجوازه ، ونسبوا هذا إلى عمرو ابن العاص وأبي جعفر الباقر ، رواية عن الإمام أحمد ، وقالت طائفة بمنعه لحديث أحمد « من علق تميمة . . . » وجزم كثير من العلماء بقول الطائفة الأخيرة ، لعموم هذا النص ، وسدّاً للذريعة حتى لا يكبر الصغار وهم يعتقدون أن التائم هي التي تشفي وتحفظ دون إرادة الله . ولا يحل لمسلم أن يأخذ أجراً على كتابة هذه الآيات ، وليس هناك حديث يقول « خذ من القرآن ما شئت لما شئت » .
ويراجع في ذلك تفسير القرطبي^(٣) .



س : ما حكم الدين في العدوى ؟

ج : العدوى انتقال المرض من المصاب به إلى آخر ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، وكان العرب يعتقدون أن الجسم المريض يؤثر حتماً في الجسم السليم عند وجود الفرصة ، وذلك دون حساب أو تقرير لإرادة الله تعالى .

ولما كانت العدوى حقيقة واقعة لم ينكرها الإسلام ، وإنما أنكر الاعتقاد الشائع حولها ، ولهذا جاءت نصوص تثبتها كحقيقة طيبة ، ونصوص تنفيها كمؤثر حتمي بعيد عن إرادة الله .

فمما جاء في إثباتها حديث « إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » ولما سمعه عمر بن الخطاب رضي الله

١- ج ٤ ص ١١٩ .

٢- ج ١٠ ص ٣٥٦٧ .

٣- ج ١٠ ص ٣١٨ .

عنه رجع من الشام . ولما قيل له : أفراراً من قدر الله قال ؟ : أفر من قدر الله إلى قدر الله^(١). وحديث « لا يورد ممرض على مصح »^(٢). وحديث « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد »^(٣). وعدم مبايعة النبي ﷺ لرجل مجذوم كان في وفد ثقيف^(٤) .

ومما جاء في نفي العدوى حديث « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر »^(٥).

وحديث « فمن أعدى الأول »^(٦) ؟ وذلك في معرض الحديث عن الإبل يدخل في وسطها بعير أجرب . وحديث : وضع النبي ﷺ يد مجذوم معه في الطعام وقوله : « كل باسم الله توكلأ على الله وثقة بالله »^(٧).

وقد وضع ابن القيم هذا الموضوع في كتابه « زاد المعاد » وذكر أنه لاتعارض بين الأحاديث القوية ، فالإثبات على أنها سبب عادي ، والنفي يحمل على أنها لا تؤثر بنفسها .

والهامة : طائر يزعم العرب أن عظام الميت تصير طائراً يطير من قبره ينادي بأخذ الثأر له وتقول : اسقوني اسقوني ، فإذا أخذ بثأره سكنت .

والصفر : حية في البطن تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه كما كان يزعم العرب . وقيل : أراد بالصفر الشهر الذي كانوا يؤخرون به حرمة المحرم إلى صفر .



س : ما حكم الدين في الحسد بالعين ؟

ج : الحسد بالعين حقيقة ملموسة لا ينكرها أحد . وهي ظاهرة موجودة من قديم الزمان . وإن عجز بعض الناس عن تفسيرها تفسيراً علمياً ، وقد صح عن

٢- رواه مسلم .

١- رواه البخاري .

٤- رواه مسلم .

٣- رواه البخاري تعليقاً .

٦- رواه أحمد والبيهقي والطبراني .

٥- رواه البخاري .

٧- رواه الترمذي وابن ماجه .

النبي ﷺ أنه قال : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » ^(١) .
وقد اتخذ النبي ﷺ لها إجراء وقائياً وإجراء علاجياً ، فقد ورد عن أبي سعيد أن
النبي ﷺ كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان . كما روى الترمذي وصححه أن
أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ، إن بني جعفر تصيبهم العين ، فأستترقي
لهم ؟ فقال : « نعم ، ولو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين » .

وجاء في مسند أبي داود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل
منه المعين ، وروى مالك أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل ، فقال :
والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة . قال : فلَبِطَ سهل ، فأتى رسول الله ﷺ عامراً
فتغيظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، ألا بركت ، اغتسل له » فغسل له عامر
وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله داخله إزاره في قدح ، ثم صب عليه ،
فراح مع الناس . . .

وقد ذكر ابن القيم ^(٢) ، عدة أحاديث في هذا الموضوع ، وعلق عليها بقوله : أبطلت
طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين ، وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة
لها . وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ، ومن أغلظهم حجاباً ، وأكثرهم طباعاً ،
وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها .

وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وإن
اختلفوا في سببه ووجهة تأثير العين . ثم ذكر ابن القيم وجهات نظر مختلفة
وتفسيرات لكيفية الإصابة بالعين ، منها قوله : إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية
الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين ، فيتضرر . قالوا : ولا يستنكر هذا ،
كما لا يستنكر انبعث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان فيهلك . وهذا أمر قد
اشتهر عن نوع من الأفاعي أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك ، فكذلك
العائن . ثم قال : وهو يلتقي مع قول النبي ﷺ في الأبر وذي الطفيتين من الحيات

٢- زاد المعاد ج ٣ ص ١١٦ .

١- رواه مسلم .

أنها يلتصقان البصر ويسقطان الحبل ويؤمن ابن القيم بذلك حتى قال : إن نفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى فيوصف له شيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره .

وذكر ابن القيم علاج الإصابة بالعين مستوحى من الأحاديث النبوية ، مع أدعية واردة تفيد في هذا الموضوع ، وأفاض في بيان تأثير العلاج النبوي بالاغتسال بالماء الذي اغتسل به العائن بما لا يدع مجالاً للشك في أهميته ، فارجع إليه إن شئت . هذا ، والأبحاث النفسية الحديثة لا تنكر أثر العين ، بل أثر القوى الأخرى ، وهي تثبت صدق الرسول ﷺ في قوله ، وأثر الاستعاذة والتحصن في تقوية الروح لتدفع خطر العين .



س : ما موقف الإسلام من أقوال الفلكيين في أول كل سنة عن الأحداث التي ستحصل في الكون ؟

ج : من المعروف في العقائد أن المستقبل غيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، كما قال سبحانه ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] وقال ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] .

وعلم الله يتميز بأمرين ، أولهما : الصدق واليقين بحيث لا يعتريه شك ، والثاني : الإحاطة والشمول فلا يغيب عن علمه شيء ، وكل ما ينشر عن الفلكيين أو غيرهم أكثره استنتاج وفراصة وظن وتخمين وبراعة في الربط بين حركات النجوم وتأثيرها على الجو حرارة وبرودة ورطوبة وجفافاً وعواصف وأمطاراً ، وما ينتج عن ذلك من رخاء أو قحط أو قلاقل وفتن نتيجة للحالة الاقتصادية وما تؤثر فيه من الناحية السياسية والحربية والاجتماعية وما إلى ذلك .

ولا شك أن الآثار والنتائج هي محصلة عدة عوامل يتفاعل بعضها مع بعض ،
وتنتج بشكل طبيعي نتائج مختلفة يمكن إدراكها قبل وقوعها لمن عندهم فراسة
وحسن تقدير وربط بين الأسباب والمسببات .

ومع ذلك فكله من باب الظنون التي لا يقطع بها ، فقدرة الله وإرادته في تصريف هذه
الأسباب وفي إنتاجها للمسببات فوق كل تدبير وتقدير وحساب من البشر ، قال تعالى
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [النور: ٤٣] .

وقال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ
كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١٨)
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ [الروم: ٤٨ ، ٤٩] .

فالخلاصة أن هذه التنبؤات ظنية وليست قطعية ، ومن ادعى أنها قطعية فقد
خالف قول الله في علمه للغيب ، وتعين أشخاص يموتون أو يتولون مناصب
أو يعزلون ، كل ذلك إفراط في التخمين يكذبه الواقع كثيراً ، ويبقى الأمر كله لله
وحده ، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ ^(١) يقول الدميري (٧٤٢ - ٨٠٨ هـ)
في كتابه حياة الحيوان الكبرى : روي عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا ذكر القدر
فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا » ^(٢) ، وقال « أخاف
على أمتي بعدي ثلاثاً ، حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر » ^(٣) وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البحر والبر ثم
أمسكوا .

وبين الدميري سر النهي عن ذلك بعدم فتنة الناس بالنجوم ، حتى لا يربطوا
بينها وبين الأحداث فينسوا ربهم الذي خلق كل شيء ، وبأن نتائجها ظنية لا يجوز

١ - انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيم ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨٢ - ٣٠٠ .

٢ - رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية ، وحسنه بعض أصحاب الأمامي عن ابن مسعود .

٣ - رواه ابن عبد البر وابن عساكر وهو ضعيف .

الحكم بالظن ، وبأن الاشتغال بالنجوم من هذه الناحية فضول ليست فيه فائدة تذكر ، وهناك ما هو أهم منه . هكذا يقول الدميري ، وقال كثيراً غير ذلك ^(١) ، وجاء في ذلك قول محمد بن عبدالله بن محمود الحسيني :

لا شيء أجهل ممن يدعي ثقة بحدسه ويرى فيما يرى ريباً
قد يجهل المرء ما في بيته نظراً فكيف عنه بما في عينه احتجبا
وقول سيدنا علي ، أو يوسف بن عبد البر :

أمنتحلى النجوم أحلتمونا على علم أرق من الهباء
علوم الأرض ما أحكمتموها فكيف بكم إلى علم السماء
وأنا أقول : إذا كان الاشتغال بعلم النجوم من أجل معرفة أسرار الكون وحسن استخدامها كما يحصل الآن من الجهود في غزو الفضاء - كما يعبرون - فلا بأس به ، بل الدين يشجعه مادام ذلك من أجل الخير ، أما سوء هذا العلم أو ادعاء معرفة الغيب على وجه اليقين فذلك ضلال لا يوافق عليه الدين .



س : ما حكم الدين فيما ينشر في الصحف عن أبراج المواليد وتوقعات الأحداث لهم ؟

ج : هذه التوقعات ظنون تتخلف كثيراً ، والله وحده له العلم الشامل الكامل والصادق الدقيق ، كما قال سبحانه ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وقد حذر النبي ﷺ من التصديق والتشجيع لهذه الوسائل الكاذبة لمعرفة المستقبل ، وتقدم الكلام كثيراً عن ذلك في عنوان «علم الغيب» .

وفي الحديث الذي رواه مسلم «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً» والعراف كما قال البغوي : هو الذي يدّعي معرفة الأمور

١ - حياة الحيوان الكبرى ، ج ١ ص ١٥ ، ١٦ مادة الأسد .

بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها ، وقيل : هو الكاهن الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك ، وقد جاء في الكاهن حديث « من أتى كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد »^(١) ، والذي أنزل على محمد ﷺ هو حصر علم الغيب في الله تعالى .

وما ينشر في الصحف من الطوابع وحظوظ أصحابها يطلق عليه اسم التنجيم ، وجاء فيه حديث أبي داود وابن ماجه وغيرها « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » قال الحافظ : والمنهي عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمن كمجيء المطر وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترائها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان ، وهذا علم استأثر الله به ، لا يعلمه أحد غيره ، فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم والذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى من الليل والنهار وكم بقى فإنه غير داخل في النهي .

قال العلماء : من صدق هذه الطوابع واعتقد أنها تضر وتنفع بدون إذن الله ، أو أن غير الله يعلم الغيب فهو كافر . ومن آمن بأنها ظنية ولم يعتقد أنها تضر وتنفع فهو مؤمن عاص ينقص ذلك من حسناته .

وفي ذلك يقول الحديث الذي رواه الطبراني « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ، ومن أتاه غير مصدق له لم تُقبل منه صلاة أربعين ليلة » والمداومة على قراءة هذه الطوابع قد تجر إلى أنها اطلاع حقيقي على الغيب الخاص بالله تعالى ، وهو حرام .



س : ما حكم الدين في السحر ؟

ج : يقول الله تعالى ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلَّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ ﴾

١- رواه البزار بإسناد جيد قوي .

يَبَايِلْ هَرُوتَ وَمَرْوْتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾ .

مادة السحر التي وردت في القرآن الكريم ستين مرة تعطي فيما تعطي من المعاني: الغرابة والخروج على المألوف بما يجذب الانتباه ويثير العجب ، ومنه القول المأثور : إن من البيان لسحراً ، وله أنواع وأساليب ذكرها الفخر الرازي في تفسيره .

وقد أشار القرآن الكريم إلى اشتها المصريين القدماء به ، وذكر موقفهم من دعوة موسى عليه السلام ، ومعجزة العصا التي انقلبت حية وابتلعت حبال السحرة وعصيتهم التي ينخيل لمن يراها أنها تسعى ، كما مارسه بابل القديمة حتى ضرب به المثل في كل جميل غريب فيقال : « سحر بابلي » . وعرفه العرب قبل الإسلام ، وما يزال معروفاً إلى الآن .

وتفيد الآية الكريمة المذكورة عدة أمور :

أ - أن السحر حقيقة تاريخية موجودة ، بصرف النظر عن كونه تخيلاً يجعل الإنسان ينظر إلى الشيء على غير حقيقته ، أو كونه يقلب الشيء عن حقيقته ويحوّله إلى حقيقة أخرى ، والذي يجب الإيمان به أن ما كان من انقلاب عصا موسى إلى حية ليس سحراً ، وإنما هو معجزة من صنع الله تعالى ، خرق بها العادة ، وحول حقيقة العصا الجامدة إلى حية متحركة بقدرته سبحانه ، ثم أعادها بقدرته أيضاً إلى حقيقته الأولى .

وجاء تعبير القرآن الكريم عما فعله السحرة بقوله ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] وقوله تعالى ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْنَى﴾ [طه: ٦٦] .

ب - أن للسحر تأثيراً بالنفع والضرر ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ .

ج - أن تأثيره لا يكون إلا بإذن الله ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

د - أن السحر كفر ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فما هو متعلق الكفر فيه ، هل هو تعليمه وتعلمه ، أو هو العمل به ، أو هو اعتقاد أنه يؤثر بنفسه دون تدخل إرادة الله ؟

حول هذه الأسئلة الثلاثة ثار الجدل واحتدم النقاش وتعددت الآراء وذلك مبسوط في كتب التفسير ، وعلى الأخص تفسير الفخر الرازي ، وفي كتاب الزواجر لابن حجر الهيتمي من علماء القرن العاشر ومن بين هذه الآراء يمكن اختيار ما يأتي:

- ١ - أن اعتقاد تأثيره بعيداً عن إرادة الله تعالى كفر ، وذلك محل اتفاق .
- ٢ - أن ممارسته من أجل الإضرار بالناس حرام ، حتى مع اعتقاد أنه يؤثر بإذن الله ، فالإسلام لا ضرر فيه ولا ضرار .
- ٣ - أن ممارسته لتحقيق مصلحة مع اعتقاد أنه يؤثر بإذن الله لا حرمة فيها . قال القرطبي : هل يسأل الساحر حل السحر عن المسحور ؟ قال البخاري : عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه يجوز وإليه مال المارزي ، وكرهه الحسن البصري . وقال الشعبي : لا بأس بالنشرة ، وفسرت بالرقية لعلاج المسحور^(١) .
- ٤ - أن تعلمه أو تعليمه يرجع فيه إلى المقصود منه ، فإن كان خيراً كمعرفة الفرق بينه وبين المعجزة - كما جاء في أمثلة العلماء - أو استعماله للمصلحة فلا حرمة فيه ، كنوع من الثقافة التي عبر عنها بعض الحكماء بقوله :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وإن كان المقصود من ذلك شراً فهو حرام ، فالأعمال بالنيات ولكل امرئ

ما نوى .

١ - الزواجر لابن حجر ج ٢ ص ١٠٤ .

وبهذا يفهم حديث البخاري ومسلم الذي جعل السحر من السبع الموبقات ، أي كبائر الذنوب ، والوسائل التي تستخدم في السحر يعرفها الممارسون له والخبراء به ، فقد تكون بالاستعانة بالجن ، وقد تكون بمعرفة خواص بعض الكائنات ، وقد تكون بالإيحاء والاستهواء ، وبغير ذلك ، فالوسائل إما من ذات الساحر ، وإما من غيره ، وهذا الغير إما كائن حي أو غير حي ، وقد ذكر الفخر الرازي منها ثمانية أنواع جاء فيها أنه قد يكون من أصحاب النفوس القوية بالتسلط على أصحاب النفوس الضعيفة ، وقد يكون بالاستعانة بالجن والعزائم والبخور ، وقد يكون بما يقال عنه الآن خفة اليد ، يلهي العين بعمل شيء ليعمل غيره ، وقد يكون بالفن والصنعة التي تخلب الأبواب ، - ومنه حيل التصوير السينمائي - ، وقد يكون باستعمال أدوية لها خواص معينة كالتي يدهنون بها أجسادهم فلا تحرقهم النار . .

هذا ، وقد تحدث العلماء عن الحديث الذي ورد في البخاري ومسلم أن رجلاً من بني زريق حليف لليهود اسمه لييد بن الأعصم سحر النبي ﷺ ، فأثبتته جماعة ، وقالوا : ذلك جائز ، فهو مرض من الأمراض التي تصيب الإنسان ، وهو لم يؤثر عليه من ناحية تبليغ الرسالة والتزام أحكامها ، وأولوا قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ يَعْصِيُكَ مِنْ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] بعصمة القلب والإيمان دون الجسد ، فقد شج وجهه وكسرت رباعيته وآذاه جماعة من قريش . والخصاص من أئمة الحنفية قد نفى أن يكون النبي ﷺ قد سحر ، على الرغم من صحة الحديث ، وذلك استناداً إلى الآية ، ولعدم فتح الباب للطعن فيما بلغه من الرسالة .

وقد وضع ابن القيم ذلك في كتابه : «زاد المعاد» كما وضعه النووي في شرح صحيح مسلم بما يثبت العصمة للنبي ﷺ في أمور التبليغ ، ويميز تأثيره بما يتأثر به الناس من الأمراض التي لا تخل بهذه العصمة .

وخلاصة ما في زاد المعاد^(١) : قد أنكر هذا طائفة من الناس وقالوا لا يجوز هذا عليه وظنوه نقصاً وعيباً ، وليس الأمر كما زعموا ، بل هو من جنس ما كان يعتره ﷺ

من الأسقام والأوجاع ، وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به كإصابته بالسّم لا فرق بينهما ، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سحر رسول الله ﷺ حتى إن كان ليخيل إليه أنه يأتي نساءه ولم يأتهم ، وذلك أشد ما يكون من السحر ، قال القاضي عياض : والسحر مرض من الأمراض ، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته ، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخله في شيء من صدقه ، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طروؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرض للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمور ما لاحقيقة له ، ثم ينجلي عنه كما كان . اهـ . هذا ، وقد تأثر موسى عليه السلام بما فعله السحرة ، فقال تعالى ﴿يَحْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (١٦) فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿١٧﴾ [طه : ٦٦ ، ٦٧] وليس ذلك قادحاً في رسالته عليه السلام (١) .



س : توصل بعض العلماء إلى إنزال مطر صناعي ، فهل يتنافى ذلك مع قول الله تعالى «وينزل الغيث» ؟

ج : كلنا يعلم أن تكاثف بخار الماء الموجود في السحاب أو في الجو عامة يحدث لعوامل ، فينزل المطر أو الندى ، وليس في ذلك مشاركة لقوله تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان : ٣٤] لأن تكون السحاب وامتلاء الجو ببخار الماء على هذا النطاق الواسع هو صنع الله بالوسائل التي خلقها ، فهو الخالق للبخار وحرارة الشمس والمتحكم في برودة الجو ، وكذلك في الرياح وسوقها للسحاب

١ - من أراد الاستزادة فليرجع إلى :

١ - تفسير الفخر الرازي وابن كثير والقرطبي في سورة البقرة والمعوذتين .

٢ - زاد المعاد لابن القيم .

٣ - مفتاح دار السعادة لابن القيم .

٤ - حياة الحيوان الكبرى للدميري ((مادة كلب)) ..

وبقدرته أن يتحكم فيها فلا تنتج أثراً ، كما قال سبحانه ﴿الَّذِينَ يَزِيغُ سَحَابًا مِّمَّ يُولَّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَّابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [لقمان: ٤٣] .

إن العمليات التي يحاول بها بعض الناس إسقاط المطر من السحاب لها نظائر في نطاق ضيق ، في عمليات فصل الملح عن الماء ليصير عذباً ، فهي تدور على التبخير والتكثيف ، كما يحدث في الأنبيق الذي تستخرج به العطور ، وليس عملهم هذا تدخلاً في صنع الله ، بل هو تصرف واستخدام للمادة التي خلقها الله ، ولا يمكن لأحد أن يخلق الحرارة أو البرودة أو الماء بوسائط أو مواد غير ما أوجده الله في الكون .

ومع ذلك فالمحاولات لا تغني ، لأن كثيراً من بلاد هؤلاء العلماء تشكو الجفاف وقلة الماء وهلاك الزرع والحيوان ، فلو أمكنهم التحكم في المطر والماء والرياح كما يتحكم الله ليغاثوا من القحط ما سكتوا ، فقدرة الله فوق قدرتهم ، وإرادة الله فوق إرادتهم ، كما أن مداواة المريض بمواد خلقها الله لا تبرر إسناد الشفاء الحقيقي إلى غير الله .

وإلى جانب عجزهم عن الإغاثة من القحط ، عجزوا عن دفع ما يقع من العواصف والصواعق والسيول والزلازل والبراكين على بلاد المتحضرين المزدهرين بعلومهم واختراعاتهم ، كل ذلك يزيدنا إيماناً بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر: ١٥-١٧] .



س : ما الفرق بين التوكل والتواكل ؟

ج : حقيقة التوكل من الصعب تعريفها كما تُعرف الأمور الأخرى بآلياتها ، وإنما يعرف التوكل بآثاره . كما قال العلماء في التيار الكهربائي ، وقد قال الإمام

الغزالي - وهو الفيلسوف الصوفي الفقيه الأصولي في حديث التوكل : إنه غامض من حيث العلم . ثم هو شاهد من حيث العمل ، ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد ، والتشاغل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع ، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباب تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل ، وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق مع مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر ، ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سياسة العلماء .

وقد أطال الغزالي في توضيح ذلك ، ولكن بعبارة بسيطة يمكن أن أقول : إن التوكل هو الإيمان بأن الله سبحانه هو الواحد المتفرد بالخلق ، ومنه كل النعم ، وإليه المرجع والمصير ، مع إظهار مسحة هذا الإيمان على السلوك في القول والعمل ، وامتنال أمر الله والسير على منهجه الذي أوحى به إلى الرسل .

ولو طبقنا هذا المعنى في طلب الرزق مثلاً فلا بد في التوكل من الإيمان بأن السعي والجد في العمل وحده لا يمكن أن يوصل إلى النتيجة إلا بإرادة الله سبحانه ، فقد يكون هناك سعى وجد وعمل ولا يكون من وراء ذلك تحقيق ما يريده الإنسان ، فلا بد من الأمرين : الأخذ في الأسباب ثم تفويض الأمر إلى الله سبحانه وإنفراد واحد منهما عن الآخر خطأ . فالأخذ بالأسباب دون التفويض لله يناقض الإيمان ، وربما لا يوصل إلى المطلوب ، والتفويض لله فقط دون الأخذ بالأسباب تعطيل لقانون الله وعدم امتثال لأمره بالسعي والعمل ، وهذا ما يعرف بالتواكل .

وعلى ضوء ذلك من يقتصر على الإيمان بقوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] . دون تنفيذ لقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ [الملك : ١٥] يكون مخطئاً ويطلق عليه اسم المتواكل ، يوضح ذلك ما حدث أن رجلاً ترك ناقته على باب المسجد النبوي وقال للرسول ﷺ هل أتركها بدون عقل - قيد - وأتوكل على الله ليحفظها أو أعقلها - أقيدها بالعقال ؟ فقال له «قيدها وتوكل»^(١).

١ - رواه ابن خزيمة والطبراني بإسناد جيد .

وقد يوضح هذا أيضاً قول النبي ﷺ « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » ^(١) فالطير تبارح الأعشاش لتطلب رزقها ولا تنتظر وتفتح أفواهها لينزل لها الرزق من السماء وهي راقدة في الأعشاش.

يقول أبو الفتوح الرازي ^(٢) :

توكل على الرحمن في كل حاجة ولا تترك الجفد في شدة الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه جنته ولكن كل شيء له سبب ^(٣)
والموضوع طويل يراجع في «إحياء علوم الدين» ^(٤).



س : إنسان تواكل على الله في أمر ما ولم يأخذ بما يكفي من الأسباب لكنه دعا الله بكل ما يعرف من أدعية مستجابة ليقضي الله له أمره ، لكن الله لم يوفقه في ذلك على الرغم من دعائه فلماذا ؟

ج : التوكل على الله لا يفيد إلا بعد اتخاذ الأسباب ، وبدون ذلك يكون تواكلاً وهو مذموم ، ويشير إليه قول عمر : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

والذي لا يتخذ الأسباب لا يقبل دعاؤه ، والرسول نفسه نبه بعض الصحابة إلى ذلك حيث طلب واحد منهم مرافقته في الجنة ، فقال له : « فأعني على ذلك بكثرة السجود » أي الصلاة .

١ - رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

٢ - الواعظ المفسر الفارسي المولود بالري في أواخر القرن الخامس الهجري .

٣ - مجلة الإخاء العدد ١٩٣ في إبريل ١٩٧١ م بقلم محمد علي رزم آشين .

٤ - للإمام الغزالي ، ج ٤ ص ٢١٠ .

مع العلم بأن الدعاء لا يقبل إلا بشروط ، منها طاعة الداعي لله وعدم عصيانه ، والتعفف عن أكل الحرام ، وكون الدعاء بخشوع وحضور الذهن والقلب ، على نسق ما جاء في قبول الله دعاء أيوب وذو النون وزكريا ، حيث قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ﴾ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿[الأنبياء : ٩٠] وعدم الاستعجال حيث يقول : دعوت فلم يستجب لي .

وعلى فرض أن الداعي فيه هذه المواصفات ، فإن الاستجابة تكون بصورة مختلفة ، إعطاء الداعي ما سأل أو صرف سوء عنه يكون أحسن من نيل المطلوب أو ادخار الإجابة إلى الآخرة فهي أفضل من الدنيا .

والله يختار ما هو خير للداعي المؤمن المطيع الخاشع ، فقد يكون منع الإجابة أفضل ، قال تعالى ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى : ٢٧] وفي المأثور : «إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر» .

وقد يكون عدم الاستجابة امتحاناً لإيمان الإنسان ، هل يرضى بقضاء الله ويصبر على البلاء الذي يشكو منه ، أو يجزع ويعترض ، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة : ١٥٥-١٥٧] .



س : يقول بعض الناس : إن أحسن صيغة لحمد الله هي : الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، فهل هذا صحيح ؟

ج : الحمد في اللغة هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتسجيل ، وهو في العرف يدل على تعظيم المنعم من حيث إنه منعم على الحامد وغيره ، والشكر في اللغة هو الحمد العرفي ، وفي العرف هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله ، فبين الحمد اللغوي والعرفي عموم

وخصوص من وجه ، فيجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابل نعمة ، وينفرد اللغوي فيما إذا كان باللسان لا في مقابل نعمة ، وينفرد العرفي بصدقه بغير اللسان في مقابلة نعمة ، فمورد الحمد العرفي أعم وهو اللسان والأركان أي الجوارح ، ومتعلقه أخص وهو كونه في مقابلة نعمة - والحمد اللغوي عكسه ، والحمد اللغوي مع الشكر اللغوي كذلك ، إذ الشكر اللغوي هو الحمد العرفي كما علم .

إن حمد الله وشكره باللسان يحصل بأية صيغة ، وهو مندوب إليه ، وجاءت في فضله أحاديث منها : ما رواه أصحاب السنن عن رفاعه بن رافع رضي الله عنه قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فعطست فقلت : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى فلما صلى رسول الله ﷺ قال : « من المتكلم في الصلاة ؟ فلم يجبه أحد ، ثم قالها الثانية « من المتكلم في الصلاة » ؟ فقال رفاعه ابن رافع : أنا يا رسول الله ، قال « كيف قلت ؟ » قال : قلت : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، فقال « والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكاً أيهم يصعدها »^(١) . وفي رواية أبي داود أن الرسول قال له « ما تنهت دون عرش الرحمن جل ذكره » وفي مسند أحمد أن الرسول قال له « لقد فتحت لها أبواب السماء فلم ينهها شيء دون العرش » .

يقول السفاريني^(٢) ، إن بعض الناس ذكر أن أفضل صيغ الحمد : الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده . وأن ابن القيم أنكر على قائله غاية الإنكار لأنه لم يرد في الصحاح ولا السنن ولا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة ولا له إسناد معروف ، وإنما يروى عن أبي نصر التمار عن سيدنا آدم أبي البشر عليه الصلاة والسلام ، قال : ولا يدري كم بين آدم وأبي نصر إلا الله تعالى . قال أبو نصر : قال آدم : يا رب شغلتنني بكسب يدي ، فعلمني شيئاً من مجامع الحمد والتسبيح ، فأوحى الله إليه : يا آدم ، إذا أصبحت فقل ثلاثاً ، وإذا أمسيت

١ - قال الترمذي : حديث حسن .

٢ - غذاء الألباب ج ١ ص ١١ .

فقل ثلاثاً « الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده » فذلك مجامع الحمد والتسبيح . قال ابن القيم : فهذا لو رواه أبو نصر التمار عن سيدنا آدم ﷺ لما قبلت روايته ، لانقطاع الحديث فيما بينه وبين رسول الله ﷺ ، فكيف بروايته له عن آدم .

قال : وبني على ذلك بعض الناس مسألة فقهية فقال : لو حلف إنسان ليحمد الله تعالى بمجامع الحمد وأجل المحامد فطريقه في برِّ يمينه أن يقول الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده .

وردَّ هذا بما يطول ، والحاصل أن العبد لا يحصى ثناء على ربه ولو اجتهد في الثناء طول عمره .

ثم ذكر أن الإمام أحمد بن حنبل روى في الزهد عن الحسن قال : قال داود : إلهي لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبحانك الليل والنهار والدرهم كله ما قضيت حق نعمة واحدة . وروى فيه أيضاً عن المغيرة بن عتبة قال : لما أنزل الله على داود ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] قال : يا رب كيف أطيق شكرك وأنت الذي تنعم عليّ ترزقني على النعمة الشكر ثم تزيدني نعمة بعد نعمة ، فالنعمة منك يا رب فكيف أطيق شكرك ؟ قال : الآن عرفتني يا داود .



س : لماذا خلق الله الدنيا ؟

ج : الدنيا جزء من العالم الذي خلقه الله ، والعالم كل ما سوى الله من حيوان ونبات وجماد ، وملائكة وأرواح وجنة ونار ، وغير ذلك وهذا الخلق أثر من آثار صفاته التي تحقق له الألوهية ، خلقه بقدرته وإرادته وأبدعه بعلمه وبحكمته ، وبسط سلطانه عليه بالأمر والنهي والثواب والعقاب . ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] .

والدنيا هي الحياة الأولى قبل الحياة الآخرة ، وهي حياة فانية كما قال سبحانه عندما أهبط آدم إلى الأرض ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

وَمَتَّعْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ [الأعراف: ٢٤] وهي دنيا في المكانة والمنزلة بالنسبة للآخرى التي فيها النعيم الدائم الخالد للمؤمنين ، والعذاب الدائم الخالد للكافرين . ﴿قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧] والدنيا مزرعة للآخرة ، وهي دار تكليف يجازى على العمل فيها بالثواب والعقاب ، وهي ليست مذمومة على كل حال إلا فيما نهى الله عنه كما في الحديث « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم »^(١).

وفي كلام الإمام علي : « الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ، مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة »^(٢).

هذا بعض تفسير للسّر في خلق الله للدنيا ، وهو سبحانه أعلم بالحقيقة ولا معنى للانشغال بذلك فالمهم هو العمل الصالح فيها لنسعد به في حياتنا الآخرة التي هي المصير الحتمي لكل من يعيش في هذا العالم .



س : ما رأي الدين في النظرية التي تقول : إن الإنسان أصله قرد ترقى وتطور حتى صار على الشكل الذي نعرفه الآن؟

ج : في القرن التاسع عشر الميلادي ، الذي ظهرت فيه نزعة الثورة على الكنيسة والأفكار والآراء الدينية السائدة ، برز جماعة منهم « لا مارك » الفرنسي المتوفى سنة ١٨٢٩ م « واغوست ايرينوس » المتوفى سنة ١٩٢٧ م و « تشارلس دارون » الإنجليزي المتوفى سنة ١٨٨٢ م والذي أثار ضجة في العالم عندما ظهر كتابه « أصل الأنواع » سنة ١٨٥٩ م وكتابه « تسلسل الأنواع » سنة ١٨٧١ م ، وهو يشتمل على ثلاث مسائل :

١ - رواه الترمذي وغيره وقال حسن صحيح .
٢ - انظر المحاسن والمساوي للبيهقي ج ٢ ص ٤٤ .

أ - أن طريق حدوث تنوعات العالم هو النشوء ، أي أن أجزاء الأثير تكون منها السديم ثم الشمس ، ثم انفصلت عنها الكواكب ، ومنه أرضنا ، ثم تكونت العناصر ثم المعادن ثم المكون الأول الحي « البروتوبلازم » الذي أخذ في التوالد والترقي حتى بلغ أدنى نبات أو حيوان ، ولم يزل هذان يترقيان بالنواميس الأربعة « التباينات ، الوراثة ، تنازع البقاء ، الانتخاب الطبيعي » ويشتق من الأنواع أنواع حتى تكونت جميع الأنواع التي نراها اليوم .

ب - أن الإنسان ما هو إلا حيوان من جملة الحيوانات ، حادث بطريق النشوء والارتقاء ، وأنه لمشابهته القرد لا يمنع أن يكون قد اشتق هو وإياه من أصل واحد .

ج - أن الحياة وعقل الإنسان ما هما إلا ظاهرتان من ظواهر تفاعل أجزاء المادة ، وإن يكن أصل المادة خالياً من الحياة والإدراك ، وأن عقل الإنسان لا يختلف عن عقول الحيوانات إلا بالكم ، ولا يخالفها في الذات والحقيقة .

إن هذه الدعاوي لم يستطع « دارون » ومن ساروا في ركابه أن يبرهنوا عليها بالأدلة الكافية ، فهي ما تزال افتراضات قابلة للصدق والكذب ، وأكثر اعتمادهم في ذلك على تطوير نوع من الزهور والنباتات ، غيَّروا شكلها ولم يغيروا جوهرها ، ولم ينجحوا في شيء من عالم الحيوان ، ولكنهم قالوا : يجوز أن يكون الإنسان متطوراً عن حيوان قبله وهو القرد .

ويشرح (لا مارك) ذلك بقوله : إن الكائن الحي يشعر من تغير الأحوال عليه بضرورة حدوث عضو جديد له ، فيفعل للحصول على ذلك ، فيحدث في آحاده يسيراً يسيراً ، كالزرافة ، فقد كان في زعمه - كسائر الحيوانات - ذات عنق قصير ، ولكنها لما احتاجت إلى أكل الأشجار العالية صارت تتفعل لذلك وتشرب لتنال الورق العالي ، فطالت عنقها يسيراً يسيراً ، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن ، فالحاجة هي التي تنشئ الأعضاء الجديدة عند لا مارك ولكن دارون يقول : إن الصدفة أو الاتفاق هو الذي ينشئها .

لقد قام جماعة من المفكرين بالرد على نظرية دارون فقال « س . فان هو
فسفيلت » إن النتائج التي وصل إليها الباحثون في الأحياء المتحجرة لم تساعد على
إقامة أي دليل على التسلسل أو التطور التدريجي بل ثبت على عكس ذلك أن
الفروق الدقيقة بين صفوف الأجناس التي نعرفها بقيت على الدوام فاعرة ولم
تتلاش أو تقرب من ذلك .

وقال « جوستاف جوليه » الأستاذ في السوربون : إن العقبات التي يرتطم بها
مذهب النشوء والارتقاء تنحصر في خمسة أمور :

أ - أن العوامل التي يقوم عليها هذا المذهب قد ظهر عجزها في تعليل أصل
الأنواع .

ب - تبين عدم كفايتها لتعليل وجود الحشرات .

ج - تبين عدم غنائها في تفسير التحولات الفجائية المولدة لأنواع جديدة .

د - اتضح قصورها عن تعليل تولد طبائع الأنواع الجديدة وثبوتها نهائياً ، وقد ثبت
أنها متى تولدت فيها بسرعة تبقى لا تتغير .

هـ - ثبت عجزها عن تفسير عوامل التطور الذي تدخل فيه الكائنات فتحولها من
حالة ساذجة إلى حالة مركبة ، وتدفعها من النقص إلى الكمال .

هذه هي نظرية دارون الافتراضية : وذلك بعض ما ردّها به علماءهم ، أما رأي
الدين فيها فيتضح مما يلي :

١ - قولهم إن المخلوقات خلقت عشوائياً بغير تدبير سابق وعلم محكم يرده قول
الله سبحانه ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] وقوله ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِي وَابْتَنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَزْجُونٍ ﴾ [الحجر : ١٩] .

٢ - قولهم إن الإنسان ليس له خالق ، يرده قول الله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ
فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [النحل : ٤] وقوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِـ

نَفْسُهُ ﴿ق: ١٦﴾ وقوله ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١] وغير ذلك من الآيات الكثيرة .

٣- قولهم إن البقاء للأقوى والكوارث هي سبب هلاك المخلوقات الضعيفة ، مردود بأن الله يهلك الأقوياء كما يهلك الضعفاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٠] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتُغْلُوبٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُورُ إِلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٢] .

٤- ادعائهم معرفة كيف نشأت الأحياء على الأرض ، يرده قول الله تعالى : ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] .

٥- ادعائهم أن الطيور والحشرات لا تفهم يرده قول الله سبحانه ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْ مَطِيقِ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] .

٦- ادعائهم أن الطير أقل تطوراً من الثدييات والإنسان يرده قول الله تعالى ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١] .

٧- زعمهم أن الإنسان متطور عن كائنات حية سابقة يرده قول الله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④﴾ [الرحمن: ١-٤] وقوله ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] وحديث « إن الله خلق آدم على صورته » رواه البخاري ومسلم .

٨- ادعائهم أن القرآن يقر نظرية التطور ، كقوله تعالى ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] مردود بأن الأطوار في الآية ليست التطور الذي يزعمون فالمعنى أن الإنسان خلق على النحو الذي قال فيه رب العزة ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ⑫ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ⑬ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ⑭﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] .

٩ - قولهم إن الموت يأتي صدفة للضعيف ويترك القوي ليتطور ، يرده قول الله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢٠] وقوله ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا فَأَخْيَعَكُمُ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] .

هذا بعض ما تفند به نظرية دارون ^(١) .



س : ما حساب الذين ماتوا قبل الإسلام ، هي يدخلون الجنة أم يدخلون النار؟

ج : أهل الفترة هم الذين لم يروا نبياً سابقاً ولا نبياً لاحقاً ، عاشوا وماتوا في فترة ليس فيها نبي ، ومنهم العرب الذين ماتوا قبل بعثة النبي ﷺ حيث لم يأتيهم نبي بعد إسماعيل فمن آمن من هؤلاء بالرسول الذين أرسلوا إليهم فهم في الجنة ، ومن لم يؤمن فهو في النار ، وهناك جماعة لم تبلغهم دعوة أي نبي من الأنبياء ، وقد اختلف فيهم العلماء ، فقال بعضهم ، كان الواجب عليهم أن يعرفوا ربهم بعقولهم عن طريق النظر في مخلوقاته ليؤمنوا به ، فمن توصل منه إلى معرفته وآمن به نجا ، ومن لم يفعل ذلك فهو في النار .

وقال آخرون : لا يكلف هؤلاء بالإيمان إلا بحسب شرع يأتي إليهم ، فإذا لم يحن فلا مسئولية عليهم ، قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] .
وحجة كل فريق مبسوبة في الكتب المتخصصة ^(٢) .

ومهما يكن من شيء فإن معرفة ذلك ليست فرضاً علينا ، وليست عقيدة نسأل عنها ، والبحث شهوة عقلية لا تغير من واقع هؤلاء الناس شيئاً ، فربهم أعلم بهم وقد أقضوا إليه بما قدموا .



١ - يمكن الرجوع إلى مجلة الأزهر ، المجلد الثاني ص ٧٤٩ ، وكتابي دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة ومجلة الهداية التي تصدر في البحرين عدد مارس ١٩٩٣ م ، وكتاب الجواب الإلهي أو الإسلام أمام العلم والفلسفة للشيخ نديم الجسر .

٢ - راجع كتاب : الملل والنحل للشهرستاني ، المواهب للقسطلاني مع شرح الزرقاني ، وسترى الحديث عن أبيي النبي ﷺ له نصيب كبير من البحث .

س : أ - ما حكم الذي ينشأ في مجتمع كافر ولم تبلغه الدعوة الإسلامية ، ولم يسمع عن شيء اسمه الإسلام ، أو بلغه الإسلام ولكن بصورة مشوهة ثم مات ولم يسلم ؟

ب - ما حكم الذي يعيش في مجتمع مسلم ، ولكنه لا يعمل بالإسلام ، أو يعمل بخلاف ما يريده الإسلام من الاعتقادات ، وذلك عن جهل ولم يجد من يعرفه الإسلام الصحيح ، وما حكم إرثه ؟

ج : لقد تحدث العلماء عمن لم تبلغهم الدعوة وعن الذين لم يدركوا نبياً سابقاً أو لاحقاً وهم أهل الفترة ، وأظن في بيان حكمهم كثيرون من العلماء كإمام الحرمين في البرهان والغزالي في المستصفى والمنخول والرازي في المحصول والباقلاني في التقريب وغيرهم .

وتناول حكمهم رجال الفقه والأصول والكلام ، بناء على القاعدة الأساسية في الحسن والقبح هل هما عقليان أم شرعيان ، كما تحدثوا عن المؤاخذة وعدمها هل هي في الدنيا فقط أم الدنيا والآخرة إلى آخر ما تحدثوا فيه . ومما استشهدوا به قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد الرسالة إليهم ، كما قال الجمهور ، وقالت فرقة : هذا عامٌّ في الدنيا والآخرة لقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَا آلَ دَاوُدَ نَذِيرٌ ۖ ﴾ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ﴾ [الملك : ٨ ، ٩] .

وورد في أهل الفترة أحاديث في أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة ، والصحيح من هذه الأحاديث ثلاثة .

إن الذي لم تبلغه الدعوة في عصرنا هذا أمثال سكان الكهوف والأدغال والجزر النائية الذين لا يعرفون وسائل الاتصال بالعالم من حولهم ، وهم قلة في هذا الزمان الذي كثرت فيه وسائل الاتصال السلوكية واللاسلكية وغيرها ، وكثرت الرحلات وتنافس الاستعمار في استغلال مناطق الأرض .

ومن سمع بأن هناك رسولاً جاء بدين اسمه الإسلام وجب عليه أن يبحث عنه إن استطاع ، فإن لم يسمع أو سمع ولم يستطع البحث كان معذوراً كما قال العلماء .

وقد اشترط العلماء في لزوم الدعوة لمن بلغتهم أن تبلغهم صحيحة غير مشوهة ، فإذا وصلت مشوهة كانوا معذورين في عدم الإتيان بها ، وقد نص على ذلك الإمام الغزالي في كتابه « فيصل التفرقة » فبعد أن ذكر أن أكثر النصارى من الروم والترك في زمانه ناجون لعدم بلوغ الدعوة إليهم ، قال : بل أقول : حتى الذين بلغتهم دعوة الرسول ﷺ مشوهة فعلمهم أهلوه من الصبا أن كذاباً مدلساً اسمه محمد ادعى النبوة كذباً فهوؤلاء عندي كالصنف الأول ، أي ناجون ، وأما سائر الأمم الذين كذبوا الرسول ﷺ بعد علمهم بالتواتر ظهوره وصفاته ومعجزاته الخارقة ، وعلى رأسها القرآن ، وأعرضوا عنه ولم ينظروا فيما جاء فيه فهم كفار . اهـ ملخصاً .

وعلى هذا نقول : إن من لم تبلغه الدعوة أصلاً ، أو بلغته مشوهة أو بلغته صحيحة ولم يقصر في البحث والتحري فهو معذور ، أي يرجى له عدم الخلود في النار .

أما المسلم الذي يعيش بين المسلمين ولا يعمل بالإسلام لجهله فله حالتان :

الأولى : جهله بالعقيدة كوحداية الله والبعث ، أو جهله بما يعلم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والصوم وحرمة القتل والخمر ، وهذا لا يعذر في جهله ، فلو ترك شيئاً مما وجب عليه أو ارتكب محرماً إن كان منكراً جاحداً فهو كافر ، وإن كان غير منكر ولكنه متكاسل مثلاً فهو غير كافر ، بل مؤمن عاص .

ومن حكم بكفره انقطع التوارث بينه وبين غيره من المسلمين إذا مات على ذلك ، أما العاصي فإن تاب يرجى له المغفرة ، وإن مات ولم يتب فأمره مفوض إلى ربه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] .

أما من قصر في غير ما علم من الدين بالضرورة لجهله به ، وذلك كالمسائل
الفرعية في الفقه وبخاصة الدقيقة منها فهو معذور ، وعليه أن يسعى ليتعلم .
والحاصل أن الجهل نوعان : جهل لا يعذر به المسلم الذي نشأ في مجتمع مسلم ،
وجهل يعذر به ، الأول كالجهل بالأركان الأساسية للدين ، والثاني كالجهل
بالفروع التي تكون محلاً لاختلاف الآراء ، ومنكر الأمور الأساسية كافر ، والمقصر
فيها دون إنكار مؤمن عاص ، ومنكر الأمور الثانية أو المقصر فيها معذور . والله
أعلم .



الملائكة

س : عرفنا أن الله سبحانه قال: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] فهل هناك تفضيل لبعض الملائكة على بعض؟

ج : ذكر القسطلاني^(١)، أن الملائكة بعضهم أفضل من بعض وأن أفضلهم جبريل الروح الأمين المزكى من رب العالمين ، المقول فيه من ذي العزة ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير : ١٩-٢١] فوصفه بسبع صفات ، فهو أفضل الملائكة الثلاثة الذين هم أفضل الملائكة على الإطلاق ، وهم ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل . انتهى .

وجاء في شرح المواهب للزرقاني^(٢)، أن أعلى الملائكة درجة : حملة العرش الحافون حوله ، فأكابرهم أربعة ، فملائكة الجنة والنار فالموكلون ببني آدم ، فالموكلون بأطراف هذا العالم ، كذا ذكره الرازي . انتهى .

وإذا كان جبريل أفضل الملائكة الموكلين ببني آدم ، لما سبق من وصف الله له في القرآن ، فإن هناك خلافاً في التفاضل بينه وبين إسرافيل ، ولم يصح في ذلك شيء كما قال السيوطي في «الحباثك» والآثار متعارضة ، وذكر الزرقاني روايات متعددة رأيت الإعراض عنها لعدم جدواها في حياتنا العملية ، ولسنا مكلفين باعتقاد ذلك ، ومن كان عنده نهم للمعرفة فليرجع إليه .



س : هل الملائكة أفضل من البشر ، أم البشر أفضل منهم لأنهم أمروا بالسجود لأبيهم آدم ؟

ج : يقول الله سبحانه ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾

[الحج : ٧٥]

١- المواهب اللدنية ج ٢ ص ٤٦ . ٢- ج ٦ ص ١٤٤ .

تدل الآية على أن الملائكة والناس يصطفي الله منهم رسلاً ، لكن هل الاصطفاء بصورة واحدة وعلى مستوى واحد ، أم أن هناك امتيازاً لنوع منهما على نوع آخر؟ ليس في ذلك نص من قرآن أو سنة صحيحة ، والخوض في ذلك قد يؤدي إلى تنقيص بعضهم أو الغرض منه ، ولا توجد له أهمية بالنسبة لحياتنا العملية ، لكن العلماء القدامى أثاروا هذه المسألة وهذا طرف من ذلك :

ذكر القسطلاني ^(١) ، أن هناك اختلافاً في التفاضل بين الملائكة والبشر ، فقال جمهور أهل السنة والجماعة : خواص بني آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون (الكروبيون ملائكة العذاب والروحانيون ملائكة الرحمة في بعض الأقوال) .

وخواص الملائكة أفضل من عوام بني آدم وهم من عدا الأنبياء من الصالحين . وذلك بالإجماع كما قال التفتازاني بل بالضرورة ، وعوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة ، ولذلك عدة مبررات : منها ، أن مجموع الملائكة أمروا بالسجود لمجموع البشر الممثلين في آدم ، والمسجود له أفضل من الساجد ، فإذا ثبت تفضيل الخواص من البشر وهم الأنبياء على الخواص من الملائكة بالسجود لآدم ثبت تفضيل العوام على العوام .

فعوام الملائكة خدم عمال الخير وهم صلحاء المؤمنين ، والمخدوم له فضل على الخادم ، ومنها أن المؤمنين ركب فيهم الهوى والعقل مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته ، والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى أي الشهوة ولا سبيل للشيطان عليهم ، فالإنسان - كما قاله التفتازاني في شرح العقائد النسفية - يحصل الفوائد والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة وشواغل الأمور الضرورية عن اكتساب الكمالات . ولا شك أن العبادة واكتساب الكمالات مع الشواغل والصوارف أشق وأدخل في الإخلاص فيكون الإنسان أفضل .

١ - المواهب اللدنية ج ٢ ص ٤٥ .

وذهب المعتزلة والفلاسفة وبعض الأشاعرة من أهل السنة إلى تفضيل الملائكة ، وتمسكوا بنحو عشرين وجهاً ، ذكر القسطلاني منها أربعة لا داعي لذكرها ، فهي ترف عقلي لمن أراد ، فليرجع إليه ، وقد وضع هذه النقطة أيضاً القرطبي في تفسيره ^(١) ، قائلاً : وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه المسألة إلى القطع ، وقد تحاشى قوم من الكلام في هذا ، كما تحاشوا من الكلام في تفضيل بعض الأنبياء على بعض ، إذ في الخبر « لا تخايروا بين الأنبياء ، ولا تفضلوني على يونس بن متى » وهذا ليس بشيء لوجود نص في القرآن في التفضيل بين الأنبياء .

ولعل النهي عن التفضيل يقصد به ما يثير فتنة وتعصباً ، فالملقوع به تفضيل الرسول محمد ﷺ . حتى على الملائكة كما قاله المحققون .



س : هل صحيح أن هاروت وماروت كانا من الملائكة وعاقبهما الله على معصيته؟

ج : قال تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا مَا نُنَزِّلُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوْتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

جاء في كتب التفسير أنها ملكان هبطا إلى الأرض وفتنا ، فعاقبهما الله بتعليقهما من أرجلهما ، وكلام المفسرين - على جلاله قدرتهم - ليس حجة في هذا المقام ، فهو منقول عن تراث البابليين وشروح اليهود وكتب النصراني ، وأقرب الأقوال عنهما أن الناس كانوا قد فتنوا بالسحرة حتى رفعوهم إلى مقام الأنبياء ، فأنزل الله ملكين يعلمان الناس السحر ، ليفرقوا بينه وبين النبوة ، ويحذروهم من الفتنة به وبهما .

أو أنها شخصان كانا يتمتعان بمنزلة كبيرة في العلم والسلوك ، فتن الناس بهما ، فأطلقوا عليهما اسم الملكين ، من باب التشبيه والمجاز ، وهو إطلاق معروف قديماً وحديثاً ، حيث يطلق الآن على الشخص الممتاز اسم «ملاك» . وفي الأساطير البابلية شخصان باسمين مقارين لهاروت وماروت ، أعجب الناس بهما فأطلقوا عليهما اسم ملكين ، بل زاد الإعجاب بهما فاعتقدوا أنهما من الآلهة ، وقد أقبل اليهود على تعلم ما تركاه من حكمة وسحر ، وشغلوا به عن كتاب الله الذي نبذوه وراء ظهورهم .

هذا ، ولا يجوز أن نلغى إلى ما يقال عن الملائكة مما يتنافى مع عصمتهم ، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، قال تعالى ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (١٦) لَا يَسْخَرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ لَغْمُونَ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧] وقال ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٨) يُسَخَّرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْقُرُونَ ﴿١٩﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠] .



س : هل إبليس من الملائكة لأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فلم يسجد ، أو هو من الجن؟

ج : معرفة جنس إبليس متوقفة على الخلاف في كونه من الملائكة أو لا ، وهو قبل معصيته لأمر الله لا يعرف حاله بطريق ثابت ، وكل ما قيل في ذلك منسوب إلى بعض الصحابة . أما بعد الإخبار عن معصيته ففي معرفة جنسه رأيان .

الرأي الأول : أنه من الملائكة ، واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها :

أ - ظاهر الاستثناء في قوله تعالى ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وهو استثناء مفصل يدل على أنه من الملائكة .

ب- أنه لو لم يكن من الملائكة ما كان أمر الله لهم بالسجود متناولاً له ، ولو لم يكن متناولاً له استحال أن يكون تركه للسجود إباء معصية ، ولما استحق العذاب ، وحيث حصل ذلك علمنا أن الخطاب بالسجود يتناوله ، فهو من الملائكة .

والرأي الثاني : أنه ليس من الملائكة ، واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها :

أ - قوله تعالى ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [الكهف : ٥٠] .

ب - أن الملائكة معصومون من العصيان لقوله تعالى ﴿ عَلَيْنَا مَلَكُوتُ غَلَظٍ شَدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم : ٦] وإبليس عصى واستكبر عن السجود فهو ليس من الملائكة .

وأدلة الطرفين محتملة ، ومناقشة وبيان ذلك باختصار :

١ - أن الاستثناء قد يكون منقطعاً فالمستثنى إبليس وليس من جنس المستثنى منه وهم الملائكة .

٢ - أن الأمر بالسجود أصلاً هو للملائكة ، وإبليس ملصق بهم لكثرة عبادته ، فلا يوجه إليه أمر خاص ، لأن الأمر العام يكون للكثرة الغالبة .

٣ - كون إبليس من الجن قد يراد به أنه من العالم المستتر ، والملائكة من العالم المستتر أيضاً ، قال تعالى ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] حيث قال الكفار : الملائكة بنات الله .

والدليل الذي جيء به لإثبات أنه ليس من الملائكة بأنهم معصومون ، وإبليس أخطأ دليل قوي ، فإن الثابت أن الجن منهم مؤمنون ومنهم كافرون ، والآيات في ذلك كثيرة وليس من الملائكة كافرون .

ومن أجل أن أغلب أدلة الطرفين مناقشة فلا يمكن القطع برأي في الموضوع ، ولهذا قيل : إن إبليس ليس من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق مفرد من نار ، وإبليس يطلق عليه شيطان ، لأن الشياطين هم شرار الجن . فإن منهم أخياراً ، كما يطلق لفظ الشيطان على من تمرد من الإنس والجن والدواب ^(١) .



١ - ومن أراد تفصيلاً أوضح فليرجع إلى كتاب ((آكام المرجان)) للمحدث الشبلي ، وإلى مجلة الأزهر - المجلد الثامن ص ٥٦٦ وما بعدها ، وإلى بحث الجن في هذه الفتاوى .

س : قرأنا في الصحف أن هناك محاولة لقياس سرعة الملائكة بسرعة الضوء
والسرعات المعروفة لنا ، فهل يصح هذا أم لا يصح ؟

ج : الإسلام حث على النظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض ، وشجع
على ذلك تشجيعاً ورد في كثير من آيات القرآن الكريم ، وذكر الحكمة منه بأن فيه
آيات وعلامات لذوي العقول النيرة يدركون بها من أسرار الكون ما يحملهم على
الإيمان بخالقه ، أو تعميق الإيمان به لمن سبق له الإيمان كما أن من أهداف الحث على
النظر الشامل : الانتفاع بما سخر الله في الكون انتفاعاً يساعد على أداء رسالة
الإنسان في الحياة وتحقيق الخلافة في الأرض .

غير أن عقل الإنسان له حدود لا يستطيع معها أن يدرك كل الأسرار ، وحواسه
التي تقدم له التصورات مجالاتها محدودة كما ثبت علمياً ، وبالتالي تكون النتائج
والمعطيات العقلية محدودة أيضاً ، وهناك من الأمور الغيبية التي يتوقف العلم بها
على الخبر الصادق من الرسل المبلغين عن الله ما لا مجال للعقل فيه ، ضرورة أنه
لا يدرك بالحواس ، والخبر إذا صدق كان مجال العقل فيه بعيداً عن النفي
والإثبات ، وإن كانت له صولات وجولات في بيان حكمته مثلاً . وعلى فرض
عدم وصوله إلى إدراك الحكمة فإن ذلك لا يؤثر على وجوده ، فلا تلازم بينهما .

والملائكة من عالم الغيب الذي يجب الإيمان به كما ورد وفي هذا النطاق
فحسب ، وللملائكة خواص ليست للبشر ولا للعالم المادي المعروف ، ﴿ جَاعِلِ
الْمَلٰٓئِكَةَ رُسُلًا اُولٰٓئِكَ اَبْجِنَمَ مَتْنٰی وَتِلْكَ وَرُبِعَ ﴾ [فاطر: ١] ﴿ عَلَيْنَا مَلٰٓئِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا
يَعْصُونَ اللّٰهَ مَآ اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِيْهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿ ١١ ﴾ يُسَبِّحُونَ اَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠] ﴿ تَعْرِجُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَالرُّوْحُ اِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ اَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] إلى
غير ذلك من النصوص الواردة في القرآن والسنة .

وما دامت لهم خواص غير خواص سائر المخلوقات ، فإن محاولة قياس
أحوالهم في السرعة وغيرها على السرعة المعروفة لنا محاولة غير كافية للوصول إلى
نتيجة صحيحة ، ذلك لأن القياس ، كما هو معروف ، قياس مع الفارق .

وما تصل إليه هذه الأبحاث لا يلزمنا تصديقها فهي لم تصل بعد إلى درجة الحقائق العلمية المسلمة ، والفروض والظنون لا يجوز أبداً أن نحمل عليها آيات القرآن ، أو نفسرها على ضوءها .

ونحث الباحثين - مع تسليمنا بموقف الإسلام من النظر في الكون وهو التشجيع - على أن يكون نشاطهم في النطاق الذي يمس مشاكلنا مساً قوياً في المجال الفكري والاجتماعي والأخلاقي الذي نصل به إلى المستوى اللائق بنا ، وإذا صدقت النية في البحث كانت معونة الله بالتوفيق .



س : هل ترى الملائكة ربنا سبحانه ؟

ج : لم أعر على نص يفيد أن الملائكة ترى الله سبحانه ، وهي دائماً في طاعة ، ودوام الطاعة لا يستلزم الرؤية .

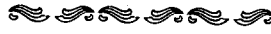


س : هل صحيح أن جبريل عليه السلام استحيا من السيدة خديجة ولم ينزل على الرسول ﷺ بالوحي بسبب ذلك ؟

ج : جاء في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني^(١) ، أن أبا نعيم روى في كتاب «الدلائل» بسند ضعيف عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ جالساً مع خديجة إذ رأى شخصاً بين السماء والأرض فقالت له خديجة : أدنُ ، فدنا منها ، فقالت : تراه ؟ قال «نعم» قالت : أدخل رأسك تحت درعي ، ففعل ، فقالت : تراه ؟ قال «لا» قالت : أبشر ، هذا ملكٌ ، لو كان شيطاناً لما استحيا . ثم رآه بأجساد فنزل إليه وبسط له بساطاً وبحث في الأرض ، فنبع الماء ، فعلمه جبريل كيف يتوضأ ، فتوضأ وصلى ركعتين نحو الكعبة ، وبشّره بنبوته ، وعلمه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق : ١] ثم انصرف . فلم يمرَّ على شجر ولا حجر إلا قال : سلام عليك يا رسول الله .

فجاء إلى خديجة فأخبرها ، فقالت : أرني كيف أراك؟ فأراها فتوضأت كما توضأ ثم صلت معه وقالت : أشهد أنك رسول الله . انتهى .

بهذه المناسبة هل نزل جبريل على الخضر ؟ هناك خلاف في كونه نبياً أو ولياً ، وإذا كان نبياً فهل نزل عليه كتاب ؟ لا يلزم من النبوة نزول كتاب ، بل بعض الرسل من بني إسرائيل لم يرد نص في نزول كتاب عليهم ، بل كانوا يعملون بما سبق نزوله على غيرهم .



س : ما رأي الدين في بعض الرسوم الكاريكاتيرية التي تظهر في الصحف ويسخر فيها أصحابها من عالم الآخرة ، حيث يصورون ملائكة الرحمة أو زبانية الجحيم في صورة مهرجين أو مستهترين ؟

ج : الملائكة أجسام نورانية قادرون على التشكل بالأشكال الحسنة المختلفة ، وصفهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأنهم مطهرون كرام بررة ، عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، أي لا يتعبون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وناط بهم أعمالاً في مملكته الواسعة ، يؤدونها بأمانة وصدق كما أمرهم الله سبحانه ، وكما تقضي به طبيعتهم الخيرة التي لا تعرف الشر ، ولا العصيان . وقد أمرنا الله سبحانه أن نؤمن بهم على هذه الصورة الكريمة كما أمرنا أن نؤمن برسله وكتبه ، وحرم الاستهزاء والاستخفاف بهم أو تحقيرهم بأية صورة من الصور كما حرم ذلك بالنسبة للرسل ، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٩٨] وقد كان اليهود يَعدُّون جبريل عليه السلام عدوًّا لأنه ينزل بالوحي الذي يفضح أحوالهم ، وبما يتعارض مع مصالحهم كما يتصورون .

ومن هنا يحرم أي شيء لا يصور الملائكة بصورتهم التي صورها القرآن الكريم ، سواء أكان ذلك قولاً أو فعلاً : برسم أو تمثيل أو كلام أو غيره ، فذلك كذب لأنه

لا يمثل الحقيقة ، والكذب حرام ، كما حرم الكذب على الرسل الذي جاء فيه الحديث المتفق عليه « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وهو وإن كان في شأن النبي ﷺ فهو يشمل كل الرسل ﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] بل الكذب حرام حتى على غيرهم ممن ليست لهم مكانتهم العالية ومنزلتهم الرفيعة.

كما يحرم الاستهزاء والاستخفاف بالملائكة وكل من لهم قداسة وتقدير ، فإن ذلك يؤدي إلى الكفر ، لمنافاته لتشريف الله لهم بأنهم عباد مكرمون ، ويقول سبحانه ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] .

وإذا فقدنا ثقتنا بهذه الصفوة الممتازة من خلق الله فبمن نثق بعد ذلك وهم ليسوا في درجتهم ، إن مثل هذه الاستهانة بالملائكة والرسل وكرام الناس من الأولياء والعلماء الذين جعل الله لهم البشرية في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وقال فيهم ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١] .

إن هذه الاستهانة مدرجة إلى التحلل من كل القيم الرفيعة ، والواجب علينا جميعاً أن نقف بحزم وشدة أمام هذا التسبب في العقيدة والأخلاق ، ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُغِيْبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥] .



س : عندما أخبر الله سبحانه الملائكة بأنه سيخلق بشراً قالوا له : إنه سيكون مفسداً ، فكيف عرفوا ذلك ؟

ج : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

جاء في كتب التفسير : أن الأرض كانت مسكونة بخلق لم يصلحوا لعبادتها كما أراد الله سبحانه فأهلكهم ، ثم قال سبحانه للملائكة : إني سأجعل بعد هؤلاء خليفة لإدارة الأرض إدارة صالحة ، فخافوا أن يكون كمن سبقوه من الذين

ارتكبوا الجرائم وأفسدوا بالقتل وغيره ، وقالوا : نحن خلق جُبلنا على الطاعة لك ، نحمدك بكل كمال هو فيك ، وننزهك عن كل نقص لا يليق بجلالك ، فأخبرهم الله أنه يعلم أن الخليفة الجديد سيصلح ولا يفسد .

فالملائكة ظنت بالقياس على الخلق السابق على آدم أنه سيقتل ويسفك الدماء ، ولم يعلموا أنه سيكون من لحم ودم ، وأن الملائكة لم تكن تعلم الغيب المستقبل لآدم . وليس في هذا الظن علم بالغيب ، ولذلك قال الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُهُونَ﴾ [البقرة : ٣٣] فعلمهم ظن أساسه القياس ، وعلم الله حق أساسه الكشف واليقين .

وقيل : إن الملائكة تعرف أن الخليفة لن يكون له من علم الله وإرادته المطلقة ما يستطيع أن يحيط بكل شيء علماً ، أو يعلم علماً يقينياً كاملاً مرة واحدة بل على التدرج ، وعلى هذا يكون تصرفه غير حكيم ، وبالتالي يكثر الفساد وقيل غير ذلك .



س : هل صحيح أن بعض الحيوانات ترى ملك الموت عند نزوله إلى الأرض؟

ج : الثابت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نباح الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً » . . والثابت أيضاً أن فرس أسيد بن حضير أحست بالملائكة التي نزلت تستمع إلى القرآن ، فاضطربت وكادت تؤذي الولد النائم ، كما رواه البخاري ومسلم . وروى النسائي والحاكم أن النبي ﷺ قال « إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير في الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ، فإنها ترى ما لا ترون ، وأقلُّوا الخروج إذا هدأت الرِّجل ، فإن الله يبيت في الليل من خلقه ما شاء » (١) .

١- قال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط مسلم .

يؤخذ من هذا أن الحيوانات ترى من مخلوقات الله المغيبة عنا ما لا يراه الإنسان ، لكن الربط بين حيوان بعينه وما يراه إن كان ملكاً أو شيطاناً يقتصر فيه على ما أخبرنا به النبي ﷺ بطريق صحيح ، ولم أعثر على حديث يعتمد عليه في الاعتقاد بأن الكلب يرى ملك الموت كما هو شائع بين العامة .



س : هل نزل جبريل إلى الأرض بعد وفاة النبي ﷺ ؟

ج : جاء في « الحاوي للفتاوى » للسيوطي أن إنكار الناس لنزول جبريل بعد موت النبي ﷺ لا أصل له ، ثم استدل على ذلك بما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت : قلت : يا رسول الله هل يرقد الجنب ؟ قال : « ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ ، فإني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل » .

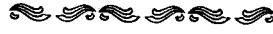
فدل هذا على أن جبريل يحضر مودة المؤمن المتطهر . وكذا استدل بما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً في وصف الدجال الذي جاء فيه : ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا جبريل ، بعثني الله لأمنعه من حرمه .

كما استدل بقوله تعالى في ليلة القدر ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [القدر: ٤] حيث قال الضحاك : إن الروح هنا جبريل ، وأنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين وذلك في كل سنة . ٢ هـ .

والذي جر إلى الاعتقاد بعدم نزوله حديث « لا وحي بعدي » فالذي ينزل بالوحي جبريل ، والجواب أن الحديث موضوع ، ولو فرضت صحته فالمنفي نزوله للوحي إلى الأنبياء بشرع ، لكن قد ينزل لغير ذلك كتبليغ خبر لا يتعلق بتشريع ، ففي مسلم « أوحى الله تعالى إلى عيسى أني أخرجت عبداً لي لا يد لأحد بقتلهم فحول عبادي إلى الطور - وهم يأجوج ومأجوج ^(١) .

١ - مذكرات التوحيد ج ٣ ص ١٥٠ .

ومهما كانت قيمة الاستدلال بهذه الأدلة على نزول جبريل فإن ذلك أمر ليس من أصول العقيدة الإسلامية ، والبحث فيه ينبغي أن يحملنا على ما احتوته هذه الأدلة من الحرص على الطهارة ، ومن إحياء ليلة القدر .



س : ما هو اسم ملك الموت ، وكيف يقبض أرواح الكثيرين في وقت واحد ، ومن الذي يقبض روحه هو ، وهل صحيح أنه كان يظهر للناس ، وأنه استأذن النبي ليقبض روحه وأن موسى لطمه ؟

ج : نحن مكلفون بالإيمان بالملائكة إجمالاً ، ولا نكلف بمعرفة أسمائهم إلا ما نص عليه القرآن أو الحديث الصحيح لأن عددهم كبير كما قال الله سبحانه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدر: ٣١] والنص إما على الاسم الشخصي مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ومنكر ونكير ، ورضوان خازن الجنة ومالك خازن النار . وعزرائيل مشهور بأنه هو ملك الموت وإن كان اسمه لم يرد في القرآن الكريم .

وإما أن يكون النص على النوع مثل حملة العرش والكتبة الذين يحصون أعمال العباد . والحفظة وغيرهم .

وعزرائيل هو الملك الموكل بقبض الأرواح ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١] ، ويقال : إن الله اختاره لذلك لأنه هو الذي تجرأ وأخذ من تراب الأرض ليخلق الله منه آدم على الرغم من أنها استعازت من الملائكة الذين حاولوا قبله أن يأخذوا منها التراب ، وهذا كلام وهب بن منبه والزهرري وليس له سند صحيح^(١) وملك الموت ككل نفس سيموت والذي يقبض روحه هو الله سبحانه .

١ - مشارق الأنوار للعدوي ص ١٦ .

وجاء في مشارق الأنوار أيضاً^(١) أن له أعواناً بعدد من يموتون ، وأخرج ابن أبي حاتم و أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن نفسين اتفق موتهما في طرفة عين ، واحد بالشرق والآخر بالمغرب كيف قدرة الملك عليهما؟ قال: ما قدرة ملك الموت على أهل المشرق والمغرب والظلمات والهواء والبحور إلا كرجل بين يديه مائدة يتناول من أيها شاء . وأخرج ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال : قيل: يا رسول الله ، ملك الموت واحد والزحفان يجتمعان بين المشرق والمغرب وما بين ذلك من السخط والهلاك ، فقال «إن الله حوى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدي أحدكم ، فهل يفوته منها شيء » .

وأخرج أحمد والبخاري وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : كان ملك الموت يأتي الناس عياناً ، فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه ، فأتى ربه فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عينه ، قال له : اذهب إلى عبدي موسى فقل له : فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة ، فأتاه فقال له : ما بعد هذا ؟ قال : الموت . قال : فالآن . قال : فشمه شمة فقبض روحه ورد الله عليه عينه ، فكان بعد يأتي الناس خفية .

وذكر الشعрани بعد أن حكى رواية للإمام الترمذي بمثل هذا - أن موسى فقأ عين ملك الموت بإذن من ربه عز وجل ، لأنه معصوم . ولذلك لم يعاتبه الله على ذلك^(٢).

كما أورد حديثاً عن أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وفيه دخول ملك الموت بيت داود عليه السلام - وكانت فيه غيرة - فقبض روحه . كما نقل أن الطبراني أخرج عن الحسين أن جبريل هبط على النبي ﷺ يوم موته وأخبره أن ملك الموت

١ - مشارق الأنوار ص ١٥ .

٢ - ص ١٣ .

استأذن على الباب ، وما استأن على أحد قبلك ، وأن الملك قال : إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك ، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها ، وقد أذن له النبي ﷺ في قبضها^(١).

وجاء في المواهب اللدنية للقسطلاني وشرح الزرقاني^(٢) ، أن جعفر الصادق ابن محمد الباقر أخبر عن أبيه محمد بن علي بن الحسين أنه قال : لما بقى من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل وساق الكلام المذكور ، وجاء فيه أن جبريل قال للنبي : يا رسول الله هذا آخر موطئ من الأرض ، إنما كنت حاجتي من الدنيا . وذكر الزرقاني أن عدم نزول جبريل بعد ذلك إنما هو النزول بالوحي المتجدد ، فلا ينافي ما ورد في أحاديث أنه ينزل ليلة القدر ويحضر قتال المسلمين مع الكفار ، ويحضر من مات على طهارة من المسلمين ، ويأتي مكة بعد خروج الدجال ليمنعه من دخولها وفي زمن عيسى عليه السلام ليس بشرع جديد .

وخلاصة الإجابة على السؤال : أن ملك الموت اسمه عزرائيل ولم يرد ذكر اسمه في القرآن ، وأنه رئيس الملائكة المكلفة بقبض الأرواح فله أعوان في هذه المهمة وأن الذي يقبض روحه هو الله بحكم أن كل نفس ذائقة الموت . وأنه كان يظهر للناس . وحادثته مع موسى عليه السلام وردت في حديث غير متواتر . كما أن حديث استئذانه الرسول في قبض روحه فيه كلام .

وليس ذلك عقيدة يجب اعتقادها ، وللاجهاد فيه نصيب .



١ - مشارق الأنوار .

٢ - ج ٨ ص ٢٨٥ .

س : هل صحيح أن موسى عليه السلام لطم ملك الموت عندما أراد أن يقبض روحه؟

ج : إضافة إلى ما تقدم أقول : روى مسلم عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، قال : فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أي رب ثم مه ؟ قال ثم الموت ، قال فالآن . فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر . فقال رسول الله ﷺ « فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر » .

قال القرطبي ^(١) ، واختلف العلماء في تأويل لطم موسى عين الملك وفقئها على أقوال ، منها : أنها كانت عيناً متخيلة لا حقيقية ، وهذا باطل ، لأنه يؤدي إلى أن ما يراه الأنبياء من صور الملائكة لا حقيقة له ، ومنها أنها كانت عيناً معنوية ، وإنما فقأها بالحجة . وهذا مجاز لا حقيقة ، ومنها أنه عليه السلام لم يعرف ملك الموت ، وإنما رأى رجلاً دخل منزله بغير إذنه يريد نفسه ، فدافع عن نفسه فلطم عينه ففقأها . وتجب المدافعة في هذا بكل ممكن ، وهذا وجه حسن ، لأنه حقيقة في العين والصلك . قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة ، غير أنه اعترض عليه بها في الحديث ، وهو أن ملك الموت لما رجع إلى الله تعالى قال : يا رب أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، فلو لم يعرفه موسى لما صدق القول من ملك الموت . وأيضاً قوله في الرواية الأخرى : أجب ربك . يدل على تعريفه بنفسه . والله أعلم .

ومنها أن موسى عليه الصلاة والسلام كان سريع الغضب ، إذا غضب طلع الدخان من قلنسوته ورفع شعر بدنه جبته ، وسرعة غضبه كانت سبباً لصكه ملك الموت . قال ابن العربي : وهذا كما ترى ، فإن الأنبياء معصومون من أن يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرضا والغضب .

ومنها - وهو الصحيح من هذه الأقوال - أن موسى عليه الصلاة والسلام عرف ملك الموت ، وأنه جاء ليقبض روحه ، لكنه جاء مجيء الجازم بأنه قد أمر بقبض روحه من غير تخيير ، وعند موسى ما قد نص عليه نبينا محمد ﷺ من «أن الله لا يقبض روح نبي حتى يخيره» فلما جاء على غير هذا الوجه الذي أعلم ، بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه ، فلطمه ففقاً عينه امتحاناً لملك الموت ، إذ لم يصرح له بالتخير .

ومما يدل على صحة هذا أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت اختار الموت واستسلم ، والله بنبيه أحكم وأعلم ، هذا أصح ما قيل في وفاة موسى عليه السلام ، وقد ذكر المفسرون في ذلك قصصاً وأخباراً الله أعلم بصحتها ، وفي الصحيح غنية عنها . وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة ، فيروى أن يوشع رآه بعد موته في المنام فقال له : كيف وجدت الموت ؟ فقال : كشاة تسلخ وهي حية ، وهذا صحيح معنى . قال ﷺ في الحديث الصحيح «إن للموت سكرات» انتهى ما قاله القرطبي .

وجاء في «مشارك الأنوار» ^(١) : أخرج أحمد والبخاري وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «كان ملك الموت يأتي الناس عياناً ، فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقاً عينه . .» فكان بعد يأتي الناس خفية وذكر العارف الشعراني - بعد أن حكى رواية للإمام الترمذي بمثل هذا - إنما فقاً موسى عين ملك الموت بإذن من ربه عز وجل لأنه معصوم ، ولذلك لم يعاقبه الله على ذلك .

وجاء في كتاب «تأويل مختلف الحديث» ^(٢) ، أن الله أعطى الملائكة قوة تتشكل بها كما تشاء ، كما أعطى الجن هذه القوة ، ثم قال : ولما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام ، وهذا ملك الله وهذا نبي الله ، وجاذبه لطمه موسى لطمه أذهبت العين التي هي تخيل وتمثيل ، وليست حقيقة ، وعاد الملك إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان لم ينتقص منه شيء .



١- للعدوي ص ١٤ .

٢- ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، ص ٨٦ .

س : هل من الحديث ما يقال : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل وكَّل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله ، فإذا مات قالا : أتأذن لنا أن نصعد إلى السماء ؟ قال : فيقول الله تعالى : إن سمائي مملوءة بملائكتي يسبحوني .. فيقولان فتأذن لنا فنقيم في الأرض ؟ فيقول الله تعالى : إن أرضي مملوءة من خلقي يسبحوني ، فيقولان : فأين نقيم؟ فيقول : قوما على قبر عبدي ، فسبحاني واحمداني وكبراني وهللاني ، واكتبوا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة» ؟

ج : يقول الله سبحانه ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد : ١١] . ويقول ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦٠ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عَيْدٌ ۝١٦١ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ۝١٦٢﴾ [ق : ١٦-١٨] ويقول النبي ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » .

إن ملائكة الله من عالم الغيب ، لا يعلم عددهم إلا الله ، ولهم أعمال كلهم الله بها ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم : ٦] وتفصيل أحوالهم وأعمالهم لا تقبل إلا عن طريق صحيح ، والاعتقاد لا يقوم إلا على الدليل القاطع في ثبوته ودلالته .

وقد أخبرت الآية أن الله ملائكة مكلفين بحفظ غيرهم من البشر ، مع اختلاف المفسرين فيمن يحفظه المعقبات : هل هو محمد ﷺ لتقدم ذكره في آية سابقة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد : ٧] أو كل الرسل كما يدل عليه ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أو الناس عامة تحفظهم من الوحوش والهوام لطفاً من الله ، حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبينهم ، كما قاله ابن عباس وعلي رضي الله عنهما ، وقيل الحفظ هو كتابة الأقوال والأفعال ، ونقل القرطبي ^(١) عن الثعلبي كلاماً أن الملائكة الموكلة بكل عبد يبلغون عشرين ومعهم إبليس وولده ، وليس لهذا الكلام دليل يعتمد عليه في العقائد .

وذكر في سورة (ق) رقيبا وعتيدا ، وهما الموكلان بكتابة الأعمال ، اثنان بالنهار واثنان بالليل وأن لكاتب الحسنات سلطاناً على كاتب السيئات ، يأمره بعدم الإسراع في الكتابة لعل الإنسان يستغفر في ظرف سبع ساعات ، كما ذكر الحديث المذكور في السؤال ، ولم يسنده إلى ثقات المحدثين ، بل رواه بصيغة التمریض التي تدل على عدم الصحة في اصطلاح المحدثين ، وهي (رُوى) فالأولى أن نكل العلم إلى الله فيما تقوم به الملائكة ما دام لم ينص عليه في القرآن والسنة الصحيحة .



س : يشكك بعض الناس في قتال الملائكة يوم بدر ، قائلين إن المسلمين انتصروا بجهودهم ، ولو كان الانتصار بسبب قتال الملائكة ما كان لهم فضل ، فما مدى صحة هذا الكلام ؟

ج : تحدث القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٢٣] إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾ [١٢٤] بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣ - ١٢٥] وقال : إن الله أمد بملائكته نبيه والمؤمنين في قول جماعة العلماء . وتظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت . ومن ذلك قول أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهيد بدر : لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصري لأرينكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أمتري - وأبو أسيد يقال إنه آخر من مات من أهل بدر .

ثم ذكر القرطبي حديثاً رواه مسلم عن عمر بن الخطاب جاء فيه دعاء النبي ﷺ ربه لما رأى كثرة المشركين قائلاً «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة - الجماعة - من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» وما زال يهتف وأبو بكر يقول له : كفأك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِيك ﴿ [الأنفال : ٩] فأمدّه الله تعالى بالملائكة . ثم قال القرطبي : فتظاهرت السنة والقرآن على ما قاله الجمهور والحمد لله .

ولم تكن مهمة الملائكة هي التثبيت فقط لقلوب المؤمنين بل باشرُوا القتال بالفعل كما قال رب العزة ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] وكان منهم ملكان عن يمين الرسول ويساره وعليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ، يقول سعد بن أبي وقاص : ما رأيتهما قبل ولا بعد ^(١) .

وفي حديث مسلم عن غزوة بدر قول ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه فاخضرّ ذلك أجمع .

فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين ، وعن سهل بن حنيف قال ^(٢) : لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه ، وعن الربيع بن أنس قال : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به . ذكره البيهقي .

يؤخذ من هذا ومن غيره أن الملائكة باشرت القتال بالفعل ولم يكن دورهم هو التثبيت فقط ، وهذا ما يدل عليه ظاهر النصوص ولا حاجة لتأويلها ، كما زعم بعض الناس أنهم حضروا في بدر للدعاء بالتثبيت لا غير .

١- القرطبي ج ٤ ص ١٩٠ .

٢- القرطبي ، ج ٤ ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

والمهم أن نأخذ العبرة من ذلك بأن الله سبحانه يمد المؤمنين الصادقين
بوسائل النصر إن استغاثوه ولم يعتمدوا على أنفسهم وقوتهم ناسين ربهم ، فالله
سبحانه بيده كل شيء ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ نَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرَكُمْ وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا
نَنْصُرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] .



الكتب

س : ما هي الإسرائيليات التي وضعت في الكتب الدينية ، وهل يجوز الاستشهاد بها ، وهل هناك كتب مليئة بها يجب تجنب الاطلاع عليها ؟

ج : الإسرائيليات منسوبة إلى بني إسرائيل ، وهم اليهود . وكانت لهم مكائدهم وطرقهم في معارضة الإسلام ، ولبس بعضهم مسوح المسلمين ومارسوا نشاطهم الكيدي كعبد الله بن سبأ . وانخدع بهم بعض المسلمين فساروا في هذا الطريق ، ومنهم أبو عصمة نوح ابن مريم الذي وضع أحاديث في فضل سور القرآن لا أصل لها بالمرّة ، وبرر عمله هذا بأنه رأى الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقّه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق ، فوضع الأحاديث حسبة لترغيب الناس في القرآن .

واقترح مجمع البحوث الإسلامية في يناير ١٩٦٨م تقديم بحوث تسهم في إحياء ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على القرآن ، فوضع المرحوم الشيخ محمد الذهبي كتاباً عن الإسرائيليات في التفسير والحديث . وذكر حكم روايتها وأشهر رواتها ، وذكر أن لليهود ضلعاً كبيراً فيها ، لأنهم حرفوا التوراة وحاولوا أن يحرفوا القرآن في لفظه أو معناه ، وأن العرب تأثروا بثقافة أهل الكتاب ، ودخلت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث عندما بدئ تدوينهما ، فملئت الكتب بالغرائب والأكاذيب .

وقد حذرنا الرسول ﷺ من الاعتماد على أكاذيبهم ، ففي البخاري حديث « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم . . . » وأخرج أحمد وغيره أن عمر رضي الله عنه أتى الرسول ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فغضب الرسول وقال « أمتهوكون - شاكون متحIRON - فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن

يتبعني» وروى البخاري نهي ابن عباس عن سؤال أهل الكتاب فالقرآن فيه الكفاية ، ولا يجوز أخذ شيء عنهم إلا ما كان موافقاً للدين ، كما تدل عليه النصوص بالأخذ عنهم مثل ، ﴿ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [يونس : ٩٤] ومثل «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

والوصية قوية بالحذر عند الرواية عن كعب الأحبار ووهب بن منبه ومحمد ابن السائب الكلبي ومقاتل بن سليمان وغيرهم ، وكذلك الكتب التي تنقل الإسرائيليات ولاتين صدقها أو كذبها ، كتفسير الثعلبي وكتابه «العرائس» وتفسير الخازن .



س : ما عدد الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء وما أسماؤها وكيف نزلت؟

ج : الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء كثيرة ، والواجب علينا هو الإيمان بذلك إجمالاً ، أما تفصيلاً فالواجب هو الإيمان بما ورد ذكره في القرآن الكريم ، وهي : صحف إبراهيم ، والتوراة ، التي نزلت على موسى والزبور الذي نزل على داود ، والإنجيل الذي نزل على عيسى ، والقرآن الذي نزل على محمد عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه .

يقول الشيخ محمود أبو دقيقة في مذكرات التوحيد : أما الصحف فقد ورد في شأنها آثار كثيرة وأرجحها أنها مائة صحيفة ، خمسون نزلت على شيث عليه السلام ، وثلاثون نزلت على إدريس عليه السلام ، وعشرة نزلت على إبراهيم عليه السلام ، وعشرة على موسى عليه السلام .

والظاهر أن هذه الصحف كانت مشتملة على مواعظ وإرشادات إلى التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساوئها ، ولم يعرف عنها شيء يقيناً ، لعدم وجود ما يفيد يقيناً بشأنها^(٢).

١ - رواه البخاري .

٢ - مذكرات التوحيد ، ج ٣ ص ٥٤ .

أما نزولها فالظاهر أن جبريل عليه السلام هو أمين الوحي الذي بلغه إلى الرسل كافة فهو الذي حمل التوراة والإنجيل وأنزلها مرة واحدة على موسى وعيسى ، وحمل القرآن وأنزله على الرسول محمد ﷺ منجماً أي مفرقاً كما نص عليه القرآن الكريم ، وكلام الله سبحانه للبشر جاء بعدة طرق ذكرها في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى : ٥١] .

جاء في تفسير القرطبي ^(١) ، عند قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف : ١٤٥] قال ربيع بن أنس : نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير ، وأضاف الكتابة إلى نفسه «كتبنا» على وجه التشريف ، إذ هي مكتوبة بأمره كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر .

والأفضل ترك علم ذلك لله سبحانه ، فلا فائدة هامة من البحث فيه .



س : إذا كان الإسلام يعترف بالرسالات السماوية فهل هناك ما يمنع المسلم من أن يأخذ ويتبع ما جاء من تعاليم ونصائح كل هذه الرسالات؟

ج : ليكون معلوماً أن الإسلام جاء ديناً وافياً كاملاً ، فيه كل ما يحتاجه المسلم في دنياه وآخرته كما قال سبحانه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] وقال ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩] .

ومع ذلك لا مانع من الاستفادة بما يوجد في الكتب السماوية الصحيحة ، لأن ما فيها حق وإن كانت فروع الشريعة تختلف من دين لآخر ، فشرع من قبلنا ليس

شرعاً لنا إلا إذا وجد في شرعنا ما يقرره ، أو هو شرع لنا إن لم يوجد في شرعنا ما يخالفه ، على خلاف للعلماء في ذلك .

ولكن أين هي الكتب السماوية الصحيحة التي يستفاد منها وقد أقر القرآن بأنها حُرِّفَتْ ؟ وبتحريفها كفر اليهود والنصارى برسالة سيدنا محمد ﷺ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل قال تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] فلا حاجة بنا إلى الأخذ من كتبهم ، ولو قرأناها فليكن القارئ على معرفة تامة بدينه هو ، حتى لا يزل ويتبع بعض ما فيها ، وحتى لا يقول : إن فيها ما لا يوجد في كتب الإسلام فيميل إليها ويطمئن إلى قراءتها والعمل بها فيها ، وقد حدث أن النبي ﷺ نهى عن قراءة كتب أهل الكتاب - اليهود والنصارى - خشية الفتنة بها فيها وقال لعمر «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية» إلى أن قال «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا اتباعي»^(١) ، ومع ذلك جاء عن الرسول ﷺ ، كما أخرجه البخاري ، قوله «لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا» وقوله «بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» .

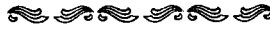
وهو يشير إلى مصادر المعرفة الثلاثة وهي القرآن الذي يجب تبليغه ، والحديث النبوي الذي يجب الدقة عند تلقيه وروايته ، وما جاء عن بني إسرائيل من السماح بروايته ، وذلك في نطاق ما جاء عنه ﷺ ، ما رواه أحمد وأبو داود : إن كان حديثهم حقاً فلا تكذبهم فيه ، وإن كان باطلاً فلا تصدقهم فيه ، وما لا نجزم بصدقه أو كذبه فنحن في حل من الأخذ به أو رفضه .

وفي ضوء هذا المقياس أصاب عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يوم اليرموك زاملتين - أي حمل بعيرين - من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما ،

١ - رواه أحمد في مسنده .

وابن مسعود رضي الله عنه قال - كما رواه أحمد وغيره - : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم ، إما أن يحدثوكم بصدق فتكذبونهم أو بباطل فتصدقونهم .

والخلاصة أن الأخذ من كتب الأديان الأخرى لا حاجة إليه ، أما قراءتها للاطلاع على ما فيها ومقارنته بما جاء في الإسلام فلا مانع منه لمن هو متمكن في العلم الديني .



س : إذا كان الزبور هو كتاب سيدنا داود ، والذكر هو القرآن ، فما المقصود بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ؟

ج : الزبور ليس هو فقط الكتاب الذي نزل على داود عليه السلام ، وإنما يطلق على كل ما أنزله الله تعالى من الكتب حتى القرآن الكريم ، والذكر قيل : هو توراة موسى عليه السلام ، وقيل : هو كتب الأنبياء ، وقيل : هو أم الكتاب الذي عند الله في السماء . والمعنى أن الله سبحانه قرر في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على الأنبياء أن اللجنة لعباده الصالحين ، كميراث أتاها من غير جهد ، لأن طاعتهم لا تتساوى مع عظمتها وقيمتها ، وقال بعض المفسرين المحدثين : المعنى أن البقاء هو للأصلح في الدنيا ، فمن انحرف من الملوك أو الدول أو الأمم عن الصراط المستقيم سلب الله منهم سلطانهم وأعطاه للصالحين الذين يستحقونه ، وكل ذلك تتحملة الآية .



س : جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ يَبْحِثْ خِذِ الْكِتَابَ يَقُوءٌ ﴾ [مريم: ١٢] فما هو الكتاب الذي نزل عليه ؟

ج : قال القرطبي في تفسيره ^(١) ، الكتاب هو التوراة بلا خلاف وأخذ يحيى له بقوة معناه : بجِدٍّ واجتهاد وقيل : المراد العلم به وحفظه والعمل به .

والتوراة كانت كتاب الأحكام الذي أخذ به كل من جاء بعد موسى من الأنبياء حتى جاء عيسى فنزل عليه الإنجيل .



س : قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ [الأعلى : ١٨، ١٩] عرفنا صحف موسى وهي التوراة المطبوعة فأين نجد صحف إبراهيم ؟

ج : من المعلوم أن الكتب التي نزلت على الأنبياء السابقين كانت في تشريعاتها متناسبة مع الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل ، ولا يكلف قوم بغير ما جاء به رسولهم ، فهي تشريعات خاصة وتاريخية أي قاصرة على زمانها تنسخها الشريعة التي تأتي بعدها ، وكان خاتمة الكتب القرآن الكريم الذي نزل على خاتم الرسل ، فليس بعدهما كتاب ولا رسول ، والأمة الإسلامية ليست مكلفة بما جاء في الكتب السابقة لأمرين أولهما أنها خاصة بأقوامهم . وثانيهما أنها ليست مقطوعة الصحة ، وقد أخبر القرآن الكريم عن تحريفها في أكثر من آية ، بل عن اختلاق جماعة لكلام وادعاء نسبته إلى رسولهم ليكون وحيًا له القداسة عندهم .

مع العلم بأن أصول العقائد والأخلاق التي لا تتغير بتغير الأزمان والأقوام واحدة في كل ما جاء به الرسل السابقون ، والمخالفة هي في التشريعات العملية التي تتناسب مع هؤلاء الأقوام والقرآن جاء مقررًا للصواب ومصححًا لما دخله التحريف منها ، تاركًا التشريعات لمن نزلت عليهم ، قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ فَاحِشَكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وقد تقدم النهي عن قراءة هذه الكتب خشية الفتنة بما فيها ، إلا لمن كان على بينة من دينه ليميز الخبيث من الطيب ، والخطأ من الصواب .

وبخصوص صحف إبراهيم لا يوجد خبر صحيح عما فيها ، ولا عن وجودها الآن ، وقد أمر الله رسوله محمد ﷺ باتباع ملة إبراهيم كما قال تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] والظاهر أن الاتباع هو في عقيدة التوحيد والعقائد الأساسية كما فيهم من وصفه بقوله ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ومع ذلك إذا كان الاتباع في بعض ما جاء من التشريع فهو صحيح ما دام لم يأت في الإسلام ما يخالفه على رأي من قال بذلك من علماء الأصول . وما أخذناه من شريعة إبراهيم الختان . ولا حاجة إلى معرفة ما نزل على إبراهيم من صحف . ففي قرآننا كل خير ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

ومع ذلك ذكر المفسرون بعض ما في هذه الصحف ، ففي القرطبي ^(١) : روى الأَجْرِيُّ من حديث أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال « كانت أمثالا كلها ، أيها الملك المتسلط المبلى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من فم كافر . وكان فيها أمثال : وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، يفكر فيها في صنع الله عز وجل إليه ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الطعام والمشرب . وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، ومروءة لمعاش ، ولذة في غير محرم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه . مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومن عدّ كلمه من علمه قلّ كلامه إلا فيما يعنيه» .

قال : قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب ، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل» .

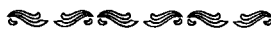
قال : قلت يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في يدي إبراهيم وموسى مما أنزل الله عليك ؟ قال « نعم ، اقرأ يا أبا ذر ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ١٢ ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ ١٥ بَلْ تُؤَيَّدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ١٩ [الأعلى : ١٤ - ١٩] وابن جرير الطبري اختار أن الذي في صحف إبراهيم وموسى هو ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ووافقه ابن كثير في هذا الاختيار ، وأورد عن النسائي عن ابن عباس أن سورة ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ كلها في صحف إبراهيم وموسى .

وكلها روايات لا يلزمنا اعتقاد ما فيها ، وقرآنا هو خير كتاب نأخذ منه هدايتنا ، فهو يهدي للتي هي أقوم .



س : هل صحيح أن إنجيل برنابا يتفق مع القرآن الكريم فيما جاء عن سيدنا عيسى ؟

ج : جاء في كتاب « التثليث في المرأة » ^(١) ، أن برنابا كان مصاحباً للمسيح عليه السلام مدة طويلة ، وكتب عن معلومات توافق ما جاء في القرآن كثيراً ، وكان هذا الإنجيل يقرأ ويدرس إلى أواسط القرن الخامس الميلادي . وفي القرن الخامس حرم البطريق « جليسيوس » قراءته وأمر بإعدام نسخه ، ثم عثر على نسخة منه في القرن السادس عشر الميلادي القسيس الكبير « فرامرينو » الذي وجده في مكتبة البطريق « سكنس » بطريق روما ، فظهر له بعد مطالعته أن فيه أخباراً واضحة عن خاتم الأنبياء وذكر اسمه « أحمد » فأخرج « فرامرينو » هذا الإنجيل من مكتبة البابا وأعلن إسلامه ، ونقله إلى العربية « رشيد رضا » في مصر .



س : نسمع أن لليهود كتاباً يسمى التلمود ، فهل هو من الكتب المنزلة من عند الله كالطورا ؟

ج : كلمة التلمود عبرية معناها العلم أو الثقافة ، وعرف بهذا الاسم كتابان : التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي . وموضوعها واحد ، الأول جمعه اليهود الذين بقوا في فلسطين بعد أن دمر الملك البابلي أورشليم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، والثاني جمعه اليهود الذين أسرههم هذا الملك في بابل .

ولما وجد اليهود أنفسهم منعزلين عن المجتمع لتعصبهم : حاولوا التوفيق بين يهودية التورا والمجتمع ، فوضعوا شروحاتاً للتورا مزجت بالثقافات المختلفة وجمعت في كتاب اسمه (المشنا) ثم قام زعيم لهم بنشره في المدارس والمجامع التي عرفت باسم (الكنيست) واعتبروا هذا الزعيم نبياً كموسى .

وطغت الشروح على أصل التورا ، منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى جاء سيدنا عيسى عليه السلام ، وبعده انقسم الكتبة إلى فئات تحاول كسب ود الحاكم الروماني على حساب الدين . وحوالي سنة ٧٠ ميلادية غزا (تيطوس) الروماني فلسطين وخرَّب أورشليم ، وجاء كاتب يهودي اسمه (يهوذا بن سمعان) في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ، فجمع كل هذه الأعمال وقسمها ستة أجزاء ، تشمل قواعد العبادة والأعياد والنساء والمعاملات والقرايين والطهارة ثم أضيفت شروح مكملة ، ولما كبرت الشروح جمعها اثنان من الكتبة هما (آشى ورايين) في القرن الخامس الميلادي ، وسميها (التلمود) وطبع بأصله : الفلسطيني والبابلي في البندقية .

هذا ، وقد جاء الإسلام وقرر أن اليهود حرفوا التورا وكتبوا كتباً من عندهم يشتركون بها ثمناً قليلاً ، وبسبب تقديسهم لما كتبوه وتركهم ما أنزل الله وقفوا من الدعوة الإسلامية مواقفهم المعروفة ، بل وقفوا من العالم مواقف لتحقيق ما سطره

قدماؤهم في التلمود وما وضعوه من بروتوكولات ، ونصح بعدم قراءة هذه الكتب إلا للمتمكن من دينه القادر على تمييز الحق من الباطل .



س : جاء في القرآن الكريم قول الجن للرسول ﷺ ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾ [الأحاف : ٣٠] فلم لم يذكر الكتاب الذي أنزل على عيسى ، وهل آمن هؤلاء الجن بسيدنا موسى وكانوا من اليهود؟

ج : من المعلوم أن الرسائل السابقة كانت خاصة لأقوام دون آخرين ولعصر دون آخر ، وهنا يقال : لماذا لم يذكر الجن الكتاب الذي نزل على عيسى وهو الإنجيل ، واقتصروا على ذكر كتاب موسى وهو التوراة مع أن الإنجيل نزل بعدها وهو أقرب عهداً بالقرآن ؟

قال المفسرون : هؤلاء الجن من منطقة لم يرسل إليها عيسى ، وكانت داخلة ضمن حدود الرسالة الموسوية فهم آمنوا بموسى ولم يبلغهم دعوة عيسى : وقيل إن التوراة كانت مشهورة لأن كثيراً من أنبياء بني إسرائيل تتابعوا على الحكم بها ، فعرفها الجن أكثر من معرفتهم للإنجيل وقيل : إن كلام الجن ليس فيه حصر لما أنزل من الكتب ، وبالتالي ليس فيه نفي لنزول الإنجيل بعدما ذكروا التوراة .

وقيل : إن التوراة كتاب شريعة مفصلة فالجن الذين آمنوا بها كانوا أشد اتصالاً بمعرفة ما فيها أكثر من الإنجيل الذي كان أكثره مواعظ وأخلاقاً .

هذا بعض ما ظهر لي من الإجابة على هذا السؤال .



س : سمعنا أن من الكتب المقدسة عند الشيعة ما يسمى بالجفر ومصحف فاطمة ، فهل يمكن أن نعرف شيئاً عنها ؟

ج : إن الشيعة لهم موقف من القرآن ويدعون أنه ناقص . وإن كان بعضهم - من باب التقية - يقسم أنهم لا يعرفون إلا القرآن الذي بين دفتي المصحف المتداول بين المسلمين . لكن عند الكثيرين أن هناك مصحف فاطمة كما نصت عليه كتبهم مثل كتاب (الكافي) الذي هو أوثق كتاب عندهم بعد القرآن الكريم ، جمعه أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (٣٢٨ - ٣٢٩هـ) وفيه من عدة أحاديث بأرقام ٦٣٥ / ١ - ٦٤٢ / ٨ ما خلاصته أن فاطمة عليها السلام حزنت بعد وفاة الرسول ﷺ خمسة وسبعين يوماً ، وكان الملك يأتيها ويسليها ويخبرها بحال النبي ﷺ ، وأخبرها بما سيكون لذريتها ، ولما عرف علي ذلك قال لها . إذا حضر فأعلميني فكان إذا حضر كتب عنه علي كل ما قال . وتلك هي مصحف فاطمة ، وليس فيه من الحلال والحرام شيء ، ولكن فيه علم ما يكون ، وجاء في الحديث رقم ٦٥٣ ما نصه : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام ، قال : قلت : وما مصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، قال : قلت : هذا والله أعلم ، قال : إنه لعلم وما هو بذاك .

أما الجفر ، فقد جاء في الأحاديث المذكورة أنه وعاء من آدم - جلد ثور - فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ، وفيها - أي هذه الأحاديث - أن عندهم : الجفر الأبيض الذي فيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى ومصحف إبراهيم عليهم السلام ، والحلال والحرام ومصحف فاطمة ، ما أزعم أن فيه قرآناً ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد ، حتى فهي الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش .

والجفر الأحمر وفيه السلاح ، وذلك إنما يفتح للدم ، يفتحه صاحب السيف للقتل ، وفيه : أن بني الحسن يعرفون هذا الجفر كما يعرفون الليل والنهار ، ولكن الحسد وطلب الدنيا حملهم على الجحود والإنكار . وفي الحديث رقم ٤ / ٦٣٨ أن في الجفر الذي يذكرونه ما يسوءهم ، لأنهم لا يقولون الحق ، والحق فيه ، فليخرجوا قضايا عليّ وفرائضه إن كانوا صادقين ، وسلوهم عن الخالات والعمات ، وليخرجوا مصحف فاطمة عليها السلام ، فإن فيه وصية فاطمة عليها السلام ومعه سلاح رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل يقول ﴿ أَتُنْفِئُونَ بِكْتَبٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف : ٤] (إيتوني) .

وفي الحديث رقم ٥ / ٦٣٩ أن عندهم الجامعة ، وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم ، مثل فخذ الفالج ، فيها كل ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش . وجاء في الحديث رقم ٦ / ٦٤٠ : إن عندنا كتاباً أملاه رسول الله ﷺ ، وكتبه عليّ عليه السلام ، صحيفة فيها كل حلال وحرام ^(١) . وربما تعرضنا لذلك في وقت آخر .



س : سمعنا أن هناك كتاباً منسوبة إلى الإمام علي رضي الله عنه ، يعرف فيها ما يحدث في العالم إلى يوم القيامة - فهل هذا صحيح؟

ج : من المعلوم أن الله سبحانه لا يُطلع على غيبة أحداً إلا من ارتضاه ، كما قال تعالى ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ ٦٥ ۚ إِلَّا مَن رَّزَقْنِي مِّن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنِّي ۝ ٦٦ ۚ﴾

١ - هذا الكلام منقول من صحف مصورة من كتاب الكافي مع الترجمة الإنجليزية ، طبع المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية - طهران إيران في ١٨ / ٦ / ١٩٨١ م ص ٤٠ بعنوان : باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام ، الجزء الأول : الأصول القسم الثاني (٤) كتاب الحجة (٣) المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية .

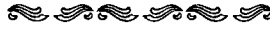
بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٧﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] ومن المعلوم أيضاً أن المغالاة في كل شيء مذمومة وأن الشيعة الذين يحبون آل البيت تغالوا في ذلك حتى وضع بعضهم علياً رضي الله عنه في منزلة ادعى بعضهم فيها أنه إله ، والبعض الآخر أنه نبي ، وكل ذلك تحدثت عنه كتب التوحيد .

وبخصوص علم سيدنا على كرم الله وجهه بالغيب سبق أن تحدثنا في هذه الفتاوى عن مصحف فاطمة رضي الله عنها وعن الجفر والجامعة المنسوين للإمام علي رضي الله عنه . وإضافة إلى ذلك قرأت في مجلة الإسلام في سنتها الثالثة وفي العدد الثامن ما يأتي : قال السيد الشريف في شرح المواقف : الجفر والجامعة كتابان لعلي رضي الله عنه . وقد ذكر فيهما - على طريقة علم الحروف - الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم ، وكان الأئمة المعروفون من أولاده رضي الله عنه يعرفونها ويحكمون بهما .

وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى - رضي الله عنهما - إلى المأمون : إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤنا ، فقبلت منك العهد ، لأن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم ، ولمشايع المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت ، ورأيت أنا بالشام نظماً أشير فيه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر ، وسمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين .

هذا كلام السيد . قالوا : فعلم من هذا أن علياً كرم الله وجهه كان عالماً بالحوادث المستقبلية التي تحدث إلى انقراض العالم ، إذ كتابة هذه الحوادث في معنى القول بها . ولا شك في أن علمه بذلك لم يكن اطلاعياً ولا استدلالياً . فتعين أن يكون بطريق التعليم الإلهي اللدني ، أو بتعليم النبي ﷺ إياه بطريق الإفاضة الروحانية . قال حجة الإسلام الغزالي في الرسالة اللدنية : قال علي رضي الله عنه . أدخل رسول الله ﷺ لسانه في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم ، مع كل باب ألف باب .

هذا ، وقد أنكر ابن تيمية نسبة ذلك إلى علي فقال : ومن الناس من ينسب إليه الكلام في الحوادث كالجفر وغيره ، وآخرون ينسبون إليه أموراً آخر يعلم الله تعالى أن علياً كرم الله وجهه منها بريء ويؤيد كلام ابن تيمية ما رواه البخاري أن عامة ما يروى عن علي كذب .



القرآن الكريم

س : نريد شرح الحديث الشريف الذي يقول « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »؟

ج : هذا الحديث رواه البخاري ومسلم ، وتوضيح معناه يقتضينا أن نتحدث عن معنى الخيرية ، وعن السبب الذي من أجله كان تعلم القرآن وتعليمه بهذه المنزلة العالية ، وعن الآثار الواردة في فضل التعلم والتعليم ، وعن واجبنا نحو القرآن الكريم .

فمعنى « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » أفضلكم من انتسب إلى القرآن عن هذه الصلة ، وهل هو أفضل الناس على الإطلاق ، أو أفضل جماعة معينة منهم ؟ لقد ورد مثلاً قوله ﷺ « خيركم خيركم لأهله »^(١) فهل الرجل الذي هو خير لأهله أفضل الناس جميعاً ؟ توفيقاً بين التعبيرات الواردة في بيان الأفضلية قال العلماء : إن الأفضلية هنا نسبية ، أو بالإضافة إلى جماعة معينة من الناس . فأفضل المستغلين بالعلم هم المشتغلون بالقرآن ، وأفضل المتعاملين مع الناس بالخير هم المتعاملون بالخير مع أهلهم . فكلٌّ في بابهِ أفضل وبالنسبة لجماعته ونوعه أشرف .

ولماذا كانت أشرف مهمة علمية هي ما كانت متصلة بالقرآن الكريم ؟ الجواب أن القرآن كلام الله ، وكل ما كان متصلاً بالله كان أشرف شيء في الوجود ، وأن القرآن دستور الحياة المثالية دنيا وأخرى وكل ما كان كذلك كانت الصلة به أشرف ، والانتساب إليه أكرم . وكلام الله عند تلاوتنا له وتفقهنا فيه يزيدنا إيماناً بالله وإدراكاً لعظمته . ودستور الحياة السعيدة كلما تعمقنا في حفظه ودراسته قويت الرغبة في احترامه والعمل على الاستفادة من هدايته . والمعرفة عن طريق القرآن

١- رواه الترمذي والنسائي والحاكم .

معرفة صادقة ، والتطبيق على أساسها مضمون النتيجة ، قال تعالى ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] وقال ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] .

وتعليمنا للقرآن نشر لهدايته ، وتوعية للناس بدستورهم ، وأساس لمعرفة حقوقهم وواجباتهم ، والمعرفة هي طريق العمل ، والثقافة داعية النهوض بالمجتمع . والقرآن بالذات جماع الثقافات الصحيحة والمعرفة الصادقة ، ودعوته دعوة للحضارة الأصيلة الشاملة ، فهو ليس كتاباً روحانياً محضاً يرتل للعبادة فحسب ، بل هو نظام حياة كاملة في جميع قطاعاتها المادية والروحية ، إنه يدعو إلى العلم والعمل والتطور والنهوض ، ويربى جيلاً قوى العقيدة ، مستقيم الفكر ، صافي النفس ، متين الخلق ، جديراً بحياة كلها قوة ورخاء وازدهار .

ولأهمية القرآن وضرورته للحياة السعيدة جاءت النصوص الكثيرة مرغبة في الإقبال عليه ، محذرة من التجافي عنه . ففي مجال تعلمه وقراءته وتدبره ودراسته والتفقه فيه جاء قول النبي ﷺ «إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء الناجع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد . اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته ، كل حرف عشر حسنات . أما إنني لا أقول : الم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف ، وميم حرف» رواه الحاكم بسند صحيح عن عبدالله بن مسعود .

وقال عقبة بن عامر : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة ، فقال «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق ، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم»؟ فقلنا : يا رسول الله كلنا يحب ذلك . قال «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل ، خير له من ناقتين ، وثلاث خير من ثلاث ، وأربع خير من أربع وأعدادهن من الإبل» ^(١) . وفي الحديث

١- رواه مسلم .

الشريف « يا أباذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصليّ مائة ركعة »^(١) . وفيه أيضاً « ومن سلك طريقاً يتغي به علماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنة »^(٢) « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع »^(٣) .

وفي جانب تعليم القرآن ونشر هدايته جاءت نصوص كثيرة مرغّبة فيه ، منها قوله ﷺ « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً »^(٤) . وهو نفسه كان معلماً ومرشداً كبقية الأنبياء والمرسلين . وكفى بذلك شرفاً . قال تعالى ﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] وجاء في حديث أبي ذر « ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم ، عمل به أو لم يعمل ، خير من أن تصلي ألف ركعة »^(٥) وجاء في الاجتماع على طلب العلم وتعليمه « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »^(٦) . وجاء في معلم الناس الخير بوجه عام قوله ﷺ « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص من أجورهم شيئاً »^(٧) .

وبعد ، فإننا نهيّب بالمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها أن يعنوا بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتدبراً ودراسة وتطبيقاً وتنفيذاً ، فبالقرآن تستقيم الألسنة باللغة ، وتقوى العقيدة بالإيمان ، وتتسع المدارك بالثقافة ، وتزكو النفوس بالأخلاق ، ويقوى المجتمع بالعمل ، وتنهض الأمة بالنظام .

عليهم أن يعنوا بالقرآن الكريم ليسدوا منافذ العدو إلى العقائد والأخلاق ، ولتبطل محاولات الاستعمار في الاعتداء على الأوطان ، ولينهض المجتمع بما يدعو إليه من عمل على أساس العلم والإيمان .

-
- | | |
|-------------------------------|-------------------|
| ١- رواه ابن ماجه بإسناد حسن . | ٢- رواه مسلم . |
| ٣- رواه الترمذي وصححه . | ٤- رواه البخاري . |
| ٥- رواه ابن ماجه وحسنه . | ٦- رواه مسلم . |
| ٧- رواه مسلم . | |

لقد عني به السلف الصالح فعزوا ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . اقرءوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة ، ويقال لقارئ القرآن : اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ، علموه أولادكم حتى يلبسكم الله تاجاً من نور يوم القيامة ، كما وردت بذلك الأحاديث ولا تتخذوه مهجوراً ، بل طبقوا مبادئه تسعدوا في دنياكم وأخراكم ، قال تعالى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦٠ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].



س : ما هو الفرق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي ؟

ج : الكلام المنسوب إلى الله تعالى والذي بلغه لنا النبي ﷺ نوعان : نوع متلو وهو القرآن الكريم ، ونوع غير متلو وهو الحديث القدسي .

ويمتاز القرآن بأمور منها :

١- أنه نزل على النبي ﷺ بطريق الوحي الذي حملة جبريل عليه السلام كما قال تعالى

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٨٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٨٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١٨٥ ﴾

[الشعراء: ١٩٣-١٩٥] ولم ينزل بطريق آخر كالإلهام والمنام .

٢- أن لفظه ومعناه من الله تعالى باتفاق فلا تجوز قراءته بالمعنى .

٣- أنه معجز لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله أو بأقصر سورة منه .

٤- أنه معجزة باقية إلى يوم القيامة محفوظ من التغيير والتبديل .

٥- أنه نقل إلينا بالتواتر فهو قطعي الثبوت . يكفر من أنكر شيئاً منه .

٦- تسمى الجملة منه آية وسورة .

٧- تلاوته متعينة في الصلاة لاتصح بدونه ولا يغني عنه غيره عند القدرة عليه .

- ٨- يتعبد بتلاوته فيعطى على كل حرف عشر حسنات .
- ٩- تحرم تلاوته حال الجنابة ، كما يحرم مسه وحمله بدون طهارة على رأي الجمهور .
- ١٠ - يمتنع بيعه عند الإمام أحمد في روايته عنه .
- أما الحديث القدسي فقد ينزل بغير الوحي الذي يحمله جبريل ، وفي كون لفظه ومعناه من الله خلاف ، وهو ليس بمعجز ، ولا يحفظ من التغير والتبديل .
- وبعضه أو كله - كما قال بعض العلماء - نقل إلينا بطريق الآحاد ، لا يكفر من أنكر شيئاً منه ، ولا يسمى بعضه آية أو سورة ، وتلاوته لا تجزئ عن القرآن في الصلاة ، بل تبطل عند بعض الأئمة . ولا يثاب قارئه ثواب قراءة القرآن ، ولا تحرم تلاوته أو مسه أو حمله بدون طهارة ، ويجوز بيعه باتفاق .

ولا يجوز أن يطلق عليه قرآن ولا أن ينسب إلى الله مباشرة فلروايته صيغتان :
إحداهما : قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه ، وهي عبارة السلف التي فضلها النووي .

ثانيهما : قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ . والمعنى واحد .

أما الحديث النبوي فإن لفظه من عند النبي ﷺ ، ومعناه من الله سبحانه على الخلاف في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ ۝١٢٠ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ ۝١٢١ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝١٢٢ ﴾ [النجم : ٣-٥] وعلى حديث « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه »^(١) . وهو كالحديث القدسي فيما له من أحكام^(٢) .



س : كيف ينزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر ، مع أنه نزل على فترات طوال حياة النبي ﷺ ؟

ج : للعلماء في كيفية نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ أقوال :

- ١- رواه أبو داود .
- ٢- هذه هي أهم الفروق ، ملخصة من كتاب الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية للمناوي و((الأحاديث القدسية ج ١ و ٢)) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

١- أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً طوال حياة النبي ﷺ بعد بعثته في مكة والمدينة ، وقال الكثيرون إن هذا القول هو أصح الأقوال ، واستندوا في ذلك إلى ما ورد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فقد أخرج عنه الحاكم والبيهقي وغيرهما أنه قال : أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض . وأخرج عنه أيضاً وكذلك النسائي أنه قال : أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، ثم قرأ : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان : ٣٣] ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الاسراء : ١٠٦] .

وأخرج الحاكم وابن أبي شيبة عنه أيضاً : قال فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ .

كما جاءت روايات أخرى عن ابن عباس بأسانيد لا بأس بها تؤكد هذا المعنى ومعنى : «مواقع النجوم» أنه نزل على مثل مساقطها ، مفرقاً يتلو بعضه بعضاً على تودة ورفق .

٢- أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر ، أو ثلاثة وعشرين أو خمس وعشرين - حسب الاختلاف في مدة مكث النبي ﷺ بمكة بعد البعثة - في كل ليلة قدر ينزل ما يقدر الله إنزاله في كل سنة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة ، وقد حكى الفخر الرازي هذا القول ، وتوقف في الأخذ به ، هل هو أولى أو القول الأول .

٣- أنه ابتدئ نزوله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة . وهذا القول مروى عن الشعبي .

٤- حكى الماوردي قولاً مؤداه : أنه أنزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة ، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة ، وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في

عشرين سنة . وهذا القول غريب ، والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به عليه طول السنة ، وهو مروي عن ابن عباس .

هذه جملة من الأقوال صحح ابن حجر في « فتح الباري » أولها وقال : إنه المعتمد ، ثم قال ابن حجر : أخرج أحمد والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال : « أنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت منه ، والزبور لثمان عشرة خلت منه ، والقرآن لأربع وعشرين خلت منه » وفي رواية « وصحف إبراهيم لأول ليلة » قال : وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة ، فأُنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا : ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

بعد سرد هذه الأقوال التي روى أكثرها عن ابن عباس يمكن فهم الآيات التي تتحدث عن نزول القرآن أو عن تنزيله ، ويهمننا من كل ذلك أن نقبل على القرآن حفظاً وتدبراً ، ثم عملاً وتطبيقاً . وأن يظل متوارثاً بيننا يأخذه جيل عن جيل تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .



س : ما هي أول وآخر آية نزلت من القرآن الكريم ؟

ج : لا شك أن معرفة تاريخ نزول السور والآيات لها فائدتها العظيمة في التشريع ، من أهمها معرفة الناسخ والمنسوخ ، حينما يكون هناك نصان مختلفان في الحكم ، ولا يمكن التوفيق بينهما بمثل التقييد والتخصيص ، وكذلك معرفة تدرج التشريع ، وبيان اهتمام المسلمين بالقرآن والبحث عن تواريخ نزول الآيات والسور .

وأصح ما قيل في أول ما نزل من القرآن أنه صدر سورة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ في غار حراء كما رواه البخاري ومسلم عن عائشة في حديث أول ما بدئ به الرسول من الوحي . وقيل : إن أول ما نزل إطلاقاً ﴿ بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْتَبِرِينَ ﴾ وذلك لحديث

رواه البخاري ومسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله ، ولكن ردّ عليه بأن ذلك أول ما نزل بعد فترة الوحي . للنص عليه في رواية أخرى التي جاء فيها « فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فرجعت إلى بيتي وقلت زملوني ، فأنزل الله ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدَنِيُّ﴾ » وقيل : إن أول ما نزل هو سورة الفاتحة ، بناء على حديث رواه البيهقي . وردّ بأنه حديث مرسل سقط منه الصحابي فلا يقوى على معارضة حديث عائشة السابق وقيل : إن أول ما نزل هو البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بناء على حديث أخرجه الواحدي عن عكرمة والحسن ، وردّ بأنه حديث مرسل كسابقه ، فهذه أربعة أقوال أصحها وأقواها الأول أما آخر ما نزل من القرآن ففيه عشرة أقوال :

١- قوله تعالى : ﴿وَأَنقُضُوا يَوْمَآ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٨١] بناء على حديث رواه النسائي عن ابن عباس ، حيث عاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال ثم توفي لليلتين خلتا من ربيع الأول .

٢- قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُضُوا اللَّهُ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٢٧٨] بناء على رواية للبخاري عن ابن عباس .

٣- قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَدَّيْنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُتِبُوهُ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وجمع السيوطي بين هذه الأقوال بأن الظاهر نزولها دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ، لأنها في قصة واحدة . لكن الرأي الأول أقوى لما في الآية من إشارة إلى ختام الدين ووجوب الاستعداد ليوم القيامة ، وللنص في الحديث على وفاة النبي ﷺ بعد نزولها بتسع ليال فقط .

٤- قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران : ١٩٥] والدليل حديث أخرجه ابن مردويه عن أم سلمة أنها قالت للرسول ﷺ أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء فنزلت ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى

بَعْضُ ﴿[النساء : ٣٢] ونزلت ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب : ٣٥]
ونزلت آية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فهي آخر ما نزل من الآيات الثلاث ،
وليست آخر ما نزل من القرآن .

٥- قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء : ٩٣]
والدليل ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس حيث قال : هي آخر
ما نزل ولم ينسخها شيء ، ويجاب على ذلك بأنها آخر ما نزل في حكم قتل
المؤمن عمداً ، وليست آخر ما نزل من القرآن .

٦- قوله تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء : ١٧٦]
والدليل ما رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ، ورد بأنها آخر ما
نزل في المواريث ، كما قال عن سورة براءة بأنها آخر ما نزلت ، فيحمل القول
على أن ذلك بالنسبة لتشريع الجهاد والقتال ، فالآخريه نسبية إضافية
لاحقيقية مطلقة .

٧- سورة المائدة ، بناء على رواية الترمذي والحاكم عن عائشة ، وردَّ بأنها آخر
سورة نزلت في الحلال والحرام فلم تنسخ فيها أحكام ، فالآخريه مقيدة
بذلك وليست مطلقة .

٨- قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة : ١٢٨]
بناء على ما رواه الحاكم وابن مردويه عن أبي بن كعب ، ويرد عليه بأن
الآخريه معناها أنها آخر آية نزلت من سورة براءة ويؤيده ما قيل : إن هذه
الآية وما بعدها نزلت بمكة مع أن السورة مدنية ، فالسورة تحدثت عن
الجهاد ، والآيتان ليس فيهما أمر به ، لأن الجهاد لم يفرض بمكة .

٩- آخر سورة الكهف ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف : ١١٠] بناء على ما
أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان ، ويرد عليه بأن الآخريه بحسب
عدم نزول ما ينسخها بعدها .

١٠- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] لما رواه مسلم عن ابن عباس ، وردَّ بأنها آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبي ﷺ ويؤيده ما روى عنه أنه قال حين نزلت «نُعِيتُ إِلَيَّ نَفْسِي» وفهم ذلك بعض كبار الصحابة ، فقد ورد أن عمر بكى عند سماعها وقال : الكمال دليل الزوال .
ويحتمل أنها آخر ما نزل من السور فقط كما تدل عليه رواية ابن عباس ^(١) .



س : قد أخبر الله تعالى أن أهل الكتاب حرفوا الكتب المنزلة على الأنبياء ، بل إن بعضهم استبدل بها كتباً وضعوها ، وبحمد الله مرت قرون طويلة على نزول القرآن الكريم ، وحاول الأعداء أن يحرفوه فعجزوا ، فما هو السر في ذلك ؟

ج : جاء في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ^(٢) ، أن حفظ القرآن من التبديل والتحريف كان بسبب أن الله هو الذي تولى حفظه وصيانته ، أما الكتب الأخرى فحرفت وبدلت لأن مسئولية حفظها كانت على أهلها فقصروا ، قال تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] وقال عن الكتب السابقة ﴿ بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة: ٤٤] .

وذكر الزرقاني أيضاً ما رواه البيهقي عن يحيى بن أكثم أن يهودياً دخل على المأمون فأحسن الكلام ، فدعاه إلى الإسلام فأبى ، ثم بعد سنة جاء مسلماً فتكلم على الفقه فأحسن الكلام ، فسأله المأمون ما سبب إسلامه فقال : انصرفت من عندك فامتحننت هذه الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ ، فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني ، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ ، فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني ، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فوجدوا

١- هذا ما لخصته من الإقتان في علوم القرآن للسيوطي . ومن مناهل العرفان للزرقاني ، ومن أراد الزيادة فليرجع إليهما .

٢- ج ٥ ص ٢٥٢ .

فيها الزيادة والنقصان ، فرموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي . قال يحيى : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له هذا فقال : مصداقه في الكتاب ، قلت في أي موضع ؟ قال : في قوله تعالى في التوراة والإنجيل : ﴿يَمَا أَسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة : ٤٤] فجعل حفظه إليهم وقال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] فحفظه الله علينا فلم يضع .



س : ما معنى خلق القرآن ؟

ج : ظهرت فتنة خلق القرآن في زمن الدولة العباسية ، فكان هناك معسكران ، أحدهما : لأصحاب الكلام من المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن ويكفرون من لا يقول به ، لأنهم ينكرون صفة الكلام لله ، ويقولون : إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد الكلام خلقه في شجرة أو نحوها ، بل إنهم ينكرون صفات المعاني لله ، كما تقرر ذلك في علم التوحيد ، لأنه ينبنى عليها تعدد القدماء في رأيهم ، والقول بذلك كفر ، ولهم مذهب معروف يرجع في جملة إلى قاعدتين هما : العدل ، التي من فروعها مسألة الحسن والقبح وخلق الأفعال . والتوحيد ، التي من فروعها إنكار صفات الله ، ويتفرع عنها القول بخلق القرآن .

والمعسكر الثاني : لأصحاب الحديث الذين تشددوا فكفروا من قال بخلق القرآن ، لأنه كلام الله ، وكلام الله غير مخلوق لأنه صفة ، وصفات الله قديمة ، وكان الإمام أحمد بن حنبل يمثل هذا الاتجاه ، وأوذي إيذاء شديداً .

يقول الباحثون : جاء بعد ذلك من وفق بين المعسكرين ، وفرق بين الكلام النفسي والكلام اللفظي ، وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري ثم الغزالي وغيرهما^(١) .



١- ويمكن الرجوع إلى كتب التوحيد ، وإلى مقال الشيخ محمود النواوي في مجلة الأزهر (المجلد ٢٥ ص ٣٢٣) ، وإلى كتاب ((حياة الحيوان الكبرى)) للدميري في كلامه عن الدولة العباسية .

س : لما أنزل القرآن مجزاً على رسول الله ﷺ ولم ينزل جملة واحدة ؟

ج : نزل القرآن على الرسول ﷺ منجماً أي مجزاً أو مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة لحكمة جاءت في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان : ٣٢] وفي قوله ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

فالحكمة في نزوله منجماً هي تثبيت قلب النبي ﷺ على المضي في تبليغ الدعوة وعدم اليأس من تأييد الله له ونصره عندما يواجهه المشركون بأنواع العنف . وفي كل وقت كان يتعرض لمثل هذه الأزمة فيفرج الله عنه بجرعة من القرآن الكريم ، فيها التأسّي بأولي العزم من الرسل والوعد بالثوبة والنصر المؤزر ، وكذلك لقاءه مع جبريل يعطيه قوة وطمأنينة .

ومن الحكمة تيسير حفظ القرآن على الرسول والمؤمنين ، لأنهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون ، وكل اعتمادهم أو أكثره على الحفظ والرواية ، فإذا نزل على فترات كان ذلك أيسر عليهم في حفظه واستيعابه ، وفي تدبره أيضاً .

وفي تفريقه إعطاء فرصة للكفار أن يتدبروا كل جملة تنزل من آياته ، لعلهم يؤمنون بأنه معجزة ، ومن عند الله وحده . فكل مجموعة تنزل بمثابة دليل جديد على صدق الرسالة .

ومن الحكم ملاحقة الأحداث الجارية والإجابة على الأسئلة المتنوعة والطارئة . وكذلك من الحكم التدرج في التشريع والتربية ، صح في البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول ما نزل (لا تشربوا الخمر) لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل (لا تزنا) لقالوا : لا ندع الزنا أبداً .



س : نحن نعلم أن القرآن الكريم أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ بوساطة
الأمين جبريل ، وقد قرأنا أن بعض السور أو الآيات لم ينزل عن طريقه ،
فهل هذا صحيح؟

ج : صحيح أن القرآن نزل به جبريل على النبي ﷺ كما قال سبحانه ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]
لكن روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ
سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط
إلا اليوم فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم تنزل قط إلا اليوم ،
فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» .

يقول القرطبي في تفسيره ^(١) : قال ابن عطية : ظن بعض العلماء أن جبريل لم
ينزل بسورة الحمد - وساق الحديث المذكور - وليس كما ظن ، فإن هذا الحديث
يدل على أن جبريل عليه السلام تقدم الملك إلى النبي ﷺ مُعْلِماً به وبما ينزل معه ،
وعلى هذا يكون جبريل شارك في نزولها .

قال القرطبي : قلت : الظاهر من الحديث يدل على أن جبريل عليه السلام لم
يعلم النبي بشيء من ذلك ، وقد بينا أن نزولها كان بمكة ، نزل بها جبريل عليه
السلام لقوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ وهذا يقتضي جميع القرآن ، فيكون جبريل
نزل بتلاوتها بمكة ، ونزل الملك بشواها بالمدينة ، والله أعلم وقد قيل : إنها مكية
مدنية ، نزل بها جبريل مرتين ، حكاه الثعلبي ، وما ذكرناه أولى ، فإنه جمع بين
القرآن والسنة ، والله الحمد والمنة .



س : ما أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ؟

ج : أوجه الإعجاز في القرآن كثيرة ، وقد ألفت فيها كتب قديمة وحديثة ، وأشار إليها السيوطي في (الإِتقان) وابن القيم في (الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن) والبيضاوي في (إعجاز القرآن) وأخيراً الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) .

وأحسن الأوجه بأن الإعجاز في بلاغته التي تحدى بها العرب والإنس والجن ، ودائماً تكون المعجزة من جنس ما برع فيه القوم ، كعصا موسى بالنسبة للسحر ، وزعم النّظام من المعتزلة أن الإعجاز هو صرف الناس وعجزهم بقدرة الله عن محاكاته ، ورد عليه كثيرون ومنهم الجاحظ المعتزلي في كتابه (نظم القرآن) وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني المعتزلي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ أو ٣٨٦ هـ ، في كتابه (الثّكت في إعجاز القرآن) ومنهم أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ في كتابه (البيان في إعجاز القرآن) والباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ في كتابه (إعجاز القرآن) كما رد عليه السيوطي في كتابه (الإِتقان) .

ومن وجوه الإعجاز - لأنه كتاب ليس للعرب فقط ولا لعصر النبوة بل للعالم ولجميع العصور - إخباره بالغيب عن الأمور المستقبلية بوجه خاص ، وإن كان أخبر عن الماضين دون الرجوع إلى كتب كما قال الله تعالى عن نوح وقومه :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُنْظِقِينَ ﴾ [هود: ٤٩] .

ومن الغيوب المستقبلية ما تدل عليه الآيات :

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢١] .

﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] .

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ ﴾ (٢) في يَضْعُ سِينِكَ ﴾ [الروم: ٢-٤] .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

ومن وجوه الإعجاز احتواؤه على علوم لم تكن معروفة للبشر ثم عرفت بعد .

﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وألفت في ذلك كتب حديثة مثل (رسالة عن مقارنة بعض العلل بالوارد في النصوص الشرعية) لعبد الله فكري باشا ، و (دروس سنن الكائنات) للدكتور محمد توفيق صدقي و (الجواهر) للشيخ طنطاوي جوهرى و (الإعجاز العلمي للقرآن) للدكتور محمد الغمراوي و (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) للكاتب الفرنسي المسلم (مورييس بوكاي) و (الإسلام يتحدى) لوحيدين الدين خان .

ومن وجوه الإعجاز : التشريع الحكيم الذي عنى ببيانه الشيخ محمد أبو زهرة والمستشار على منصور وغيرهما .

هذه نبذة بسيطة ، والكتب كثيرة لمن أراد المزيد .



س : هل العلوم التي اكتشفت حديثاً توجد في القرآن ، وهل هناك حاجة إلى تفسير القرآن تفسيراً علمياً على ضوء الاكتشافات الحديثة؟

ج : إن مهمة القرآن هي الإعجاز والهداية ، وأن ما فيه من حقائق علمية تدعو إلى النظر والتأمل ، وزيادة في الإيضاح وإجابة على السؤال نقول :

هذه القضية ثار حولها الجدل والنقاش ، وانقسم الناس فيها فريقين :

أ - فريق يقول : نعم في القرآن توجد العلوم والمكتشفات الحديثة . ونحن في حاجة إلى تفسير علمي ، بمعنى استخلاص هذه المحدثات من ألفاظ القرآن ، وحمل الألفاظ عليها . واستند هذا الفريق في رأيه إلى ما يأتي :

١ - أن الله تعالى قال : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

أي ليس في الحياة شيء إلا وهو موجود في القرآن . فذكرت فيه الميكروبات والكهرباء والذرة والصواريخ والطائرات وغيرها .

ونوقش هذا الدليل بأن المراد بالكتاب هو اللوح المحفوظ الذي أثبت الله فيه مقادير الخلق ، ما كان منها وما يكون ، حسب النظام المعبر عنه بالسنن الإلهية . أو هو علم الله المحيط بكل شيء الثابت فيه كل معلوم ، وإذا أريد بالكتاب القرآن فليس لفظ الشيء على عمومته ، بل المراد به الشيء الذي هو موضوع الدين ، وهو الهداية التي من أجلها نزل القرآن ، فالعموم في كل شيء بحسبه .

٢- كما استند إلى أن نشر الإسلام في هذه الأيام يحتاج إلى التحدث عنه بأسلوب العصر وطرائق فهمه ، لبيان تجاوب الدين والقرآن مع الحياة في كل أطوارها .

ونوقش بأن نشر الإسلام لا يتوقف على ذلك ، فأصول الهداية فيه ، والنصوص الدالة على النظر والبحث وتقديس العقل كافية في بيان تجاوبه مع أرقى الحضارات وأزهى العصور .

وبهذا نرى أن حجة هذا الفريق واهية أو فيها مناقشة تضعف الاستدلال بها على المقصود .

ب - والفريق الآخر يقول ليس القرآن كتاب تعليم وتسجيل لمكتشفات العصور بأشخاصها ، ولا يحتاج إلى أن نحمل ألفاظه على أسلوب العصر ونضمنها نظرياته وعلومه . وحجتهم في ذلك :

١- عدم حاجة الشريعة في فهم كتابها وتعرف مبادئها ، إلى العلوم الكونية والرياضيات وما إليها . وحمل ألفاظ القرآن عليها فيه تعسف وتحميل لها لما لا تنطبق .

٢- أن القرآن موجه أولاً إلى من نزل فيهم وهم العرب ، وليس لهم عهد بهذه العلوم التي لم تعرفها الدنيا إلا بعد قرون ، فإذا قصد القرآن إليها وآياته لاتفهم إلا بالوقوف عليها ، كان كلاماً غير مطابق لمتقاضى الحال ، وحاشاه أن يكون كذلك ، فوجب أن نقف بعباراته عند فهم العرب الخالص ، ولانتجاوز ما ألفوه من علومهم ، يقول الشاطبي ^(١) : ما تقرر من أمة

١- الموافقات ج ١ ص ٥٢ .

الشرية وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ينبنى عليه قواعد ، منها: أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين ، من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها . وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح ، ولهذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم من أحكام . . وما يلي ذلك . ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ، إلا أن ذلك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا .

٣- أن النظريات العلمية عرضة للتبديل والتغيير ، فإذا حملنا عليه ألفاظ القرآن كان فهم آياته عرضة للتغيير والتبديل مما يبعث على الشك ويؤدي إلى البلبلة والاضطراب .

وقد يناقش الدليل الأول بأن عدم احتياج فهم الشريعة وتبليغها إلى العلوم لا ينافي أنها موجودة في القرآن ، ويكون الغرض منها الشرح والبيان والإيضاح ، ويناقش الدليل الثاني بأن القرآن ليس للعرب فقط ولا لعصرهم السابق ، بل هو لكل الناس ولجميع العصور ، فلا مانع أن يكون فيه من المعلومات ما لا يعرفه العصر الأول ، وسيعرف فيما بعد ، ولعل مما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ سَتَرِيهِمْ ءَابَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] وعموم رسالة الإسلام لا يجوز معها قصر فهم القرآن على المألوف عند العرب ، فليكن فيه قدر يتضح سره بما ينكشف بعد من علوم كونية ونفسية ، وذلك لزيادة الإيضاح لأصل الدليل على صدقه فهو صادق بإعجازه وكفى بالله شهيداً على ذلك ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

ويناقش الدليل الثالث ، بأن حمل الألفاظ القرآنية على النظريات التي لم تثبت بعد لا يجوز أبداً ، وإذا حملت فإنما يكون على الحقائق العلمية الثابتة ، ذلك لأن

كلام الله حق لا يفسّر بغير الحق ، وهو ثابت لا يفسر بغير الثابت ، فاللائق هو توضيح الثابت بما ثبت وليس ذلك إلا في الحقائق العلمية المقررة وهذا كله بشرطة عدم التعسف في التأويل ، بل يترك لفظ القرآن على طبيعته القابلة لكل فهم دفعاً للعقل إلى التفكير والبحث .

٧- والرأي الذي أميل إليه يتخلص فيما يلي :

أ- أن القرآن فيه بعض الحقائق العلمية ، وقد ذكرت للبرة والموعظة والتأمل ، لا على أنها معلومات للاعتقاد والتكليف والتعليم ، وقد عبر الله عنها بالألفاظ العربية والأسلوب المعجز . وما جاء فيه من المقررات العلمية حق لأنه كلام الله ، سواء عرفها الناس عند نزولها أم لم يعرفوها ، وعدم علمهم بها لا يغض من شأن القرآن ، فهو ميسر للذكر يستطيع كل إنسان أن يأخذ منه القدر الكافي لهدايته ، مهما كان مستواه العلمي .

ب- أن ألفاظ القرآن دقيقة محكمة لأنها صنع الله الذي أتقن كل شيء وأن هناك لوناً من ألوان إعجازه هو الحديث عن بعض المسائل العلمية التي لا عهد لمحمد ﷺ بالذات بعلمها ، ولا عهد للعرب الذين ووجهوا بالقرآن بها ، ثم ثبت بعد ذلك صدق هذه المسائل ، وذلك للدلالة على أن القرآن ليس من عند محمد ، بل هو من عند الله العليم الخبير . وبالتأمل في بعض هذه التعبيرات نجد أنها محايدة في الأمور التي يختلف الناس عليها ولم يصلوا بعد إلى معرفة أسرارها ، وذلك ليدع مجال الفكر مفتوحاً للباحثين ، ليصلوا إلى آخر شوط ممكن ، وكلما جد البحث بشخص نظر إلى الآية فرآها كأنها معه في كل خطواته تشجعه ولا تصرح على الأقل بكذبه أو إخفاقه ، فيغريه ذلك على متابعة البحث إرضاء لشهوة العقل وحب الاستطلاع . حتى إذا وصل إلى الحقيقة العلمية الثابتة وجد الآية معه أيضاً لم يصبها أي تغير في موقفها المحايد الذي لا ينحاز إلى باحث معين في أولى خطوات النظر وفي وسطها حتى

يبلغ النهاية . وهو بوصوله إلى الحقيقة سيزداد إيماناً بصدق القرآن وأنه حق من عند الله ، لا من عند محمد الذي لم يتعلم أساليب البحث ليصل إلى هذه النتيجة ، وإن لم يصل إلى الحقيقة العلمية بعد طول البحث لا يجوز له أن يشك في القرآن ، بل الأجدر أن يتهم نفسه ويعيد النظر في أسلوب بحثه عل فيه حلقة مفقودة ، أو مقدمة لم تثبت لتستطيع أن تنتج نتيجة صادقة .

وحياذ الألفاظ القرآنية في كثير من مواضعها هو الذي أوجد النشاط الفكري عند علماء الكلام في بعض المسائل الكلامية ، حيث تكون الآية الواحدة وكل يدعي أنها تشهد لرأيه ، وكذلك كان هذا الحياذ سبباً في نشاط علماء الشريعة في استنباط الأحكام الفقهية .

ج - أن أسلوب القرآن مطابق لمقتضى الحال في خطابه للعلماء والعامه على السواء ، على خلاف الكلام العادي للناس ، فهو إما أن يخاطب به المستويات العالية باشتماله على الرمز والإشارة والكناية والاستعارة ، وإما أن يخاطب به العامة الذين لا يفهمون إلا الواضح المبسط من الكلام ، ولو خوطبت إحدى الطائفتين بغير ما يليق بها لم يكن الكلام بليغاً ، أما القرآن الكريم فهو وحده الذي يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم ، فهو متعة الخاصة والعامة على السواء . كما قال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٢٣، ٤٠] .

يقول الراغب الأصفهاني في مقدمة تفسيره : أخرج تعالى مخاطباته في حاجة خلقه في أجل صورة تشتمل على أدق دقيق ، لتفهم العامة من جللتها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ؛ ويفهم الخواص من أثنائها ما يوفى على ما أدركه فهم الحكماء ، ومن هذا الوجه كل من كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ، ولذلك إذا ذكر تعالى حجة إلى ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرة بإضافتها إلى أولي العقل ، ومرة إلى أولي العلم ، ومرة إلى السامعين ، ومرة إلى المتذكرين تنبيهاً على أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها .

د- أننا في حاجة إلى من يفسر لنا القرآن على ضوء المقررات العلمية لتتضح معانيه. ويؤمن بها الذين لا يرضون بغير هذا الأسلوب بديلاً ، فبمقررات علم الحياة والأجنة يمكن توضيح قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۝١٤ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٥ ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤] وبمقررات علم الطب يتضح لنا معنى الأذى في قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعِزُّوا نَفْسَكُمْ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ۝٢٢٢ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ويتضح سر التحريم لأكل الميتة والدم ولحم الخنزير والموقوذة والمتردية والنطيحة . الوارد في الآية الثالثة من سورة المائدة فكل ما يساعد على كشف أسرار التشريع من العلوم لا بأس به ، بل كل ما يوصل إلى الإيمان بالله وإدراك شر الوجود لا بأس به بل هو مطلوب .

وهذا كله على شريطة أن يكون التفسير بالمقررات الثابتة ، لا بالنظريات التي ما زالت قيد البحث ومحل اختلاف العلماء . وعلى ألا يكون هناك تعسف في التأويل وتحميل الألفاظ معاني لم توضع لها ، كما سيتضح من عرض الأمثلة الآتية بعد .

٨- إن تفسير القرآن بالنظريات التي لم تثبت يعد تفسيراً بالرأي المحض ، وقصره على رأي بالذات افتراء للكذب على الله . وفي ذلك خطورة كبيرة ، لأنها تخضع آيات القرآن للآراء الخاصة ، الأمر الذي ضل به كثير من الفرق التي ظهرت في الإسلام ، ولأنها تمنع صلاحية الإسلام العامة أن تكون لكل البيئات والأجيال وأن تكون مناراً هادياً لكل المفكرين ، كما أنها تعرض القرآن للطعن فيه بالتكذيب إن جاء ما يثبت خطأ الرأي الأول الذي فسر به .

والإنسان إذا لم يكن متمكناً مما يقول ويرى لا ينبغي أن يحمل القرآن على جهله وسفهه ، فهو حرم مقدس لا يقربه إلا العالمون الموقنون . قال إبراهيم التيمي :

سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والأب فقال : أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم . وقال أنس : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال : كل هذا قد عرفناه ، فما الأب ؟ ثم رفع عصا كانت بيده وقال : هذا لعمرؤ الله التكلف ، وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدري ما الأب . ثم قال : اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب ، وما لافدعوه^(١) . وذلك كله من وحي قوله ﷺ « اتقوا الحديث عليّ إلا ما علمتم ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار^(٢) . قال ابن عطية : ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله عز وجل فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء ، واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول ، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته والنحويون نحوه ، والفقهاء معانيه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر ، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه^(٣) وعلى هذا من يفسر القرآن بنظرية غير ثابتة فهو يفسر برأيه على غير قوانين العلم والنظر ، بخلاف من يفسره بهذه القوانين الثابتة ، فهو يعمل عملاً مشروعاً يوضح ما في القرآن فقط لا يقصد به إثبات صدقه ، فكفى بالله شهيداً على صدقه .

٩- إن من قواعد المنهج السليم لتفسير القرآن أن تستقتصي آياته في الموضوع الواحد فهي تفسر بعضه بعضاً ، وخير ما فسرته بالوارد ، فقد يكون العام أو المطلق أو المبهم في آية مخصصاً أو مقيداً أو مبيناً في آية أخرى ، وهكذا ، على أن يراعى السباق والسياق في فهم المراد من الآية . والخطأ الذي يقع فيه كثير من الباحثين الآن - وكثير منهم غير أهل للتفسير - أساسه عدم مراعاة هذا المنهج ، فهم يبترون الآية بترأ ويقطعونها عن سابقاتها ولاحقها ويفسرونها كما يريدون ، وهم لا ينظرون إلى مثل هذه الآية في موضع آخر من القرآن حتى

٢- رواه الترمذي عن ابن عباس .

١- القرطبي ج ١٩ ص ٢٢٣ .

٣- القرطبي ج ١ ص ٣٢ .

يستعينوا بها على تفسيرها ، فلهذا يخطئون كثيراً فيما يزعمون . روى البخاري ومسلم أنه لما نزل قوله الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال بعض الصحابة : يا رسول الله وأينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ « ليس بذلك ، ألا تسمع إلى قول لقمان ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ . فالظلم الذي نزلت به هذه الآية عرف المراد منه بما نزل في الآية الأخرى ، وهو الشرك .

ومن مظاهر الخطأ في التفسير لعدم اتباع هذ المنهج أن بعض الباحثين -ولا أقول المفسرين- أراد أن يبرهن على أن الأرض تتحرك وتسير وليست ثابتة ، فأورد قوله تعالى : ﴿ وَرَى الْجِبَالِ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٨] فمرور الجبال كالسحاب دليل على أن الأرض تتحرك ، هكذا يقول . وقد نسي أن الآيات التي اكتنفت هذه الآية تتحدث عن النفخ في الصور وعن محاسبة الناس على حسناتهم وسيئاتهم ، فالجو كله في يوم القيامة سباقاً وسياقاً . وليس ذلك في علم الدنيا . ونسي أيضاً أن الحديث عن ظاهرة مرور الجبال يوم القيامة ورد في آيات أخرى من سور القرآن قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۚ ۝١ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۚ ۝٢ قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ﴾ [الطور: ٩-١١] وقال ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ ﴾ [التكوير: ١-٣] والمقام كله في يوم القيامة .

١٠- وهذه بعض الكشوف العلمية التي حاول الكاتبون أن يستدلوا عليها بالقرآن:

أ - في غزو الفضاء قالوا : يدل عليه قوله تعالى : ﴿ يَمْعَشَرُ الْإِنْسَانُ إِنْ اسْتَطَاعَتْمْ أَنْ تَفْقُدُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْقُدُوا لَا تَفْقُدُوا إِلَّا سُلْطَانِي ﴾ [الرحمن: ٣٣] فالسلطان هو العلم وبواسطته نفذ الإنس من الأفطار . ويرد عليه بأن هذه الآية تتحدث عن يوم القيامة ، وتبين قدرة الله على محاسبة كل من الإنس والجن ومجازاته لا يستطيع أحد أن ينجو منه إلا بسلطان ، أي قدرة عظيمة أو ملك قوي ، وليس ذلك لأحد إلا لله . أو تتحدث عن القضاء بالموت على كل حي لا يهرب منه أحد فكل من عليها فان ، لا ينجو منه إلا بالسلطان المذكور وهو لا يملكه .

وقال ابن عباس في تفسيرها : إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات وما في الأرض فاعلموه ولن تعلموه إلا بسلطان أي بينة من الله ، ومعنى هذا أن الغيب لا يعلمه إلا الله ، والذي يطلع عليه من يشاء من عباده . فلو فرض أن المراد بالسلطان هو العلم كما يشير إليه قول ابن عباس ، فإن هذه الآية ليست نصاً في الزعم الذي يقوله المتحدثون . وعلى ذلك لا تصح دليلاً لهم ، على أنه لو كان ذلك صحيحاً فما المانع أن يطلع الله بعض الناس على علوم الكون بسلطان العلم ، ولكن هل نفذ الإنس بعلمهم من أقطار السموات أيضاً ، أو نفذوا فقط - إلى الآن - من أقطار الأرض وجاذبيتها ، وبقيت السموات حجراً محجوراً ؟

إن كل ما أمكن الوصول إليه من معلومات عن طريق الآلات الحديثة لا يعدو أن يكون في سماء الدنيا ، فإن الكشوف الفلكية والكواكب وأبعادها وسرعة ضوئها ودورانها ما زالت في إحدى السموات وهي الدنيا ، الشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون ميل كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ [الصفافات : ٦٠] فهل يستطيعون أن ينفذوا من أقطار السماء الدنيا كلها ثم يتطلعون إلى بقية السموات ؟

على أن المقام ، كما ذكرت ، هو مقام الحساب والجزاء بدليل السباق والسياق ، فأولى أن يحمل اللفظ على ما يليق به ، ولا داعي للتعسف وطلب دليل من القرآن ، فكم من حقائق علمية ثبتت بغير الاستدلال عليها من الكتاب الكريم ، ولا ضير في ذلك أبداً ، على ما علمت من مهمة القرآن في الهداية والإعجاز .

ب - استدل بعض العامة من الناس على كروية الأرض بالآية السابقة قائلاً إن التعبير بالأقطار يثبت كروية الأرض وكروية السماوات ، لأن القطر هو الخط الموصل بين نقطتين على المحيط ماراً بمركز الدائرة ، والأقطار لا تكون إلا للدوائر وهذا بالتالي يثبت الكروية . ويرد عليه بأن القطر الذي تحدث عنه هذا الشخص اصطلاح هندسي لم تعرفه العرب فهم يعرفون القطر بأنه الجهة والناحية لا الخط المذكور ، والنفاذ من الأقطار يكون بالخروج من الجهات والمنافذ لا من الخطوط التي يتصورها المهندسون .

إن كروية الأرض حقيقة ثابتة ، و حياة الناس وتطورها مبني عليها ، والدليل على ذلك ليس من القرآن ، ولا داعي لالتماسه منه أبداً ، على ما علمت من مهمته في الإعجاز وهداية الناس .

ج - دور الرياح في تلقيح النبات بحمل مادة الذكورة إلى مكانها الذي تلتقي فيه بمادة الأنوثة فيكون الإخصاب ، على ما هو مقرر في علم النبات . استدل عليه البعض بقوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ [الحجر: ٢٢] فاللواقح جمع لاقح بمعنى حاملة للقاح ، أو ملقحة لغيرها بما تحملها ، إن دور الرياح في نقل اللقاح معروف ، ولكن في أخذه من هذه الآية تعسف وتكلف ؛ ذلك أنه لو كان المراد تلقيح النبات لجاء عقبها ما يتحدث عن النبات فيقال مثلاً : فزكا الزرع وخرج الثمر ولكن الذي حدث أن الذي جاء بعدها قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ وهذا يشير إلى أن المعنى أن الرياح المحمّل ببخار الماء ؛ يرسلها الله فتتجمع السحب ويتكاثر البخار ويبرد في الطبقات الجوية الملائمة فينزل الماء ، وهذا هو التنسيق المعقول بين إرسال الرياح اللواقح وإنزال الماء من السماء لسقي الناس . فأولى أن يحمل الآية عليه ، ولا يتعسف بحملها على ما يثبت دورها في تلقيح النبات ، فذلك مشاهد بالملاحظة والنظر لا حاجة إلى الدليل النقلي عليه .

د - قالوا : إن حدود الكون تتسع وتمتد ؛ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِيمَانٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] ؛ لكن العلماء قالوا : إن لفظ ﴿ لَمُوسِعُونَ ﴾ مأخوذ من أوسع الرجل إذا صار ذات سعة وغنى ؛ ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَتَعْنَاهُمْ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِفِدَرَهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٦] فالآية تدل على قدرة الله ، وقدرته تتجلى في أشياء كثيرة ، ولا مانع أن يكون منها توسيع حدود الكون ، فهو الذي خلقه بقدرته وعلمه . فلا ينبغي قصر معنى السعة على هذا الذي يريده علماء الفلك والطبيعة .

هـ - قالوا : إن كل شيء في السماء يعثره ازدياد مفاجئ في حرارته وحجمه وإشعاعه بدرجة لا تتصورها العقول ، وعند ذلك يتمدد السطح بها حوى من هب

ودخان ، وحتى يحصل على توازنه الدائم ، والشمس لم تمر بهذا الدور بعد ، فإذا مرت به وتمدد سطحها الخارجي حتى وصل القمر يخلت توازن المجموعة الشمسية كلها ، وذلك يوم القيامة ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان : ١٠] قال المفسرون : إن هذا الدخان من علامات الساعة كما في صحيح مسلم ، وقيل إن الدخان هو ما أصاب قريشاً من الجوع بسبب دعاء النبي ﷺ عليهم ؛ كما رواه البخاري في حديث يصور هذا الجوع جاء فيه : فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله ﴿فَارْتَقِبْ﴾ وجاء فيه : أن النبي استقى لهم فسقوا ولكن استمروا على عنادهم فقال الله تعالى : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ يعني يوم بدر ، وقيل إنه غبار الجيش يوم فتح مكة .

و - قالوا أيضاً مما يشير إلى قلة الأوكسجين في الطبقات الجوية العليا قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَعُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام : ١٢٥] وظاهرة ضيق الصدر تحصل عند الارتفاعات العليا ، ومثل هذا واضح لا شك فيه ، ويفيد في تصور المعنى المراد دون أن يمس قدسية القرآن .

كما قالوا : إن الأبعاد والمسافات الشاسعة بين النجوم والتي لا يمكن حساب بعضها يشير إليه قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة : ٧٥] فإن مجموعات النجوم التي تكون أقرب مجرات السماء منا تبعد عنا بنحو ٧٠٠ ألف سنة ضوئية ، والسنة الضوئية تعادل عشرة ملايين الملايين من الكيلو مترات^(١) (الضوء يقطع في الثانية ١٨٦٠٠٠ ميل) ٣٠٠,٠٠٠ كم فهذه الأبعاد الشاسعة جديرة بأن يقسم الله بها لعظمها ، وهذا وجه من وجوه العظمة وقد يكون منها دقة مساراتها وعدم تصادمها وتحديد الجاذبية في كل منها ، فالآية شاملة وعامة .

١ - الضوء يقطع في العام نحو ٥,٨٨ مليون ميل أي نحو ٦ مليون ميل (مجلة العربي يوليو ١٩٧٠م).

وقالوا أيضاً : مما يدل على قوة الاستدلال ببصمات الأصابع على شخصية صاحبها قوله تعالى ﴿بَلَىٰ قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ [القيامة : ٤] لأن دقة الخطوط واتجاهاتها وعددها لا يكاد يتفق فيها شخصان ، فتسويتها يوم القيامة على ما كانت عليه بعد أن كانت تراباً مثوراً موزعاً في أماكن قاصية دليل قدرة الله تعالى ، وهذا وجه من وجوه قدرة الله على بعث الناس يوم القيامة بأجسامهم المشخصة لهم بعد فنائها .

مثل هذه الأمثلة الأخيرة لا يضر توضيح آيات القرآن به أبداً ، ولكن الممنوع قصرها على هذه المكتشفات ، أو التعسف في التأويل الذي يخرج به اللفظ عن أصل وضعه اللغوي واستعماله العرفي عند العرب الذين نزل القرآن بلغتهم .

وبعد ، فهذا عرض موجز لموقف القرآن من الكشف العلمية الحديثة رأينا فيه تشجيعه للبحث والنظر ؛ ورأينا دقته حين يعرض لشيء علمي كشف عنه البحث أخيراً ، وهذا دليل صدقه وأنه من عند الله وحده أيده رسوله محمد ﷺ . والمقررات العلمية الثابتة ستزيد معاني القرآن وضوحاً ، وهذه صورة من صور التعانق بين العلم والدين . أي العلم الثابت الأكيد ودين الله الذي أنزله هداية للناس جميعاً ﴿سَتُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فليكن فهمنا له على ضوء الحقائق الثابتة لا النظريات الفعجة ، ولنحفظ له قدسيته فلا نقول على الله بغير علم ، ولانجعله حمى مستباحاً لكل كاتب يجيل فيه قلمه بما ترمي به الأفكار الشاردة ، فليس كل مجال تباح فيه الحرية للجائلين ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت : ٥٤] .

تتمة :

وردت بعض الأحاديث في مسائل علمية لم يوافق عليها العلم إلى الآن كحديث الذباب إذا وقع في الإناء والأمر بغمسه كله لأن في أحد جناحيه داء والآخر دواء ، وأحاديث أخرى واردة في الطب .

ويرى ابن خلدون أن الطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شيء فإن النبي ﷺ لم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال أنتم أعلم بأمور دنياكم .

وعلى هذا يجوز أن يكون رأي النبي ﷺ في مثل هذه الأمور محتملاً للخطأ لأنه من أمور الدنيا . لكن لا ينبغي الحكم بذلك إلا بعد البحث الصحيح لمعرفة الرأي الحق العلمي اليقيني في مثل هذه الأمور ^(١) .



س : هل القرآن كتاب علمي ، أو كتاب يقوم على العلم ولا يتناقض معه عبر العصور ؟

ج : التعبير بكتاب علمي أو كتاب يقوم على العلم من التعبيرات الاصطلاحية التي يفسرها واضعوها حسب ما يتفقون عليه ، وبعبارة عن ذلك أقول :

القرآن كتاب علمي بمعنى أنه يعلم الناس ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم ، وذلك معنى الهداية التي جاءت في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] وقوله ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦] .

أما أن يكون القرآن كتاباً علمياً بمعنى أنه يعلم الناس العلوم كالطب والهندسة والرياضة والجغرافيا والطبيعة والكيمياء ، فليس ذلك من مهمته ، وإنما مهمته في هذه الناحية أن يأمر بالتعلم والتعليم لكل ما يمكن أن يستفيد منه الناس في أمور الدين والدنيا ، وأن يضع الآداب ، التي تجعل العلم يستخدم في المصلحة . والقرآن

مليء بالآيات التي تدعو إلى العلم وترفع شأن العلماء الذين يبتغون الخير من علمهم ، بصرف النظر عن مادة العلم ما دام الهدف خيراً .

ومن الآيات التي تبين ذلك قوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَرَأَى اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۚ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿[فاطر: ٢٧، ٢٨] .

فهذا رفع لقدر العلماء في كل المجالات المتقدمة في الآيتين ، علماء الفلك والطبيعة والكيمياء والنبات وطبقات الأرض والحيوان والطب والهندسة والاجتماع والتاريخ . . لأنهم عند إنصافهم وتعمقهم في هذه العلوم سيدركون أن وراء هذا الخلق البديع سرّاً كبيراً ، وأن قوة أخرى فوق المادة هي التي صنعت هذا الكون وسيّرتة حسب النواميس الثابتة . وتلك هي قوة الله تعالى ، وكم من علماء في هذه المجالات آمنوا بوجود الله بعد كفرهم به ^(١) .

وأما كون القرآن يقوم على العلم ولا يتناقض معه في كل العصور والأزمان فتلك حقيقة لا شك فيها ، بمعنى أن كل ما جاء فيه من أمور يقال عنه أنها علمية فهي صادقة ، لأنها من صنع الله ، والحقائق العلمية من صنع الله ، أما النظريات التي لا ترقى إلى درجة الحقيقة فهي من صنع البشر ، قد تصدق فتكون مطابقة لما عند الله ، وقد تكذب فتخالفه ، وهنا لا يجوز مطلقاً أن نفسر القرآن بالنظريات ، وإنما نفسره بالحقائق لتوضيح ما فيه ، والموضوع طويل لا يتسع المجال لشرحه ، يمكن الرجوع إليه في كتابنا « دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة » .



١ - اقرأ كتاب : (الله يتجلى في عصر العلم) ، الذي ألفه الباحث الديني الاجتماعي ((جون ملوفر مونسيا)) .

س : هل المال مفضل على البنين حيث جاء الأول في قوله تعالى : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ؟

ج : هذه الآية من (سورة الكهف : ٤٦) ومبدئياً أقول : إن العطف بالواو لا يقتضي ترتيباً ولا تعقيباً كما قال علماء اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم المعجز ، فالمال والبنون يشتركان في حكم واحد في الآية هو زينة الحياة الدنيا ، سواء قدّم المال على البنين في الذكر أو آخر ، فالواو لمطلق الجمع بينهما .

ثم أقول : لعل - والله أعلم - تقديم المال على البنين هو مشاكلة لما حدث في قصة الرجل صاحب الجنتين الذي افتخر بهما على صاحبه . وقدم في فخره المال على الولد ، حيث قال القرآن : ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف : ٣٤] وردّ على صاحبه بعد ذلك بقوله : ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ٢١ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُّؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف : ٣٩ ، ٤٠] واستمر الحديث بعد ذلك عن المال وهو الجنة التي أحرقها الله ، وجاءت الآية التي تضرب المثل بعد ذلك متحدثة عن المال ، فالتركيز أكثر على المال . فناسب أن يخبر الله عن زينة الحياة الدنيا مقدماً المال الذي كان الاهتمام به كبيراً ، ثم أقول إن المال هو الذي يساعد على الزواج الذي يأتي منه البنون المحتاجون في تربيتهم أولاً إلى المال ، هذا ما بدا لي ولعله يكون مقبولاً وأسرار القرآن المعجز يعلمها الله سبحانه وتعالى .



س : لماذا نرى في القرآن الكريم تقديم الجن على الإنس . هل هم أفضل من الإنس ؟

ج : كما قرر العلماء : العطف بالواو لا يقتضي ترتيباً ولا تعقيباً ، فالكل مخلوقون لله ومخاطبون بالشرعية وسيحاسبون أمام الله ، وهم مشتركون في هذه الأمور وفي غيرها ، ولعل تقديم الجن على الإنس راجع إلى أن الجن كانوا موجودين قبل خلق

آدم . فلما خلقه الله أمر الملائكة بالسجود له ، وكان معهم إبليس وقال بعض العلماء: لعل التقديم بسبب أن الجن تشمل الملائكة بجامع الاستتار في كل ، وفي ذلك يقول الله تعالى عن الكفار ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا ﴾ [الصافات: ١٥٨] حيث قالوا: إن الملائكة بنات الله قال الأعشى :

وسخر من جن الملائكة سبعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

فأما قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنُّوَا إِنْهُمْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٧٤] وقوله : ﴿ لَا يَسْتَلُّ عَنْ ذِيهِ إِنْهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩] وقوله : ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الجن: ٥] فإن لفظ الجن ها هنا لا يتناول الملائكة بحال ، وذلك لنزاهتهم عن العيوب ، وأنه لا يتوهم عليهم الكذب ولا سائر الذنوب ، فلما لم يتناولهم عموم اللفظ لهذه القرينة بدأ لفظ الإنس لفضلهم وكما لهم ^(١) .



س : في سورة القصص جاء قوله تعالى : و ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [الآية ٢٠] وفي سورة يس جاء قوله ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ [الآية ٢٠] فما هو السر في تقديم (رجل) في الآية الأولى وتأخيرها في الآية الثانية ؟

ج : القرآن كله في أعلى درجات البلاغة العربية كما هو معروف ، وقد اجتهد العلماء في بيان أسرار بلاغته ، فأدركوا بعضها وخفى عليهم البعض الآخر ، ووضعت في ذلك كتب خاصة ، مثل : غرائب آي التنزيل لزين الدين الرازي الخلفي المتوفى سنة ٦٦٦ هـ ، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، لمحمود بن حمزة الكرمانى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، للشيخ زكريا الأنصاري ، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ، وغير ذلك .

١ - آكام المرجان ، للشبلي ص ٧ .

وبخصوص ما جاء في السؤال قال الكرمانى : خست سورة القصص بالتقديم لقوله قبله ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [الآية : ١٥] ثم قال ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ وخست سورة يس بقوله ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ لما جاء في التفسير أنه كان يعبد الله في جبل ، فلما سمع بخبر الرسول سعى مستعجلاً ، أي أن الإخبار هنا هو عن سعيه وليس عنه ، والتقديم هنا للاهتمام والاعتناء بالفعل لا بالفاعل .



س : لماذا قال الله في بعض السور ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٣٢) [الأعراف : ١٢٢، ١٢١] وفي بعضها ﴿أَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾

[طه : ٧٠] فما هو السر في تقديم موسى مرة وتأخير هارون مرة أخرى ؟

ج : جاء التعبير عن إيمان سحرة فرعون بالله الذي أرسل إليهم موسى وهارون جاء في ثلاث سور هي الأعراف وطه والشعراء ، وفي بعضها قدم ذكر موسى على هارون وفي بعضها الآخر قدم هارون على موسى .

وليست لذلك حكمة منصوصة ، بل هي استنتاجات قد تصادف الحقيقة وقد تنبؤ عنها ، وقد قال علماء النحو : إن العطف بالواو يفيد مطلق الجمع دون ترتيب ولا تعقيب ، فالله رب موسى وهارون جميعاً ، وإيمان السحرة بهما واحد لا ميزة فيه لأحد على الآخر .

غير أن من مظاهر البلاغة العربية ، التناسب بين رءوس الفقرات ، والقرآن الكريم في أعلى درجات البلاغة . فتناسب بين رءوس الآيات حتى يكون وقف القارئ عليها فيه مسحة من جمال الأداء .

والناظر إلى سورة الأعراف يجد آياتها تنتهي بنون قبلها مد بالواو أو الياء ، ونادراً ما يوجد بدل النون ميم أو لام ، فالصوت عند الوقف يسكن دون انطلاق نفس مع الإحساس بنغمة مؤثرة ، ولذلك كان لفظ «هارون» مؤخراً على لفظ «موسى» لتناسب رءوس الآيات ، ونجد مثل ذلك في سورة الشعراء ﴿رَبِّ مُوسَى﴾

وَهَرُونَ ﴿١٣٠﴾ ومن أجل مراعاة التناسب في سورة الشعراء حذفت ياء المتكلم من آخر الكلمة وبقيت النون التي هي للوقاية وليست للرفع لأن الفعل قد يكون منصوباً مثل ﴿أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ومثل ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ليتناسب مع ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٣٢﴾ أما في سورة طه فنهاية الآيات صوت مطلق بالمد المفتوح في أغلبها ، وقليل منها بالمد المكسور ، وذلك يتناسب مع لفظ ﴿مُوسَى﴾ فقدم عليه لفظ هارون لتنتهي الآية بما يتناسب مع نهايات الآيات الأخرى ، مثل ﴿طه﴾ ﴿١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ فَيَتَنَاسَبُ مَعَهُ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿١١١﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿١٢٨﴾ ﴿١٢٩﴾ ﴿١٣٠﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿١٣٥﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿١٣٨﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿١٤٣﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٥﴾ ﴿١٤٦﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿١٥٠﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿١٥٢﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿١٥٤﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿١٥٦﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿١٨٣﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿١٨٧﴾ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿١٩٠﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿١٩٣﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿١٩٥﴾ ﴿١٩٦﴾ ﴿١٩٧﴾ ﴿١٩٨﴾ ﴿١٩٩﴾ ﴿٢٠٠﴾ ﴿٢٠١﴾ ﴿٢٠٢﴾ ﴿٢٠٣﴾ ﴿٢٠٤﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿٢٠٦﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿٢٠٨﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿٢١١﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿٢١٣﴾ ﴿٢١٤﴾ ﴿٢١٥﴾ ﴿٢١٦﴾ ﴿٢١٧﴾ ﴿٢١٨﴾ ﴿٢١٩﴾ ﴿٢٢٠﴾ ﴿٢٢١﴾ ﴿٢٢٢﴾ ﴿٢٢٣﴾ ﴿٢٢٤﴾ ﴿٢٢٥﴾ ﴿٢٢٦﴾ ﴿٢٢٧﴾ ﴿٢٢٨﴾ ﴿٢٢٩﴾ ﴿٢٣٠﴾ ﴿٢٣١﴾ ﴿٢٣٢﴾ ﴿٢٣٣﴾ ﴿٢٣٤﴾ ﴿٢٣٥﴾ ﴿٢٣٦﴾ ﴿٢٣٧﴾ ﴿٢٣٨﴾ ﴿٢٣٩﴾ ﴿٢٤٠﴾ ﴿٢٤١﴾ ﴿٢٤٢﴾ ﴿٢٤٣﴾ ﴿٢٤٤﴾ ﴿٢٤٥﴾ ﴿٢٤٦﴾ ﴿٢٤٧﴾ ﴿٢٤٨﴾ ﴿٢٤٩﴾ ﴿٢٥٠﴾ ﴿٢٥١﴾ ﴿٢٥٢﴾ ﴿٢٥٣﴾ ﴿٢٥٤﴾ ﴿٢٥٥﴾ ﴿٢٥٦﴾ ﴿٢٥٧﴾ ﴿٢٥٨﴾ ﴿٢٥٩﴾ ﴿٢٦٠﴾ ﴿٢٦١﴾ ﴿٢٦٢﴾ ﴿٢٦٣﴾ ﴿٢٦٤﴾ ﴿٢٦٥﴾ ﴿٢٦٦﴾ ﴿٢٦٧﴾ ﴿٢٦٨﴾ ﴿٢٦٩﴾ ﴿٢٧٠﴾ ﴿٢٧١﴾ ﴿٢٧٢﴾ ﴿٢٧٣﴾ ﴿٢٧٤﴾ ﴿٢٧٥﴾ ﴿٢٧٦﴾ ﴿٢٧٧﴾ ﴿٢٧٨﴾ ﴿٢٧٩﴾ ﴿٢٨٠﴾ ﴿٢٨١﴾ ﴿٢٨٢﴾ ﴿٢٨٣﴾ ﴿٢٨٤﴾ ﴿٢٨٥﴾ ﴿٢٨٦﴾ ﴿٢٨٧﴾ ﴿٢٨٨﴾ ﴿٢٨٩﴾ ﴿٢٩٠﴾ ﴿٢٩١﴾ ﴿٢٩٢﴾ ﴿٢٩٣﴾ ﴿٢٩٤﴾ ﴿٢٩٥﴾ ﴿٢٩٦﴾ ﴿٢٩٧﴾ ﴿٢٩٨﴾ ﴿٢٩٩﴾ ﴿٣٠٠﴾ ﴿٣٠١﴾ ﴿٣٠٢﴾ ﴿٣٠٣﴾ ﴿٣٠٤﴾ ﴿٣٠٥﴾ ﴿٣٠٦﴾ ﴿٣٠٧﴾ ﴿٣٠٨﴾ ﴿٣٠٩﴾ ﴿٣١٠﴾ ﴿٣١١﴾ ﴿٣١٢﴾ ﴿٣١٣﴾ ﴿٣١٤﴾ ﴿٣١٥﴾ ﴿٣١٦﴾ ﴿٣١٧﴾ ﴿٣١٨﴾ ﴿٣١٩﴾ ﴿٣٢٠﴾ ﴿٣٢١﴾ ﴿٣٢٢﴾ ﴿٣٢٣﴾ ﴿٣٢٤﴾ ﴿٣٢٥﴾ ﴿٣٢٦﴾ ﴿٣٢٧﴾ ﴿٣٢٨﴾ ﴿٣٢٩﴾ ﴿٣٣٠﴾ ﴿٣٣١﴾ ﴿٣٣٢﴾ ﴿٣٣٣﴾ ﴿٣٣٤﴾ ﴿٣٣٥﴾ ﴿٣٣٦﴾ ﴿٣٣٧﴾ ﴿٣٣٨﴾ ﴿٣٣٩﴾ ﴿٣٤٠﴾ ﴿٣٤١﴾ ﴿٣٤٢﴾ ﴿٣٤٣﴾ ﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾ ﴿٣٤٨﴾ ﴿٣٤٩﴾ ﴿٣٥٠﴾ ﴿٣٥١﴾ ﴿٣٥٢﴾ ﴿٣٥٣﴾ ﴿٣٥٤﴾ ﴿٣٥٥﴾ ﴿٣٥٦﴾ ﴿٣٥٧﴾ ﴿٣٥٨﴾ ﴿٣٥٩﴾ ﴿٣٦٠﴾ ﴿٣٦١﴾ ﴿٣٦٢﴾ ﴿٣٦٣﴾ ﴿٣٦٤﴾ ﴿٣٦٥﴾ ﴿٣٦٦﴾ ﴿٣٦٧﴾ ﴿٣٦٨﴾ ﴿٣٦٩﴾ ﴿٣٧٠﴾ ﴿٣٧١﴾ ﴿٣٧٢﴾ ﴿٣٧٣﴾ ﴿٣٧٤﴾ ﴿٣٧٥﴾ ﴿٣٧٦﴾ ﴿٣٧٧﴾ ﴿٣٧٨﴾ ﴿٣٧٩﴾ ﴿٣٨٠﴾ ﴿٣٨١﴾ ﴿٣٨٢﴾ ﴿٣٨٣﴾ ﴿٣٨٤﴾ ﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾ ﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾ ﴿٣٩١﴾ ﴿٣٩٢﴾ ﴿٣٩٣﴾ ﴿٣٩٤﴾ ﴿٣٩٥﴾ ﴿٣٩٦﴾ ﴿٣٩٧﴾ ﴿٣٩٨﴾ ﴿٣٩٩﴾ ﴿٤٠٠﴾ ﴿٤٠١﴾ ﴿٤٠٢﴾ ﴿٤٠٣﴾ ﴿٤٠٤﴾ ﴿٤٠٥﴾ ﴿٤٠٦﴾ ﴿٤٠٧﴾ ﴿٤٠٨﴾ ﴿٤٠٩﴾ ﴿٤١٠﴾ ﴿٤١١﴾ ﴿٤١٢﴾ ﴿٤١٣﴾ ﴿٤١٤﴾ ﴿٤١٥﴾ ﴿٤١٦﴾ ﴿٤١٧﴾ ﴿٤١٨﴾ ﴿٤١٩﴾ ﴿٤٢٠﴾ ﴿٤٢١﴾ ﴿٤٢٢﴾ ﴿٤٢٣﴾ ﴿٤٢٤﴾ ﴿٤٢٥﴾ ﴿٤٢٦﴾ ﴿٤٢٧﴾ ﴿٤٢٨﴾ ﴿٤٢٩﴾ ﴿٤٣٠﴾ ﴿٤٣١﴾ ﴿٤٣٢﴾ ﴿٤٣٣﴾ ﴿٤٣٤﴾ ﴿٤٣٥﴾ ﴿٤٣٦﴾ ﴿٤٣٧﴾ ﴿٤٣٨﴾ ﴿٤٣٩﴾ ﴿٤٤٠﴾ ﴿٤٤١﴾ ﴿٤٤٢﴾ ﴿٤٤٣﴾ ﴿٤٤٤﴾ ﴿٤٤٥﴾ ﴿٤٤٦﴾ ﴿٤٤٧﴾ ﴿٤٤٨﴾ ﴿٤٤٩﴾ ﴿٤٥٠﴾ ﴿٤٥١﴾ ﴿٤٥٢﴾ ﴿٤٥٣﴾ ﴿٤٥٤﴾ ﴿٤٥٥﴾ ﴿٤٥٦﴾ ﴿٤٥٧﴾ ﴿٤٥٨﴾ ﴿٤٥٩﴾ ﴿٤٦٠﴾ ﴿٤٦١﴾ ﴿٤٦٢﴾ ﴿٤٦٣﴾ ﴿٤٦٤﴾ ﴿٤٦٥﴾ ﴿٤٦٦﴾ ﴿٤٦٧﴾ ﴿٤٦٨﴾ ﴿٤٦٩﴾ ﴿٤٧٠﴾ ﴿٤٧١﴾ ﴿٤٧٢﴾ ﴿٤٧٣﴾ ﴿٤٧٤﴾ ﴿٤٧٥﴾ ﴿٤٧٦﴾ ﴿٤٧٧﴾ ﴿٤٧٨﴾ ﴿٤٧٩﴾ ﴿٤٨٠﴾ ﴿٤٨١﴾ ﴿٤٨٢﴾ ﴿٤٨٣﴾ ﴿٤٨٤﴾ ﴿٤٨٥﴾ ﴿٤٨٦﴾ ﴿٤٨٧﴾ ﴿٤٨٨﴾ ﴿٤٨٩﴾ ﴿٤٩٠﴾ ﴿٤٩١﴾ ﴿٤٩٢﴾ ﴿٤٩٣﴾ ﴿٤٩٤﴾ ﴿٤٩٥﴾ ﴿٤٩٦﴾ ﴿٤٩٧﴾ ﴿٤٩٨﴾ ﴿٤٩٩﴾ ﴿٥٠٠﴾ ﴿٥٠١﴾ ﴿٥٠٢﴾ ﴿٥٠٣﴾ ﴿٥٠٤﴾ ﴿٥٠٥﴾ ﴿٥٠٦﴾ ﴿٥٠٧﴾ ﴿٥٠٨﴾ ﴿٥٠٩﴾ ﴿٥١٠﴾ ﴿٥١١﴾ ﴿٥١٢﴾ ﴿٥١٣﴾ ﴿٥١٤﴾ ﴿٥١٥﴾ ﴿٥١٦﴾ ﴿٥١٧﴾ ﴿٥١٨﴾ ﴿٥١٩﴾ ﴿٥٢٠﴾ ﴿٥٢١﴾ ﴿٥٢٢﴾ ﴿٥٢٣﴾ ﴿٥٢٤﴾ ﴿٥٢٥﴾ ﴿٥٢٦﴾ ﴿٥٢٧﴾ ﴿٥٢٨﴾ ﴿٥٢٩﴾ ﴿٥٣٠﴾ ﴿٥٣١﴾ ﴿٥٣٢﴾ ﴿٥٣٣﴾ ﴿٥٣٤﴾ ﴿٥٣٥﴾ ﴿٥٣٦﴾ ﴿٥٣٧﴾ ﴿٥٣٨﴾ ﴿٥٣٩﴾ ﴿٥٤٠﴾ ﴿٥٤١﴾ ﴿٥٤٢﴾ ﴿٥٤٣﴾ ﴿٥٤٤﴾ ﴿٥٤٥﴾ ﴿٥٤٦﴾ ﴿٥٤٧﴾ ﴿٥٤٨﴾ ﴿٥٤٩﴾ ﴿٥٥٠﴾ ﴿٥٥١﴾ ﴿٥٥٢﴾ ﴿٥٥٣﴾ ﴿٥٥٤﴾ ﴿٥٥٥﴾ ﴿٥٥٦﴾ ﴿٥٥٧﴾ ﴿٥٥٨﴾ ﴿٥٥٩﴾ ﴿٥٦٠﴾ ﴿٥٦١﴾ ﴿٥٦٢﴾ ﴿٥٦٣﴾ ﴿٥٦٤﴾ ﴿٥٦٥﴾ ﴿٥٦٦﴾ ﴿٥٦٧﴾ ﴿٥٦٨﴾ ﴿٥٦٩﴾ ﴿٥٧٠﴾ ﴿٥٧١﴾ ﴿٥٧٢﴾ ﴿٥٧٣﴾ ﴿٥٧٤﴾ ﴿٥٧٥﴾ ﴿٥٧٦﴾ ﴿٥٧٧﴾ ﴿٥٧٨﴾ ﴿٥٧٩﴾ ﴿٥٨٠﴾ ﴿٥٨١﴾ ﴿٥٨٢﴾ ﴿٥٨٣﴾ ﴿٥٨٤﴾ ﴿٥٨٥﴾ ﴿٥٨٦﴾ ﴿٥٨٧﴾ ﴿٥٨٨﴾ ﴿٥٨٩﴾ ﴿٥٩٠﴾ ﴿٥٩١﴾ ﴿٥٩٢﴾ ﴿٥٩٣﴾ ﴿٥٩٤﴾ ﴿٥٩٥﴾ ﴿٥٩٦﴾ ﴿٥٩٧﴾ ﴿٥٩٨﴾ ﴿٥٩٩﴾ ﴿٦٠٠﴾ ﴿٦٠١﴾ ﴿٦٠٢﴾ ﴿٦٠٣﴾ ﴿٦٠٤﴾ ﴿٦٠٥﴾ ﴿٦٠٦﴾ ﴿٦٠٧﴾ ﴿٦٠٨﴾ ﴿٦٠٩﴾ ﴿٦١٠﴾ ﴿٦١١﴾ ﴿٦١٢﴾ ﴿٦١٣﴾ ﴿٦١٤﴾ ﴿٦١٥﴾ ﴿٦١٦﴾ ﴿٦١٧﴾ ﴿٦١٨﴾ ﴿٦١٩﴾ ﴿٦٢٠﴾ ﴿٦٢١﴾ ﴿٦٢٢﴾ ﴿٦٢٣﴾ ﴿٦٢٤﴾ ﴿٦٢٥﴾ ﴿٦٢٦﴾ ﴿٦٢٧﴾ ﴿٦٢٨﴾ ﴿٦٢٩﴾ ﴿٦٣٠﴾ ﴿٦٣١﴾ ﴿٦٣٢﴾ ﴿٦٣٣﴾ ﴿٦٣٤﴾ ﴿٦٣٥﴾ ﴿٦٣٦﴾ ﴿٦٣٧﴾ ﴿٦٣٨﴾ ﴿٦٣٩﴾ ﴿٦٤٠﴾ ﴿٦٤١﴾ ﴿٦٤٢﴾ ﴿٦٤٣﴾ ﴿٦٤٤﴾ ﴿٦٤٥﴾ ﴿٦٤٦﴾ ﴿٦٤٧﴾ ﴿٦٤٨﴾ ﴿٦٤٩﴾ ﴿٦٥٠﴾ ﴿٦٥١﴾ ﴿٦٥٢﴾ ﴿٦٥٣﴾ ﴿٦٥٤﴾ ﴿٦٥٥﴾ ﴿٦٥٦﴾ ﴿٦٥٧﴾ ﴿٦٥٨﴾ ﴿٦٥٩﴾ ﴿٦٦٠﴾ ﴿٦٦١﴾ ﴿٦٦٢﴾ ﴿٦٦٣﴾ ﴿٦٦٤﴾ ﴿٦٦٥﴾ ﴿٦٦٦﴾ ﴿٦٦٧﴾ ﴿٦٦٨﴾ ﴿٦٦٩﴾ ﴿٦٧٠﴾ ﴿٦٧١﴾ ﴿٦٧٢﴾ ﴿٦٧٣﴾ ﴿٦٧٤﴾ ﴿٦٧٥﴾ ﴿٦٧٦﴾ ﴿٦٧٧﴾ ﴿٦٧٨﴾ ﴿٦٧٩﴾ ﴿٦٨٠﴾ ﴿٦٨١﴾ ﴿٦٨٢﴾ ﴿٦٨٣﴾ ﴿٦٨٤﴾ ﴿٦٨٥﴾ ﴿٦٨٦﴾ ﴿٦٨٧﴾ ﴿٦٨٨﴾ ﴿٦٨٩﴾ ﴿٦٩٠﴾ ﴿٦٩١﴾ ﴿٦٩٢﴾ ﴿٦٩٣﴾ ﴿٦٩٤﴾ ﴿٦٩٥﴾ ﴿٦٩٦﴾ ﴿٦٩٧﴾ ﴿٦٩٨﴾ ﴿٦٩٩﴾ ﴿٧٠٠﴾ ﴿٧٠١﴾ ﴿٧٠٢﴾ ﴿٧٠٣﴾ ﴿٧٠٤﴾ ﴿٧٠٥﴾ ﴿٧٠٦﴾ ﴿٧٠٧﴾ ﴿٧٠٨﴾ ﴿٧٠٩﴾ ﴿٧١٠﴾ ﴿٧١١﴾ ﴿٧١٢﴾ ﴿٧١٣﴾ ﴿٧١٤﴾ ﴿٧١٥﴾ ﴿٧١٦﴾ ﴿٧١٧﴾ ﴿٧١٨﴾ ﴿٧١٩﴾ ﴿٧٢٠﴾ ﴿٧٢١﴾ ﴿٧٢٢﴾ ﴿٧٢٣﴾ ﴿٧٢٤﴾ ﴿٧٢٥﴾ ﴿٧٢٦﴾ ﴿٧٢٧﴾ ﴿٧٢٨﴾ ﴿٧٢٩﴾ ﴿٧٣٠﴾ ﴿٧٣١﴾ ﴿٧٣٢﴾ ﴿٧٣٣﴾ ﴿٧٣٤﴾ ﴿٧٣٥﴾ ﴿٧٣٦﴾ ﴿٧٣٧﴾ ﴿٧٣٨﴾ ﴿٧٣٩﴾ ﴿٧٤٠﴾ ﴿٧٤١﴾ ﴿٧٤٢﴾ ﴿٧٤٣﴾ ﴿٧٤٤﴾ ﴿٧٤٥﴾ ﴿٧٤٦﴾ ﴿٧٤٧﴾ ﴿٧٤٨﴾ ﴿٧٤٩﴾ ﴿٧٥٠﴾ ﴿٧٥١﴾ ﴿٧٥٢﴾ ﴿٧٥٣﴾ ﴿٧٥٤﴾ ﴿٧٥٥﴾ ﴿٧٥٦﴾ ﴿٧٥٧﴾ ﴿٧٥٨﴾ ﴿٧٥٩﴾ ﴿٧٦٠﴾ ﴿٧٦١﴾ ﴿٧٦٢﴾ ﴿٧٦٣﴾ ﴿٧٦٤﴾ ﴿٧٦٥﴾ ﴿٧٦٦﴾ ﴿٧٦٧﴾ ﴿٧٦٨﴾ ﴿٧٦٩﴾ ﴿٧٧٠﴾ ﴿٧٧١﴾ ﴿٧٧٢﴾ ﴿٧٧٣﴾ ﴿٧٧٤﴾ ﴿٧٧٥﴾ ﴿٧٧٦﴾ ﴿٧٧٧﴾ ﴿٧٧٨﴾ ﴿٧٧٩﴾ ﴿٧٨٠﴾ ﴿٧٨١﴾ ﴿٧٨٢﴾ ﴿٧٨٣﴾ ﴿٧٨٤﴾ ﴿٧٨٥﴾ ﴿٧٨٦﴾ ﴿٧٨٧﴾ ﴿٧٨٨﴾ ﴿٧٨٩﴾ ﴿٧٩٠﴾ ﴿٧٩١﴾ ﴿٧٩٢﴾ ﴿٧٩٣﴾ ﴿٧٩٤﴾ ﴿٧٩٥﴾ ﴿٧٩٦﴾ ﴿٧٩٧﴾ ﴿٧٩٨﴾ ﴿٧٩٩﴾ ﴿٨٠٠﴾ ﴿٨٠١﴾ ﴿٨٠٢﴾ ﴿٨٠٣﴾ ﴿٨٠٤﴾ ﴿٨٠٥﴾ ﴿٨٠٦﴾ ﴿٨٠٧﴾ ﴿٨٠٨﴾ ﴿٨٠٩﴾ ﴿٨١٠﴾ ﴿٨١١﴾ ﴿٨١٢﴾ ﴿٨١٣﴾ ﴿٨١٤﴾ ﴿٨١٥﴾ ﴿٨١٦﴾ ﴿٨١٧﴾ ﴿٨١٨﴾ ﴿٨١٩﴾ ﴿٨٢٠﴾ ﴿٨٢١﴾ ﴿٨٢٢﴾ ﴿٨٢٣﴾ ﴿٨٢٤﴾ ﴿٨٢٥﴾ ﴿٨٢٦﴾ ﴿٨٢٧﴾ ﴿٨٢٨﴾ ﴿٨٢٩﴾ ﴿٨٣٠﴾ ﴿٨٣١﴾ ﴿٨٣٢﴾ ﴿٨٣٣﴾ ﴿٨٣٤﴾ ﴿٨٣٥﴾ ﴿٨٣٦﴾ ﴿٨٣٧﴾ ﴿٨٣٨﴾ ﴿٨٣٩﴾ ﴿٨٤٠﴾ ﴿٨٤١﴾ ﴿٨٤٢﴾ ﴿٨٤٣﴾ ﴿٨٤٤﴾ ﴿٨٤٥﴾ ﴿٨٤٦﴾ ﴿٨٤٧﴾ ﴿٨٤٨﴾ ﴿٨٤٩﴾ ﴿٨٥٠﴾ ﴿٨٥١﴾ ﴿٨٥٢﴾ ﴿٨٥٣﴾ ﴿٨٥٤﴾ ﴿٨٥٥﴾ ﴿٨٥٦﴾ ﴿٨٥٧﴾ ﴿٨٥٨﴾ ﴿٨٥٩﴾ ﴿٨٦٠﴾ ﴿٨٦١﴾ ﴿٨٦٢﴾ ﴿٨٦٣﴾ ﴿٨٦٤﴾ ﴿٨٦٥﴾ ﴿٨٦٦﴾ ﴿٨٦٧﴾ ﴿٨٦٨﴾ ﴿٨٦٩﴾ ﴿٨٧٠﴾ ﴿٨٧١﴾ ﴿٨٧٢﴾ ﴿٨٧٣﴾ ﴿٨٧٤﴾ ﴿٨٧٥﴾ ﴿٨٧٦﴾ ﴿٨٧٧﴾ ﴿٨٧٨﴾ ﴿٨٧٩﴾ ﴿٨٨٠﴾ ﴿٨٨١﴾ ﴿٨٨٢﴾ ﴿٨٨٣﴾ ﴿٨٨٤﴾ ﴿٨٨٥﴾ ﴿٨٨٦﴾ ﴿٨٨٧﴾ ﴿٨٨٨﴾ ﴿٨٨٩﴾ ﴿٨٩٠﴾ ﴿٨٩١﴾ ﴿٨٩٢﴾ ﴿٨٩٣﴾ ﴿٨٩٤﴾ ﴿٨٩٥﴾ ﴿٨٩٦﴾ ﴿٨٩٧﴾ ﴿٨٩٨﴾ ﴿٨٩٩﴾ ﴿٩٠٠﴾ ﴿٩٠١﴾ ﴿٩٠٢﴾ ﴿٩٠٣﴾ ﴿٩٠٤﴾ ﴿٩٠٥﴾ ﴿٩٠٦﴾ ﴿٩٠٧﴾ ﴿٩٠٨﴾ ﴿٩٠٩﴾ ﴿٩١٠﴾ ﴿٩١١﴾ ﴿٩١٢﴾ ﴿٩١٣﴾ ﴿٩١٤﴾ ﴿٩١٥﴾ ﴿٩١٦﴾ ﴿٩١٧﴾ ﴿٩١٨﴾ ﴿٩١٩﴾ ﴿٩٢٠﴾ ﴿٩٢١﴾ ﴿٩٢٢﴾ ﴿٩٢٣﴾ ﴿٩٢٤﴾ ﴿٩٢٥﴾ ﴿٩٢٦﴾ ﴿٩٢٧﴾ ﴿٩٢٨﴾ ﴿٩٢٩﴾ ﴿٩٣٠﴾ ﴿٩٣١﴾ ﴿٩٣٢﴾ ﴿٩٣٣﴾ ﴿٩٣٤﴾ ﴿٩٣٥﴾ ﴿٩٣٦﴾ ﴿٩٣٧﴾ ﴿٩٣٨﴾ ﴿٩٣٩﴾ ﴿٩٤٠﴾ ﴿٩٤١﴾ ﴿٩٤٢﴾ ﴿٩٤٣﴾ ﴿٩٤٤﴾ ﴿٩٤٥﴾ ﴿٩٤٦﴾ ﴿٩٤٧﴾ ﴿٩٤٨﴾ ﴿٩٤٩﴾ ﴿٩٥٠﴾ ﴿٩٥١﴾ ﴿٩٥٢﴾ ﴿٩٥٣﴾ ﴿٩٥٤﴾ ﴿٩٥٥﴾ ﴿٩٥٦﴾ ﴿٩٥٧﴾ ﴿٩٥٨﴾ ﴿٩٥٩﴾ ﴿٩٦٠﴾ ﴿٩٦١﴾ ﴿٩٦٢﴾ ﴿٩٦٣﴾ ﴿٩٦٤﴾ ﴿٩٦٥﴾ ﴿٩٦٦﴾ ﴿٩٦٧﴾ ﴿٩٦٨﴾ ﴿٩٦٩﴾ ﴿٩٧٠﴾ ﴿٩٧١﴾ ﴿٩٧٢﴾ ﴿٩٧٣﴾ ﴿٩٧٤﴾ ﴿٩٧٥﴾ ﴿٩٧٦﴾ ﴿٩٧٧﴾ ﴿٩٧٨﴾ ﴿٩٧٩﴾ ﴿٩٨٠﴾ ﴿٩٨١﴾ ﴿٩٨٢﴾ ﴿٩٨٣﴾ ﴿٩٨٤﴾ ﴿٩٨٥﴾ ﴿٩٨٦﴾ ﴿٩٨٧﴾ ﴿٩٨٨﴾ ﴿٩٨٩﴾ ﴿٩٩٠﴾ ﴿٩٩١﴾ ﴿٩٩٢﴾ ﴿٩٩٣﴾ ﴿٩٩٤﴾ ﴿٩٩٥﴾ ﴿٩٩٦﴾ ﴿٩٩٧﴾ ﴿٩٩٨﴾ ﴿٩٩٩﴾ ﴿١٠٠٠﴾



س : نرى في القرآن الكريم تكراراً لبعض الآيات بمعنى واحد ، فما هي حكمة ذلك ؟

ج : ذكر الله سبحانه قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة والآلاء هي النعم ، ومفرد الآلاء إلى مثل معنى وأمعاء على الأقوال اللغوية ، والخطاب هنا للإنس والجن . وهما المرادان بالأنام في قوله تعالى في السورة نفسها ، ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ كما أنها المرادان بالثقلين في قوله تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ وقد صرح بذلك في قوله تعالى ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وفي قوله تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ﴿١٦﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ . والله سبحانه عدّد في هذه السورة نعماً كثيرة ، وهذه النعم أثر من آثار قدرة الله ورحمته ، وحق من له هذه القدرة ومنه هذه الرحمة أن يُعبد وحده ولا يُشرك به سواه من خلقه .

وبعض هذه النعم لا يظهر لأول وهلة وجه النعمة فيها مثل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾ ولكن بالإمعان في النظر نجد أن فناء الخلق عند نهاية الدنيا وبقاء الله وحده من أكبر النعم ، حيث يكون بعد الموت بعث وحساب وجزاء وينال أجره العادل من حرم منه في الدنيا ، ويقع العقاب على من

أفلت منه في الدنيا ، قال تعالى ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [الأنبياء: ٤٧] والمؤمن بهذه الحقيقة لا تضيق نفسه إن ظلم من العباد في الدنيا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ولا يتحسر إن وجد العاصين الظالمين ينعمون في الدنيا أكثر مما يتنعم به المؤمنون الصالحون ، لأن الله سيقول لهم يوم القيامة ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُعْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠] .

وتكرار هذه الجملة بعد كل نعمة ، وعدم الاكتفاء بها مرة واحدة أسلوب من الأساليب البلاغية في لغة العرب ، وهو دليل على أن كل نعمة بذاته كافية للإيمان بالله وتوكيد للحجة ، وذلك كما تقول لمن تتابع فيه إحسانك وهو ينكره ويكفره ، ألم تكن تكن فقيراً فأغنيتك ، أفتنكر هذا ؟ ألم تكن خاملاً فعززتك ، أفتنكر هذا ؟ ألم تكن ماشياً فأركبتك ، أفتنكر هذا ؟ ذكره القرطبي في تفسيره ، وروى الحاكم عن جابر قال : قرأ علينا رسول الله سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال « مالي أراكم سكوتاً ، للجن كانوا أحسن منكم رداً ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿ فَيَأْتِيَهُمْ آيَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد .

يقول الخطيئة :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد^(١) .



س : ذكرت قصة سيدنا موسى في القرآن أكثر من مرة وموضوعها واحد ، مع تشابه النصوص في كل موضع ، والتكرار في النص الأدبي يضعفه فكيف يتناسب ذلك مع إعجاز القرآن وبلاغته ؟

ج : قصص القرآن الكريم هو أحسن القصص صدقاً وبلاغة ، قال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الكهف: ١٣] وقال ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ [هود: ٤٩] وتتضح حكمة هذا

١ - تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٩٩ .

القصص من قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] .

وإذا كان هناك تكرار في القرآن للقصة الواحدة فلا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن القرآن لم ينزل مرة واحدة حتى يعاب التكرار ، ولكنه نزل منجماً مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة ، تنزل الجملة منه بحسب الظروف الطارئة ، والقصة الواحدة قد تصلح لكل هذه الظروف ، متسقة معها مراعاة لمقتضى الحال ، وذلك هو سر البلاغة التي نزل بها القرآن في أعلى درجاتها .

والنظرة العابرة إلى القصة التي نزلت عدة مرات قد يفهم منها أنها متشابهة متماثلة تماماً ، لكن النظرة الدقيقة ترينا أن القصة في موضع يركز فيها على جانب منها وتكون الجوانب الأخرى تابعة ومكملة ، لأن المقام يقتضي إبراز هذا الجانب ، بينما تراها هي في موضع آخر يركز فيها على جانب معين منها كان في غيرها من التوابع المكملة ، وذلك لاقضاء المقام له أيضاً ، ولذلك قد يهمل في بعضها لفظ أو يترك تعيين اسم يوجد له داع للذكر ، أو التعيين في مقام آخر ، ومن هنا كانت متغايرة وليست متشابهة ، بالنظر إلى الجانب الذي كان عليه التركيز في كل منها .

وليست قصة موسى هي وحدها التي تكررت في القرآن ، فإلى جانبها قصص لرسل آخرين ، تحمل هذه الحكمة التي في قصة موسى ، وقد يرشح للاهتمام بها تشابه ظروف الدعوة أكثر بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وبخاصة أن عدداً كبيراً من اليهود كان موجوداً في المدينة وكان لهم دور كبير في مقاومة الدعوة .

على أن قضية ضعف النص الأدبي بتكراره ليست دائمة مسلّمة ، فقد يكون لتكراره ما يجعله بليغاً حتى لو كان متشابهاً تمام التشابه في تركيبه ، سواء منه المفردات والجمل ، وكان من البلاغة العربية تكرار اسم الحبيب في البيت الواحد من الشعر تعميقاً لحبه وإيذاناً بشرفه .

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

وتكرار قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّيَكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة تنبه على أن كل نعمة من النعم التي احتوتها تستحق أن يذكر بها حتى لا تنسى وحتى يعرف فضل المنعم بها وتكرار قوله تعالى في سورة المرسلات ﴿وَلَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرات ، وهي قصيرة أيضاً كسورة الرحمن ، دليل على أن المقام يقتضي التنبيه والتحذير عند كل ما يذكر من موجبات هذا التحذير .

وبهذا لا مجال للطعن في بلاغة القرآن الكريم ، الذي تحدى الله به الجن والإنس وما يزال يتحدى ، ومن تعمق في المعرفة والتدبر أدرك أنه ما يزال على الشاطئ ولم ينزل بُعداً إلى البحر بأعماقه المليئة بالأسرار ، فهو صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] .



س : ما المقصود بالأساليب الاستفهامية المتعددة في القرآن الكريم ؟

ج : الاستفهام في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم يعني طلب الفهم ، وهو بمعنى الاستخبار ، وأدواته كثيرة ، منها : الهمزة ، هل ، مَنْ ، أَي ، كم ، كيف وغيرها .

وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غير معناه - وهو طلب الفهم - وقد ألف في ذلك شمس الدين بن الصائغ كتاباً سماه (روضة الأفهام في أقسام الاستفهام) ذكر فيه اثنين وثلاثين قسماً تحدث عنها السيوطي في كتابه (الإتيان في علوم القرآن) منها : الإنكار ، وهو يفيد النهي مثل ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي لا يهلك إلا الفاسقون . ومنها التوبيخ ، مثل ﴿أَشْرَبْتُهُ مَا﴾ ومنها التعجب ، مثل ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ وغير ذلك كثير يرجع إليه في الكتاب المذكور .



س : يقول بعض الناس : إن القرآن فيه كلمات غير عربية ، وهذا يتنافى مع كونه قرآنًا عربيًّا ، فما رأي الدين في ذلك ؟

ج : قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقال ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ ١٣ ﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ ١٤ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ ١٥ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] وقال ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

تدل هذه الآيات وغيرها على أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية ، لأنها لسان القوم الذين أرسل إليهم النبي ﷺ ، وذلك ليستطيع أن يبلغ وليستطيعوا أن يفهموا ويتدبروا .

ومعروف أن اللغات تتلاقح في بعض الألفاظ ، أي يأخذ بعضها من بعض ، بحكم الاتصالات بين الأفراد والجماعات والشعوب ، التي هي ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية للبشر ، فما يوجد فيها من ألفاظ متحدة قد يكون لانتساب لغتين إلى أصل واحد أو لشيء آخر ، وقد يكون نقلاً من لغة إلى لغة ، وإذا نقل لفظ واستعمله الناطقون مدة طويلة صار من لغتهم .

فإذا كان في القرآن الكريم ولغة العرب ألفاظ أصلها غير عربي مثل أباريق وأرائك وإستبرق فقد استعملها العرب وصارت مألوفة لهم ، وأجروا عليها قواعد لغتهم في الإعراب والاشتقاق والإفراد والتثنية والجمع وغيرها .

جاء في تفسير القرطبي ^(١) ، أنه لا خلاف بين الأئمة في أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب ، وأن فيه أسماء أعلاماً لمن لسانه غير لسان العرب كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط .

واختلفوا : هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب ؟ فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب والطبري وغيرهما إلى أن ذلك لا يوجد فيه ، وأن القرآن

عربي صريح ، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم .

وذهب بعضهم إلى وجودها فيه ، وأن تلك الألفاظ لقلتها لا تُخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً ، ولا رسول الله ﷺ عن كونه متكلاً بلسان قومه ، فالمشكاة هي الكوة ، ونشأ معناها قام من الليل ، ومنه ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَكُونُ الْكُفْلَيْنِ ﴾ أي ضعفين ، ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ أي الأسد ، كله بلسان الحبشة ، والغساق أي البارد المتن هو بلسان الترك ، والقسطاس أي الميزان هو بلغة الروم ، والسَّجِيل أي الحجارة والطين هي بلسان الفرس ، والطور أي الجبل ، واليم أي البحر هما بالسريانية ، والتنور أي وجه الأرض هو بالعجمية .

قال ابن عطية : فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه .

وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلي قريش ، وسفر بعض الأشخاص إلى بلاد أخرى ، فعلمت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصحيح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن . فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى (فاطر) إلى غير ذلك .

قال ابن عطية : وما ذهب إليه الطبري رحمه الله من أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة فذلك بعيد ، بل إحداها أصل والأخرى فرع من الأكثر ، لأننا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً .

قال غيره : والأول أصح - أي أن القرآن فيه كلمات أجنبية صارت بعد ذلك عربية - وقوله : هي أصل في كلام غيرهم دخيلة في كلامهم ليس بأولى من العكس ، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطب بها أولاً ، فإن كان الأول فهي من

كلامهم ، إذ لا معنى للغتهم وكلامهم إلا ما كان كذلك عندهم ، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم ، وقد قال ذلك الإمام الكبير أو عبيدة ، فإن قيل : ليست هذه الكلمات على أوزان كلام العرب فلا تكون منه ، قلنا : ومن سلّم لكم أنكم حصرتم أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها ؟ فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام العرب ، ورد هذه الأسماء إليها على الطريقة النحوية .

وأما إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بها لايعرفون : وحيث لا يكون القرآن عربياً مبنياً ، ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم . والله أعلم .



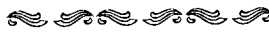
س : لماذا أنزل الله القرآن باللغة العربية ، وكيف يكون الدين للعالم أجمع واللغات متعددة ؟

ج : أنزل الله القرآن باللغة العربية ، لأنها وسيلة التفاهم مع من أرسل إليه الرسول أولاً ، وبدأت الدعوة في محيطهم قبل أن تبلغ لغيرهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۚ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤] .

والإسلام دين عالمي يجب تبليغه لكل الناس ، وذلك باللسان الذي يعرفه من بُلِّغ إليهم ، فالقرآن نزل باللغة العربية لأمرين أساسيين : أولهما الإعجاز ، لإثبات صدق الرسالة ، وذلك للقوم الذين نزل القرآن في بيئتهم التي نشأ فيها الرسول وبدأ الدعوة ، ولغيرهم من الناس بما يحويه من معلومات وتشريعات هي أصدق المعلومات وأحكم التشريعات ، والأمر الثاني الهداية ، والهداية لكل الناس يحملها من تلقوه باللغة العربية ، ثم يترجمون هذه الهداية إلى غيرهم .

وهذا ما حدث في القرون الأولى ، عرضت الدعوة على الناس كافة فآمن الكثيرون ، ثم تفقهوا في الدين بلغاتهم ، ثم أتقن كثيرون منهم اللغة العربية ، ففهموا ما تعلموا وترجموا ما يريدون أن يعلموه الناس ، وهذه الترجمة تعتبر تفسيراً بوجه من الوجوه لهداية القرآن ولا يحكم بها على كل ما في القرآن من معاني .

والمهم أن نعرف أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية لا يتنافى مع عالمية الدعوة الإسلامية ، وقد أشبعت الكلام في هذا الموضوع في كتابي (الدعوة الإسلامية دعوة عالمية) ومختصره (الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه) وبينت أن أصل الدعوة وسجله الأساسي لا بد أن يكون بلغة واحدة يرجع إليها عند الاختلاف في الترجمات التي نعرف ما بينها من تفاوت لأسباب عدة ، قد يؤدي إلى التضارب الذي يصرف الناس عن الدين بدل أن يجذبهم إليه ، وهذا أمر له أهميته قديماً وحديثاً حرصت عليه الدول في العهود والمواثيق والاتفاقيات وغيرها من الأمور الهامة .



س : لماذا جاء تعليم القرآن قبل خلق الإنسان في سورة الرحمن ؟

ج : قال بعض المفسرين : لما ذكر الله (الرحمن) ذكر صفة من صفاته لها فضل كبير على المسلمين وهي القرآن ، ثم ذكر بعد ذلك مظاهر قدرته العامة للمسلمين وغيرهم ، فبدأ بخلق الإنسان وتعليمه النطق والإفصاح عما يريد ، ونصب الدلائل التي يستدل بها على وجود الله ووجوب عبادته وحده . وعند معرفة سبب النزول نعرف لماذا قرن الله تعليم القرآن باسمه الرحمن ، فالسورة نزلت جواباً لأهل مكة حين قالوا : وما الرحمن ؟ وحكى القرآن ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَاجُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ تُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٠] وحين قالوا : إنما يعلمه بشر ، وكانوا يؤمنون برحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب ، فذكر أن الذي أنزل القرآن على محمد هو الرحمن المعبود بحق ^(١) .



س : قرأنا أن من فرق الشيعة من تدعي أن القرآن الموجود الآن في المصاحف

ناقص ، حذف منه ما يخص علياً وذريته ، نريد توضيحاً لذلك ؟

ج : نزل القرآن على النبي ﷺ ، وكان يأمر كتّابه بتدوين ما ينزل ، على مدى ثلاثة وعشرين عاماً ، وحُفظ هذا المكتوب ونسخت منه عدة نسخ في أيام عثمان

١- راجع تفسير القرطبي .

ابن عفان ، رضي الله عنه ، ثم طبعت المصاحف المنتشرة في العالم كله طبق المصحف الإمام الذي كان عند عثمان والنسخ التي أخذت منه .
والشيعة يزعمون أن أبا بكر وعمر بالذات حذفوا من المصحف آيات كثيرة ، منها عدد كبير يتصل بخلافة علي رضي الله عنه ، ويزعمون أن المصحف الكامل كتبه علي بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

جاء في كتاب (الأنوار النعمانية) لمحدثهم وفقههم الكبير (نعمة الله الموسوي الجزائري) ما نصه : إنه قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين عليه السلام ، بوصية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فبقى بعد موته ستة أشهر مشغلاً بجمعه ، فلما جمعه كما أنزل أتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله ﷺ وآله فقال : هذا كتاب الله كما أنزل . فقال له عمر بن الخطاب : لا حاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك . فقال لهم علي عليه السلام : لن تروه بعد هذا اليوم ، ولا يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدي عليه السلام . . وفي ذلك القرآن زيادات كثيرة ، وهو خال من التحريف .

ولكثير من علمائهم تأليف تثبت أن القرآن الموجود بيننا ناقص ومحرف ، وأن المصحف الصحيح الكامل سيظهر آخر الزمان مع المهدي المنتظر ، ولم يتح لنا الاطلاع على هذا المصحف ، وينقلون هم أشياء يدعون أنها فيه . وأكثرها خاص بآل البيت وإمامه علي .

ومن أمثلة التحريف في زعمهم أن آية ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] نزل بها جبريل على محمد هكذا « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله » .

ونقل في (أصول الكافي) عن إمامهم جعفر الصادق أنه أقسم بالله أن آية ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] نزلت هكذا « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فَنَسَى » .

وجاء في كتاب (أصول الكافي) وهو أصح الكتب عند الشيعة أن القرآن الذي جاء به جبريل سبعة عشر ألف آية . وقال القزويني شارح كتاب (أصول الكافي) الذي نسب هذا الكلام لجعفر الصادق : إن الغرض بيان أنه حذف من أصل القرآن شيء كثير ، الذي لا يوجد في نسخ القرآن المشهورة .

وفي كتاب (الاحتجاج) المعتمد عند الشيعة ، لفقيههم أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في القرن الخامس : أن آية سورة النساء (رقم ٣) ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي أَيْمَانِكُمْ فَاَنْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ۖ لَا يَجِدُ الرِّبْطَ فِيهَا بَيْنَ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ ، فَقَدْ أَسْقَطَ الْمُنَافِقُونَ (هكذا) أكثر من ثلث القرآن .

هذا ، وقد رأيت في رسالة للسيد / محب الدين الخطيب ، عنوانها (الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية) التي طبعت أكثر من مرة منذ سنة ١٣٨٠ هـ : أن الأستاذ محمد علي سعودي الذي كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر ، ومن خواص الشيخ محمد عبده - اطلع على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق (برامين) فنقل منه سورة بعنوان (سورة الولاية) مذكور فيها ولاية علي ، ونص صفحتها الأولى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبى وبالولي اللذين بعثناهما يهديانكما إلى صراط مستقيم . نبى وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير . إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم . . والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين . فإن لهم في جهنم مقاماً عظيماً إذا نودي لهم يوم القيامة : أين الظالمون المكذبون للمرسلين . ما خالفتم المرسلين إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب وسبح بحمد ربك ، وعلي من الشاهدين) .

وهذه السورة أثبتتها الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وثابته أيضاً في كتابهم (دبستان مذاهب) باللغة الإيرانية ، لمؤلفه (محسن فاني الكشميري) ونقل عنه هذه السورة المكذوبة المستشفرة (نولدكه) في كتابه (تاريخ المصاحف)^(١) ، ونشرتها الجريدة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٢ م^(٢) .

وبعد ، فالموضوع واسع يحتاج إلى الاطلاع على كتبهم ، وحسبنا أن نقرر أن علماء السنة ردوا على مزاعمهم ، والمقام لا يتسع لأكثر من هذا ، ويمكن الرجوع إلى كتاب (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) ورسالة رئيس أهل السنة بباكستان (محمد عبدالستار التونسي) المطبوعة بالقاهرة بمطبعة دار العلوم ، شارع حسين حجازي (قصر العيني) على نفقة مجلس علماء باكستان بلاهور ، ونشرة بعنوان : موقف العلماء المسلمين من الحميني والاثنى عشرية . تأليف الشيخ محمد منظور النعماني ، من (لكهنو) بالهند .



س : ما هو سر الحروف المقطعة في أوائل بعض السور ، وهل هناك علاقة بينها وبين عددها في السور ؟

ج : الحروف المقطعة في أوائل بعض السور للعلماء فيها موقفان ، الموقف الأول أنها من المتشابه الذي يجب أن يوكل علمه إلى الله تعالى ، والثاني أن لها معاني ، واختلفوا في هذه المعاني ، وكلها آراء اجتهادية . ولكنها على كل حال تبين الكفار - وهم أرباب الفصاحة والبلاغة - أن القرآن كلام مركب من الحروف التي يتركب منها كلامهم ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله .

وقد قام بعض الناس بحصر الحروف الموجودة في آيات السورة التي بدئت بالحروف المقطعة فوجدوا أنها أكثر من الحروف الأخرى . وهذا يزيد التأكيد أن حروف القرآن هي حروف كلام العرب ، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله ، وأوجه الإعجاز غير اللغوي كثيرة ، أفردت لها مؤلفات خاصة .



س : نريد توضيح قوله تعالى : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر : ٢١] ؟ .

ج : تحيي هذه الآية في نهاية سورة الحشر التي تتحدث عن إجلاء بني النضير عن المدينة المنورة ، وهم إحدى أسر من أهل الكتاب الذين كان يؤمل فيهم أن يكونوا

من أول المصدقين بالقرآن الذي نزل على الرسول الذي كانوا ينتظرونه ويقرءون أوصافه في كتبهم ، لكنهم حسداً وبغياً كفروا كما قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة: ٨٩] ومع تكذيبهم للقرآن والرسول تعاونوا مع كفار مكة على مقاومة الدعوة ، وقد أذاق الله كفار مكة وبال أمرهم في بدر كما أذاق بني النضير عاقبة أمرهم ﴿ كَشَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٥] وهكذا لا يدفع شخص عن آخر فكل يتحمل تبعة عمله ﴿ كَشَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦ ، ١٧] عَقِبَتْهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿ [الحشر: ١٧] والواجب على كل إنسان أن يسيطر على نزغات الشيطان وهوى النفس ولا يعمل للدنيا فقط بل يعمل حساب المسئولية يوم القيامة ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [الحشر: ١٨-٢٠] .

كان الواجب على الناس جميعاً ، وقد جاءتهم الرسالة العامة ، أن ينظروا في الكتاب المنزل على هذا الرسول نظرة منصفة موضوعية بعيدة عن التعصب والهوى ، ومن خلال هذه النظرة سيكون لكل منهم رأي فيه ، وسيقتنع تماماً بصدقه ويسارع إلى العمل بما فيه ، لكن أكثر الناس تتغلب عليهم أهوائهم ، ويضعف عقلهم أمام شهواتهم ، فيعارضون الحق لذات المعارضة دون سبب معقول ، مع أن هذا القرآن ، وهو من عند الله ، لو نزل على جبل أعطاه الله عقلاً ، لتأثر كل التأثر ولم يملك إلا الإيذان بالله الذي أنزله ، وبالرسول الذي بلغه ، إن هذه القوة الجبارة لا بد أن تخشع وتذل وتضعف ، بل لا بد أن تتمزق وتتصدع ويتلاشى كبرياؤها عند سماع القرآن ، كما يقول سبحانه ﴿ وَلَوْ أَن قُرْءَانًا سُرَّتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ أَلْمَوْتُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: ٣١] ولكن الإنسان بعناده وتسلط شيطانه لم يتأثر بروعة القرآن وعظمة من أنزله ، ومن قبل

القرآن لم يتأثر أسلاف بني النضير ، والحديث عنهم موضوع السورة ، من الآيات المنزلة على الأنبياء قبل كما قال سبحانه فيهم : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤] .

إن الآية تدعو الجميع إلى أن يستقل كل إنسان بالنظر إلى القرآن بعيداً عن إغواء داخلي أو خارجي ، وبالنظر المنصف سيخضع العقل ويخضع القلب وتخضع الجوارح ، سيخضع العقل عندما يعرف الإعجاز الذي نزل به القرآن فيؤمن عن صدق بأنه ليس من عند محمد بل من عند الله ، وسيؤمن بالله من خلال ما فيه من آيات وأخبار صادقة وهداية حكيمة ، كما يقول سبحانه ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] وكما قال ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] وقد أوشك بعض كبار قريش أن يؤمن عندما أخذ بروعة ما تلى عليه ، فقال : إن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول بشر . ولكن المؤثرات القوية التي تحيط به ضيقت ما تأثر به عند سماع القرآن ، وقد كان بعضهم ، وقد تعاهدوا على معارضة الدعوة ، يتسرب خفية لسماع القرآن فيعود متأثراً ، ولكن التعصب جعلهم كما يقول القرآن الكريم ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ لِقَاءَ الْفِرْعَوْنِ وَآلِهِ وَكَيْدَ الْحَارِثِ وَكَيْدَ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [يوسف: ٢٣] وهم أضلُّ ﴿ وبالإقبال على القرآن يخضع العقل أيضاً وهو يستخرج كنوزه ويحلى هدايته ، فيرى فيه دستوراً كاملاً للحياة الطيبة ، ويحس فيه روعة التشريع وإحكامه ، كما يحس تقديره لكرامة الإنسان وإعداده لطور جديد من حياته البشرية يحقق به الخلافة في الأرض ، ومن هنا كان حث الرسول عليه الصلاة والسلام على تعلم القرآن ونشر هدايته فيقول (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ^(١) ويقول في حديث رواه الترمذي وغيره وحسنه (يا أبا ذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة) .

وكما يخضع العقل يخضع القلب والوجدان ، فيستقر الإيمان بالله ويقوى كلما قرئ القرآن ، ويرق الوجدان والعواطف كلما كثرت قراءته أو سمعت آياته تتلى ،

١- رواه البخاري ومسلم .

كما يقول سبحانه ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ نَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] إن أول أثر يروع الإنسان هو الدهشة والقشعريرة ، وعند التأمل والانتقال بين فقراته من وعيد إلى وعد ، ومن آية إلى آية يطمئن القلب ويألف هذا الجو الجديد كما يقول سبحانه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] وليس الإنسان وحده هو الذي يتأثر لكلام الله تلاوة واستماعاً فقد تأثرت به الملائكة ونزلت تستمع إليه من أسيد بن حضير وهو يقرؤه ليلاً ، حتى إن فرسه التي كانت بجواره اضطربت لما أحست بما في الجو من نور ومواكب غريبة عليه ، وقد قال عنها الرسول الكريم كما ثبت في الحديث الشريف : إنها الملائكة نزلت تستمع القرآن ، ولو قرأ حتى يأتي الصباح لأمكن رؤيتها ، وهو ترغيب للمؤمنين في كثرة تلاوته ، وبالإنصات له عند سماعه وعدم الانشغال عنه بلهو الحديث ، فتلاوته تجارة لن تبور ، وبكل حرف منه عشر حسنات ، والمنزلة في الجنة بقدر ما يقرأ منه كما صح في الحديث : (يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارفق كما كنت تقرأ في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها)^(١) .

وكما يخشع العقل المفكر والقلب المتأثر تخشع الجوارح بالعمل ، وخشوعها بالعمل يكون من منطلق الإيمان بالله وبالقرآن المعجز وبما فيه من هداية هي المثالية في كل مجال من مجالات النشاط البشري ، كما يقول سبحانه : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وكما كان النبي ﷺ يعمل ، فقد كان خلقه القرآن ، تلقياً وتعليماً وتبليغاً وعملاً وتطبيقاً ، وبهدياته المثالية والحرص على تطبيقها تكونت أمة كانت خير أمة أخرجت للناس ، قوة وتماسكاً وحضارة ومدنية ، ولم يفارق رسول الله الدنيا إلا بعد أن أوصانا بالتمسك به حتى لا نضل «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وستتقي»^(٢) ، فهو حبل الله المتين ، ومن يعتصم به فقد هُدي إلى صراط مستقيم .

١- رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه ، وقال الترمذي: حسن صحيح .

٢- رواه الحاكم وصححه .

والغاية من تدبر القرآن والخشوع له تقوية إيماناً بالله ، وإسعاد الإنسان في دنياه وأخراه ، والله الذي أنزل القرآن هو الموصوف بعد هذه الآية بالوحدانية والرحمة والملك والتقديس والسلامة من كل نقص والمصدق لرسله بآياته ، والمسيطر على الكون كله بقدرته وعلمه ، والعزيز الذي لا يذل ، والمتعالي عن كل نقص ، والخالق للعالم والمبدع له على غير مثال سبق والمصور له كيف يشاء ويختار ، والموصوف بكل كمال ، فكيف يشرك المشركون به آلهة ليس لها هذا الكمال ؟ إن الكون يسبح الله بالتوحيد والطاعة ، وما أظلم الإنسان وأجهله إذ وقع تحت تأثير غرائزه وشهواته ، فيا أمة محمد أناديكم بها نادانا به رب العزة ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦] .



س : هل يجوز تبديل حرف الضاد بحرف الظاء في القرآن الكريم ، وهل يجوز اقتداء المصلي بمن يقرأ في الفاتحة (ولا الظالين) بدل من (الضالين) ؟
ج : النطق الصحيح للضاد غير النطق الصحيح للظاء ، وإن اشتركا في أكثر الصفات ، إلا أن الضاد تمتاز عن الظاء مخرجاً واستطالة ، فمخرج الضاد إحدى حافتي اللسان مع ما يليها من الأضراس حتى تجد بينها منفذاً لا ينضغط فيها الصوت ضغط الظاء فيظهر معها صوت خروج الريح . وحينئذ تكون مشتبهة في السمع بالظاء كما هو المنصوص عليه في جميع كتب القراءة والتجويد .
وهذا الوصف للنطق بالكتابة لا يعرف إلا بالتلفظ وسعاً نطقها الصحيح من العالم بها والمتمرن عليها ، وقد يتهاون بعض الناس فينطقها كالدال ، أو ينطقها كالظاء ، فهي وسط بينهما ولها نطقها الخاص بها .

وأما حكم من بدّل حرفاً بحرف في القرآن وهو يصلي ، فقد قال العلماء : إذا كان متعمداً لهذا الإبدال وهو يعرف الفرق بينهما حرم عليه ذلك ، بل قال بعضهم بكفره ، لأنه تغيير للقرآن الكريم ، وبالتالي تكون صلاته باطلة ولا تصح إمامته . أما إن كان غير متعمد فيجب عليه أن يجتهد لمعرفة النطق الصحيح للحرف ، فإن

قصر مع قدرته على ذلك بطلت صلاته وإمامته . فإن عجز ولم يستطع إصلاح نطقه صحت صلاته وإمامته كما قال جمهور الفقهاء .

والمالكية قالوا : الألف - وهو من يبدل السين ثاء ، أو الزاي ذالاً - وكذلك التتمام الذي يكرر التاء في كلامه ، والفأفاء الذي يكرر الفاء ، والأرت الذي يأتي بإدغام في غير موضعه ، كأن يقول (المتقيم) بدل (المستقيم) ونحوهم من كل من لا يستطيع النطق ببعض الحروف أو يدغم حرفاً في غيره إمامته وصلاته صحيحتان حتى لو كان المقتدى به سالماً من هذا النقص ولو وجد من يعلمه وقبل التعليم ولم يستعص عليه واتسع الوقت له ، ولا يجب عليه الاجتهاد في إصلاح لسانه على الراجح ^(١) .



س : كم قراءة وردت لقراءة القرآن الكريم بها ؟ وهل هناك قراءات شاذة ؟ وما أهمية تعدد القراءات ؟

ج : ثبت في الأحاديث أن القرآن أنزل على سبعة أحرف واختلف العلماء في بيان المراد بالأحرف السبعة على أقوال كثيرة بلغت أربعين قولاً من أحسنها أنها الأوجه السبعة التي تختلف بها القراءة ، باختلاف الأسماء من أفراد وتثنية وغيرهما وباختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر ، وباختلاف التقديم والتأخير ، وباختلاف الإبدال وباختلاف اللهجات .

والصحابة اختلف أخذهم عن الرسول ﷺ في هذه الوجوه ، واشتهر منها ما يعرف بالقراءات السبع والقراءات العشر والقراءات الأربع عشرة ، وأقواها هي السبع المنسوبة إلى الأئمة السبعة وهم : نافع وعاصم وحزرة وعبدالله بن عامر وعبدالله بن كثير وأبو عمرو بن العلاء ، وعلى الكسائي . والقراءات العشر تزيد على ما سبق قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف والقراءات الأربع عشرة تزيد قراءة الحسن البصري ، وابن مُحَيِّص ، ويحيى اليزيدي ، والشنبوذي .

١ - كتاب الفقه على المذاهب الأربعة نشر أوقاف مصر .

والقراءات السبع متواترة ، والمكملة للعشر قيل بتواترها وقيل بغير التواتر ، وما بعدها فهي شاذة .

وضابط القراءات المقبولة : كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرأ ووافقت اللغة العربية ولو بوجه وصح إسنادها ولو كان عمن فوق العشرة من القراء - فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها .

وفائدة تعدد القراءات تظهر في التيسير من أجل القراءة والحفظ وذلك لاختلاف لهجات العرب وجاء ذلك مصرحاً به في الأحاديث مثل « أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك » ومثل « إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط..... » .

ومن الفوائد جمع الأمة على لسان واحد هو لسان قريش ، وقد يكون فيها بيان حكم من الأحكام مثل ﴿ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ ﴾ [النساء: ١٢] فجاء في قراءة زيادة (من أم) بعد (أخ) أو (أخت) ومثل الكفارة بتحرير رقبة جاء في قراءة تقييدها بمؤمنة ومنها بيان لفظ مبهم مثل ﴿ كَالْعَمِيْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ قرئت كالصوف المنفوش .

إلى غير ذلك من وجوه التيسير والإفادة ، والموضوع ألفت فيه كتب كثيرة ، وعولج في مؤلفات (علوم القرآن) للسيوطي وغيره فليرجع إليها لمن أراد الاستزادة .



س: هل يجوز قراءة آية أو سورة بقراءات مختلفة في آن واحد ؟

ج : جاء في كتاب (منجد المقرئين) ^(١) ، قال الإمام محيي الدين النووي : إذا ابتدأ -يعني القارئ- بقراءة أحد القراء فينبغي ألا يزال على القراءة بها ما دام الكلام

١- لابن الجزري ص ١٤ .

مرتبطاً ، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أخرى من السبعة ، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس . وقال أبو عمرو ابن الصلاح في آخر جوابه عن السؤال الذي ورد من العجم : وإذا شرع القارئ بقراءة ينبغي ألا يزال يقرأ بها ما بقي للكلام تعلق بها ابتداءً به ، وما خالف هذا ففيه جائز وممتنع .

يؤخذ من هذا أن جمع القراءات في مجلس واحد مكروه في الكلام المرتبط ببعضه ببعض ، فإذا لم يكن ارتباط جازت قراءة آية تامة المعنى بقراءة ، وقراءة غيرها بقراءة أخرى ، ولا يستحسن العلماء جمع أكثر من قراءة في كلمة واحدة يرددها بحسب القراءة الواردة فيها ، وأكثر ما يحمل على ذلك إظهار القارئ براعته طلباً لاستحسان السامعين لما يريد أن يحققه من وراء ذلك ، وبخاصة إذا كان حسن الصوت ، أو يريد أن يغطي على عدم حلاوة صوته بمعرفته لكل القراءات ، والأعمال بالنيات .



س: ما حكم الدين فيمن يقرأ القرآن في الصلاة بالقراءات الشاذة غير المتعارف عليها ؟

ج : ذكر السيوطي ^(١) ، قول الزركشي أن هناك فرقاً بين القرآن والقراءات ، فالقرآن وحى الله المنزل على الرسول للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما . وذكر أن القراءات السبع متواترة عن الأئمة ، أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر .

ثم ذكر قول أبي شامة عن ظن البعض أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث (أنزل القرآن على سبع أحرف) وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل . ثم ذكر ما يفيد أن القراءات المدونة في الكتب يوجد غيرها .

١ - الإتيان ج ١ ص ٨٠ .

فقال القراب في (الشافي) التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر ، وأوهم أنه لا يجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد .

وقال الكواشي : كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فُقد شرط من الثلاثة فهو من الشاذ .

وقد اشتهد إنكار أئمة هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبية .

قال البغوي : اعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على قسمين ، منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لاشك في أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها ، ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به وإنما ورد من طريق غريبة لا يعول عليها وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضاً .

وقال الشوكاني ^(١) ، إذا تقرر لك إجماع أئمة السلف والخلف على عدم تواتر كل حرف من حروف القراءات السبع ، وعلى أنها لا فرق بينها وبين غيرها إذا وافق وجهاً عربياً وصح إسناده ، ووافق الرسم ولو احتمالاً لبا نقلناه عن أئمة القراء تبين لك صحة القراءة في الصلاة بكل قراءة متصفة بتلك الصفة سواء كانت من قراءة الصحابة المذكورين في الحديث أو من قراءة غيرهم ، ثم ذكر الشوكاني مخالفة النووي لهذا الرأي ورد عليه .

والحديث المشار إليه هو ما رواه البخاري وغيره (خذوا القرآن من أربعة) من ابن أم عبد - أي عبد الله بن مسعود - وقد بدأ به ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة .

هذا ما نقلته عن الإتيقان ونيل الأوطار ، ولعلماء القراءات آراؤهم ، والأمر الخلاف في لا يجوز التعصب لأي رأي فيه .



س : هل يجوز أن يقرأ الإنسان (قل هو الله الواحد) بدل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟

ج : الله هو الواحد وهو الأحد ، ولا يجوز مطلقاً أن نغير لفظاً من القرآن ونضع مكانه لفظاً آخر حتى لو كان بمعناه أو قريباً من معناه ، فالقرآن منقول لنا بلفظه ومعناه لا يجوز تغيير شيء منه ، وقد نزلت سورة الإخلاص بلفظ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلا يجوز تغيير مطلقاً ، فالتغيير يدخل تحت قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦] .



س : قرأ بعض الناس قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ برفع لفظ الجلالة ، وقال إن المعنى صحيح ، فما رأي الدين في ذلك؟

ج : قال تعالى في سورة فاطر : ٢٨ ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ والمعنى الصحيح أن العلماء بما خلق الله في الكون من المطر والنبات والجبل والناس والحيوانات وغيرها ، يصلون بعلمهم المتعمق والمنصف إلى الإيمان بالله ويخشون الكفر به وعصيانه فيما أمر به ونهى عنه . فالعلماء يخشون الله . وإعراب الجملة المذكورة في السؤال هو أن لفظ الجلالة (الله) في موقع المفعول به فينصب ، ولفظ (العلماء) في موقع الفاعل فيرفع ، والمعتاد أن يتقدم الفاعل على المفعول ، والتأخير في هذا الموضع له ما يبرره ، وتحدث العلماء في بيانه ، وليس محل ذلك هنا .

أما القراءة برفع لفظ الجلالة على أنه الفاعل للخشية ، ونصب لفظ (العلماء) على أن الله يخشاهم فقد وجهه بعض المفسرين بأن الخشية هنا ليست على حقيقتها ، جاء في تفسير القرطبي أن المعنى إنما يجلهم الله ويعظمهم ، كما يجل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده .

ومع إمكان فهم المعنى برفع لفظ الجلالة ، فإن القراءة نفسها غير معترف بها كما يقول علماء القراءات ، على الرغم من أن عمر بن عبدالعزيز كان يقرأ بها وحكيت عن أبي حنيفة ، كما يقول القرطبي ، فلم ترد في القراءات السبع المشهورة عن الإمام الشاطبي في (الشاطبية) ولم ترد في القراءات الثلاث المكملة للسبع المشهورة من طريق (الدرة) لابن الجزري ، كما لم ترد في القراءات الأربع الشواذ المنسوبة لابن مُحِيصِن والحسن البصري والأعشى والمطوي من طريق كتاب (الفوائد المعتبرة في القراءات الأربع الشواذ) للشيخ المتولي الشهير بالشمس المتولي صاحب كتاب (التحريات) على (الطيبة) لابن الجزري .



س : ضمير الغائب إذا دخل عليه حرف الجر وهو (عَلَى) كان مكسوراً مثل ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ ومثل ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ ولكن جاء في سورة الفتح مضموماً في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ﴾ فما السر في هذا؟

ج : ضمير الغائب كسائر الضمائر مبني وقد يكون في محل الرفع أو النصب أو الجر ، وهو إما منفصل مثل ﴿ هُوَ اللَّهُ ﴾ ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ وإما متصل مثل ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ ﴿ مَوْعَدُهُمُ الصُّبْحُ ﴾ .

والمتصل إذا كان في محل نصب كان مضموماً في المفرد المذكر والمثنى والجمع بنوعيهما ، ومفتوحاً في المفردة المؤنثة مثل : إنه ، إنها ، إنها ، إنهن . وإذا كان في موضع جر فإما أن يكون الجر بالإضافة وإما أن يكون بدخول حرف الجر عليه ، فإن كان بالإضافة يكون مضموماً في المفرد المذكر والمثنى والجمع بنوعيهما ، ومفتوحاً في المفردة المؤنثة . إذا كان آخر المضاف مرفوعاً ، مثل : هذا كتابه ، كتابها ، كتابهم ، كتابهن وكذلك إذا كان آخر المضاف منصوباً مثل إن كتابه ، كتابها ، كتابهما ، كتابهم ، كتابهن . أما إذا كان آخر المضاف مجروراً كان الضمير

مكسوراً في كل أحواله مفتوحاً في المفردة المؤنثة مثل في بيته ، بيتها ، بيتها ، بيتهم ، بيتهن .

وإن كان الجر بدخول حرف الجر عليه فحركة الضمير تختلف باختلاف آخر الحرف ، فهو مضموم فيما عدا المفردة المؤنثة ، مع من ، عن . ومكسور فيما عدا المفردة المؤنثة ، مع الباء وإلى وعلى .

والأمثلة مع على ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ﴾ [مريم: ١٥] ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦٩] .

أما قوله تعالى في سورة الفتح ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١٠] بضم الهاء ، فقال بعض العلماء إنه استثناء من الأصل ، لأن اسم الجلالة وهو (الله) إذا سبق بمجرور أو مكسور كان النطق به مرققاً وليس مفخماً كما هو الحال فيما إذا كان قبله فتح أو ضم ، وفي مقام العهد مع الله الذي يقتضي إظهار قوة الله وعظمته في النطق بأسمائه كان ضم الضمير في (عليه) ليكون النطق بلفظ الجلالة مفخماً لا مرققاً .

وقال آخرون : هناك لغتان في (عليهم) لغة بكسر الهاء ولغة بضمها ، وضمير المفرد المذكر يجيء على مثال الجمع ، فما كسرت فيه الهاء في المفرد فهو على لغة ، وما ضمت فيه فهو على لغة أخرى ، واللغتان عربيتان ، والقرآن كله عربي .



س : لم أتعلم أحكام قراءة القرآن ، فأنا أقرأ مع مراعاة ضبط الحروف كما هي في المصحف ، ولكنني لا أعرف القواعد الأخرى لقراءته فما حكم ذلك ؟

ج : قال علماء التجويد ، تجويد القرآن الكريم واجب وجوباً شرعياً يثاب القارئ على فعله ويعاقب على تركه ، وهو فرض عين على من يريد قراءة القرآن ، لأنه نزل على نبينا ﷺ مجوداً ، ووصل إلينا كذلك بالتواتر . وقد أخرج ابن خزيمة في صحيحه عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل) .

قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] وقال ﴿وَرَتِّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]. والترتيل مأخوذ من قولهم : رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضاً على مكث وتفهم من غير عجلة ، وقد سئل الإمام علي رضي الله عنه عن معنى الترتيل فقال : هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . وقال ابن عباس في تفسير الآية الأولى : معنى (رتل القرآن) بينه . وقال مجاهد : تأن فيه . وقال الضحاك : انبذه حرفاً حرفاً وتلبث في قراءته وتمهل فيها وافصل الحرف من الحرف الذي بعده . وقال الإمام الغزالي في كتابه (الإحياء) : تلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب . فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظ العقل تفسير المعاني ، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر . وقال ابن الجزري :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجد القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا

قال صاحب النشر في تفسير ما قاله الإمام علي في معنى الترتيل : التجويد هو حلية القراءة ، ويكون بإعطاء كل حرف من حروف الهجاء حقه ومستحقه ، أي أنه يجب أن تكون حروفه مرتبة ، ويرد كل حرف إلى مخرجه وأصله ، ويلطف النطق على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ، ولا إفراط ولا تكلف . والوقف : هو قطع الصوت على آخر كلمة زمناً يتنفس فيه القارئ . ١ هـ .

وهذا التجويد يتنافى مع اللحن ، الذي هو الميل عن الصواب ، وهو قسمان : لحن جلي واضح إذا كان فيه إبدال حرف بحرف أو حركة بحركة بحيث يكون هناك إخلال بالمعنى ، كالذي ينطق التاء في (يقنت) طاء (يقنط) وكالذي يضم تاء (أنعمت عليهم) . وتعتمد هذا اللحن حرام ، لأن فيه عبثاً بكلام الله ، واستهزاء بآياته ، وهو كفر بواح ^(١) .
والقسم الثاني من اللحن لحن خفي لا يدركه إلا المختصون من العارفين بأحكام القراءة ، وهو يخل بالأداء ولا يخل بالمعنى ، كقصر الممدود وإظهار المدغم وتفخيم المرقق وهكذا .

١ - الموسوعة الفقهية الكويتية - المجلد ٣ ص ٢١٤ .

والتجويد الذي يحفظ من هذا اللحن الخفي مستحب ، ولا يأثم تاركة ، وقيل يأثم عند تعمد هذا اللحن . أما التجويد الذي يحفظ من اللحن الجلي فهو واجب . والتجويد وبخاصة ما يراعى فيه إعطاء المدود والغنات حقها وما يباثل ذلك يصعب أو يتعذر الاستقلال بمعرفته من الكتب ، بل لا بد له من التلقي والمشافهة عن العارفين به . ومن أراد الثواب بتلاوة القرآن ليأخذ على كل حرف عشر حسنات فليقتصر على ترديد ما حفظه أو أتقن تلاوته ، أما من يريد التدبر والبحث والاستنباط فلا يتوقف ذلك على التلاوة ، بل يمكن النظر في المصحف دون تلفظ . وذلك كله احتياط من أجل المحافظة على القرآن عن التحريف .



س : أرجو توضيح الخطاب في قوله تعالى ﴿ أَلْقِيَافِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق: ٢٤] ؟
ج : في هذه الآية الكريمة خطاب للواحد بلفظ الاثنين ، قال القرطبي في تفسيرها: إن الخليل والأخفش ، وهما من كبار علماء اللغة قالوا : هذا كلام العرب الفصيح ، أن تخاطب الواحد بلفظ الاثنين فتقول : ويلك ، ارحلها وازجرها ، وخذها وأطلقها ، للواحد . قال الفراء : تقول للواحد : قوما عنا . وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه ورفقته في سفره اثنان ، فجرى كلام الرجل على صاحبيه ، ومنه قول امرئ القيس : خليلي مُرَّابِي على أم جندب . وقوله : قفانك من ذكرى حبيب ومنزل . وقال المازني : ألقيا يدل على : ألق ألق . وقال المبرد : هي تثنية على التوكيد ، ويجوز أن يكون الخطاب من الله للملكين ، وهما السائق والحافظ كما قال : ﴿ وَحَآتَ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَاقٍ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١] .



س : ما معنى قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ وكيف نوفق بينه وبين الآيات التي فيها مشرقان ومغربان ومشارق ومغارب ؟

ج : قال تعالى ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [الزمل: ٩] وقال تعالى ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧] وقال ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠] .

خلاصة كلام المفسرين أن المقصود بالشرق والمغرب في الآية الأولى مشرق الشمس ومغربها ، أي الجهة التي تشرق منها والجهة التي تغرب فيها ، والمراد الجهات كلها ، فليس هناك في الوجود كله إله يستحق العبادة إلا الله سبحانه ، ويلتقي هذا مع قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي مالك الكون كله .

والمقصود بالمشرقين والمغربين في الآية الثانية مشرق الشمس ومشرق القمر ، ومغرب الشمس ومغرب القمر ، فلكل منهما مشرق ومغرب ، وقيل : المراد من المشرقين والمغربين مشرقا الشمس ومغرباها ، وذلك صيفاً وشتاءً ، حيث يكون شروقها من أقصى منزلة في الشمال ومن أقصى منزلة في الجنوب ، وكذلك غروبها في أقصى منزلة في الشمال وفي الجنوب ، وهذا مشاهد لكل عين ، حيث يختلف مطلع الشمس ومغربها صيفاً وشتاءً . والله سبحانه هو الذي يقدر حركات الكون ، فتأخذ أجزاء الأرض أوضاعاً من الشمس يكون منها الصيف والشتاء وبقية الفصول ، وتترأى لنا الشمس كأنها هي التي تعلو وتنخفض عند الشروق والغروب ، وتجري في مسارات مختلفة باختلاف الفصول ، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه .

والمقصود بالمشارك والمغرب في الآية الثالثة ، إما مشارق الشمس ومغارها ، وإما مشارق جميع النجوم ومغارها ، فإن كان المقصود الأول فإن الشمس - في المسافة التي بين أقصى ارتفاع وأقصى انخفاض لها بحسب رؤية العين صيفاً وشتاءً - تشرق كل يوم من منزلة وتغرب في منزلة ، أي مشرق جديد ومغرب جديد . ولا تتكرر المنزلة في الشروق والغروب إلا مرتين في السنة الشمسية حين تمر عليها الشمس شمالاً وجنوباً وإن كان المراد الثاني وهو مشارق جميع النجوم ومغارها فالأمر واضح في الكثرة ، لأن لكل منها مشرقاً ومغرباً ، بل مشارق ومغار .

هذا ولا تتنافى كثرة المشارق والمغرب للشمس مثلاً - كما تدل عليه الآية الثالثة - مع الإخبار بمشرقين ومغرب كثيرة بتعدد المنازل كما ذكرنا ، كما لا تتنافى الآيتان الأخيرتان مع الآية الأولى التي ذكر فيها مشرق واحد ومغرب واحد ، لأن

المراد - كما قال المفسرون - جهة الشروق وجهة الغروب وفي كل من الجهتين منزلة لشروق الشمس وغروبها إجمالاً ومنازل تفصيلاً .

وقال بعض المفسرين : المراد بالشرق والمغرب في هذه الآية الجنس لا الوحدة والجنس يصدق بالواحد والاثنين والثلاثة وما بعدها ، فلا تنافي فيما بين الآية والآيتين الآخرين . والمراد بالشرقيين والمغربيين في الآية الثانية جنس الشرقيين للشمس والقمر وجنس المغربيين لهما ، وهو يصدق بالواحد والمتعدد .

وبهذا يعلم أنه لا تضارب بين آيات القرآن الكريم مطلقاً ، لأن القرآن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

وإذا كان هناك تضارب فهو بحسب الظاهر لا بحسب الحقيقة . فلا يجوز أن يوجه الطعن إليه قبل التدبر والفهم

فكم من عائب قولاً صحيحاً وأفتته من الفهم السقيم



س : هل صحيح ما يقال : إن المعوذتين ليستا من القرآن الكريم ؟

ج : هذا الكلام قديم وذكرته بعض كتب التفسير ونسب إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، يقول القرطبي في تفسيره ^(١) ، زعم ابن مسعود أنهما - قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس - دعاء تعوذ به النبي ﷺ حين سحرته اليهود ، وليستا من القرآن . خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت .

وهذا الكلام يعني أن المعوذتين من القرآن ، والدليل عليه هو الإجماع من الصحابة وأهل البيت ، ثم ذكر القرطبي مبررات لقول ابن مسعود ، فذكر أن ابن قتيبة قال : لم يكتب عبدالله بن مسعود في مصحفه المعوذتين لأنه كان يسمع

رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين - رضي الله عنهما - بهما ، فقدّر أنها بمنزلة :
أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

ومن المعلوم أن المصحف الرسمي المعوّل عليه هو ما كان يمليه النبي ﷺ على
كتاب الوحي ، وكان بعض الصحابة يكتب لنفسه ما نزل من القرآن في مصحف
خاص كابن مسعود ، وقد تكتب فيه تعليقات وتوضيحات وهوامش يراها
صاحب المصحف هامة عنده ، وعلى فرض أن ابن مسعود لم يكتبها في مصحفه
فليس ذلك دليلاً على أنها ليستا من القرآن الكريم ، ومن المعلوم أن عثمان بن عفان
رضي الله عنه عندما جمع المصحف تحت إشراف لجنة مختصة ، ونسخ منه عدة نسخ
وأرسل بعضها إلى الأمصار لتكون إماماً للناس - أمر بإحراق كل ما عدا المصحف
الذي جمعه حتى يكون المصحف الرسمي واحداً لاخلاف فيه .

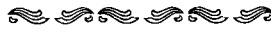
وأبو بكر الأنباري لا يرضى قول ابن قتيبة فيما نسب إلى ابن مسعود ويؤكد : أن
المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين ، وأن (أعيذكما بكلمات
الله التامة) واضح أنه من قول البشر ، وكلام الله الخالق الذي هو معجزة لخاتم
الأنبياء محمد ﷺ وحُجة باقية على الكافرين - لا يلتبس بكلام آدميين على مثل
عبدالله بن مسعود العالم باللغة وأفانين الكلام .

ثم يذكر القرطبي أن ترك عبدالله بن مسعود لكتابتها سببه كما قال البعض أنه
آمن عليهما من النسيان ، كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه لذلك . مع أنه حافظ
متقن ، ولكن هذا التعليل غير مسلم ، لأنه كتب : إذا جاء نصر الله والفتح ، إنا
أعطيناك الكوثر ، وقل هو الله أحد ، وهن كالمعوذتين في عدم الطول وفي سرعة
الحفظ ، ونسيانهن مأمون .

وذكر ابن كثير في تفسيره عدة روايات تثبت أن المعوذتين من القرآن وأن
الرسول ﷺ كان يقرأ بهما في الصلاة ويرغب في قراءتهما لما لهما من الثواب العظيم ،
وأكثر هذه الروايات في مسند أحمد وفي سنن النسائي . وروى مسلم في صحيحه
عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال (ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن
قط ، قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) .

كما جاء في تفسير ابن كثير أن البخاري روى عن زرّ بن حُبَيْش أنه سأل أبي ابن كعب : يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال : إني سألت النبي ﷺ فقال « قيل لي فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ والحافظ ابن حجر ذكر كثيراً مما تقدم يؤكد الإجماع على أن المعوذتين من كلام الله تعالى وقرآنه الكريم^(١).

يؤخذ من هذا الكلام أن المعوذتين من كلام الله ومن سور المصحف الشريف ، وعدم كتابة ابن مسعود لهما لا يلزم منه أنها ليستا من القرآن ، بصرف النظر عما جاء من تعليل لذلك ، فالإجماع منعقد من أيام الصحابة على أنها من القرآن الكريم ، ومصحف عثمان هو الإمام لكل المصاحف لإجماع الصحابة عليه .



س : ما حكم الدين في عدم ذكر البسملة في الصلوات التي تصلى جهراً ؟

ج : البسملة في الفاتحة فيها ثلاثة مذاهب ، مذهب يقول : إنها لمجرد الفصل بين السور ، فلا تجب قراءتها في الفاتحة ، والصلاة بدون قراءتها صحيحة ، بل قال : قراءتها مكروهة في الفرض دون النافلة ، وليس لهذا المذهب دليل قوي .

ومذهب يقول : إنها آية من الفاتحة ، وقراءتها واجبة فيها ، ولا تصح الصلاة بدونها ، وتعطى حكم الفاتحة في الأسرار أو الجهر بها . وأقوى دليل لهذا المذهب حديث يقول راويه : صليت وراء أبي هريرة فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم قرأ بأم القرآن - الفاتحة - وجاء في آخر الحديث قوله : والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ^(٢) .

ومذهب يقول : قراءتها في الفاتحة جائزة ، بل مستحبة ، ولكنها غير واجبة ، فتصح الصلاة بدونها ، لكن هذا المذهب يقول : لا يجهر بالبسملة ولكن تقال

١- ج ٨ ص ٦١٥ .

٢- رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، وقال الحافظ ابن حجر : هو أصح حديث ورد في البسملة .

سرّاً ، والدليل عليه قول أنس : صليت خلف الرسول وأبي بكر وعمر وعثمان وكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ^(١) .

ويمكن أن يقال : إن النبي ﷺ كان يجهر بها أحياناً ، ويسر بها أحياناً أخرى ، وما دام الأمر خلافاً فلا يجوز التعصب لأي رأي .
وأرى أن الإتيان بها ينفع ولا يضر ، وأن عدم الإتيان بها لا يبطل الصلاة .



س : ما سبب عدم بدء سورة التوبة بالبسملة ؟

ج : السبب في ذلك مختلف فيه ، فقليل لأنها سورة نزلت بالحرب والقتال وفضح أحوال المنافقين ، ولا يناسبها البدء بالبسملة التي تشتمل على الرحمة ، كعادة العرب عندما يوجهون كلاماً إلى الغير تكون مقدمته مناسبة لموضوعه وقيل لأن عثمان رضي الله عنه لما أمر الكتاب بنسخ صور من القرآن ، وترتيب سوره التي لم يثبت في ترتيبها نص من النبي ﷺ حيث جعل السور الطوال بجوار بعضها - رأى أن سورة الأنفال متناسبة مع سورة التوبة في الموضوع ، فأمر بجعلها بجوار بعضها بدون البسملة ، مع أن سورة الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وسورة براءة من أواخر ما نزل ، لكنهما متناسبتان من جهة الموضوع ، وقيل غير ذلك ، وفي كتب التفسير متسع لمن أراد الاستزادة .



س : هل يجب على الإنسان إذا أراد أن يقرأ شيئاً من القرآن الكريم أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؟

ج : قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] يقول القرطبي ^(٢) ، هذا الأمر على النذب في قول الجمهور ، وذلك في كل قراءة في غير

١- رواه النسائي وابن حبان بإسناد على شرط الشيخين .

٢- ج ١ ص ٨٦ .

الصلاة ، أما في الصلاة فقد اختلفوا ، وحكي عن عطاء أن الاستعاذة واجبة ، وأبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة ، ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة ، ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ، ويراه في قيام رمضان .

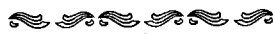
يؤخذ من هذا أن الاستعاذة قبل قراءة القرآن سنة عند الجمهور ، وذلك في غير الصلاة ، أما في الصلاة فهي سنة قبل قراءة الفاتحة عند الحنفية والشافعية ، يستوي في ذلك صلاة الفرض والنفل ، والمالكية لا يستحبونها في الفرض .

وجاء في كفاية الأخبار ^(١) ، في فقه الشافعية أن الاستعاذة مستحبة لكل ركعة ، لوقوع الفصل بين القراءتين بالركوع وغيره ، وقيل : يختص بالركعة الأولى ، فما ذكره القرطبي هو أحد قولين عند الشافعية .



س : هل من الحديث ما يقال « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر ، فإنه سيجيء أقوام من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم ؟ »

ج : هذا الحديث موجود في مقدمة تفسير القرطبي ^(٢) ، ذكره الحافظ أبو الحسن رزين وأبو عبد الله الترمذي الحكيم في (نواذر الأصول) ولم يذكر درجته من الصحة وغيرها ، وهو على كل حال ينهى عن التغني بالقرآن بما يخرج عن أصول التلاوة الصحيحة ، ويجعله كالأغاني التي يرددها المغنون والتي فيها ترجيع وتطريب يهمز فيه ما لا يهمز ، ويمد ما لا يمد ، وتصير الألف الواحدة ألفات ، والواو الواحدة واوات ، كما وضحه القرطبي ، ونعى على كثير من قراء اليوم الذين يخرجون بالقرآن عن أصول القراءة العربية المتلقة عن النبي ﷺ .



س : هل ما نسمعه من قراءة القرآن في المآثم والاحتفالات تجويد شرعي أو تطريب مُراعى فيه مقامات الموسيقى لإعجاب المستمعين ؟

ج : التجويد ، هو ضبط القراءة بإخراج الحروف من مخارجها وإعطائها حقها ومستحقها كما حدده المشتغلون بعلم التجويد أما تحسين الصوت بالقرآن فشيء وزاء التجويد اللازم لصحة القراءة ، والأمر بتحسين الصوت بالقرآن موجود في نصوص كثيرة منها حديث (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) ^(١) وحديث (زينوا القرآن بأصواتكم) ^(٢) ، وحديث (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغن بالقرآن يجهر به) ^(٣) .

وقد توسع القرطبي في شرح الأحاديث في مقدمة تفسيره نكتطف منه ما يلي :
العلماء فريقان في التطريب وقراءة القرآن بالألحان ، فكرهه جماعة منهم الإمام مالك ، وقال : لا يعجبني ، إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم ، وأجازته جماعة ، لأنه أوقع في القلوب ، واحتجوا بالأحاديث السابقة .

ومما ورد أن الرسول ﷺ استمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري وأعجب بها دون أن يعلم ، فلما علم قال : لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحبّرت لك تحبيراً ، وعلى هذا أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم .

واختار القرطبي رأي مالك وأجاب عن الأحاديث بأن القرآن لا يُزَيَّن بالصوت ، وإنما الصوت هو الذي يزين بالقرآن فالتعبير في الحديث مقلوب ، وكذلك فسرّه غير واحد .

وذكر رواية لأبي هريرة « زينوا أصواتكم بالقرآن » كما روى عن عمر : حسنوا أصواتكم بالقرآن .

وحديث التغني بالقرآن معناه تحسين الصوت به ، وهو معنى التحبير الوارد في كلام أبي موسى الأشعري . وقيل : المراد بالتغني الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار

٢- رواه أبو داود والنسائي .

١- رواه مسلم .

٣- رواه مسلم .

الأمم وقيل : معناه يتحزن به وقيل : إن العرب كانت تولع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون القرآن هَجَّيرَاهُمْ ، أي دأبهم وعاداتهم . ونفى الشافعي ومن معه أن يكون المراد بالتغني الاستغناء ، لأن الرسول ﷺ لو أراد له لقال « من لم يستغن » بدل « يتغن » قال الطبري : المعروف عندنا في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع : ورد القرطبي كلام الطبري ، وذكر أن الترجيع والتطريب فيه همز ما ليس بمهموز ، ومد ما ليس بممدود ، ويؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن وهو ممنوع .

ثم ذكر القرطبي أن الخلاف في التطريب محله إذا لم يترتب عليه عدم فهم القرآن ، وإلا كان حراماً بالاتفاق ، وحمل بشدة على قراء مصر لذلك ، ثم ذكر حديثاً رواه الترمذي الحكيم في (نواذر الأصول) وهو « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون العشق ولحون أهل الكتاب ، وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح ، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » وقال : اللحن جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء ، انتهى .

غير أن ما يرويه الترمذي الحكيم فيه كلام كثير ، وهو غير الترمذي صاحب السنن ، والواجب في قراءة القرآن الخشوع والأدب في الأداء ، والمحافظة على إخراج الحروف من مخارجها ، وإعطاء المد حقه وعدم التمطيط الزائد ، أو الانتقال المفاجئ من رفع الصوت العالي إلى الانخفاض الشديد ، وما يشبه ذلك مما لا يفرق بين قراءة القرآن والغناء ، والعلماء المختصون بالتجويد والقراءات هم أهل الذكر في ذلك .



س : ما حكم الدين في قراءة القرآن في المواصلات العامة ؟

ج : قراءة القرآن في أي مكان طاهر محترم لا حرج فيها مطلقاً ، إذا قصد بها ذكر الله والتعبد ورجاء الثواب من الله سبحانه ، أو التعليم للغير كيفية التلاوة أو أحكام القرآن وهدايته ، ويدل على ذلك إطلاق قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

﴿جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وإطلاق قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (١١) وَسَيَحْمِلُهُمْ فِيهَا أَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

والقرآن أشرف الذكر ، وذلك إلى جانب ما ورد من الحث على قراءة القرآن .
وإنما الممنوع أن يُتخذ القرآن وسيلة للاستجداء واستدرار عطف الناس ،
وبخاصة ما يكون عليه المستجدي من هيئة مبتذلة كأنها عنوان للقراء أو المشتغلين
بالدين عامة .

وعلى هذا يحمل قول النبي ﷺ فيما رواه أحمد « اقرءوا القرآن واعملوا به
ولا تحفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به »^(١) ، وفسر الأكل به
بأخذ الأجرة عليه ، كما فُسر بالاستجداء به والتسول .

ويجب العمل على إزالة هذه المظاهر وغيرها من مظاهر التسول ، فهي صورة
سيئة للإسلام ، وإغراء بالكسل وعدم البحث عن العمل الجاد الشريف .
أما العاجزون فتجب رعايتهم بما يكفل لهم العيش الكريم ، وتلك مسئولية
المجتمع كله والأجهزة المخصصة لذلك .



س: هل تجوز قراءة القرآن بأجر ؟

ج: قارئ القرآن لا يخلو من حالات أربعة :

الأولى : أن يقرأه تقرباً إلى الله كما يتقرب بالذكر والتسبيح وسائر أنواع القرب .
الثانية : أن يقرأه من أجل إفادة غيره بتعليمه إياه حفظاً أو تجويداً ، أو بوعظه
وإرشاده به .

الثالثة : أن يقرأه من أجل إفادة غيره بحسن صوته وتطريبه وتلحينه ، أو من
أجل العلاج به .

الرابعة : أن يقرأه ليهب ثوابه إلى الميت .

والأجر على هذه القراءة إما أخروي وإما دنيوي ، ولكل حالة حكمها .

١ - قال الهيثمي : رجاله ثقات ، وقال ابن حجر في الفتح : سنده قوي . كما رواه الطبراني والبيهقي أيضاً .

١ - أما القراءة تقرباً إلى الله سبحانه فلها ثواب أخروي إذا خلت من الرياء، وقد جاءت نصوص كثيرة ترغب في قراءته ، فالحرف الواحد بعشر حسنات ، ويرقى القارئ في درجات الجنة بمقدار ما يقرأ ، والقرآن شافع مشفع ، ويلبسه الله تاج الكرامة وحلة الكرامة ويرضى الله عنه ، ويأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة ، إلى غير ذلك من أنواع الثواب الذي جعله لقراءته بوجه عام إلى جانب ما جعله لسور وآيات مخصوصة .

ولا يجوز مطلقاً أن يتعاقد على أجر في مقابل هذه القراءة ، كالصلاة ، وإلا حُرِمَ ثواب الله ، حيث قصد بالقراءة غير وجه الله . لكن لو قدمت له هدية من أجل تكريمه وتشجيعه على الطاعة فلا مانع من قبول الهدية ، للترغيب في قبولها ، على شرط ألا يكون متطلّعا لها عند قراءته . وفي مثل هؤلاء المتأجرين بالقراءة والمرائين والمتسولين به يقول الحديث الذي رواه أحمد «اقرأوا القرآن ولا تغلّوا فيه ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به» والغلُّ فيه والجفوة عنه هو في التطبيق ، مغالاة في التمسك أو تقصيراً وجفوة له ، والأكل به هو أخذ المقابل له كسلعة تباع ، والاستكثار به يكون بالرياء والتفاخر والتعالي ، وذلك على بعض ما شرح به الحديث ، وكذلك في مثل هؤلاء يقول الحديث الذي رواه أحمد والترمذي «اقرأوا القرآن واسألوا الله به ، فإن من بعدكم قوماً يقرءون القرآن يسألون به الناس» وكذلك أحاديث أخرى تقبل في فضائل الأعمال ، هذا وقد جاء في كتاب «الحاوي للفتاوى» للسيوطي : لو قال شخص لآخر : اقرأ لي كل يوم ما تيسر من القرآن واجعل ثوابه لي أو لفلان الميت، وجعل له على ذلك مالاً معلوماً ففعل ، فهل يكون ثواب القراءة لهذا الشخص أو يكون له مثل الثواب ، وهل يبقى للقارئ ثواب أم لا ، وما الحكم لو كانت القراءة بدون مقابل ، بل كانت تبرعاً ؟

جاء في الجواب : أن هذه القراءة جائزة إذا شرط الدعاء بعدها والمال الذي أخذه القارئ هو من باب الجعالة ، والجعالة هنا على الدعاء لا على القراءة ، فإن ثواب القراءة للقارئ ولا يمكن نقله للمدعو له ، وإنما يقال : له مثل

ثوابه فيدعو بذلك ويحصل له إن استجاب الله الدعاء ، وكذلك حكم القارئ بدون مقابل .

ثم قال السيوطي : من يقرأ ختمات من القرآن بأجرة هل يحل له ذلك ؟ وهل يكون ما يأخذه من الأجرة من باب التكسب أو الصدقة ؟

وأجاب بقوله : نعم يحل له أخذ المال على القراءة والدعاء بعدها ، وليس ذلك من باب الأجرة ولا الصدقة ، بل من باب الجعالة ، فإن القراءة لا يجوز الاستئجار عليها ، لأن منفعتها لا تعود إلى المستأجر . لما تقرر في مذهبنا - الشافعية - من أن ثواب القراءة للقارئ لا للمقروء له ، وتجاوز الجعالة عليها إن شرط الدعاء بعدها ، وإلا فلا ، وتكون الجعالة على الدعاء لا على القراءة ، هذا مقتضى قواعد الفقه. اهـ.

٢ - أما الذي يعلم القرآن للحفظ والتجويد أو للوعظ والتعليم للدين ، فله أجر من الله إن قصد به وجهه دون رياء أو طلب مقابل دنيوي ، والنصوص كثيرة في الترغيب في التعليم ، منها حديث «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١) وحديث «يا أبا ذر ، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم ، عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة»^(٢). وحديث الثلاثة الذين هم أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة ، ومنهم رجل تعلم العلم وقرأ القرآن من أجل أن يقال إنه عالم وقارئ ، وقد استوفى بذلك ما أراد في الدنيا ولم يعد له ثواب عند الله ، فيؤمر به ويسحب على وجهه ويلقى في النار»^(٣) ، وينطبق عليهم قول الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾^(٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٥، ١٦] .

٢- رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

١- رواه البخاري ومسلم .

٣- رواه مسلم وغيره .

أما أجر الدنيا على تعليم القرآن والوعظ به ، فينظر فيه ، فإن كان واجباً على القائم به لحاجة المتعلم إليه لمعرفة ما يجب عليه ولا يوجد غير هذا المعلم فأختار ألا يستحق عليه أجراً وألا يساوم على هذا الأجر ، لأن الواجب الديني ثوابه وأجره عند الله فقط ، والتقصير فيه يستوجب العقوبة ، أما إن كان التعليم غير واجب فلا مانع من أخذ الأجر عليه ، لأنه أمر اختياري لا عقوبة في التقصير فيه .

وفي كلتا الحالتين - وجب التعليم وعدم وجوبه - لو أعطيت للمعلم هدية غير مشروطة وغير مساوم عليها فلا مانع من قبولها ، بل يُسنُّ قبولها كأية هدية أخرى وكذلك لو خصص بيت المال أو جهة ما مبلغاً من المال يدفع للقائمين بذلك تشجيعاً لهم على التفرغ لهذا العمل وعدم انشغالهم عنه بواجب كسب عيشهم بزراعة أو تجارة مثلاً ، وعملهم هذا جهاد في سبيل الله بمعناه الواسع غير القاصر على حمل السلاح لمواجهة العدو .

وقد ورد في ذلك حديث أبي بن كعب قال : علّمت رجلاً القرآن ، فأهدى لي قوساً ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال «إن أخذتها أخذت قوساً من نار» فرددها^(١) . وفي هذا الحديث كلام يضعف الاحتجاج به ، وبخاصة على الحرمة ، وتوضيح ذلك يرجع إليه في نيل الأوطار للشوكاني^(٢) .

ويستدل على جواز أخذ مقابل لتعليم القرآن في حالة عدم وجوبه بما أخرجه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ أجاز أن يكون الصداق في الزواج تعليم الزوجة شيئاً من القرآن .

يقول الشوكاني بعد ذكر أحاديث النهي عن الأكل بالقرآن والسؤال به وعن أخذ القوس وتناول الطعام عند صاحبه : إنه قد استدل بها من قال : لاتحل الأجرة على تعليم القرآن وهو أحمد بن حنبل وأصحابه وأبو حنيفة والهادوية ، وظاهره

١ - رواه ابن ماجه ، ورواه غيره بألفاظ أخرى جاء فيها أنه كان يأكل أيضاً من طعام من علمه ، وأن الرسول أجاز له إن كان طعاماً عادياً لأهل هذا الرجل وليس خاصاً به .

٢ - ج ٥ ص ٣٠٣ .

عدم الفرق بين أخذها على تعليم من كان صغيراً أو كبيراً ، وقالت الهادوية : إنما يحرم أخذها على تعليم الكبير ، لأجل وجوب تعليمه القدر الواجب وهو غير متعين ، ولا يحرم على تعليم الصغير لعدم الوجوب عليه . وقال : وذهب الجمهور إلى أنها تحل الأجرة على تعليم القرآن ، وأجابوا عن أحاديث المنع بأجوبة منها - إلى جانب الضعف - أن الرسول علم من أبي بن كعب أنه فعل ذلك خالصاً لوجه الله فكره أخذ العوض عليه ، وأما من علم القرآن على أنه لله وأن يأخذ من المتعلم ما دفعه إليه بغير سؤال ولا استشراف نفس فلا بأس به ، وأن حديث تحريم السؤال به غير أخذ الأجر على تعليمه ، وحديث منع الأكل بالقرآن لا يستلزم المنع من قبول ما يدفعه المتعلم بطيب نفس .

وحاول الشوكاني ردّ هذه الأجوبة بأسلوب يدل على تحمسه لمذهب من حرم أخذ الأجرة ، كما حاول الرد على حديث البخاري في جواز أن يكون تعليم القرآن صداقاً في الزواج وهو أجر ، بعدة ردود منها أنه خاص بهذين الزوجين وليس عاماً ، بناء على حديث سعيد بن منصور الذي جاء فيه «لا يكون لأحد بعدك مهراً» .

هذا ، وما دام الجمهور قد أجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، وبخاصة إذا كانت بسخاء نفس تشبه الهدية فلا مانع من أخذ هذا المقابل ، مع الوصية بعدم الحرص الشديد عليه وإيثار ثواب الله على أجر الدنيا ، هذا وقد جاء في تفسير القرطبي ^(١) ، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١] أن الأخبار كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك . ثم قال : وهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تتناول من فعل فعلهم ، فمن أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطالة أو امتنع من تعليمي ما وجب عليه أو أداء ما علمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه أجراً فقد دخل في مقتضى الآية . وقد روى أبو داود أن النبي ﷺ قال «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ربحها .

ثم قال القرطبي : وقد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن والعلم لهذه الآية وما كان في معناها ، فمنع ذلك الزهري وأصحاب الرأي فقالوا : لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، لأن تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها إلى نية التقرب والإخلاص ، فلا يؤخذ عليها أجرة كالصلاة والصيام ، وقد قال تعالى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال «معلمو صبيانكم شراركم ، أقلهم رحمة باليتيم وأغلظهم على المسكين»^(١) وعن أبي هريرة في المعلمين «درهمهم حرام وثوبهم سحت وكلامهم رياء» وروى عبادة بن الصامت أنه علم ناساً من أهل الصفة القرآن والكتابة ، فأهدى إليه رجل منهم قوساً رأى أنها ليست بهال وأنه يرمي بها في سبيل الله ، فسأل الرسول عن ذلك فقال «إن سرك أن تطوق بها طوقاً من نار فاقبلها» .

وأجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وأكثر العلماء ، لحديث البخاري «إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله» وهو نص يرفع الخلاف فينبغي أن يعول عليه .

ثم قال القرطبي : وأما ما احتج به المخالف ، من القياس على الصلاة والصيام ففاسد لأنه في مقابل النص ، ثم إن بينهما فرقاناً ، وهو أن الصلاة والصيام عبادات مختصة بالفاعل ، وتعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم ، فتجوز الأجرة على محاولته النقل ، كتعليم كتابة القرآن . قال ابن المنذر : وأبو حنيفة يكره تعليم القرآن بأجرة ، ويجوز أن يستأجر الرجل يكتب له لوحاً أو شعراً أو غناء معلوماً بأجر معلوم ، فيجوز الإجارة فيما هو معصية ويبطلها فيما هو طاعة .

وأما الجواب عن الآية فالمراد بها بنو إسرائيل ، وشرع من قبلها هل هو شرع لنا ؟ فيه خلاف ، وهو لا يقول به .

وجواب ثان وهو أن تكون الآية فيمن تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذ عليه أجراً ، فأما إذا لم يتعين فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنة في ذلك ، وقد يتعين عليه

١ - حديث موضوع .

إلا أنه ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم وله أن يقبل على صنعته وحرفته ، ويجب على الإمام أن يعين لإقامة الدين إعانته ، وإلا فعلى المسلمين ، لأن الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة وعُيِّن لها لم يكن عنده ما يقيم به أهله فأخذ ثياباً وخرج إلى السوق ، فقليل له في ذلك ، فقال : ومن أين أنفق على عيالي؟ فردوه وفرضوا له كفايته .

وأما الأحاديث فليس شيء منها يقوم على ساق ، ولا يصح عنها شيء عند أهل العلم بالنقل ، أما حديث ابن عباس فرواه سعد بن طريف عن عكرمة عنه ، وسعيد متروك . وأما حديث أبي هريرة فرواه على بن عاصم عن حماد بن سلمة عن أبي جرههم عنه ، وأبو جرههم مجهول لا يعرف ، ولم يرو حماد بن سلمة عن أحد يقال له أبو جرههم . وإنما رواه عن أبي المهزم وهو متروك الحديث أيضاً ، وهو حديث لا أصل له ، وأما حديث عبادة بن الصامت رواه أبو دواد من حديث المغيرة بن زياد الموصلي عن عبادة بن نسي عن الأسود بن ثعلبة عنه ، والمغيرة معروف عند أهل العلم ولكن له مناكير ، هذا منها ، قاله أبو عمر . ثم قال : وأما حديث القوس فمعروف عند أهل العلم ، لأنه روى عن عبادة بن وجهين ، وروي عن أبي بن كعب من حديث موسى بن علي عن أبيه عن أبي ، وهو منقطع . وليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل ، وحديث عبادة وأبي يحتمل التأويل لأنه جائز أن يكون علّمه الله ثم أخذ عليه أجراً ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال «خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلمون ، كلما خلق الدين - صار قديماً - جددوه ، أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم ، فإن المعلم إذا قال للصبي : قل بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لأبويه من النار» .

انتهى ما قاله القرطبي ، لكنه لم يذكر درجة هذا الحديث ، وهو إن كان ضعيفاً يعمل به في فضائل الأعمال .

يتلخص من هذا ، أن الأجر على تعليم القرآن جائز إن لم يتعين عليه ، وكذلك إن تعين عليه لكنه مشغول بتحصيل قوته فيجعل له بيت المال أو المسلمون

ما يجعله متفرغاً للتعليم ، ثم قال القرطبي^(١) : واختلف العلماء في حكم المصلي بأجرة ، فروى أشهب عن مالك أنه سئل عن الصلاة خلف من استؤجر في رمضان يقوم للناس - صلاة التراويح وقيام الليل - فقال : أرجو ألا يكون به بأس ، وهو أشد كراهة له في الفريضة . وقال الشافعي وأصحابه وأبو ثور : لا بأس بذلك ولا بالصلاة خلفه . وقال الأوزاعي : لا صلاة له ، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه .

٣ - أما أصحاب الأصوات الحسنة الذين يقصدون من قراءتهم إدخال السرور على السامعين ، سواء كانت المناسبة أفرحاً وأعياداً أم عزاء مثلاً ، مع التزام كل الآداب المطلوبة من القراء والسامعين ، إن كانت هناك مساومة على الأجر يمكن أن ينطبق عليه حديث النهي عن الأكل والتسول به ، وعن الاستكثار والتفاخر بالصوت الجميل ، لأن العمل ليس تعليماً للقرآن ولا تعليماً للدين به ، بل مجرد قراءة لا يقصد بها وجه الله عند بعضهم ، فهي قرينة كالصلاة لا تطلب بها الدنيا مادياً ولا أديباً ، أما إذا لم تكن مساومة وأعطي كهدية لا مانع من قبولها ، وقد يثاب دافعها إن قصد بها تكريم القرآن وحامله إن كان غنياً ، أو مساعدته إن كان محتاجاً للمساعدة .

وإن قصد بقراءة القرآن علاج مريض ، كالرقى التي أجازها النبي ﷺ ، لا مانع من اشتراط الأجر وقبوله .

وقد جاء النص على هذه الحالة في حديث رواه البخاري عن ابن عباس أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء فيه لديغ أو سليم ، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق فإن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً ؟ فانطلق رجل منهم فقراً بفاتحة الكتاب على شياه - أي في مقابل شياه - فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً ؟ حتى قدموا المدينة فقالوا : يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً ، فقال رسول الله ﷺ « إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » وجاء في رواية أخرى أن الراقي طلب أجراً لأن القوم أبوا أن يضيفوهم

وكانوا في حاجة إلى الضيافة ، وأن الرسول ﷺ قال لأصحابه «قد أصبتم ، اقتسموا واضربوا لي معكم سهماً ، وضحك » ، وذلك مبالغة في تأنيسهم ، واللديغ يطلق عليه أيضاً السليم من باب التفاضل ، وحاول المانعون من أخذ الأجرة الرد على هذا الحديث بأنه منسوخ ، لكن النسخ لا يثبت بمجرد الاحتمال ، بل لا بد له من دليل ، كما ردوا بأن الأجر فيه هو على الرقية لا على التلاوة والتعليم ، أما الأجر على التعليم فهو ممنوع . ولا يخفى ما في هذا من تعسف لا داعي له ، فكل منفعة تقدم للغير يجوز أخذ مقابل لها ما دامت مشروعة وغير متعينة ، أما المتعينة كالزكاة فليس لها مقابل مادي ممن أخذها ، لأنها حقه كما قال سبحانه ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٩] .

هذا هو خلاصة ما أخذته من الأحاديث الواردة في أخذ الأجر على القرآن ، تلاوة أو تعليماً أو إفادة بطريق مشروع ، وقد رأينا خلاف الفقهاء في جواز الأخذ ومنعه ، وما دام الأمر خلافياً فلا يجوز التعصب لرأي ، مع التوصية بالمحافظة على جلال القرآن والاهتمام بثواب الله سبحانه .

ويعجبني ما ختم به صاحب «منتقى الأخبار» الذي شرحه الشوكاني ، الأحاديث الواردة في الموضوع ، وهو يميل إلى المنع ، فقال بعد ذكر حديث رقية الرجل اللديغ ، وقد صح أن النبي ﷺ زوج امرأة رجلاً على أن يعلمها سوراً من القرآن . ومن ذهب إلى الرخصة لهذه الأحاديث حمل حديث أبي عبيدة - المانعين - على أن التعليم كان قد تعين عليهما ، وحمل فيما سواهما من الأمر والنهي على النذب والكراهة ، يعني على عدم الوجوب والحرمة .

هذا ، وأما قراءة القرآن من أجل نفع الميت بها ، ففيها خلاف للعلماء بين المنع من استفادته بها بناء على أنها عبادة بدنية لا تقبل النيابة ، وبين الجواز بناء على رجاء رحمة الله وما ورد من بعض النصوص ، ومن تتبع أقوال الكثيرين يمكن استنتاج ما يلي :

١ - إذا قرئ القرآن بحضرة الميت فانتفاعه بالقراءة مرجو ، سواء أكان معها إهداء أم لم يكن ، وذلك بحكم المجاورة ، فإن القرآن إذا تلى ، وبخاصة إذا كان في

اجتماع ، حفت القارئین الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، روى مسلم قول النبي ﷺ : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يقرءون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة » والقرآن ذكر بل أفضل الذكر ، وقد روى مسلم وغيره حديث « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » بل لا يشترط لنزول الملائكة وغيرهم أن تكون القراءة أو الذكر في جماعة ، فيحصل ذلك للشخص الواحد . روى البخاري ومسلم حديث أسيد بن حضير الذي كان يقرأ القرآن في مربده وبجواره ولده وفرسه ، وجاء فيه : فإذا مثل الظلة فوق رأسي ، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها ، فقال له رسول الله ﷺ « تلك الملائكة تستمتع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستر منهم » .

على أن النص قد جاء بقراءة « يس » عند الميت ، روى أحمد وأبو داود والنسائي ، واللفظ له ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه أن النبي ﷺ قال : « قلب القرآن يس ، ولا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرأوها على موتاكم » . وقد أعل الدارقطني وابن القطان هذا الحديث ، لكن صححه ابن حبان والحاكم ، وحمله المصححون له على القراءة على الميت حال الاحتضار ، بناء على حديث في مسند الفردوس « ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس إلا هون الله عليه » . لكن بعض العلماء قال : إن لفظ الميت عام لا يختص بالمحتضر ، فلا مانع من استفادته بالقراءة عنده إذا انتهت حياته ، سواء دفن أم لم يدفن ، روى البيهقي بسند حسن أن ابن عمر استحب قراءة أول سورة البقرة وخاتمتها على القبر بعد الدفن . وابن حبان الذي قال في صحيحه معلقاً على حديث « اقرءوا على موتاكم يس » أراد به من حضرته المنية لا أن الميت يقرأ عليه ، رد عليه المحب الطبري بأن ذلك غير مسلم له وإن سلم أن يكون التلقين حال الاحتضار . قال الشوكاني : واللفظ نص في الأموات ، وتناوله للحي المحتضر مجاز فلا يصار إليه إلا لقريته ^(١) . والنووي ذكر في رياض الصالحين

١- نيل الأوطار ج ٤ ص ٥٢ .

تحت عنوان : الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة^(١) ، ذكر أن الشافعي قال : يستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن ، وإن ختموا القرآن كان حسناً . وجاء في المغني لابن قدامة^(٢) : تسن قراءة القرآن عند القبر وهبة ثوابها ، وروى أحمد أنه بدعة ، ثم رجع عنه .

وكره مالك وأبو حنيفة القراءة عند القبر حيث لم ترد بها السنة . لكن القرافي المالكي قال : الذي يتجه أن يحصل للموتى بركة القراءة ، كما يحل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده .

٢ - إذا قرئ القرآن بعيداً عن الميت أو عن القبر وامتنع انتفاعه به بحكم المجاورة وحضور الملائكة ، اختلف الفقهاء في جواز انتفاع الميت به ، وهناك ثلاث حالات دار الخلاف حولها بين الجواز وعدمه :

الحالة الأولى : إذا قرأ القارئ ثم دعا الله بما قرأ أن يرحم الميت أو يغفر له ، فقد توسل القارئ إلى الله بعمله الصالح وهو القراءة ، ودعا للميت بالرحمة ، والدعاء له متفق على جوازه وعلى رجاء انتفاعه به إن قبله الله ، كمن توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فانفجرت عنهم الصخرة التي سدت فم الغار . وفي هذه الحالة لا ينبغي أن يكون هناك خلاف يذكر في عدم نفع الميت بالدعاء بعد القراءة .

الحالة الثانية : إذا قرأ القارئ ثم دعا الله أن يهدي مثل ثواب قراءته إلى الميت . قال ابن الصلاح : وينبغي الجزم بنفع : الله أوصل ثواب ما قرأناه ، أي مثله ، فهو المراد ، وأن يصرح به لفلان ، لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعي فما له أولى ، ويجري ذلك في سائر الأعمال . ومعنى كلام ابن الصلاح أن الداعي يدعو الله أن يرحم الميت : والرحمة ليست ملكاً له بل لله ، فإذا جاز الدعاء بالرحمة وهي ليست له فأولى أن يجوز الدعاء بما له هو وهو ثواب القراءة أو مثلها . وكذلك يجوز في كل قربة يفعلها الحي من صلاة وصيام وصدقة ، ثم يدعو بعدها أن يوصل الله مثل

١ - الباب الحادي والستون بعد المائة .

٢ - ص ٧٥٨ .

ثوابها إلى الميت . وقد تقدم كلام ابن قدامة في المغني عن ذلك . والدعاء بإهداء مثل ثواب القارئ إلى الميت هو المراد من قول المجيزين : اللهم أوصل ثواب ما قرأته لفلان .

الحالة الثالثة : إذا نوى القارئ أن يكون الثواب ، أي مثله ، للميت ابتداء أي قبل قراءته أو في أثناءها يصل ذلك إن شاء الله ، قال أبو عبد الله الأبي : إن قرأ ابتداء بنية الميت وصل إليه ثوابه كالصدقة والدعاء ، وإن قرأ ثم وهبه لم يصل ، لأن ثواب القراءة للقارئ لا ينتقل عنه إلى غيره .. وقال الإمام ابن رشد في نوازله : إن قرأ ووهب ثواب قراءته لميت جاز وحل للميت أجره ، ووصل إليه نفعه ، ولم يفصل بين كون الهبة قبل القراءة أو معها أو بعدها ، ولعله يريد ما قاله الأبي .

هذا ، وانتفاع الميت بالقراءة مع الإهداء أو النية هو ما رآه المحققون من متأخري مذهب الشافعي ، وأولوا المنع على معنى وصول عين الثواب الذي للقارئ أو على قراءته لا بحضرة الميت ولا بنية ثواب قراءته له ، أو نيته ولم يدع له ، وقد رجح الانتفاع به أحمد وابن تيمية وابن القيم . وقد مر كلامهم في ذلك .

قال الشوكاني^(١) : المشهور من مذهب الشافعي وجماعة من أصحابه أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل ، كذا ذكره النووي في الأذكار . وفي شرح المنهاج : لا يصل إلى الميت عندنا ثواب القراءة على المشهور ، والمختار الوصول إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته ، وينبغي الجزم به لأنه دعاء ، فإذا جاز الدعاء للميت بما ليس للداعي فلأن يجوز بما هو له أولى ، ويبقى الأمر فيه موقوفاً على استجابة الدعاء . وهذا المعنى لا يختص بالقراءة ، بل يجري في سائر الأعمال . والظاهر أن الدعاء متفق عليه أن ينفع الميت والحي ، والقريب والبعيد ، بوصية وغيرها ، وعلى ذلك أحاديث كثيرة ، بل كان أفضل الدعاء أن يدعو لأخيه بظهر الغيب . ٢ هـ .

١ - نيل الأوطار ج ٤ ص ١٤٢ .

هذا ، وقد قال الأبي : والقراءة للميت ، وإن حصل الخلاف فيها فلا ينبغي إهمالها، فلعل الحق الوصول ، فإن هذه الأمور مغيبة عنا ، وليس الخلاف في حكم شرعي إنما هو في أمر هل يقع كذلك أم لا .

وأنا مع الأبي في هذا الكلام ، فإن القراءة للميت إن لم تنفع الميت فهي للقارئ ، فالمستفيد منها واحد منهما ، ولا ضرر منها على أحد . مع تغليب الرجاء في رحمة الله وفضله أن يفيد بها الميت كالشفاعة والدعاء وغيرهما .

وهذا الخلاف محله إذا قرئ القرآن بغير أجر ، أما إن قرئ بأجر فالجمهور على عدم انتفاع الميت به ، لأن القارئ أخذ ثوابه الدنيوي عليها فلم يبق لديه ما يهديه أو يهدي مثل ثوابه إلى الميت ، ولم تكن قراءته لوجه الله حتى يدعوه بصالح عمله أن ينفع بها الميت ، بل كانت القراءة للدنيا . ويتأكد ذلك إذا كانت هناك مساومة أو اتفاق سابق على الأجر أو معلوم متعارف عليه ، أما الهدية بعد القراءة إذا لم تكن نفس القارئ متعلقة بها فقد يرجى من القراءة النفع للميت والأعمال بالنيات ، وأحذر قارئ القرآن من هذا الحديث الذي رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن عبدالرحمن بن شبل «اقرأوا القرآن واعملوا به ، ولا تحفوا عليه ، ولا تغلوا فيه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به»^(١)

وقد قال الشيخ حسنين محمد مخلوف في أخذ الأجرة على قراءة القرآن : مذهب الحنفية لا يجوز أخذها على فعل القرب والطاعات كالصلاة والصوم وتعليم القرآن وقراءته ، ولكن المتأخرين من فقهاء الحنفية استثنوا من ذلك أموراً ، منها تعليم القرآن ، فقالوا بجواز أخذ الأجرة عليه استحساناً ، خشية ضياعه ، ولكن بقي حكم أخذ الأجرة على قراءة القرآن على ما تقرر في أصل المذهب من عدم الجواز . ومذهب الحنابلة لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ولا على قراءته ، استناداً إلى حديث «اقرأوا القرآن . . .» الذي تقدم . . ومذهب المالكية لا يجوز أخذ الأجرة

١ - قال الهيثمي : رجال أحمد ثقات ، وقال ابن حجر في الفتح : سنده قوي . وفسر الأكل به بأخذ الأجرة عليه ، كما فسر بالاستجداء به والتسول .

على ما لا يقبل النيابة من المطلوب شرعاً كالصلاة والصيام ، ولكن يجوز أخذ الأجرة على ما يقبل النيابة ، ومنه تعليم القرآن وقراءته ، ومذهب الشافعية يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعليمه ، سواء أكانت القراءة عند القبر أو بعيدة عنه مع الدعاء بوصول الثواب إلى الميت . ٢ هـ الزرقاني^(١) .



س : هل الاستماع إلى القرآن واجب يأثم من ينشغل عنه ، مع أن الإنسان قد يكون في عمل هام يحتاج إلى التركيز في التفكير كالمذاكرة والامتحان ؟

ج : قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[الأعراف: ٢٠٤]

حكى ابن المنذر الإجماع على أن استماع القرآن والإنصات إليه واجب في الصلاة وخطبة الجمعة ، وليس واجباً في غير هاتين الحالتين ، بل هو سنة ، وذلك لأن وجوب الاستماع فيه حرج كبير على القائمين بأعمال ضرورية تحتاج إلى يقظة وعدم انشغال ، وبخاصة أن القرآن يتلى ويذاع من جهات متعددة ، إن لم يكن من البيت أو محل العمل فمن البيوت أو المحال الأخرى .

ولكن إذا كان الإنسان في مجلس قرآن ولا يوجد عمل يشغله ينبغي أو يجب أن يتأدب في المجلس ولا ينشغل عن الاستماع إليه بحديث أو غيره ، وبخاصة مع رفع الصوت بالحديث ، وتعظم المسؤولية إذا كان قاصداً برفع الصوت التشويش على القرآن وإذا كان الله تعالى قال ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] فإن النهي عن رفع الصوت على صوت القرآن أولى ، والأدب مع الله وكلامه فوق الأدب مع الرسول وكلامه^(٢) .

١- ج ٥ ص ٤٠٦ .

٢- الفتاوى الإسلامية ، ج ٥ ص ١٦٦٦ .

والمراد بسماع القرآن في الصلاة هو سماع المأموم لقراءة الإمام ، فلا يجوز أن يشغل المأموم عن قراءة الإمام بأن يقرأ هو ، وقد مر حكم ذلك ، والإنصات إلى خطبة الجمعة واجب لأن فيها قرآناً ، والنصوص ثابتة في الأمر بالإنصات للخطبة ، وأن من لغا أو انصرف عنها لا جمعة له .

والخلاصة أن الاستماع إلى القرآن واجب في الصلاة عند قراءة الإمام وفي خطبة الجمعة ، ومندوب في غير ذلك ، فقد ورى أحمد أن النبي ﷺ قال «من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة»^(١) .



س : ما حكم الدين في التدخين وتناول الشاي والقهوة أثناء تلاوة القرآن الكريم؟

ج : صح أن القرآن إذا قرئ نزلت الملائكة تستمع إليه ، وجاء النص على ذلك فيمن يجتمعون في بيت من بيوت الله يقرءون القرآن ويتدارسونه فيما بينهم ، كما جاء النص في حديث رواه مسلم على أي اجتماع في أي مكان يذكر فيه الله ، ولا شك أن أفضل الذكر كلام الله تعالى ، وصح أيضاً أن الملائكة تنفر من الروائح الكريهة ، ففي حديث مسلم النهي عن قربان المسجد لمن أكل ثوماً أو بصلاً ، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس .

ومن المعلوم أن رائحة الدخان يتأذى منها الناس ، وبالتالي تتأذى الملائكة ، والنتيجة عدم حضور الملائكة لمجالس القرآن التي يشرب فيها الدخان ، فالتدخين في مجالس القرآن فيه عدة أخطاء ، منها طرد الملائكة الذين يحبون الرائحة الطيبة ، وحرمان المجلس من رحمة الله وسكينته التي تنزل مع هؤلاء الملائكة ، والإضرار بالكثيرين الذين يتأذون برائحة الدخان ، وذلك إلى جانب مخالفة قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

١ - ذكره ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ .

ويستوي التدخين في هذا الحكم مع شرب الشاي والقهوة أثناء تلاوة القرآن ، حيث لا يتحقق الاستماع والإنصات المؤديان إلى التذكر والاعتبار ، والمحققان لمظهر من مظاهر احترام القرآن .

وجمهور الفقهاء على أن الإنصات للقرآن المأمور به في الآية يكون واجباً على المأموم في الصلاة وعلى المستمع لخطبة الجمعة ، ويكون مندوباً في غير ذلك في مثل مجالس التلاوة في المناسبات وغيرها .

أما حكم التدخين فله رسالة خاصة طبعت مع مجلة الأزهر ، فيرجع إليها .



س : أيهما أكثر ثواباً للمرء قراءة القرآن أم الاستماع إليه ؟

ج : أكثر الأحاديث جاءت ترغب في القراءة ، وتجعل ثواب الحرف الواحد عشر حسناً ، والماهر بالقراءة مع السفارة الكرام البررة والذي يتتبع فيه له أجران ، ويأتي القرآن شفيعاً لأصحابه ، ويلبسه الله تاج الكرامة وحلة الكرامة ، ويرتقي في درجات الجنة بقدر ما يقرأ ، والملائكة تنزل لسماعه من القارئ ، وكل ذلك وغيره وردت به النصوص الصحيحة والحسنة .

أما استماع القرآن فالنصوص في الترغيب فيه قليلة جداً ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

وفي الحديث «من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة» .^(١)

وقد حمل بعض المفسرين الآية على خطبة الجمعة فأوجبوا الإنصات إليها لاشتغالها على القرآن ، ومع ذلك فالحديث المروي في الاستماع ذكر فيه ثواب التلاوة بأكثر من ثواب الاستماع ، والحديث على كل حال ضعيف .

١ - رواه أحمد عن عبادة بن مسيرة ، واختلف في توثيقه عن الحسن عن أبي هريرة ، والجمهور على أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

ومن هنا يمكن أن نقول : إن قراءة القرآن أكثر ثواباً من الاستماع إليه ، وهي وسيلة لتعليم الكتابة ليستطيع القراءة ، فالذي يسمعه ربما لا يكون قارئاً أو عارفاً بالكتابة ، والقراءة أقرب من الاستماع لحفظ القرآن .

ومهما يكن من شيء فالاشتغال بالقرآن بأية كيفية من الكيفيات فضيلة من كبريات الفضائل . والله أعلم .



س : هل يثاب الإنسان عند الله على قراءة القرآن وحفظه بمثل قراءته للقرآن فقط ؟

ج : مجرد قراءة القرآن له ثواب بكل حرف عشر حسنات كما وردت بذلك الأحاديث ، والحفظ مرتبة زائدة على مجرد القراءة وله ثواب آخر ، وقد جاء في الحديث أن صاحب القرآن يرتقي في درجات الجنة بمقدار ما يقرأ ، وليس هناك مصحف يقرأ فيه ، فالمدار على الحفظ «يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(١) .



س : هل هناك دعاء مخصوص لختم القرآن وهل ورد حديث في فضل الاجتماع على ختم القرآن ؟

ج : لم يرد حديث مقبول عن النبي ﷺ بخصوص ختم القرآن كما لم يرد بخصوص الاجتماع على الختم ، وإنما هو كلام وآثار وردت عن السلف ، وذكر النووي شيئاً من ذلك^(٢) ، وقال : صح عن بعض التابعين الكوفيين أنهم كانوا يصبحون صياماً اليوم الذي يختمون فيه . وقال : يستحب حضور مجلس الختم لمن يقرأ ولمن لا يحسن القراءة ، كما شهد النساء الحيض الخير ودعوة المسلمين يوم العيد .

١ - رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح .

٢ - في كتابه ، الأذكار ص ١٠٨ .

وذكر أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا ، وأن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وتنزل الرحمة . وروى في مسند الدارمي عن حميد الأعرج أنه قال : من قرأ القرآن ثم دعا أمَّن على دعائه أربعة آلاف ملك .

إن قراءة القرآن لها فضلها العظيم . ومجالس الذكر والقرآن تشهدا الملائكة كما صحت بذلك الأحاديث ، والصوم مستحب سواء كان من أجل ختم القرآن أو من غيره ، والدعاء لا بأس به بعد قراءة القرآن هو مرجو القبول ، لأن القراءة وسيلة لثواب الله ، والدعاء بصلاح الأعمال بوجه عام يرجى قبوله كدعاء الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار ففرَّج الله عنهم وكون أربعة آلاف ملك يؤمِّنون على الدعاء بعد القرآن لا يعلمه إلا الله سبحانه ولم يصح فيه حديث .

فالخلاصة أن كل عمل صالح يدعو تحت العنوان العام للصالحات لا بأس به ، لكن ورود حديث ذلك عن النبي ﷺ يجب التحري فيه .



س : بعض الناس يقولون : إن قول القارئ بعد الانتهاء من القراءة [صدق الله العظيم] بدعة ، لا يجوز قولها فهل هذا صحيح ؟

ج : حذرت كثيراً من التعجل في إطلاق وصف البدعة على أي عمل لم يكن في أيام النبي ﷺ ولا في عهد التشريع ، ومن التبادي في وصف كل بدعة بأنها ضلالة وكل ضلالة في النار .

وقول «صدق الله العظيم» من القارئ أو من السامع بعد الانتهاء من القراءة ، أو عند سماع آية من القرآن ليس بدعة مذمومة ، أولاً : لأنه لم يرد نهي عنها بخصوصها، وثانياً : لأنها ذكر لله والذكر مأمور به كثيراً ، وثالثاً : أن العلماء تحدثوا عن ذلك داعين إليه كأدب من آداب قراءة القرآن ، وقرروا أن قول ذلك في الصلاة لا يبطلها ، ورابعاً : أن هذه الصيغة أو قريباً منها ورد الأمر بها في القرآن ، وقرر أنها من قول المؤمنين عند القتال .

قال تعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [آل عمران: ٩٥] وقال ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [الأحزاب: ٢٢] وذكر القرطبي في مقدمة

تفسيره أن الحكيم الترمذي تحدث في آداب تلاوة القرآن الكريم وجعل منها أن يقول عند الانتهاء من القراءة : صدق الله العظيم أو أية عبارة تؤدي هذا المعنى . ونص عبارته ^(١) : ومن حرمة إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه ، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ مثل أن يقول : صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ، ويشهد على ذلك أنه حق ، فيقول : صدقت ربنا وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين . اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط ، ثم يدعو بدعوات .

وجاء في فقه المذاهب الأربعة ، نشر أوقاف مصر ، أن الحنفية قالوا : لو تكلم المصلي بتسبيح مثل : صدق الله العظيم عند فراغ القارئ من القراءة لا يبطل صلاته إذا قصد مجرد الثناء والذكر أو التلاوة ، وأن الشافعية قالوا : لا تبطل مطلقاً بهذا القول ، فكيف يجرؤ أحد في هذه الأيام على أن يقول : إن قول : صدق الله العظيم ، بعد الانتهاء من قراءة القرآن بدعة ؟ أكرر التحذير من التعجل في إصدار أحكام فقهية قبل التأكد من صحتها ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦] .



س : نرى بعض الأئمة يصلون التروايح بآيات متناثرة من القرآن ، وقد يقرأ في الركعة الأولى آيات من آخر السور ، وفي الثانية آيات من أولها ، أو من سورة متقدمة على السورة الأولى فهل يسمى هذا تنكيساً وما حكمه ؟

ج : ورد في الصحيح أن حذيفة صلى خلف النبي ﷺ ذات ليلة فسمعه قرأ في الركعة الأولى البقرة ، ثم افتتح آل عمران ، ثم ركع ^(٢) . قال القاضي عياض : إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين

١- ج ١ ص ٢٧ .

٢- رواه مسلم ج ٦ ص ٦١ .

والتعليم ، وإنه لم يكن من النبي ﷺ في ذلك نص ، ولا تحرم مخالفته . ثم قال : ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى . وإنما يكره ذلك في الركعة ، ولمن يتلو في غير الصلاة .

قال : وقد أباحه بعضهم ، وتأويل نهي السلف عن قراءة القرآن منكوساً على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها ، ولا خلاف في أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما بني عليه الآن في المصحف . وهكذا نقلته الأمة عن نبيه ﷺ^(١) .

وبهذا يعلم أن مخالفة ترتيب المصحف في قراءة السور ليست محرمة ، بل هي مكروهة فقط ، والكراهة مرتبة أقل من الحرمة ، بمعنى أنها لا مؤاخذه عليها .

أما مخالفة الترتيب في قراءة الآيات فلم أر حديثاً عن النبي ﷺ فيها ، بل الوارد إنما هو عن السلف . وقد جاء في نهاية ابن الأثير - مادة نكس - وفي حديث ابن مسعود قيل له : إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً . فقال : ذلك منكوس القلب . قيل هو أن يبدأ من آخر السورة حتى يقرأها إلى أولها ، وقيل : هو أن يبدأ من آخر القرآن فيقرأ السور ، ثم يرتفع إلى البقرة . ٢ هـ .

وقد علمت أن الثاني ليس بمحرم ، والأول هو المنهي عنه .



س : قرأت حديثاً يقول : « إذا قرأتم القرآن ، فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن لم تتباكوا فتنغوا به ، فمن لم يتغن به فليس منا ! » فهل هذا حديث صحيح ؟

ج : هذا الحديث في سنن ابن ماجه ، وهو مروي عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ ، وقد ذكره الحافظ المنذري في كتابه [الترغيب والترهيب] بصيغة

١ - نيل الأوطار للشوكاني ، ج ٢ ص ٢٣٧ .

«روي» مما يدل على أنه لم يرق إلى درجة الحديث الصحيح الذي هو أعلى من الحسن .

وقال العراقي في تخريجه لأحاديث [إحياء علوم الدين] للإمام الغزالي : حديث «اتلوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا» إسناده جيد ، يعني مقبول يعمل به وبخاصة في فضائل الأعمال ، ولكن لا يصل الأمر فيه إلى درجة الوجوب الذي يعاقب تاركه ، فهو أمر مندوب إليه .

والخلاصة أنه إن لم يكن صحيحاً فهو حسن يقبل في فضائل الأعمال .



س : سيدة تدرس الدين في المدارس ، وتضطر إلى قراءة آيات من القرآن الكريم وهي في عاداتها الشهرية فهل هذا جائز ؟

ج : قراءة القرآن من غير مس المصحف أو حمله بالنسبة للحائض والنفساء والجنب فيها رأيان : رأي بالمنع وهو لجمهور العلماء ، ورأي بالجواز . واستدل الجمهور على المنع بأدلة منها :

١ - ما رواه أصحاب السنن عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان لا يحجبه عن القراءة شيء إلا الجنابة ، وصحح الترمذي هذا الحديث . وقال ابن حجر : إن بعضهم ضعّف بعض رواته فهو من قبيل الحسن ، ويصلح للاحتجاج به .

٢ - ما رواه أحمد وأبو يعلى عن علي أيضاً قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن ثم قال «هكذا لمن ليس بجنب فأما الجنب فلا ولا آية» قال الهيثم : رجاله موثقون ، قال الشوكاني : فإن صح هذا الحديث صلح للاستدلال على التحريم ، أما الحديث الأول عن علي فليس فيه ما يدل على التحريم ، لأن غايته أن النبي ﷺ ترك القراءة حال الجنابة . ومثله لا يصح متمسكاً للكرهية فكيف يستدل به على التحريم ؟

٣ - ما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر عن النبي ﷺ «لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن» وقد ضُعِفَ هذا الحديث .

والذين أجازوا القراءة للجنب ، ومنهم داود ، وابن حزم الظاهريان ، استندوا إلى كتاب هرقل الذي أرسله إليه النبي ﷺ كما رواه البخاري ومسلم - وكانت فيه آية ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ [آل عمران: ٦٤] وهو وغيره ممن أرسلت إليهم الكتب لا يتطهرون من الجنابة . وذهب البخاري والطبري إلى ذلك . قال البخاري : لا بأس أن تقرأ الحائض الآية ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب أساساً ، وكان النبي ﷺ يذكر الله على كل حال .

قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على هذا : لم يصح عند المصنف - البخاري - شيء من الأحاديث الواردة في ذلك . أي في منع الجنب والحائض من القراءة ، وإن كان مجموع ما ورد في ذلك تقوم به الحجة عند غيره ، لكن أكثرها قابل للتأويل . وذهب أبو حنيفة إلى قراءة مادون الآية . وبعد عرض الرأيين أقول : إن أدلة المنع من القراءة للجنب قوية ، ولا أرى جوازها للضرورة القصوى ، كالاستدلال من القرآن على رأي في مجال النقاش مثلاً ، وكقراءته لتأدية امتحان يترتب على عدم القراءة فيه ضرر ، وبالنسبة لما جاء في السؤال أرى أن تعتذر المدرسة عن عدم القراءة وتؤجلها حتى تطهر أو تكلف غيرها بالقراءة .

هذا وقد جاء في فقه المذاهب الأربعة - نشر أوقاف مصر - ما يأتي :

١ - المالكية قالوا : لا يجوز للجنب قراءة القرآن إلا إذا كان يسيراً وقرأه بقصد التحصن أو الاستدلال . أما الحائض والنفساء فإنه يجوز لها قراءة القرآن حال نزول الدم . سواء كانت عليها جنابة من قبل أم لا ، أما بعد انقطاع الدم فإنه لا يجوز القراءة قبل الاغتسال سواء كانت عليها جنابة أو لا على المعتمد ، وذلك لأنها صارت متمكنة من الاغتسال فلا تحل لها القراءة قبله . أما مس المصحف أو كتابته فإنه يجوز لها للتعليم أو التعليم فقط . وكذلك لا يجوز للجنب دخول المسجد لالمكث فيه ولا المرور من باب إلى باب آخر .

٢ - والحنفية قالوا : يحرم على الجنب تلاوة القرآن إلا إذا كان معلماً ، فإنه يجوز أن يلحن المتعلم كلمة كلمة ، بحيث يفصل بينهما ، وأن يفتح أمراً ذا بال بالتسمية ، وأن يقرأ الآية القصيرة بقصد الدعاء أو الثناء ، ومثل الجنب في ذلك الحائض والنفساء ، أما دخول المسجد فيحرم إلا للضرورة .

٣ - والشافعية قالوا : يحرم على الجنب قراءة القرآن ولو حرفاً واحداً إن كان قاصداً تلاوته ، أما إذ قصد الذكر فلا يحرم مثل «بسم الله الرحمن الرحيم» عند الأكل ، أما المرور بالمسجد فيجوز للجنب والحائض والنفساء من غير مكث فيه ولا تردد بشرط أمن عدم تلوث المسجد . ولا يجوز المكث فيه إلا للضرورة .

٤ - والحنابلة قالوا : يباح للجنب أن يقرأ ما دون الآية القصيرة دون ما زاد على ذلك وله الذكر به ، أما المكث في المسجد فيجوز بالوضوء ولو بدون ضرورة . أما الحائض أو النفساء فلا يجوز لها المكث بالوضوء إلا إذا انقطع الدم .

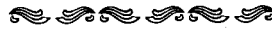


س : أعمل مدرساً للقرآن واللغة العربية ، ويوجد في المنهج نصوص قرآنية يدرسها جميع الطلاب ، ومنهم المسلم وغير المسلم ، فهل يجوز لغير المسلم قراءة آيات أو حفظها ؟

ج : قال العلماء : غير المسلم ليس مكلفاً بفروع الشريعة وأحكامها ، لأن أصل الشرعية غير موجود عنده ، وعليه فلا مانع من قراءته للقرآن وحمل المصحف ومسّه بدون طهارة ، ورأى بعضهم أن غير المسلم مكلف بالأصول والفروع ، وسيحاسب عند الله على الإيثار وعلى التكليف الشرعية ، وعليه فلا يجوز له أن يقرأ القرآن أو يمس المصحف أو يحمله إذا كان غير طاهر ، وما دام الأمر خلافياً فلا مانع من الأخذ بأحد الرأيين وبخاصة عند ظروف تدعو إلى ذلك .

وجاء في تفسير القرطبي ^(١) ، في كتاب الرسول ﷺ لعمر بن حزم الذي حمله إلى شرحبيل . . «ألا يمس القرآن إلا طاهر» وحادثة إسلام عمر بن الخطاب وقول أخته : لا يمسه إلا المطهرون ، فاغتسل وأسلم . وقال الكلبي : لا يمسه إلا المطهرون من الشرك . وقيل : يمسه يقرؤه . وكان ابن عباس ينهى أن يمكّن أحد من اليهود والنصارى من قراءة القرآن . وفي ص ٢٢٧ ^(٢) : روي عن الحكم وحماد وداود بن علي أنه لا بأس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهراً أو محدثاً ، إلا أن داود قال : لا يجوز للمشرك حمله . واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبي ﷺ إلى قيصر ، وهو موضع ضرورة فلا حجة فيه . ٢هـ .

وفي أخبار الجمعة ١١ / ٥ / ١٩٩١ م رأي لبعض علماء العصر بالجواز إن حافظ عليه من الإهانة ، مع التغاضي عن شرط الطهارة .



س : هل صحيح ما يقال : إن القرآن ينزع من الصدور آخر الزمان ، وكيف ذلك والله يقول ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ؟

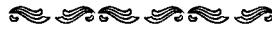
ج : أخرج ابن ماجه في سننه عن عبدالله بن عمرو بن العاص وحذيفة أن رسول الله ﷺ قال «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى : ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، فيسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير العجوز ، يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله ، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة» .

وجاء عن عبدالله بن مسعود أنه قال : إن هذا القرآن الذي بين أظهركم يوشك أن ينزع منكم ، فستل : كيف ينزع منا وقد أثبتته الله في قلوبنا وثبتناه في مصاحفنا ؟ فقال: يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء . ثم قرأ ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٦] . ^(٣)

١- ج ١٧ ص ٢٢٥ . ٢- تفسير القرطبي ج ١٧ .

٣- أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة وإسناده صحيح ، تفسير القرطبي ، ج ١٠ ص ٣٢٥ .

هذه بعض المرويات منها ما هو مرفوع إلى النبي ﷺ ، ومنها ما هو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه ، وطريق الرواية ليس قطعي الثبوت ، وهو على كل حال يدل على أهمية القرآن الكريم ، وعلى العناية بحفظه ومدارسته ويلتقي مع الحديث الصحيح «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء» (١) .



س : هل صحيح أن نسيان القرآن حرام ، وما هي الوسيلة التي تساعد على عدم نسيانه ؟

ج : معروف أن فضل قراءة القرآن وحفظه فضل عظيم ، يكفي في بيان ذلك قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وقوله فيما رواه مسلم «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» وقوله فيما رواه الترمذي وأبو داود بسند صحيح «يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» وقد بين النبي ﷺ في حديث رواه البخاري ومسلم أن ما يحفظ من القرآن معرض للنسيان فقال «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها» يعني إذا لم يحكم حفظه تفلت كالبعير الذي لم يحكم ربطه بالعقال ، ولذلك حذر من نسيان ما حفظ منه فقال فيما رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه «وعرضت عليّ ذنوب أمّتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن - أو آية - أوتيتها رجل ثم نسيها» .

لكن حمل بعض العلماء النسيان هنا على ترك العمل لأن الإنسان بطبيعته معرض لنسيان ما يحفظ ، سواء أكان من القرآن أم من غيره ، ولأن التحذير لو كان من مجرد نسيان ما يحفظ لقال الشخص : الأسلم ألا أحفظ شيئاً حتى لا أتعرض للعقاب إن نسيت ، وهذا فيه صرف للناس عن القرآن .

١ - رواه مسلم .

ومهما يكن من شيء فإن الواجب هو المجاهدة لإبقاء على ما يحفظ وذلك بمداومة التلاوة ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً ففي التلاوة ثواب على الحرف بعشر حسنات ، وفيها تقويم للسان بالعربية ، وتفقه في الدين ، وقد جاء في المأثور أن النبي ﷺ أوصى من شكأ إليه نسيان ما يحفظه من القرآن بأن يصلي أربع ركعات ليلة الجمعة ببعض سور من القرآن ثم يدعو بدعاء مخصوص ففعل ذلك ، فثبت الله في قلبه ما كان يحفظه ، وهو حديث طويل رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد ابن مسلم ، ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما . قال الحافظ المنذري : طرق أسانيد هذا الحديث جيدة ومتمنه غريب جداً^(١).



س: هل صحيح أن هناك حديثاً فيه طريقة حفظ بها الإمام عليّ القرآن الكريم؟

ج : ذكر الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب» حديثاً مؤداه أن النبي ﷺ علّمه صلاة أربع ركعات ليلة الجمعة في كل ركعة سور مخصوصة وبعدها يدعو بدعاء مخصوص . ويفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً ، فنفذ عليّ الوصية فوهبه الله الحفظ .

وقال المنذري بعد ذلك : رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ، ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما - أي البخاري ومسلم . ثم قال : طرق أسانيد هذا الحديث جيدة ومتمنه غريب جداً . والله أعلم .

فالحديث لم يصل إلى درجة الصحة في السند ، وما جاء فيه هو صلاة وذكر وقراءة قرآن ودعاء ، ولا مانع في ذلك ، أما النتيجة فموكولة إلى الله سبحانه ، وإن

١ - الترغيب ج ٢ ، ص ١٣٩ .

صحت عند علي رضي الله عنه فربما لا تصح عند غيره ، والطاعة على كل حال طيبة ويرجى قبولها وقبول الدعاء .



س : هل يجوز للسنة الشريفة أن تنسخ الأحكام الثابتة بالقرآن مثل قوله ﷺ « لا وصية لوارث » الذي نسخ الوصية للوارث الموجودة في القرآن ، مع العلم بأن القرآن كلام الله تعالى ، والسنة من عند الرسول والرسول بشر؟

ج : يقول الله سبحانه : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ [البقرة : ١٠٦] ويقول ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَاتٍ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ ﴾ [النحل : ١٠١] تفيد هاتان الآيتان وغيرهما أن النسخ وهو انتهاء حكم شرعي بطريقة شرعي موجود في القرآن الكريم ، وقد يكون النسخ للتلاوة والحكم أو أحدهما ، وذلك بنزول آية أخرى فيها حكم مغاير . وأمثله كثيرة في القرآن الكريم أفردت بتأليف خاصة منها كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ .

ونسخ القرآن بالقرآن متفق عليه بدليل الآيتين السابقتين ، وأما نسخ القرآن بالسنة فمنعه جماعة ، لأن الله يقول ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [يونس : ١٥] ولأن السنة لا تكون مثل القرآن ولا خيراً منه كما تقول الآية ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ وقال آخرون بجواز نسخ القرآن بالسنة وبوقوعه بناء على أن السنة أيضاً من عند الله كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] وقال ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] على أن المراد بالذكر هو السنة ، وقال جماعة : بنسخ القرآن بالسنة إذا كانت بأمر الله عن طريق الوحي ، أما إن كانت باجتهاد فلا .

والرأي القائل بنسخ القرآن بالسنة هو الأقوى ، لقول الله تعالى . إلى جانب النصين السابقين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ ﴾ [الحشر : ٧] .

وقوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] إلى غير ذلك من النصوص ، وقد أجمع المسلمون على أن القرآن إذا نزل بلفظ مجمل ففسره الرسول وبينه كان بمنزلة القرآن المتلو في الأخذ به ، فكذلك النسخ .

وتطبيقاً لذلك في حكم الوصية للوارث .

قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠] .

يقول أبو جعفر النحاس : في هذه الآية خمسة أقوال ، منها أنها منسوخة بقوله ﷺ «لا وصية لوارث» وذلك على رأي من يميز نسخ القرآن بالسنة ، وقيل : هي منسوخة بآية الموارث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] وذلك على رأي من ينسخ القرآن بالقرآن فقط وقيل : نسخت الوصية للوالدين وثبتت للأقربين الذين لا يرثون . وقيل : نسخ وجوب الوصية وبقي نذرها ، وقيل : إن الوصية واجبة للوالدين والأقربين إذا كانوا لا يرثون ، كأن كانوا كفاراً .

هذا ملخص ما قيل في آية الوصية ، وعلى قول من الأقوال في تفسيرها كان تشريع الوصية الواجبة لولد الولد المحروم من الميراث ، كما في القانون المصري للأحوال الشخصية .



س : نسمع عن قصة تسمى «قصة الغرائيق» فما هي هذه القصة؟

ج : الغرائيق جمع غُرْنِيق -بضم الغين وفتح النون- هو طائر أبيض طويل العنق من طيور الماء ، كما قال الجوهري والزخشي ، جاء في كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري ما نصه :

قال القاضي عياض وغيره : إن النبي ﷺ لما قرأ سورة «النجم» وقال ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ قال «تلك الغرائيق العلا ، وإن شفاعتهن لترجي» فلما ختم السورة سجد وسجد معه من المسلمين والكفار لما سمعوه

أثنى على آلهتهم ، ثم أنزل الله تعالى عليه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ [الحج: ٥٢] وأجابوا عنه بضعف الحديث فإنه لم يخرج أحد من أهل الصحيح ولا رواة ثقة بإسناد صحيح سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون لكل صحيح وسقيم ، والذي منه في الصحيح أن النبي ﷺ قرأ - والنجم - وهو بمكة ، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس » ٢ هـ .

لاشك أن هذا الحديث الضعيف يرفع العصمة عن النبي ﷺ في التبليغ ويفيد تسلط الشيطان عليه حتى انحرف عن أمانة تبليغ القرآن كما أنزل .
والخلاف في قصة الغرائيق مبني على أن المراد بالتمني هو القراءة لكن هناك تفسير مبسط بعيد عن هذا التأويل وعن الرواية المدسوسة على الرسول ، وخلاصته :

أن الله سبحانه يقرر أنه ما أرسل رسولا وما اختار نبيا من السابقين إلا تمنى هداية قومه وتوفيقه في أداء رسالته ، لكن الشيطان يلقي في قلوب القوم وسواس تنفرهم من قبول ما يتمناه وهو الإيمان والهداية ، غير أن الله إذا أراد هداية قوم أزال تلك الوسواس التي ألقاها الشيطان في صدورهم ووقفهم لإدراك الحقيقة وإجابة النبي فيما طلب . أما الذين لم يرد الله هدايتهم فإنهم يتأثرون بهذه الوسواس ويقفون من الدعوة موقف المكذب المعاند أو الشاك المتربص .

فالنسخ في الآية هو محو الوسواس وإزالتها وإبطال كيد الشيطان . وإحكام الآيات هو التوفيق للصواب في فهمها والإيمان بها . ونزول هذه الآيات يراد به تسلية النبي ﷺ ، وبيان أن كل مصلح لابد أن يلاقي في طريقه عقبات تكون حاجزا بينه وبين المطلوب . لكن عناية الله إذا لاحظته ذلت هذه العقبات ، حيث كان رائده المصلحة .

هذا ، و تبليغ القرآن بالذات لا يمكن للشيطان أن يتلاعب فيه ، فالله يقول ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

يقول الدميري مستمداً من كلام القاضي عياض بعد أن ذكر ضعف الحديث وعدم جواز الاستدلال به : هذا توهينه من جهة النقل ، وأما من جهة العقل فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذا .

ولم يجعل الله تعالى للشيطان عليه ولا على أحد من الأنبياء سبيلاً ثم قال : وعلى تقدير صحة ما رواه - وقد أعادنا الله من صحته - فالراجح في تأويله عند المحققين أنه عليه الصلاة والسلام كان - كما أمره الله تعالى - يرتل القرآن ترتيلاً ، ويفضّل الآيات تفصيلاً في قراءته . فَمِنْ ثَمَّ ترصد الشيطان لتلك السكتات ، ودسّ كلاماً في تلك الكلمات محاكياً نعمة رسول الله ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قوله ﷺ ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين ، فقد روى محمد ابن عقبة أن المسلمين لم يسمعوها ، وإنما ألقاها الشيطان في أسماع الكفار وعقولهم .

وفسر مجاهد والكلبي الغرائيق العلا بأنها الملائكة ، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله ، فأنكر الله كل ذلك من قولهم ، ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد به ذكر آهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينة في قلوبهم وألقاه إليهم - نسخ الله تعالى ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة ما حاوله الشيطان كما رفعت تلاوة كثير من القرآن . وكان في إنزال الله لذلك حكمة وفي نسخه حكم ، كما قال تعالى ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٣ ۝٥٤ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٤ ﴾ [الحج : ٥٣ ، ٥٤] .

هذا ، وقد ناقش هذا الموضوع المرحوم يوسف الدجوي ^(١) وقرر أن القصة باطلة كما قال البيهقي والقاضي عياض في كتابه «الشفاء» وأبو حيان في «البحر» وابن إسحق في السيرة الذي صنف في ذلك كتاباً ، وكذلك أبو منصور الماتريدي .

ونَقَى هذه القصة لما يترتب عليها من أمور خطيرة ، كتسلط الشيطان على الرسول وبخاصة في التبليغ والاعتقاد «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان» وكزيادة الرسول في القرآن ما ليس منه وهو ينافي أمانة التبليغ ، وكاعتقاد النبي ما ليس بقرآن أنه قرآن مع مناقضته كما في القرآن من ذم الأصنام والشركاء ، وكتصوير الشيطان بصورة الملك الملبس على النبي وهو ممنوع كتصوره بصورة النبي . ٢٠هـ .

وأنصح بعدم المبادرة بتصديق أمثال هذه الأكاذيب ، والرجوع فيها إلى المراجع الصحيحة والأخذ عن العلماء المتخصصين . مع الإيذان بأن الله سبحانه ما اختار الأنبياء لهذه المهمة إلا لعصمتهم ونزاهتهم فهم المصطفون الأخيار .



س : نعرف أن القرآن لم ينزل مرة واحدة ، فكيف جمع وعلى أي أساس كان ترتيب الآيات والسور؟

ج : نزل القرآن منجماً أي مفزاً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً ، وذلك لحكمة ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] وكان جبريل يعرض القرآن على الرسول ﷺ في شهر رمضان كل سنة مرة واحدة ، وفي شهر رمضان الأخير من حياته عرضه عليه مرتين ، وكان ينزل عليه ويقول له : ضع آية كذا في موضع كذا ، كما رواه أحمد . وكان الرسول ﷺ يحفظ القرآن كما يحفظه بعض الصحابة ، ومع الحفظ كان له كتاب يأمرهم بكتابه ما ينزل عليه ، وذلك على رقاع ولخاف -صفائح الحجارة- وعسب أي جريد النخل ، وغيرها ، وجمع ذلك كله في عهده ﷺ . وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه جمع كل ما كتب ونظم وحفظ في بيت السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين .

ومن النسخة التي عند حفصة نسخ عثمان رضي الله عنه عدة نسخ وأرسلها إلى الأمصار ، وترتيب القرآن في آياته وسوره لم يكن حسب الزمن الذي نزلت فيه ، وبيان ذلك فيما يلي :

١- أما ترتيب آياته فأمر توقيفي ، بمعنى أنه وصلنا كما رتب رسول الله ﷺ ، بناء على توجيه جبريل عليه السلام ، وهذا أمر مجمع عليه لم يختلف فيه أحد من الأئمة، وحكي الإجماع على ذلك عن جماعة منهم الزركشي في كتابه «البرهان» وأبو جعفر في كتابه «المناسبات» وجاءت في ذلك رواية عن الإمام أحمد بسنده عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ، ثم صوّبه ثم قال «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ إلى آخرها [النحل : ٩٠] وجاء في صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال : ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بإصبعه في صدري وقال «تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء» وسميت هذه الآية بآية الصيف لأنها نزلت في زمن الصيف ، وهي قوله تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ [النساء: ١٧٦] ^(١) .

٢- وأما ترتيب السور ففيه ثلاثة آراء للعلماء :

أ - رأي يقول إنه توقيفي من عند رسول الله ﷺ .

ب - ورأي يقول إنه باجتهاد الصحابة ، حيث جعلوا السور الطوال في الأول ، ثم المثني بعدها ، وهي التي آياتها مائة أو تزيد ، ثم المثاني بعدها ، وهي التي آياتها أقل قليلاً من مائة آية ، ثم بعدها المفصل وهو قصار السور ، والمفصل نفسه منه طوال ومنه أوساط ومنه قصار - وأجمع الصحابة على هذا الترتيب.

ودليل هذا الرأي أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد عثمان . وما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان أن عثمان هو الذي قرن سورة التوبة بسورة الأنفال دون كتابة البسملة

١- تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٩ .

بينهما، وذلك لتشابه قصتهما ، مع أن الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وبراءة من أواخر ما نزل بها ، ولهذا رتب ترتيباً واحداً .

ج - ورأي ثالث يقول : إن بعض السور كان ترتيبها بتوقيف من النبي ﷺ وبعضها الآخر كان باجتهاد الصحابة ، وهو الذي مال إليه أكثر العلماء .

وَمِمَّا رتبهُ الرسول بنفسه البقرة وآل عمران . فقد صح في مسلم حديث «اقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران» وكذلك قل هو الله أحد والمعوذتان ، فقد صح في البخاري أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة . جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين . لكن قد يكون ذلك واقعة حال وليس أمراً بالترتيب . غير أنه مرجح .

٣- لم يرتب القرآن في سورة وآياته حسب النزول ، لأنه نزل مفزقاً ومنجماً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً كما قدمنا ، ينزل حسب الظروف والمقتضيات ، لبيان حكم قضية ، أو يجيب على سؤال ، أو يوجه إلى سلوك رشيد أو غير ذلك . وقد تنزل في ذلك سورة بأكملها ، وقد تنزل آيات فقط من السورة الواحدة لموضوع معين ، ثم تنزل آيات لموضوع آخر ، وقد تكون في السورة نفسها أو في سور أخرى .

ولما كان بين بعض الآيات والبعض الآخر تناسب في حكم من الأحكام أو في الحديث عن ظرف معين كان من تقدير الله سبحانه أن يضم هذه الآيات المتناسبة بعضها إلى بعض ، كما أن توزيع بعض الآيات التي تتحدث عن قصة نبي من الأنبياء كموسى عليه السلام مثلاً وجعلها متباعدة في السور له حكمة أيضاً ، ليعطي فيها جرعة للنبي ﷺ في الاقتداء والتأسي ليثبت فؤاده ، أو يعرض عليه هذه القصة من زاوية معينة تناسب مع ظروف نزولها ، فيوضع هذا البعض من القصة مع حكم شرعي أو آيات يناسبها أن تقرأ القصة بها ، فيكون هناك توزيع للقصة الواحدة يجعل بعض الذين لا يفهمون السر في ذلك يقولون : لماذا لم يجمع الله كل القصة في سورة واحدة مثلاً ؟ لكن ترتيب الله أحكم ، فهو ليس ترتيباً عشوائياً ، وإنما هو صنع الله الذي أتقن كل شيء .

ومهما يكن من شيء فإن مراعاة الترتيب الموجود الآن يجب احترامه ، لأنه إجماع الصحابة بعد كتابة عثمان لمصحفه وإرسال نسخ منه إلى الأمصار ^(١) .



س : نجد في القرآن الكريم كلمات مكتوبة على خلاف الرسم الإملائي ويصعب علينا قراءتها بالرسم الحالي ، فهل تجوز كتابته بالرسم الإملائي لتيسير قراءتها وفهمها؟ وهل تجوز كتابة القرآن بغير حروف العربية؟

ج : عقد الإمام السيوطي فصلاً من كتابه «الإتقان» ^(٢) خاصاً برسم الخط وآداب كتابته ، وذكر بعض من أفردوا ذلك بالتصنيف ، منهم أبو عمرو الداني وأبو عباس المراكشي واستطرد فذكر أول من وضع الكتاب العربي ثم قال : القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه . وقد مهد النحاة له أصولاً وقواعد ، وخالفها في بعض الحروف خط المصحف الإمام ، وقال أشهب : سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتابة الأولى ، رواه الداني في المقنع ، ثم قال : ولا يخالف له من علماء الأمة وقال أبو عمرو الداني موضحاً ذلك : يعني الواو والألف المزيديتين ، في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو أولوا وقال الإمام أحمد : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك ، ورأى البيهقي في «شعب الإيمان» هذا الرأي لأن الذين كتبوا المصحف كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم .

ثم ذكر السيوطي أن أمر الرسم ينحصر في ست قواعد ، الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل وما فيه قراءات ، ومثل لذلك باستفاضة ، وذكر السر في حذف الحرف الأخير من بعض الكلمات مثل «يوم يدع الداع» «سندع الزبانية» أن

١- يراجع ذلك في كتاب «مناهل العرفان» للزرقي ، وكتاب «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي .

٢- الجزء الثاني ، ص ١٦٦ .

المراكشي قال : السر في حذفها : التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المتأثر به في الوجود . وهكذا ذكر مبررات لكل قواعد الرسم وقد سئلت لجنة الفتوى بالأزهر سنة ١٣٥٥هـ [١٩٣٦م] فأجابت بما ملخصه ، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أمر بأن تنسخ عدة نسخ من المصحف الذي كان موجوداً عند السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها . وكان هذا المصحف عند عمر ومن قبله كان عند أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . وكان المصحف مأخوذاً من القطع المتعددة التي كان مكتوباً عليها في زمن النبي ﷺ ووزع عثمان هذه النسخ على الأمصار وأبقى واحدة منها بالمدينة . وكل مصحف من هذه المصاحف يسمى «المصحف الإمام» وقد رسمت بعض الكلمات فيها رسماً يخالف قواعد الإملاء المعروفة الآن . وجرى المسلمون من عهد عثمان إلى الآن على اتباع الرسم العثماني .

ثم قالت اللجنة : إن الجمهور من العلماء على التزام الرسم العثماني وحرمة مخالفته واستدلوا على ذلك بإجماع الصحابة على الصفة التي كتب عليها عثمان ولم يرو عن واحد منهم أنه كتب القرآن على غير هذه الصفة . وذكرت اللجنة ما نقل عن مالك وأحمد والبيهقي مما سبق ذكره هنا نقلاً عن السيوطي في «الإتقان» .

ثم قالت اللجنة : إن بعض العلماء ذهبوا إلى جواز كتابته بأي رسم كان ولو خالف الرسم العثماني ، فكل رسم حصلت به الدلالة فهو جائز ، ولم يتعرض للكيفية التي كتب بها ، وإجماع الصحابة لا يدل على أكثر من جواز رسمه على نحو ما كتب الصحابة ، أما رسمه على غير هذه الطريقة فلم يتعرض له الصحابة لابهت ولا بإباحة وذكرت ما قاله القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه «الانتصار» موضعاً لهذا الرأي الذي لا يحتم التزام الرسم العثماني . ولكن اللجنة اختارت بقاء المصحف على الرسم الذي كان عليه في عهد عثمان رضي الله عنه .

وعدم كتابته على الرسم الإملائي الحديث ، فإن الرسم الحديث ما يزال موضع الشكوى لعدم تيسير القراءة به ، حيث توجد به أحرف لا تنطق ، وتقص منه حروف تنطق ، ولا تيسر القراءة والفهم إلا بعد التمرن الطويل والإتقان لمعرفة

قواعد الإملاء . ثم من قواعد الإملاء عرضة للتعديل ، فهل يكتب القرآن على القواعد الإملائية المعدلة أو القديمة ، وقد توجد عدة نسخ مختلفة الرسم ، وهنا تكون البلبلة والتعرض لتحريف القرآن وضعف الثقة فيه .

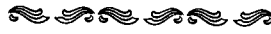
ثم قالت اللجنة : إن تلاوة القرآن لا تؤخذ أبداً من الرسم ، بل من التلقي لأن هناك أحكاماً لتجويد القرآن وإخراج الحروف من مخارجها الحقيقية لا يمكن للشكل الإملائي أن يدل عليها ، ولذلك أرسل عثمان مع المصاحف قراء ، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة ، والمغيرة بن شهاب أن يقرئ بالشام ، وعامر بن عبد قيس أن يقرئ بالبصرة ، وأبا عبد الرحمن السلمي أن يقرئ بالكوفة ، فاللائق بقدسية القرآن بقاء كتابته على الرسم العثماني . انتهى تلخيص الفتوى .

وعلى ضوء ما جاء عن السيوطي في «الإتقان» وما اختارته لجنة الفتوى عملت بحوث ونشرت مقالات وصدرت فتوى من دار الإفتاء المصرية سنة ١٩٥٦م وقرر مجمع البحوث الإسلامية في دور انعقاده الرابع ١٩٦٨م الالتزام بالرسم العثماني ومنها البحث الذي قدمه الدكتور محمد أبو شهبه ، مشيراً إلى بعض التأليف في ذلك . كالمقنع لأبي عمرو الداني ، عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل لأبي العباس المراكشي المتوفى سنة ٧٢١هـ والمعروف بابن البناء والأرجوزة للشيخ محمد ابن أحمد المتولي ، وشرحها للشيخ محمد علي خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية في عهده ، مع تذييل الشرح بكتاب سماه «مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن» وإيقاظ الأعلام إلى اتباع رسم المصحف الإمام للشيخ محمد حبيب الله بن عبدالله بن أحمد بن ما ياي الجكني الشنقيطي ومناهل العرفان للشيخ الزرقاني ، المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه ، وهذا الحكم موجود في كتب الأئمة وعلماء التفسير ، وجاء في الشفا للقاضي عياض : من غير حرفا بزيادة أو نقص أو بدله بحرف غيره فهو كافر ، ووافقه على ذلك شارحه الخفاجي وشارحه ملأ على القاري ^(١) .

١- منبر الإسلام - ذو الحجة ١٤٠٢هـ .

٢ - وأما كتابة المصحف بغير الحروف العربية . فقد ذكر السيوطي في «الإتقان»^(١) ما نصه : وهل تجوز كتابته بقلم غير العربي ؟ قال الزركشي : لم لأجد فيه كلاماً لأحد من العلماء . قال : ويحتمل الأجواز لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية والأقرب المنع كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ، ولقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلماً غير العربي ، وقد قال الله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء : ١٩٥] .

وقال الشيخ محمود أبو دقيقة من كبار علماء الأزهر : أجمع الأئمة الأربعة على أنه لا يجوز كتابة القرآن بغير اللغة العربية ، لأن كتابته بغيرها تخرجه عن الرسم الوارد الذي قام الإجماع على أنه يجب التزامه ، بل قد تؤدي كتابته بغير العربية إلى التغيير في اللفظ لأن بعض الحروف العربية لا نظير له في بعض اللغات الأخرى ، والتغيير في اللفظ يؤدي إلى التغيير في المعنى ، وحيث كانت الكتابة بغير العربية تؤدي إلى هذا فلا يجوز . وقال بعض علماء الحنفية : إن من تعمد كتابة القرآن بغير العربية يكون مجنوناً أو زنديقاً ، فالمجنون يداوي والزنديق يقتل^(٢) .



س : قراءة القرآن في رمضان مستحبة ، ولكننا نجد صعوبة في القراءة في المصاحف الموجودة الآن ، لأن رسمها مخالف لقواعد الإملاء التي تعلمناها فهل تدلوننا على مصحف يسهل علينا القراءة ؟

ج : هذا السؤال يجزنا إلى بيان الحكم في كتابة المصحف بالرسم الإملائي ، وقد عرض هذا السؤال قديماً على لجنة الفتوى بالأزهر الشريف فأجابت بما ملخصه :
إن عثمان رضي الله عنه أمر بأن تنسخ عدة نسخ من المصحف الذي كان موجوداً عند السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها ، وكان هذا المصحف عند عمر ومن قبله أبو بكر الصديق رضي الله عنها . وكان المصحف مأخوذاً من القطع المتعددة التي كان مكتوباً عليها في زمن النبي ﷺ .

١- ج ٢ ص ١٧١ .

٢- مجلة الأزهر - المجلد الثالث ص ٣١ - ٣٤ .

ووزع عثمان هذه النسخ على الأمصار واستبقى واحدة منها بالمدينة وكل مصحف من هذه المصاحف يسمى «المصحف الإمام» وقد رسمت بعض الكلمات في هذه المصاحف رسماً يخالف قواعد الإملاء المعروفة الآن . وجرى المسلمون من عهد عثمان إلى الآن على اتباع الرسم العثماني .

فهل يلتزم هذا الرسم أو يجوز العدول عنه إلى رسم آخر يلائم العصر الحديث؟ ذهب جمهور الأئمة إلى التزام الرسم العثماني وحرمة مخالفته ، واستدلوا على ذلك بإجماع الصحابة على الصفة التي كتب بها عثمان المصاحف ، ولم يُروَ عن واحد منهم أنه كتب القرآن على غير هذه الصفة .

وذهب بعض العلماء إلى جواز كتابته بأي رسم كان . فكل رسم حصلت به الدلالة فهو جائز ، ولم يثبت أن النبي ﷺ أمر بهذا الرسم ، بل الثابت أنه كان يأمر بكتابة ما نزل ولم يتعرض للكيفية التي كتب بها . وإجماع الصحابة لا يدل على أكثر من جواز رسمه على نحو ما كتب الصحابة بحظر ولا إباحة ، وقد وضح ذلك أبو بكر الباقلاني في كتابه «الانتصار» .

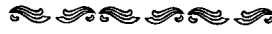
ولكن لجنة الفتوى بالأزهر الشريف اختارت بقاء المصحف على الرسم الذي كان عليه في عهد عثمان رضي الله عنه . وعدم كتابته على الرسم الإملائي الحديث ، فإن الرسم الحديث ما يزال موضع الشكوى لعدم تيسر القراءة به ، حيث توجد به أحرف لا تنطق وتنقص منه حروف تنطق ، ولا تيسر القراءة والفهم إلا بعد التمرن الطويل والإتقان لمعرفة قواعد الإملاء .

ثم إن قواعد الإملاء عرضة للتعديل ، فهل يكتب القرآن على القواعد الإملائية المعدلة أو القديمة ، وقد توجد عدة نسخ مختلفة الرسم ، وهنا تكون البلبلة والتعرض لتحريف القرآن وضعف الثقة فيه .

ثم إن تلاوة القرآن لا تؤخذ أبداً من الرسم ، بل من التلقي لأن هناك أحكاماً لتجويد القرآن وإخراج الحروف من مخارجها الحقيقية لا يمكن للشكل الإملائي أن يدل عليها ، ولذلك أرسل عثمان مع المصاحف قراء ، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة ، والمغيرة بن شهاب أن يقرئ بالشام ، وعامر بن عبد قيس أن يقرئ

بالبصرة، وأبا عبد الرحمن السُّلَمي أن يقرئ بالكوفة ، فاللائق بقدسية القرآن بقاء كتابته على الرسم العثماني . ٥٢هـ .

بناء على هذه الفتوى لا تطبع المصاحف الآن على القواعد الإملائية المعروفة ، فإذا أردت أن تقرأ القرآن فليكن أولاً على عالم به مجيد له ، والقليل المجوّد أفضل من الكثير الملحون أو غير السليم .



س : هل يجوز كتابة القرآن بغير الحروف العربية ليستطيع قراءته أهل اللغات الأخرى ؟

ج : أثير هذا الموضوع عندما أثير موضوع ترجمة القرآن الكريم ، وحاول بعض المجددين أن يميز كتابة القرآن بحروف غير الحروف العربية ، ولكن عارضه أهل الذكر من علماء الدين ، وصدرت بذلك فتوى رسمية من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، ونشرت بمجلة الأزهر^(١) بتوقيع الشيخ حسين والي رئيس اللجنة وهذا نصها :

لا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربية ، فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربي . - كما يفهم من الاستفتاء - لوقع الإخلال والتحريف في لفظه ، وتبعهما تغير المعنى وفساده . وقد قضت نصوص الشريعة بأن يُصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف ، وأجمع علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على أن كل تصرف في القرآن الكريم يؤدي إلى تحريف في لفظه أو تغيير في معناه ممنوع منعاً باتاً ، ومحرم تحريماً قاطعاً .

وقد التزم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا ، كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية ومن هذا يتبين أن كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لا تجوز . انتهى .

١ - المجلد السابع ص ٤٥ .

هذا ويقاس على تحريم كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية التي صدرت بها الفتوى تحريم كتابته بآية حروف أخرى غير عربية ، للاتحاد في العلة كما هو الشرط في القياس وقد سبق الكلام على ذلك .



س : هل تجوز كتابة كلام الله بدم الإنسان ؛ أو بدم الغزال ؟

ج : القرآن الكريم طاهر في أعلى درجات الطهارة ، ولا يجوز مطلقاً أن يكتب بحبر نجس أو بدم أو بغير ذلك من النجاسات . نص على ذلك السيوطي في كتابه الإيتقان ^(١) .



س : هل يجوز تناول الطعام الموضوع على صحف فيها قرآن ، أو يفرشها ليجلس عليه ؟

ج : المفروض أننا نحترم الآيات والأحاديث والأسماء المقدسة التي تكون في أي شيء ، ولما كانت الصحف على اتساع حجمها فيها الكثير من الأشياء التي لا يحدد لها موضوع خاص كان من الصعب أن تعطي الاحترام الواجب للمقدسات التي فيها، ومن هنا كان علينا أن نقوم بقدر الإمكان بصيانة هذه المقدسات عن كل مظاهر الاحتقار والاستهزاء ، فلا نمسح بها قاذورات أو نلف بها نجاسات أو نجلس عليها للاستراحة ، ويا حبذا لو جمعت هذه الصحف وأعيد تصنيعها ورقاً نظيفاً مرة أخرى للاستفادة منه في الأزمنة الشديدة ؟

فالخلاصة أنه بقدر الإمكان نصون ما فيها من آيات عن كل ما يلوثها أو يزيرو بقدرها ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .



س : هل تجوز كتابة القرآن على الحوائط والملابس وغيرها ؟

ج : وصف الله القرآن بأنه كريم ، ومن كرامته ألا يمسسه إلا المطهرون ، وقد قال العلماء : إن كل ما يعرض كتاب الله أو أي جزء منه إلى الإهانة حرام . وتفرعاً على ذلك قالوا : إن كتابة آيات القرآن على جدران البيوت لا تجوز ، وجاء في كتاب المصاحف لابن أبي داود أن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه رأى ابناً له يكتب في حائط فضربه ، وكان تعليل ذلك أن الحائط يصيبه الغبار والتلف فتسقط الأجزاء المكتوب عليها أو قد يتعرض للتلوين ونحوه ، وليست هناك علة وراء ذلك .

هذا ما قالوه ، لكن لو كتبت الآيات على جدران متينة أو مواد تحفظ ما يكتب عليها بالحفر ونحوه ، وكانت الكتابة داخل المبنى كالمسجد ونحوه ، بحيث لا تتعرض للتلوين أو التساقط السريع ، أو كانت على لوحات تعلق مع الحفظ والصيانة فلا أرى بأساً بذلك .

وقد جرى العمل منذ مئات السنين على نقش آيات من القرآن على جدران المساجد والقباب وغيرها دون إنكار ممن يُعْتَدُّ بإنكارهم ، فالمدار كله على الصيانة مما يمس كرامة القرآن وعلى نية من يكتب ويعلق هذه الآيات ، وقد يكون من الخير تزين البيوت والمنشآت بها بدل اللوحات الأخرى التي لا تصل في إيجائها الخلقية والأدبية إلى ما تصل إليه آيات القرآن الكريم .

هذا ، وقد صدرت فتوى من دار الإفتاء بتاريخ ٣ من يوليو ١٩٦٩ م^(١) : تكره كتابة القرآن وأسماء الله تعالى على الدراهم والمحاريب والجدران وما يفرش^(٢) ، وكتابة اسم من أسماء الله تعالى على إحدى درجات السلم منكر وتجب إزالته . ومن استحل امتهان اسم من أسماء الله تعالى يعرض نفسه للكفر والعياذ بالله ، ويلحق بذلك الكتابة على الملابس .

١ - الفتاوى الإسلامية مجلد ٥ ص ١٦٣٢ .

٢ - فتح القدير ج ١ ص ١١٧ .

وجاء في الفتاوى الإسلامية أيضاً^(١) ، تكره كتابة شيء من القرآن على الدراهم والدنانير ، لأن في ذلك تعريضاً لمسّها أثناء تداولها من الجنب والحائض والنفساء والمحدث وغيرهم ، وليست هناك ضرورة تدعو إلى ذلك ، فالأحوط في المحافظة على القرآن وآياته البعد به عن كل ما يخل بتكريمه أو يوقع في ممنوع بسبب مسّه ممن هو غير طاهر .



س : هل يجوز أن تكتب بعض آيات القرآن يعلقها المريض أو يمحوها بالماء من أجل الشفاء ؟

ج : أما أن القرآن شفاء فذلك أمر لا شك فيه ، قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢] وقال ﴿ بَنَاتِنَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُم وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس : ٥٧] .

وقد حمل كثير من العلماء الشفاء على ما يعم الشفاء من الأمراض العقلية والنفسية والخلقية والجسمية ، حيث لا يوجد ما يمنع ذلك . فهو يصحح الفكر والعقيدة ، ويهذب النفس ويمنحها الأمن والطمأنينة ، ويقوم السلوك بالأخلاق الحميدة ، ويزيل العلل والأمراض التي تعترى الأجساد .

وقد روى البخاري ومسلم حكاية سيد الحي الذي لدغ ، ورقاه المسلمون بفاتحة الكتاب فشفاه الله ، وأخذوا على ذلك أجراً أقرهم عليه النبي ﷺ وقال «إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله تعالى» والحديث بطوله موجود في زاد المعاد لابن القيم^(٢) ، وذكر أن ابن ماجه روى في سننه من حديث علي قال : قال رسول الله ﷺ «خير الدواء القرآن» ووضح تأثير العلاج بالقرآن توضيحاً كبيراً يمكن الرجوع إليه .

وقال بعض العلماء : إن المراد بشفاء القرآن هو ما عدا شفاء الأجسام ، بدليل أن النبي ﷺ أخبر أن لكل داء دواء إلا الموت أو إلا الهرم ، وأمر بالتداوي ، عند المختصين كالحارث بن كلدة ، وعالج بالفصد والحجامة وشرب العسل وبغير ذلك مما وضعه ابن القيم في كتاب الطب النبوي .

والحق أن علاج الأمراض البدنية مطلوب عند المختصين ، والقرآن هو الذي أرشد إلى ذلك بسؤال أهل الذكر ، وبالأمر بالتعلم والإفادة . مع الإيثار بفاعليته في العلاج الفكري والنفسي ، وقد ذكر السيوطي في «الإتقان»^(١) ، طرفاً من خواص القرآن في العلاج العام ، وأورد حديث ابن ماجه عن ابن مسعود «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن» وحديث اللديغ سيد الحي وعلاجه بفاتحة الكتاب الذي رواه البخاري ومسلم ، وذكر حديث الطبراني عن علي قال : لَدَغْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَقْرَبٌ ، فدعا بهاء وملح وجعل يمسح عليه ويقرأ : قل يا أيها الكافرون والمعوذتين .

ثم ذكر السيوطي أن النووي قال في شرح المذهب : لو كتب القرآن في إناء ثم غسله وسقاه المريض فقال الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي : لا بأس به ، وكرهه النخعي ، قال : ومقتضى مذهبنا - الشافعية - أنه لا بأس به . قال الزركشي : ومن صرح بالجواز في مسألة الإناء العماد النيهي ، مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية ، لكن أفتى ابن عبدالسلام بالمنع من الشرب أيضاً ، لأنه يلاقي نجاسة الباطن . وفيه نظر .

هذا ما نقل عن العلماء في جواز العلاج بالقرآن قراءة من الجواز ، فهو نافع إن شاء الله وبخاصة إذا كان القارئ صالحاً ترجى بركته ، أو دعا الله بعد قراءة القرآن فقد يستجيب الله الدعاء ، وقد رأينا أن النبي ﷺ في علاج لدغة العقرب أخذ بالوسائل المادية مع قراءة القرآن .

ورأينا اختلاف العلماء في كتابة القرآن ومحوه بالماء وشربه للاستشفاء ما بين مجيز ومانع ، مع تحرزهم من تعرض القرآن للنجاسة أو الإهانة .
وأما العلاج بالدعاء فيمكن فيه الرجوع إلى علاج الصرع في كتاب زاد المعاد^(١) .



س : هل تجوز ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية كما ترجمت التوراة والإنجيل ؟
ج : في الثلث الأول من القرن العشرين أثيرت مسألة ترجمة القرآن الكريم ، واحتدم النزاع فيها بين المعارضين والمؤيدين .

والحقيقة التي اتفق عليها المعارضون والمؤيدون لهذه الفكرة أن القرآن الكريم لا يسمى بعد الترجمة قرآناً له خصائصه ومزاياه وأحكامه الشرعية المختلفة ، لأن الترجمة ليست كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ ، بل هي كلام بشر ، ولأنه لغة الترجمة ليست هي العربية التي هي داخلية في كيان القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ كُنْتُ قُضِّلَتْ آيَتُهُ ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ٣] وقال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٥] إلى غير ذلك من الآيات ، والترجمة بالتالي ليست معجزة ، لأن مفهوم المعجزة يحمل على عدم قدرة أحد غير الله على صنعها ، فما صنعه البشر غير الله يفقد معنى الإعجاز .

وإذا كانت الترجمة لا تُسمى قرآناً ولا تستلزم أحكامه من مثل التعبد بتلاوته ، وعدم قراءته مع الجنابة ، وصحة القسم به وغير ذلك ، فهل تجوز هذه الترجمة أو لا تجوز ؟
اصطلح العلماء على أن هناك معنيين للترجمة ، أحدهما ترجمة حرفية ، والآخر ترجمة المعاني .

الترجمة الحرفية :

الترجمة الحرفية تقوم على وضع لفظ مرادف للفظ القرآن يؤدي كل المقصود منه ، وقد اتفق العلماء على أنها غير جائزة ، وذلك لأنها غير ممكنة ، إن لم تكن في كل القرآن ففي أكثره . وبيانه :

١ - ابن القيم ج ٣ ص ٨٤ .

١- أن اللفظ العربي قد يكون له أكثر من معنى ، كالقُرء ، ولا يمكن للفظ الأجنبي أن يدل عليها كلها . وقد يختار المترجم ما يروق له أو يحقق غرضه منها ، ويترك المعاني الأخرى ، فتكون الترجمة عاجزة عن الوفاء بما في القرآن من هداية شاملة، ولا تعبر عن حقيقة ما فيه . وهذا ما صنعه «ماكس هيننج» في ترجمته الألمانية للفظ «الإبل» الذي في الآية السابعة عشرة من سورة الغاشية ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ حيث فسر الإبل بالسحاب ، وهو أحد المعاني التي حملت عليها الآية ، والجمهور يفسرون الإبل بالحيوان المعروف .

٢- أن بعض الألفاظ العربية ربما لا يراد بها الحقيقة ، بل يراد بها المجاز ، فلو كانت الترجمة لأحدهما ربما كان هو غير المقصود في القرآن الكريم ، وذلك تغيير لمعناه، وهذا ما وقع فيه «مارما ديوك بكتهول» في ترجمته الإنجليزية لكثير من الآيات، فترجم قوله تعالى ﴿فَيَذْمُوهُ﴾ من آية ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] بمعناه الأصلي وهو «فيشج رأسه» وترجم قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] بمدلولها الأصلي ، وهو جمع اليد إلى العنق وإطلاقها .

٣- أن بعض الألفاظ العامة في القرآن قد يراد بها المعنى الخاص فيعبر عنه المترجم باللفظ العام الذي لا يريده القرآن ، كما صنعه المترجم الألماني في قوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ باللفظ العام للوقوع ، مع أن المراد هو قيام الساعة .

٤- أن هناك معاني لا يدل عليها الوضع الظاهر للفظ ، بل تؤخذ من صلته بلفظ آخر، كما في التقديم للمفعول على الفاعل الذي يدل على الأهمية ، وكما في ذكر مسح الرأس في الوضوء حيث جاء في الآية بين مغسولات تقدمت عليه وتأخرت عنه ، فاستنتج بعض الفقهاء من ذلك وجوب الترتيب بين أعضاء الوضوء ، وليس هذا مفيداً في اللغات الأخرى لما أفادته اللغة العربية .

إلى غير ذلك من الوجوه التي تؤكد أن الترجمة الحرفية للقرآن لا تفي بالغرض المقصود منه ، لا في الإعجاز ولا في الهداية الصحيحة الشاملة . ومن أجل هذا قال العلماء بعدم جواز الترجمة للقرآن كله ، وإن جازت في بعض الآيات .

ترجمة المعاني :

تحدث العلماء عن ترجمة معاني القرآن فقالوا : إن للقرآن معاني أصلية يستوي في فهمها كل من يعرف مدلولات الألفاظ المفردة ووجوه إعرابها وما يشاكل ذلك ، وله معان ثانوية يسميها علماء البلاغة مستتبعات التراكيب ، وهي خواص النظم التي يرتفع بشأنها الكلام ، كدلالة التنكير على التعظيم أو التحقير وما إلى ذلك .

والمعاني الأصلية قد يوافق المنشور أو المنظوم من كلام العرب بعض الآيات التي تدل عليها ، وذلك مع عدم مساس هذه الموافقة بإعجاز القرآن ، فإن إعجازه واسع الميدان متعدد الألوان . وهذه لا مانع من ترجمتها فهي كالتفسير الموضح لها بكلام البشر ، أما المعاني الثانوية فمن العسير أن تكون الترجمة دالة عليها ، وذلك لاختلاف الأساليب وما تدل عليه في اللغات ، وإذا كان هذا يحدث في ترجمة كلام البشر من لغة إلى لغة فكيف بترجمة كلام الله بلغة البشر ؟

إن هذه الترجمة بنوعها تفسير ، والتفسير لا يستلزم أن يكون شاملاً لكل ما تدل عليه الألفاظ والتراكيب ، فهي لا تغني عن القرآن أبداً ، ولا تعبر عن كل ما فيه ، ولا مانع منها ، مع الإشارة في الهوامش إلى أن ما قام به المترجم هو تفسير بلغته هو ، وليس تعبيراً عن القرآن كقرآن .

تنبيه :

رب قائل يقول : إذا كانت ترجمة القرآن بهذه الخطورة فكيف نبليغه للناس وقد أمر الله رسوله بتبليغه فقال ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال ﷺ «بلغوا عني ولو آية» ^(١) ، وقال «ليبلغ الشاهد منك الغائب» ^(٢) ، كيف نبليغه إلى غير العرب الذين لا يعرفون اللغة التي نزل بها القرآن وهي اللغة العربية ؟

٢- رواه البخاري .

١- رواه البخاري .

والجواب : أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۚ ﴾ [إبراهيم : ٤] فالقرآن نزل بلغة العرب ، وهم بدورهم يبلغونه للناس بألسنتهم المختلفة ولا يتحتم أن يكون تبليغه بترجمته ، بل يمكن تبليغ فحواه ومعناه بهذه الألسنة واللغات ، حتى إذا دخلوا في الدين وأرادوا التفقه فيه تعلموا لغة القرآن وقرؤوه بها ، وهي دعوة إلى تعلم اللغة العربية .

هذا ، ومن الواجب أن يقوم المسلمون بترجمة معاني القرآن الكريم تبليغاً للرسالة ، وتصحيحاً للأخطاء التي وقعت في التراجم التي قام بها أجنب عن الإسلام أو من لا يتقنون اللغة العربية ولا يعرفون أساليبها البلاغية ، والتباطؤ في ذلك له أضراره في هذه الأيام بالذات ، التي تنوعت فيها وسائل الاتصال ، وكثر غزو الغرب للشرق والإسلام بأفكاره وشبهاته الموجه بعضها إلى الأديان عامة وبعضها إلى الإسلام خاصة .

ومع القيام بهذه الترجمة ونشرها باللغات يجب العمل على نشر اللغة العربية في البلاد الإسلامية التي لا تعرفها ، أو بين الجاليات الإسلامية التي تعيش في مجتمعات غير إسلامية ، حتى تظهر لهم صورة الإسلام بشكل واضح ، فيشتبوا على إيمانهم ويردوا الشبهات عن دينهم .

هذا ، وقراءة ترجمة القرآن في الصلاة تجوز أو لا تجوز سيكون الحديث عنها إن شاء الله في موضع آخر ^(١) .



س : هل من الحديث ما يقال : من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة ، لم تصبه فاقة أبداً ؟
ج : ذكر القرطبي هذا الحديث في أول تفسير سورة الواقعة ، نقلاً عن الثعلبي وغيره ، ولم يحكم عليه بصحة ولا حسن ولا ضعف ، ولم أجده في الكتب التي تعني بتخريج الأحاديث .

١ - «انظر الجزء الثاني من كتاب : بيان للناس من الأزهر الشريف» فهناك مراجع كثيرة ، راجع الجزء الثاني من كتاب «مناهل العرفان» للشيخ الزرقاني .

ومهما يكن من شيء فقراءة سورة الواقعة أو أية سورة لها ثواب عظيم نترك تقديره لله سبحانه وتعالى ، وقد جاء التصريح ببعض ذلك في فضل آية الكرسي وأواخر البقرة ، وسورة الكهف وقل هو الله أحد وغيرها ، وتقدير الثواب على القراءة من أي موضع من القرآن جاء في حديث رواه الترمذي عن عبد الله ابن مسعود «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : «ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(١) .

غير أن هناك أخباراً ليست صحيحة النسبة إلى رسول الله ﷺ ، منها ما هو ضعيف ومنها ما هو موضوع مكذوب ، على الرغم من قول الرسول ﷺ «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢) .

وقام بوضع هذه الأحاديث جماعة منهم أبو عصمة نوح بن أبي مريم المروزي ومحمد بن عكاشة الكرمانى وأحمد بن عبد الله الجويباري . قيل لأبي عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق ، فوضعت الحديث حسبة ، أي أرجو بذلك الثواب من الله على سبيل التطوع .

يقول ابن الصلاح في كتابه «علوم الحديث» : إن من ذلك الحديث الطويل الذي يروى عن كعب عن النبي ﷺ في فضل سور القرآن سورة سورة . وقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعهم تفاسيرهم .



س : هل هناك فضل لسورة يس ، وما رأي الدين فيما يسمى «عدية يس» لقراءتها على الظالم ؟

ج : جاء في فضل سورة يس قول النبي ﷺ «قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرؤوها على موتاكم»^(٣) . وقوله «من قرأ

١ - قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب ، أي رواه راو واحد فقط .

٢ - رواه البخاري ومسلم . ٣ - رواه أحمد والنسائي وأبو داود والحاكم وصححه .

يس كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات دون يس»^(١) ، وقوله «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له»^(٢) .

وجاء في تفسير القرطبي نقلاً عن مسند الدارمي عن ابن عباس وليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ هذا الحديث «من قرأ يس حين يصبح أعطي يُسرَ يومه حتى يمسي ، ومن قرأها في صدر ليلة أعطي يسر ليلته حتى يصبح» وقال القرطبي : رفع الماوردي هذا الخبر إلى النبي ﷺ عن ابن عباس بلفظ : «إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس ، ومن قرأها في ليلة أعطي يسر تلك الليلة ، ومن قرأها في يوم أعطي يسر ذلك اليوم» ولم يبين درجة هذا الحديث .

من مجموع ما ورد في شأنها نعلم أن لها فضلاً كما أن لبعض سور القرآن فضلاً يزيد على الفضل العام للقرآن وذلك من أجل الترغيب في قراءتها ، ويمكن الأخذ بهذه الأحاديث في فضائل الأعمال .

هذا ، وما يقال عن «عدية يس» فلا أعرف له أصلاً في الدين فإن لها نظاماً في القراءة - كما يقال - لا يوافق عليه الدين ، مع التسليم بأن قراءة يس أو شيء من القرآن عمل صالح يمكن التقرب به إلى الله عند الدعاء ، فيقال بعد القراءة : «اللهم إني أسألك بحق ما قرأت من القرآن الكريم أن تحفظني من السوء ، وترفع عني ظلم الظالمين» فيرجى أن يستجيب الله الدعاء كما دعا من انطبق عليهم الغار بصالح أعمالهم فنجاهم الله . مع العلم بأن الله سيتتصف من الظالم للمظلوم ، فدعوته - كما صح في الحديث - يرفعها الله فوق الغمام ويقول : وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين . ولكننا نوصي بالصبر والعفو ، قال تعالى ﴿ وَحَرِّزُوا سَيِّئَتَهُمْ مِثْلَهُمَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٠] .



١ - رواه الترمذي وقال : حديث غريب ، أي رواه راو واحد فقط .

٢ - رواه مالك وابن السني وابن حبان في صحيحه .

س : هل هناك فضل لقراءة سورة يس عند الميت قبل دفنه وبعد دفنه؟

ج : روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه أن النبي ﷺ قال «قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم» .

هناك خلاف بين العلماء في وقت قراءتها ، فقليل عند الاحتضار عسى أن يخفف الله عن الميت ، وبخاصة أن الملائكة تحضر لسماع القرآن ومعها الرحمة ، وجاء في حديث آخر في مسند الفردوس «ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس إلا هون الله عليه» .

وقيل إن قراءتها تكون بعد الموت ، سواء أكان ذلك قبل دفنه أم بعد دفنه ، والقرآن كله إذا قرئ بدون مقابل ووهب ثوابه إلى الميت ينفعه إن شاء الله ، وقد تكون لسورة يس بالذات فضيلة وأثر في ذلك .

وقراءتها على كل حال لا تضر ، وقد تفيد الميت بالإهداء إليه أو بحضور الملائكة لسماع القرآن ، ذلك إلى جانب نفعها لقارئها ولمن يستمعون إليها للعظة والعبرة .



س : ما هو فضل قراءة سورة يس ؟

ج : جاء في فضل قراءتها حديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وصححه، وهو «قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم» وحديث رواه الترمذي وقال : حديث غريب ، أي رواه راو واحد فقط وهو «من قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات دون يس» وحديث رواه مالك وابن السني وابن حبان في صحيحه ، وهو «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له» .



س : ما حكم قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، وهل ما يفعله القراء يوم الجمعة من القراءة بصوت مرتفع جائز أو ممنوع ؟

ج : الأحاديث المروية عن قراءة سورة الكهف بعضها ورد بفضلها مطلقاً ، بصرف النظر عن كونها يوم الجمعة أو في غيره ، كحديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً «من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة»^(١) . وبعضها ورد بفضلها يوم الجمعة لحديث أبي سعيد أيضاً أن النبي ﷺ قال «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدميه إلى عنان السماء ، يضيء له يوم القيامة ، وغفر له ما بين الجمعتين»^(٣) .

ومن مجموع هذه الروايات نرى أن الثواب على سورة الكهف سيكون نورا ، وهذا النور يوم القيامة ، وطوله يقدر بالمسافة التي بين قدمي القارئ ومكة لمن قرأها في أي يوم ، أما من قرأها يوم الجمعة فيقدر بالمسافة التي بين قدميه وعنان السماء ، أي أن التقدير إما بالامتداد الأفقي ، وإما بالامتداد العمودي ، وقد يكون المراد عدم التحديد ، بل الإشارة إلى طول المسافة التي يغمرها النور ، الذي ربما يكون هو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد : ١٢] .

والثواب الثاني لقارئ الكهف يوم الجمعة هو مغفرة الذنوب التي وقعت بين الجمعتين ، وهي الصغائر ، ولعل هذا هو المراد بإضاءة النور ما بين الجمعتين ، فنور الطاعة يمحو ظلام المعصية ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود : ١١٤] وقراءة

١ - رواه الحاكم وصححه .

٢ - رواه النسائي والبيهقي مرفوعاً ، ورواه الحاكم مرفوعاً وموقوفاً أيضاً ، وقال : صحيح الإسناد . ورواه الدارمي في مسنده موقوفاً على أبي سعيد . قال الحافظ المنذري : وفي أسانيدهم كلها ، إلا الحاكم ، أبو هاشم يحيى بن دينار الروماني ، والأكثر على توثيقه ، وبقية الإسناد ثقات وفي إسناد الحاكم الذي صححه نعيم بن حماد ، وقد وثقه جماعة وجرحه آخرون . [الترغيب والترهيب] .

٣ - رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد لا بأس به [المرجع السابق] .

الكهف مشروعة لكل مسلم يقرأها في المسجد أو في غيره ، بصوت منخفض أو مرتفع ، ما لم يترتب على رفع الصوت ضرر أو إضرار .

أما قراءتها - هي أو غيرها - من قارئ بصوت مرتفع يوم الجمعة في المسجد فلم تكن أيام النبي ﷺ ، ولا في عهد السلف الصالح ، وإنما ذلك أمر حدث منذ قرون في بعض المساجد ، كمساجد مصر والشام ، ويدل عليه وجود «الدكك» في المساجد الأثرية التي يجلس عليها القارئ وأمامه حامل يوضع عليه مصحف كبير ، وكان يُعَيَّن من قبل المسئولين .

وقد رأى بعض العلماء منع قراءتها على هذا النحو ، لأنها بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، ولم يمنعها آخرون ، فليس كل ما لم يكن في عهد النبي ﷺ ممنوعاً ، بل منه ممنوع وغير ممنوع ، كما صح في البخاري أن عمر رضي الله عنه قال في صلاة التراويح خلف أبي بن كعب : نعمت البدعة هذه . وحيث لم يرد نهى عن قراءتها على هذا النحو فالأصل الجواز .

لكن الجميع متفقون على أنها إذ قرئت بألحان غير مشروعة كانت القراءة محرمة ، وإذا حدث بها إيذاء لمصل أو قارئ تمنع أيضاً ، فلا ضرر ولا ضرار في الإسلام كما قال النبي ﷺ ^(١) . ويؤيده ما رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ اعتكف في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة ، فكشف الستر وقال «ألا إن كلكم مَنَّاجٍ لربه ، فلا يؤذ بعضكم بعضاً ، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة» .

جاء في ضمن فتوى للشيخ محمد عبده / بتاريخ رجب ١٣١٩ هـ ^(٢) أن القارئ لسورة الكهف ونحوها من القرآن يأثم إذا أذى غيره ، أو قرأ حال اشتغال المصلي بالصلاة ، بأن ابتداء في القراءة والمصلي يصلي ، لما في ذلك من تضييع احترام القرآن الواجب عليه .

١ - أخرجه مالك في الموطأ مراسلاً ، ورواه الدارقطني وجماعة من وجوه المحدثين متصلًا ، وهو حديث حسن .

٢ - منشورة في المجلد الأول من الفتاوى الإسلامية «ص ٥٣» .

وقد صدرت فتوى للشيخ عبد المجيد سليم^(١) بهذا الصدد هذا نصها : وقراءة سورة الكهف - كما هو معهود الآن في المسجد يوم الجمعة - بدعة مستحدثة لم تعرف في عهد الرسول ﷺ ولا في زمن الصحابة والسلف الصالح ويظن العامة أن قراءتها بهذه الكيفية وفي ذلك الوقت من شعائر الإسلام ، فهي مكروهة لا سيما أن قراءتها على هذا الوجه تحدث تشويشاً على المصلين ، وقد خرج النبي ﷺ على أصحابه وهم يصلون يجهرون بالقراءة فقال «أيها الناس ، كلكم يناجى ربه ، فلا يجهر بعضكم على بعض» وكذلك الحكم في قراءة غير سورة الكهف من القرآن ، وفي الجهر بالتسبيح أو التهليل مما يحدث تشويشاً على المصلين ، بل نص بعض علماء المالكية على أن ذلك إذا أحدث تشويشاً كان حراماً .

وقد صدرت فتوى بذلك في المجلة أيضاً^(٢) يفهم منها أنه لا ضرر في قراءتها لأنها عبادة لكن لا يصح لقارئ أن يقرأ في مكان يشوش عليه الناس فيه ، ولا أن يرفع صوته إذا كان رفع صوته يحدث تشويشاً على المصلين فعلاً .

وجاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ما خلاصته : أن الحنفية كرهوا رفع الصوت بالذكر في المسجد إن ترتب عليه تشويش على المصلين أو إيقاظ للنائمين ، وكذلك قال بالكره الكراهة الشافعية والحنابلة ، وجعله المالكية حراماً .

وجاء في كتاب «الحاوي للفتاوى للسيوطي» كراهة رفع الصوت بالقراءة والذكر إذا أذى المصلين والنيام ، وليس ذلك محرماً ، لأن الحكم بالتحريم يحتاج إلى دليل واضح صحيح الإسناد غير معارض ، ثم إلى نص من أحد أئمة المذاهب ، وكل من الأمر لا سبيل له .

وجاء في فتاوى النووي في المسائل المثورة «مسألة» جماعة يقرءون القرآن في الجامع يوم الجمعة جهراً ، ويستنفع بسماع قراءتهم ناس ، ويشوشون على بعض الناس ، فهل قراءتهم أفضل أم تركها ؟

١ - منشورة بمجلة الأزهر «المجلد ١٩ ص ٨٣٩» .

٢ - «المجلد ٤ ص ١٠٢» .

والجواب : إن كانت المصلحة فيها وانتفاع الناس بها أكثر من المفسدة المذكورة فالقراءة أفضل . وإن كانت المفسدة أكثر كرهت القراءة . وفي المسألة التي تليها وهي : قراءة القرآن في غير الصلاة ، هل الأفضل فيها الجهر أم الإسرار ؟ إلا أن يترتب على الجهر مفسدة كريات أو إعجاب أو تشويش على مُصلٍّ أو مريض أو نائم أو معذور أو جماعة مشغولين بطاعة أو مباح .



س : هل يجوز رفع الصوت بقراءة القرآن إذا كان يؤذى غيره ؟

ج : أفتى الشيخ محمد عبده ^(١) بأنه إذا كان الرجل يكتب الفقه وبجانبه رجل يقرأ القرآن ولا يمكن للكتاب استماع القرآن فالإثم على القارئ ، وعلى هذا لو قرأ على السطح والناس نيام يَأْثُم لأن ذلك يكون سبباً لإعراضهم عن السماع أو لأنه يؤذيهم بإيقاظهم ، وقالوا : إنه يجب على القارئ احترام القرآن ، ألا يقرأ في الأسواق ومواضع الاشتغال ، فإذا قرأه فيها كان هو المضيع لحرمة الإثم عليه دون أهل الاشتغال ، دفعا للخرج .



س : هل يجوز للإنسان أن يضع في كلامه شيئاً من القرآن يقتضيه المقام ولا ينسبه إلى الله بل ينسبه إلى نفسه ، مثل أن يقول المظلوم في ظالمه «حسبي الله ونعم الوكيل» ؟

ج : تحدث السيوطي ^(٢) عن الاقتباس الذي هو تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن ، لا على أنه منه بألا يقول فيه : قال الله تعالى ونحوه فإن ذلك حينئذ - أي إن قال : قال الله - لا يكون اقتباساً . وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله . وأما أهل مذهبنا - أي الشافعية - فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين مع شيوعه في أعصارهم . وقد تعرض له جماعة من المتأخرين ، فأجازة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، استدلالاً بما ورد عن النبي ﷺ من قوله في

١- المجلد الأول من الفتاوى الرسمية ص ٥٢ .

٢- الإتيان ج ١ ص ١١١ .

الصلاة وغيرها «وجهت وجهي» إلخ وقوله : ﴿ فَأَلْقِ الْإِصْبَاحَ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [الأنعام : ٩٦] ، اقض عني الدين وأغنني من الفقر . وفي سياق كلام لأبي بكر «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» وفي حديث آخر لابن عمر «قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» انتهى .

وهذا دليل على جوازه في الوعظ والثناء والدعاء في النثر ، ولا دلالة فيه على جوازه في الشعر ، وبينهما فرق ، فصرح أبو بكر من المالكية بكراهته في الشعر ، واستعمله أيضاً في النثر القاضي عياض . قال ابن المقري : الاقتباس ثلاثة أقسام : مقبول ومباح ومردود ، فالأول ما كان في الخطب والمواعظ ، والثاني ما كان في الغزل والقصص ، والثالث على ضربين ، أحدهما ما نسبته الله إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه ، كما قيل عن أحد بنى مروان أنه وقّع على مطالعة فيها شكاية عماله ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿ ٢٥ ﴾ [الغاشية : ٢٥ ، ٢٦] والآخر تضمنين آية في معنى هزل ، ونعوذ بالله من ذلك كقوله :

أرخصي إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه لمثل هذا فليعمل العاملون

وارتضى السيوطي هذا التقسيم . ثم ذكر حوادث من ذلك عن أئمة أجلاء . ولقد لخص الزرقاني في شرح المواهب اللدنية^(١) هذه الآراء فقال : إن الاقتباس جائز عند المالكية والشافعية باتفاق ، غير أنهم كرهوه في الشعر خاصة ، وذكر أسماء الأئمة الذين أجازوه ، وهذه حجة على من يزعم أن مذهب مالك يجرمه ، وأن أئمة الشافعية يجمعون على جوازه ، ومن ادعى أنهم حرموه فهو كاذب ، وقد أشير إلى الحكم في كتاب «فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة» هذا ، وقد سمعنا أن بعض النساء قديماً كانت تحفظ القرآن كله وتقتبس منه وتتعامل مع الناس به ، وهى مذكورة في كتاب «فتاوى وأحكام للمرأة المسلمة» .



س: لماذا يذكر قراء القرآن كلمة «الفاتحة» بعد ختم القراءة ، وهل هي واجبة؟

ج : دعوة قارئ القرآن بعد انتهاء قراءته أن يقرأ السامعون الفاتحة ليست واجبة، وإنما هي دعوة للمشاركة في قراءة أي قرآن وهبة ثوابه إلى الميت الذي قرئ القرآن بمناسبة العزاء فيه ، أو قراءتها والدعاء بعدها بما قرئ القرآن لمناسبته كاجتماع للصالح أو عمل مشروع خيري أو غير ذلك .

واختيار الفاتحة بالذات لأنها السبع المثاني وأعظم سورة في القرآن كما صح في حديث البخاري ، وجاء في رواية لمسلم أنها وخواتيم سورة البقرة نوران لم يؤتهما نبي من قبل سيدنا محمد ، وقال له الملك «لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» .



س : ما حكم الدين في قراءة الفاتحة للنبي ؟

ج : الفاتحة كما ورد في حديث البخاري هي أعظم سورة في القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم . ومن قرأها أعطاه الله ما سأل من الهداية إلى الصراط المستقيم كما رواه مسلم ، وكما جاء في رواية أخرى له «لن يقرأ بحرف منها إلا أعطيه» .

وإذا قرأها الإنسان للنبي ﷺ ، فالظاهر أنه يهب ثوابها إليه ، مع غنى الرسول عن هذا الثواب فقد شرفه الله وكرمه أعظم تشريف وتكريم ، لأن هذه الهبة علامة على حب من قرأها للنبي عليه الصلاة والسلام ، تماماً كالصلاة على النبي ، فإن معناها طلب الرحمة من الله له ، وهو عليه الصلاة والسلام مرحوم ، والمحبة يحرص ويسر بتقديم هدية إلى المحبوب رمزا وعلامة على حبه .

وكثيراً ما يقول قارئ الفاتحة للنبي «زيادة في شرف النبي» فالنبي مشرف وهو يطلب من الله أن يزيده شرفاً ، وكل ذلك دليل على الحب ، وحبه عليه الصلاة والسلام فرض على المؤمن لا يتم إيمانه إلا به ، كما وردت بذلك الأحاديث . وإذا كان حبه يتمثل في اتباع سنته أي طريقته التي تركها لنا ممثلة في القرآن والسنة ،

فليس هناك ما يمنع أن نبرهن على حبنا بإهداء ثواب الفاتحة له والصلاة عليه أي طلب الرحمة من الله له^(١).



س : هل يجوز أن يقرأ الإنسان الفاتحة أو غيرها ويقول : زيادة في شرف النبي ﷺ؟

ج : إلى جانب ما ذكرته في فتاواي جاء في شرح الزرقاني للمواهب اللدنية^(٢) ما خلاصته : إهداء القراءة إلى الرسول لا يعرف فيه خبر ولا أثر ، بل أنكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الفزكاح ، لأن الصحابة لم يفعله أحد منهم . لكن اختار السبكي وغيره خلاف ذلك . وكذا أنكر البرهان القراري قولهم : اللهم أوصل ثواب ما تلوته إلى فلان خاصة ، وإلى المسلمين عامة . لأن ما اختص بشخص لا يتصور التعميم فيه . وردّه الزركشي بأن الظاهر خلاف ما قاله ، فإن الثواب يتفاوت ، فأعلاه ما خصه ، وأدناه ما عمه وغيره ، والله تعالى يتصرف فيما يعطيه من الثواب . على أن المراد : مثل ثواب ما تلوته لفلان خاصة ومثل ذلك للمسلمين عامة ، وهذا متصور ، وحكى صاحب الروح الشمس ابن القيم : أن من الفقهاء المتأخرين من استحبه ، ومنهم من رآه بدعة مذمومة ، قالوا : والنبي ﷺ غنى عن ذلك ، لكن ليس في كونه غنيا ما يقتضى منع ذلك ، بل يجوز أن يكون إهداؤها سببا في ثواب يصل إليه زائداً على الثواب الواصل له من كل خير عملته أمته ، وأن له أجر كل من عمل خيراً من أمته ، من غير أن ينقص من أجر العامل شيء ، لحديث مسلم وأصحاب السنن «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» .

١ ، ٢ - الزرقاني على المواهب ج ٥ ص ٤٠٨ .

ومن ثمَّ قال الشافعي : ما من خير يعملُه أحد من أمة النبي ﷺ إلا والنبي ﷺ أصل فيه ، لأنه إنما عمل بإرشاده . قال الزين المراغي المحدث في كتابه «تحقيق النصرة» : فجميع حسنات المسلمين وأعمالهم الصالحة في صحائف نبينا ﷺ زيادة على ما له من الأجر ، مع مضاعفة لا يحصرها إلا الله تعالى ، لأن كل مهتد وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الأجر ، ولشيخه مثله ، وهكذا تضعيف كل مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعده إلى النبي ﷺ . وبهذا تعلم تفضيل السلف على الخلف ... وبهذا يجاب عن استشكال دعاء القارئ له ﷺ بزيادة الشرف ، مع العلم بكماله عليه الصلاة والسلام في سائر أنواع الشرف ، فكأن الداعي لحظ أن قبول قراءته يتضمن لمعلمه نظير جزء وهكذا حتى يكون للمعلم الأول وهو الشارع ﷺ نظير جميع ذلك ، ومن ذلك ما شرع عند رؤية الكعبة من قول الرائي : اللهم زد هذا البيت تشريقاً وتعظيماً ، وهذا كما قالوا في الصلاة عليه : زاده الله شرفاً . أشار إلى نحوه الحافظ ابن حجر .



س : ما حكم الدين في قراءة القرآن على الأموات هل تنفعهم أو لا تنفعهم؟

ج : في قراءة القرآن للميت خلاف للعلماء بين المنع من استفادته بها بناء على أنها عبادة بدنية لا تقبل النيابة ، وبين الجواز بناء على رجاء رحمة الله وما ورد من بعض النصوص ، ومن تتبع أقوال الكثيرين يمكن استنتاج ما يلي :

١ - إذا قرئ القرآن بحضرة الميت فانتفاعه بالقراءة مرجو ، سواء أكان معها إهداء أم لم يكن ، وذلك بحكم المجاورة ، فإن القرآن إذا تلى ، وبخاصة إذا كان في اجتماع حفت القارئ الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، روى مسلم قول النبي ﷺ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يقرءون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة» والقرآن ذكر، بل أفضل الذكر ، وقد روى مسلم وغيره حديث

«لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» ، بل لا يشترط لنزول الملائكة وغيرهم أن تكون القراءة أو الذكر في جماعة ، فيحصل ذلك للشخص الواحد روى البخارى ومسلم حديث أسيد بن حضير الذى كان يقرأ القرآن فى مربده وبجواره ولده وفرسه ، وجاء فيه : فإذا مثل الظلة فوق رأسى ، فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها ، فقال له رسول الله ﷺ « تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » .

على أن النص قد جاء بقراءة «يس» عند الميت ، روى أحمد وأبو داود والنسائى ، واللفظ له ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحاحه أن النبى ﷺ قال : « قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له اقرءوها على موتاكم » . وقد أعل الدارقطنى وابن القطان هذا الحديث ، لكن صححه ابن حبان والحاكم ، وحمله المصححون له على القراءة على الميت حال الاحتضار ، بناء على حديث فى مسند الفردوس «ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس إلا هون الله عليه» لكن بعض العلماء قال : إن لفظ الميت عام لا يختص بالمحتضر ، فلا مانع من استفادة بالقراءة عنده إذا انتهت حياته ، سواء دفن أم لم يدفن ، روى البيهقى بسند حسن أن ابن عمر استحب قراءة أول سورة البقرة وخاتمها على القبر بعد الدفن ، وابن حبان الذى قال فى صحيحه معلقا على حديث «اقرءوا على موتاكم يس» أراد به من حضرته المنية لا أن الميت يقرأ عليه رد عليه المحب الطبرى : بأن ذلك غير مسلم له وإن سلم أن يكون التلقين حال الاحتضار ، قال الشوكانى : واللفظ نص فى الأموات وتناوله للحى المحتضر مجاز فلا يصار إليه إلا لقريئة ^(١) ، والنووى ذكر فى رياض الصالحين تحت عنوان : الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة ^(٢) ، ذكر أن الشافعى قال : يستحب أن يقرأ عنده

١- نيل الأوطار ج ٤ ص ٥٢ .

٢- رياض الصالحين الباب الحادى والستون بعد المائة .

شيء من القرآن وإن ختموا القرآن كان حسنا ، وجاء في المغنى لابن قدامة ^(١) ،
تسن قراءة القرآن عند القبر وهبة ثوابها ، وروى أحمد أنه بدعة ، ثم رجع عنه .

وكره مالك وأبو حنيفة القراءة عند القبر حيث لم ترد بها السنة . لكن القرافي
المالكي قال : الذى يتجه أن يحصل للموتى بركة القراءة ، كما يحصل لهم بركة
الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده .

٢- إذا قرئ القرآن بعيدا عن الميت أو عن القبر وامتنع انتفاعه به بحكم المجاورة
وحضور الملائكة ، اختلف الفقهاء فى جواز انتفاع الميت به ، وهناك ثلاث
حالات دار الخلاف حولها بين الجواز وعدمه :

الحالة الأولى :

إذا قرأ القارئ ثم دعا الله بما قرأ أن يرحم الميت أو يغفر له ، فقد توسل القارئ
إلى الله بعمله الصالح وهو القراءة ، ودعا للميت بالرحمة ، والدعاء له متفق على
جوازه وعلى رجاء انتفاعه به إن قبله الله ، كمن توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم
فانفرجت عنهم الصخرة التى سدت فم الغار وفى هذه الحالة لا ينبغى أن يكون
هناك خلاف يذكر فى عدم نفع الميت بالدعاء بعد القراءة .

الحالة الثانية :

إذا قرأ القارئ ثم دعا الله أن يهدى مثل ثواب قراءته إلى الميت ، قال ابن
الصلاح : وينبغى الجزم بنفع : اللهم أوصل ثواب ماقرأناه ، أى مثله ، فهو المراد ،
وأن يصرح به لفلان ، لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعى فما له أولى ، ويجزى
ذلك فى سائر الأعمال ، ومعنى كلام ابن الصلاح أن الداعى يدعو الله أن يرحم
الميت : والرحمة ليست ملكا له بل لله ، فإذا جاز الدعاء بالرحمة وهى ليست له فأولى
أن يجوز الدعاء بما له هو وهو ثواب القراءة أو مثلها . وكذلك يجوز فى كل قرينة
يفعلها الحى من صلاة وصيام وصدقة ، ثم يدعو بعدها أن يوصل الله مثل ثوابها

إلى الميت . وقد تقدم كلام ابن قدامة فى المغنى عن ذلك ، والدعاء بإهداء مثل ثواب القارئ إلى الميت هو المراد من قول المجيزين : اللهم أوصل ثواب ماقرأته لفلان .

الحالة الثالثة :

إذا نوى القارئ أن يكون الثواب : أى مثله ، للميت ابتداء أى قبل قراءته أو أثناءها يصل ذلك إن شاء الله ، قال أبو عبدالله الأبى : إن قرأ ابتداء بنية الميت وصل إليه ثوابه كالصدقة والدعاء ، وإن قرأ ثم وهبه لم يصل ، لأن ثواب القراءة للقارئ لا ينتقل عنه إلى غيره ، وقال الإمام ابن رشد فى نوازله : إن قرأ ووهب ثواب قراءته لميت جاز وحصل للميت أجره ، ووصل إليه نفعه ، ولم يفصل بين كون الهبة قبل القراءة أو معها أو بعدها ، ولعله يريد ما قاله الأبى .

هذا ، وانتفاع الميت بالقراءة مع الإهداء أو النية هو ما رآه المحققون من متأخري مذهب الشافعى ، وأولوا المنع على معنى وصول عين الثواب الذى للقارئ ، أو على قراءته لا بحضرة الميت ولا بنية ثواب قراءته له ، أو نيته ولم يدع له ، وقد رجح الانتفاع به أحمد وابن تيمية وابن القيم ، وقد مر كلامهم فى ذلك .

قال الشوكانى ^(١) المشهور من مذهب الشافعى وجماعة من أصحابه أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن ، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعى إلى أنه يصل ، كذا ذكره النووي فى الأذكار . وفى شرح المنهاج : لا يصل إلى الميت عند ثواب القراءة على المشهور ، والمختار الوصول إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته ، وينبغى الجزم به لأنه دعاء ، فإذا جاز الدعاء للميت بما ليس للداعى فلأن يجوز بما هو له أولى ، ويبقى الأمر موقوفاً على استجابة الدعاء . وهذا المعنى لا يختص بالقراءة ، بل يجرى فى سائر الأعمال . والظاهر أن الدعاء متفق عليه أنه ينفع الميت والحي ، والقريب والبعيد ، بوصية وغيرها وعلى ذلك أحاديث كثيرة ، بل كان أفضل الدعاء أن يدعو لأخيه بظهر الغيب .

١- نيل الأوطار ج ٤ ص ١٤٢ .

هذا ، وقد قال الأبي : والقراءة للميت ، وإن حصل الخلاف فيها فلا ينبغي إهمالها ، فلعل الحق الوصول ، فإن هذه الأمور مغيبة عنا ، وليس الخلاف في حكم شرعى إنما هو في أمر هل يقع كذلك أم لا .

وأنا مع الأبي في هذا الكلام فإن القراءة للميت إن لم تنفع الميت فهي للقارئ ، فالمستفيد منها واحد منهما ، ولا ضرر منها على أحد . مع تغليب الرجاء في رحمة الله وفضله أن يفيد بها الميت كالشفاعة والدعاء وغيرهما .

وهذا الخلاف محله إذا قرئ القرآن بغير أجر ، أما إن قرئ بأجر الجمهور على عدم انتفاع الميت به ، لأن القارئ أخذ ثوابه الدنيوى عليها فلم يبق لديه ما يهديه أو يهدي مثل ثوابه إلى الميت ، ولم تكن قراءته لوجه الله حتى يدعوه بصالح عمله أن ينفع بها الميت ، بل كانت القراءة للدنيا ، ويتأكد ذلك إذا كانت هناك مساومة أو اتفاق سابق على الأجر أو معلوم متعارف عليه ، أما الهداية بعد القراءة إذا لم تكن نفس القارئ متعلقة بها فقد يرجى من القراءة النفع للميت . والأعمال بالنيات ، وأخذ قارئ القرآن من هذا الحديث الذى رواه أحمد والطبرانى والبيهقى عن عبدالرحمن بن شبل : «اقرأوا القرآن واعملوا به ، ولا تجفوا عنه ، ولا تغلوا فيه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به»^(١) .

وقد قال الشيخ حسنين محمد مخلوف فى أخذ الأجرة على قراءة القرآن : مذهب الحنفية لا يجوز أخذها على فعل القرب والطاعات كالصلاة والصوم وتعليم القرآن وقراءته ، ولكن المتأخرين من فقهاء الحنفية استثنوا من ذلك أموراً منها تعليم القرآن ، فقالوا : بجواز أخذ الأجرة عليه استحساناً ، خشية ضياعه ، ولكن بقى حكم أخذ الأجرة على قراءة القرآن على ما تقرر فى أصل المذهب من عدم الجواز . ومذهب الحنابلة لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ولا على قراءته ، استناداً إلى حديث «اقرأوا القرآن» الذى تقدم . ومذهب المالكية لا يجوز أخذ الأجرة على ما لا يقبل النيابة

١ - قال الهيثمى : رجال أحمد ثقات ، وقال ابن حجر فى الفتح : سنده قوى ، وفسر الأكل به بأخذ الأجرة عليه ، كما فسر بالاستجداء به والتسول .

من المطلوب شرعاً كالصلاة والصيام ، ولكن يجوز أخذ الأجرة على ما يقبل النيابة ، ومنها تعليم القرآن وقراءته ، ومذهب الشافعية يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعليمه ، سواء أكانت القراءة عند القبر أو بعيدة عنه ، مع الدعاء بوصول الثواب إلى الميت ٢ هـ .



س : ما فضل قراءة سورة الواقعة كل ليلة ، وهل ذلك يحفظ الإنسان من الفقر؟

ج : سورة الواقعة لم يرد في فضل قراءتها حديث خاص صحيح ، وقد ذكر ابن عبد البر والثعلبي أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه . وعرف أنه يشكو ذنوبه ويتمنى رحمة الله ولم يوافق على استدعاء طبيب له ولا تقرير عطاء له ولا لبناته من بعده ، فقد أمرهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة لأنه سمع الرسول ﷺ يقول : «من قرأها كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»^(١) .



س : ما هو فضل قراءة سورة الأنعام ، وهل صحيح أنها نزلت كلها مرة واحدة؟

ج : في تفسير ابن كثير حديث رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم ، أن جابرا رضى الله عنه قال : لما نزلت سورة الأنعام سبَّح رسول الله ﷺ ثم قال «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سدَّ الأفق» وروى مثله ابن مردويه عن أنس ،

١ - ذكر ذلك القرطبي في تفسيره ولم يحكم عليه . وذكره ابن كثير في تفسيره من رواية ابن عساكر في تاريخ دمشق ورواه أبو يعلى . وخرجه ابن حجر في تفسير الكشف بما لم يرفعه إلى درجة الصحة.

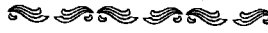
وروى ابن مردويه عن الطبراني عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «نزلت على سورة الأنعام جملة واحدة ، وتبعها سبعون ألفاً من الملائكة ، لهم زجل بالتسبيح والتحميد» . وجاءت روايات عن ابن عباس أنها نزلت بمكة ليلاً جملة واحدة .

وفي تفسير القرطبي مثل ذلك وأنها ليست كلها مكية ، فقد نزلت آيتان أو ست آيات بالمدينة ، وأن البخاري روى عن ابن عباس قوله : إذا سَرَكَ أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ورجح القرطبي أنها نزلت مرة واحدة لأنها كانت في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين والمكذبين بالبعث والنشور ، ولم يذكر في فضل قراءتها أو قراءة شيء منها إلا حديثاً ذكره الثعلبي عن جابر مرفوعاً «من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام وكُلَّ الله به أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة ، وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مِرْزَبَةٌ من حديد ، فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحى في قلبه شيئاً ضربه فيكون بينه وبينه سبعون حجاباً» فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى «امْشِ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي ، وكُلْ من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر ، واغتسل من ماء السلسبيل ، فأنت عبدى وأنا ربك» .

ومن أجل فضل قراءتها بهذا الحديث الذى لم تعرف درجته ، ومن أجل نزولها في كوكبة من الملائكة مرة واحدة حرص بعض الناس على قراءتها على الموتى عدة ليالٍ ، بل حرصوا على قراءتها في الركعة الأخيرة من التراويح في الليلة السابعة من شهر رمضان أو غير السابعة ، وسئل الإمام النووي عن ذلك ، فقال : لم يثبت نزول الأنعام دفعة واحدة ، ولو ثبت فلا دلالة فيه لهذا الفعل -قراءتها في التراويح- لأن فيها تطويلاً على المأمومين ، وفيها إيهام بأنها سنة ، وينبغي الإنكار على ذلك ، لصحة الأحاديث في النهي عن محدثات الأمور وفي أن كل بدعة ضلالة ، ولم ينقل هذا الفعل عن أحد من السلف وحاشاهم ، والله أعلم ^(١) .

١- المسائل المنشورة للنووى المسألة رقم ٥٠ .

بعد هذه النقول عن سورة الأنعام نرى الأحاديث في فضلها وفي كونها مرة نزلت مرة واحدة لم ترد بطريق صحيح ، ومع ذلك لا ننكر فضل قراءة القرآن من أية سورة وبأى قدر ، فإن الأحاديث في ذلك كثيرة ، أما التزامها بالذات على القبر ولأيام معدودة ، فليس عليه دليل معتبر ، إلى جانب خلاف الفقهاء في انتفاع الميت بهذه القراءة أو عدم انتفاعه وقد بينا ذلك في موضعه .



س : ما هو السبب في نزول سورة «عبس» ؟

ج : نزلت توجيهاً للنبي ﷺ في الحَدِّ من إتياب نفسه بحرصه على إسلام المشركين واهتمامه بدعوتهم ، عندما جاء الضرير عبدالله ابن أم مكتوم يسأله عن شيء في الدين ، فرأى الرسول أن الأولى دعوة المشركين عسى الله أن يهديهم إلى الإيمان فيؤمن معهم غيرهم ممن لهم سلطان عليهم . وليس ذلك احتقاراً لابن أم مكتوم ^(١) .



س : ما هي السبع المثاني ؟

ج : يقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] .
اختلف العلماء في المراد بالسبع المثاني ، ف قيل هي : الفاتحة ، وهو أصح الآراء ،
لورود الحديث بذلك ، فقد روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : مرَّ بى
النبي ﷺ وأنا أصلي ، فدعاني فلم آته حتى صليت ، ثم أتيته فقال : « ما منعك أن
تأتيني » ؟ فقلت : كنت أصلي ، فقال ألم يقل الله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن
قبل أن أخرج من المسجد ؟ فذهب النبي ﷺ ليخرج فذكرته فقال : « الحمد لله رب

١ - « انظر كتابنا : المصطفون الأخيار » .

العالمين ، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» وجاء في البخاري أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم» وأم القرآن هي الفاتحة كما جاء في الحديث «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني» (١) ، وهذا نص يغنى عن الأقوال الأخرى في المراد بالسبع المثاني ، ومن هذه الأقوال أنها السور السبعة الطوال أى الطويلة : وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال مع التوبة لعدم وجود التسمية بينهما ، وهذا هو رأى ابن عباس كما وراه النسائي عن سعيد بن جبير عنه ، وقيل : المراد بالسبع المثاني أقسام القرآن من الأمر والنهى والتبشير والإنذار وضرب الأمثال وتعدد النعم وأنباء القرون ، وهناك أقوال أخرى لا تستند إلى نص ، فالصحيح هو الأول .

ووصف الفاتحة بأنها المثاني لأنها تنشئ وتكرر فى ركعات الصلاة والقرآن كذلك يوصف بالمثاني كما قال سبحانه ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] لأنها تنشئ وتكرر على مر الزمان ، كذلك تنشئ فوائدها وتتضاعف ، على ما يفيد قول النبي ﷺ «ولا تنقضى عجائبه» (٢) ، وهى أيضاً مأخوذة من الثناء والمدح والشرف ، لأن القرآن مجلبة لذلك كله ، فى نظمه وهدايته وقراءته وتعلمه ونشره وتعليمه والتخلق بأخلاقه وتطبيق أحكامه ، والقرآن كذلك مثاني لما يلاحظ فيه من الثنائية ، بمعنى الاقتران ، أى اقتران آية الرحمة بآية العذاب ، والوعد بالوعيد والجنة بالنار ، والهدى بالضلال ، وهكذا .



س : ما هى خواتيم الحشر وما ثواب قراءتها ؟

ج : خواتيم الحشر الواردة فى الحديث «من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار فمات فى ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة» والمراد بها الآيات التى فى آخر سورة الحشر المبدوءة بقوله تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية : ٢٢] .

٢- رواه الترمذى .

١- رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وقد ذكر القرطبي في تفسيره هذا الحديث ولم يذكر درجته . وجاء في حاشية الجمل على الجلالين حديث أخرجه الترمذى وقال : إنه حسن غريب «من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكَلَّ اللهُ به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، وإن مات من يومه مات شهيداً ، ومن قرأها حتى يمسى فكذلك» .

ومهما يكن من شيء فإن هذه الآيات فيها بعض أسماء الله الحسنى التى أمرنا أن ندعوه بها فى قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠] وقراءتها لها ثوابها إن شاء الله ، بكل حرف عشر حسنات كما صحت بذلك الأحاديث .



س : يقول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص : ٥٦] ذكرت الهداية ثلاث مرات فى هذه الآيات ، فهل معناها واحد أم مختلف ؟

ج : جاء فى القاموس : يقال : هداه هُدىً وهديًا وهداية وهُدية بـكسرهما - أرشده فتهدى واهتدى . وهداه الله الطريق دَلَّه ، والهُدى - بضم الهاء وفتح الدال - الرشاد .

قال ابن القيم فى كتابه «بدائع الفوائد» : الهداية أربعة أنواع :

أحدها : الهداية العامة المشتركة بين الخلق ، المذكورة فى قوله تعالى ﴿الَّذِى آتَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠] أى أعطى كل شيء صورته التى لا يشبه فيها بغيره ، وأعطى كل عضو شكله وهيئته ، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ، ثم هداه ما خلقه له من الأعمال ، قال : وللجماد أيضا هداية تليق به ، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها ، وكذلك لكل عضو هداية تليق به ، فهدى الرجلين للمشى ، واللسان للكلام ، والعين لكشف المراتب وهلم جرا ، وكذا هدى الزوجين من كل حيوان إلى الازدواج والتناسل وتربية الولد ، والولد إلى التقام الثدي عند وضعه ، ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو .

الثاني : هداية البيان والدلالة والتعريف لِنَجْدَى الخير والشر وطريقى النجاة والهلاك ، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام ، فإنها سبب وشرط لا موجب ، ولهذا ينتفى الهدى معها ، كقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت : ١٧] أى بينها لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا ، ومنها قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

الثالث : هداية التوفيق والإلهام ، وهى الهداية المستلزمة للاهتداء ، فلا تتخلف عنها ، وهى المذكورة فى قوله تعالى ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [المدثر : ٣١] وفى قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ [النحل : ٣٧] وفى قوله ﷺ «من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له» وفى قوله ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

الرابع : غاية هذه الهداية ، وهى الهداية إلى الجنة أو النار إذا سيق أهلها إليهما ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [يونس : ٩] وقال أهل الجنة فيها ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] وقال فى حق أهل النار ﴿ اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (١٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (١٣) [الصافات : ٢٢ ، ٢٣] انتهى ما قاله ابن القيم .

والبيضاوي ذكر أن الهداية دلالة بلطف ولذا استعمل هنا الخير ، وقوله ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ على التهكم ، ثم قال : وهداية الله تتنوع أنواعاً لا يحصيها عد ، لكنها تنحصر فى أجناس مترتبة :

الأول : إفاضة القوى التي بها يتمكن المؤمن من الاهتداء إلى مصالحه ، كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة .

والثاني : نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد ، وإليه أشار حيث قال ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : ١٠] وقال ﴿ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت : ١٧] .

والثالث : الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإياها عني بقوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء : ٧٣] وقوله ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩].

والرابع : أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام والمنامات الصادقة ، وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء والأولياء ، وإياه عني بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتِدَةٌ﴾ [الأنعام : ٩٠] وقوله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت : ٦٩].



س : نريد تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ؟

ج : اتفق الأئمة على حرمة حمل المصحف ومسّه للحائض والنفساء والجنب ، ولم يخالف في ذلك واحد من الصحابة ، لكن جوزّه داود وابن حزم الظاهري .

وما استدل به الأئمة قول الله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿[الواقعة ٧٧ - ٧٩] بناء على أن المراد بالكتاب هو المصحف ، وأن المس هو اللمس الحسى المعروف .

وقد نقّش هذا الدليل بأن الكتاب المكنون فسرّه بعضهم باللوح المحفوظ ، والمطهرون هم الملائكة . أو أن الكتاب لو أريد به المصحف فالمطهرون هم المطهرون من الشرك ، لأنّ المشركين نجس وصحّح ابن القيم^(١) أن المراد بالكتاب هو الذى بأيدي الملائكة ، وأورد في ذلك عشرة وجوه ذكرتها في الجزء الثاني من موسوعة الأسرة .

كما استدل الأئمة بحديث عمرو بن حزم في الكتاب الذى أرسله النبي معه إلى اليمن وفيه «لا يمس القرآن إلا طاهر»^(٢) .

١- التبيان في أقسام القرآن ، ص ١٤١ .

٢- رواه النسائي والدارقطني ، وقال ابن عبد البر : إنه أشبه بالمتواتر ، لتلقى الناس له بالقبول ، وقال بعض العلماء : إن إسناده حسن ، لكن النووى حكم بضعفه ، لأن في إسناده راوياً ضعيفاً .

واستدلوا أيضاً بحديث ابن عمر مرفوعاً «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر»^(١) ودليل داود وابن حزم على عدم حرمة حمله ومسه ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ بعث كتاباً إلى هرقل فيه آية : ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...﴾ وهو وغيره ممن أرسلت إليهم الكتب لا يطهرون من الجنابة، وأجاب الأئمة على ذلك بأن الرسالة لا تسمى مصحفاً ولا مانع من ذلك مثل حمل كتب الدين التي فيها قرآن . من هنا نرى أن حمل المصحف أو مسه للحائض والجنب أدلة تحريمه لم تسلم من المناقشة ، واحتراماً للمصحف يكون حمله أو مسه لغير المتطهر مكروهاً على الأقل ، هذا في حال الجنابة ، أما إذا كان هناك حدث أصغر فالحكم كما يلي :

- ١- جمهور العلماء على حرمة مس المصحف وحمله ، وذهب إليه مالك والشافعي وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه ، وأدلتهم هي الأدلة السابقة بالنسبة للجنب .
- ٢- جوز بعض العلماء ذلك ، وذهب إليه أبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه ، كما جوزه داود بن علي .

وقد استثنى بعض المحرمين لحمل المصحف ومسه مع الحدث الأصغر الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، لحاجتهم إلى حفظ القرآن وتيسيره عليهم ، على أن الصبي لو تطهر فطهارته ناقصة لعدم صحة النية منه ، ويقاس عليهم الكبار المحتاجون لحفظ القرآن ، أما من أجل التباعد فلا بد من الطهارة .

هذا ، وقراءة القرآن بدون مس المصحف أو حمله جائزة لمن عليه حدث أصغر ، وذلك باتفاق الفقهاء ، وإن كان الأفضل الطهارة ، وبخاصة إذا كان يقصد التباعد ، فالعبادة مع الطهارة أكمل وأرجى للقبول^(٢) .

كما استدل المحرمون لحمل المصحف أو مسه بدون طهارة بحديث «لا يمس القرآن إلا طاهر»^(٣) وكذلك استدلوا بحديث «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر»^(٤) . كما استدلوا بمنع أخت عمر بن الخطاب من مسه للصحيفة التي كانت تقرؤها لأنه رجس^(٥) .

١- ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال : رجاله موثقون . وقال الحافظ : إسناده لا بأس به لكن فيه راو مختلف فيه .

٢- راجع الجزء الثاني من كتابي : موسوعة تحت رعاية الإسلام ، ففيها توضيح أكبر .

٣- رواه النسائي والدارقطني والأثرم . وهو حديث قوى قيل إنه أشبه بالمتواتر وقيل إنه حسن .

٤- ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» برجال موثقين . ٥- رواه الدارقطني .

ونوقشت أدلة المحرّمين وأدلة المجيزين .

هذا في حال الجنابة ، أما في الحدث الأصغر فجمهور العلماء على حرمة مس المصحف وحمله ، وهو مروى عن كثير من الصحابة والتابعين ، وذهب إليه من أئمة الفقه مالك والشافعي وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه . وأجاز بعض العلماء ذلك ونقل عن جماعة من السلف ، وذهب إليه أبو حنيفة في رواية عنه ، كما جوزه داود ابن علي . واستثنى بعض من حرم مس المصحف وحمله من الحدث الأصغر الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم لحاجتهم إلى حفظ القرآن ، ويقاس عليهم الكبار المحتاجون لحفظ القرآن فرخص لهم مسه وحمله في الحدث الأصغر من أجل تيسير الحفظ وليس من أجل التعبد بالتلاوة ، فتشترط للمسّه وحمله الطهارة .



س : عندي شرائط مسجلة عليها سور من القرآن الكريم ، هل يجوز لي أن أحملها أو أمسها وأنا غير متطهر ؟

ج : اتفق جمهور الفقهاء على عدم جواز حمل المصحف ومسّه بدون طهارة من الحدثين الأكبر والأصغر ، استناداً إلى قوله تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة : ٧٩] وقول النبي ﷺ « لا يمس القرآن إلا طاهر »^(١) .

وهذا في القرآن المكتوب ، أما المسجل على أشرطة أو أسطوانات فإنه مكتوب بطريقة حديثة لم تكن معروفة من قبل ، فهو يسمع ولا يقرأ ، لأنه ليس بحروف يمكن أن ترى ويفطن لها ليعلم ما تدل عليه إلا بإعادة سماعها ، وإذا كان القرآن الذي يسمع من الأشرطة له الحكم في الإنصات له وتدبره ، غير أن الشريط نفسه لا يطلق عليه عرفاً أنه كتاب ولم يكن العرب يعرفونه حتى يدخلوه تحت اسم الكتاب ، ولهذا أرجح أنه لا يحرم مسه ولا حمله بدون طهارة ، وإن كانت الطهارة أكمل ، واحترام الشريط في حد ذاته راجع إلى نية الإنسان وتحديد موقفه منه ، وعلى كل حال فلا احتياط أفضل .



١ - رواه النسائي وغيره ، وقال ابن عبد البر : إنه أشبه بالمتواتر لتلقى الناس له بالقبول .

س : هل يجوز دخول بيت الخلاء بحلية أو كتاب فيه اسم الله أو شيء من القرآن؟

ج : روى أصحاب السنن وصححه الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء نزع خاتمه ^(١) ، وقد صح أن نقش خاتمه كان «محمد رسول الله» وذلك أن بيوت الخلاء مستقدرة وتأوى إليها الشياطين والحشرات والهوام ، ولذلك كان النبي ﷺ إذا أراد أن يدخلها يقول «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» ^(٢) ، والخبث بضم الخاء والباء جمع خبيث ، والخبائث جمع خبيثة ، والمراد بهم ذكور الشياطين وإناثهم ، وليس من اللائق أن توضع الأشياء الكريمة أو يدخل بها في مثل هذه الأمكنة .

هذا هو حكم الدخول بأى شيء فيه اسم الله مثل «ما شاء الله» أما الدخول بالقرآن أو بأية منه فقال الأحناف والشافعية بكراهته ، وقال المالكية والحنابلة بحرمة ، وذلك لمجرد الدخول إذا كان حامله طاهرا أما إذا كان غير طاهر من الحدثين فإنه يحرم حمله بصرف النظر عن الدخول وعدم الخلاء به في بيت الخلاء ، وذلك عند الشافعية .

ثم قالوا : محل حرمة الدخول أو كراهته إذا لم يكن القرآن مستورا بما يمنع وصول الرائحة الكريهة إليه ولم يخف الضياع عليه ، فإن اتخذ كحجاب مجلد ، أو خاف ضياعه أو ضياع الحلية المكتوب عليها القرآن جاز الدخول به . فالمرأة الحاملة لحلية القرآن إن كانت في بيتها يجب أو يستحب أن تخلعها عند دخول بيت الخلاء ، وذلك للأمن عليها . أما إذا كانت في سفر أو محل عام أو في محل عمل فيه غيرها وخافت عليها الضياع لو خلعتها فلا بأس بدخول بيت الخلاء وهي لا بسة لها ^(٣) .



١ - قال الترمذى حديث صحيح . ٢ - رواه البخارى ومسلم .

٣ - انظر : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة نشر وزارة الأوقاف ونيل الأوطار للشوكانى ج ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ، والفتاوى الإسلامية ، المجلد الخامس ص ١٥٩٩ ، غذاء الألباب للسفارينى ج ٢ ص ٢٤٦ .

س : عندما أنام أضع المصحف تحت الوسادة لمنع الشياطين والأحلام المفزعة ،
فما رأى الدين في ذلك ؟

ج : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٧﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة ٧٧ - ٧٩] .

تحدث العلماء عن مظاهر تكريم القرآن والمصحف الذى يحويه فأمرُوا بالطهارة عند
مسه وحمله ، وذلك له موضع لتفصيله ، ومن مظاهر التكريم عدم وضعه تحت الوسادة
عند النوم ، أو وضع أمتعة أو كتب فوقه ، أو عمل أى شيء يعتبر عرفاً إهانة له ، بل جاء
فى كتاب «المصاحف» لابن أبى داود أن وضع المصحف على الأرض غير لائق ، وأورد
فى ذلك أثراً لم يبين درجته من القبول والرفض ، أن رسول الله ﷺ قال فيمن وضع كتاباً
من ذكر الله فى الأرض «لعن الله من فعل هذا ، لا تضعوا ذكر الله فى غير موضعه» .

وهذا فى وضع المصحف بغير نية الاحتقار والإهانة ، أما عند هذه النية فهو محرم
بالإجماع بل قال أكثر العلماء : إن من احتقر أو استهزأ بكتاب الله فهو كافر .
وقد تكون غير ذلك ، ولا نستطيع أن نجزم برأى فيه .

جاء فى «الإتقان» للسيوطى ^(١) ما نصه : يستحب تطيب المصحف وجعله على
كرسى ، ويحرم توسده ، لأن فيه إذلالاً له وامتهاناً ، كذا مد الرجلين إليه .
وقد يصور التوسد بالاتكاء عليه كالوسادة وبجعله وسادة للنوم كالمخدة ،
وكلاهما ممنوع .



س : ما حكم الدين فى وضع المصحف فوق التلفيزيون ؟

ج : لا حرمة فى وضع المصحف فوق التلفيزيون ما دام محفوظاً من الإهانة ،
وإن كان من الذوق عدم وضعه عليه أثناء إذاعة برنامج يتنافى مع الأدب وحرمة

١- ج ٢ ص ١٧٢ .

المصحف ، فإن لم تكن هناك إذاعة ، أو كان الذى يذاع لا حرمة فيه فلا مانع من وضع المصحف عليه .



س : يرى بعض الناس أن وضع المصحف مع الميت فى القبر يشفع له ، فهل هذا صحيح ؟

ج : ليس صحيحاً أن مجرد وضع المصحف مع الميت يشفع له ، فإن وضعه ليس من عمله وإنما هو من عمل غيره ، والميت ينفعه عمله هو ويشفع له عند الله ، وكذلك ينفعه عمل غيره مما نص عليه الدين ، وهو الدعاء له ، والصدقة عليه ، وهبة القربات من الصلاة النافلة والصيام وقراءة القرآن والحج والعمرة .
وأما وضع المصحف معه فلن يشفع له ، وهو غير جائز ، لأن المصحف متعرض للتلوث ، وذلك لا يجوز .



س : هل صحيح أن النظر فى المصحف عبادة ؟

ج : روى أبو داود فى ضمن حديث عن النبى ﷺ «النظر فى المصحف عبادة ، والنظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر إلى وجه الوالدين عبادة» وروى الطبرانى والبيهقى حديثاً فيه «قراءة الرجل فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضاعف ذلك إلى ألفى درجة» وروى أبو عبيد القاسم بن سلام ^(١) «فضل القرآن نظراً على من قرأه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة» .

وعن ابن عباس : كان عمر إذا دخل البيت نشر المصحف يقرأ فيه . وعن الشعبى أنه كان يصلى العتمة - العشاء - ويضع المصحف فى يديه فما يطبقه حتى الصباح . وقال أحمد بن حنبل ، كان أبى يقرأ فى كل يوم شيئاً من القرآن فى المصحف لا يتركه نظراً .

١ - فى كتابه فضائل القرآن .

هذه أحاديث وآثار لا أعرف لها سنداً صحيحاً ، وكيف نفهم أن عمر كان ينشر المصحف يقرأ فيه ، هل له مصحف خاص ، وكيف كتبه ؟ مع أن المصحف المعتمد الوحيد كان عند حفصة بنته ، ومنه عملت نسخ في عهد عثمان .

المهم أن هذه الآثار ترغب في تلاوة القرآن ، وتبين فضل النظر في المصحف ، ولكن الفضل ليس لمجرد النظر ، بل للقراءة . ومن هنا اختلف العلماء : هل القراءة من الحفظ أفضل أم من النظر في المصحف ؟

قال النووي ^(١) : قراءة القرآن في المصحف أفضل من حفظه ، هكذا قال أصحابنا ، وهو مشهور عن السلف رضى الله عنهم . وهذا ليس على إطلاقه ، بل إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكير وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ، وإن استويا فمن المصحف أفضل ، وهذا مراد السلف ، انتهى .

ولم يستند النووي إلى حديث مروي عن النبي ﷺ في ذلك ، وهذا يدل على أن الوارد لا يعتمد عليه في حكم النظر إلى المصحف .



س : بعض أوراق المصحف تأكلت فهل يجوز أن أتخلص منها بإحراقها أو برميها في مكان غير نظيف ؟

ج : لا مانع من إحراق أوراق المصحف للمحافظة عليها من التعرض للإهانة ، وقد أمر عثمان بن عفان رضى الله عنه بإحراق ما عدا مصحفه ، من المصاحف التي كانت عند بعض الصحابة ، وذلك من أجل المحافظة على القرآن ولم ينكر عليه .

ولا يجوز أن تلقى أية ورقة من المصحف على الأرض أو في مكان قدر مادام فيها حرف من كلام الله تعالى ، ولو حدث ذلك على سبيل الإهانة والاحتقار كان كفراً .

١- في كتابه : الأذكار ص ١١١ .

جاء في «الاتقان» للسيوطي ^(١) ما نصه : إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه فلا يجوز وضعها في شق أو غيره ، لأنه قد يسقط ويوطأ ، ولا يجوز تمزيقها ، لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم ، وفي ذلك إضرار بالمكتوب ، كذا قاله الحلبي . قال : وله غسلها بالماء ، وإن أحرقتها بالنار فلا بأس . أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراءات منسوخة ولم ينكر عليه .

وذكر غيره أن الإحراق أولى من الغسل ، لأن الغسالة قد تقع على الأرض . وجزم القاضي حسين في تعليقه بامتناع الإحراق ، لأنه خلاف الاحترام ، والنوى جزم بالكراهة ، وفي بعض كتب الحنفية أن المصحف إذا بلى لا يحرق ، بل يحفر له في الأرض ويدفن ، وفيه وقفة ، لتعرضه للوطء بالأقدام .

هذا ما قاله العلماء في التخلص من أوراق المصحف التي تمزقت أو تآكلت ، وقد يكون الإحراق أخف طريقة لذلك مع توفر النية الصالحة في أن ذلك لصيانة القرآن وعدم احتقاره وتعريضه للإهانة والأعمال بالنيات .



س : هل يجوز أخذ الفأل من المصحف ؟

ج : الفأل كما يقول الماوردي ^(٢) فيه تقوية للعزم وباعث على الخير ، ومعونة على الظفر . وقد جاء في السنن والآثار أن النبي ﷺ كان يحب الفأل الحسن ، ويسأل عن اسم الرجل والبلد ، فإن كان حسنا استبشر وفرح ، وإلا رؤيت الكراهة في وجهه . وحوادثه في ذلك كثيرة ، فقد تفاعل عندما جاءه سهيل بن عمرو في الحديبية وقال «سهل لكم من أمركم» وتفاعل يوم خيبر لما رأى مكاتلهم في مساحيهم ، كما ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» وحسنه ، ويمكن الاطلاع على كتاب «مفتاح دار السعادة» لابن القيم ففيه معلومات كثيرة .

١- ج ٢ ص ١٧٢ .

٢- في كتابه «أدب الدنيا والدين» .

وإذا كان النبي ﷺ يرتاح للاسم الحسن فليس معنى ذلك أنه يربط هذا السبب بنتيجة محققة دون تدخل لإرادة الله سبحانه ، فقد نهى عن ذلك فيما كان عليه العرب من التطير والرقى والتهايم والعدوى وغيرها ولهذا روى عنه أن الذى يتطير أو يتشاءم يُسنُّ له أن يقول : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك . ثم يذهب لحاجته فلن يضره شيء .

وذلك تذكير للإنسان بوحداية الله سبحانه ، وأنه هو وحده الذى يملك الخير والشر ، ولا تأثير لهذه الأمور بذاتها . ومن هنا حرم الإسلام محاولة معرفة المستقبل عن طريق الكهانة والعرافة والتنجيم وضرب الرمل والورق وغيرها . ووردت فى ذلك أحاديث كثيرة .

وقال العلماء : لا يجوز أخذ الفأل من المصحف مع هذا الاعتقاد ، وجاء فى كتاب «أدب الدنيا والدين» للماوردى أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاعل يوما فى المصحف ، فخرج قوله تعالى ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم ١٥] فمزق المصحف وأنشأ يقول :

أتوعدنى بجبار عنيد فها أنذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم الحشر فقل : يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث أياما حتى قتل شر قتله ، وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده .

هذا ، وقد يحدث أن بعض الناس يعملون استخارة بالمصحف ، بأن يربطوه على مسمار ، ثم يحملوا المسمار على إحدى الأصابع ، ويقولوا كلاما فيتحرك المصحف ويدور يمينا أو يسارا ، ومن هنا يعرفون إن كان الموضوع الذى عملت له الاستخارة خيرا أو شرا .

وهذا كله لم يأت خبر صحيح بجوازه ، والاستخارة الشرعية معروفة وهى صلاة ركعتين ، ثم الدعاء بعدهما بالدعاء المعروف الوارد عن النبي ﷺ وسنفضلها فى موضع آخر إن شاء الله .



س : هل صحيح أن الله عوض والد الغلام الذى قتله الخضر فتاة تزوجت نبيا
وولدت نبيا ومن هما هذان النبيان ؟

ج : جاء فى تفسير القرطبى ما نصه : وعن ابن جبير وابن جريح أنهما بدّلا
جارية. قال الكلبي : فتزوجها نبي من الأنبياء ، فولدت له نبيا ، فهدى الله على يديه
أمة من الأمم .

وقال قتادة : ولدت اثني عشر نبيا ، وعن ابن جريح أيضا أن أم الغلام يوم قتل
كانت حاملا بغلام مسلم وكان المقتول كافرا .

وعن ابن عباس : فولدت جارية ولدت نبيا ، وفى رواية : أبدلها الله به جارية
ولدت سبعين نبيا ، وقال جعفر بن محمد عن أبيه ، قال علماؤنا : وهذا بعيد جدا ،
ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا فى بنى إسرائيل ، وهذه المرأة لم تكن منهم . انتهى .

يؤخذ من هذا الكلام أن هناك رأيين فى بدل الغلام المقتول ، رأيا يقول بأنه غلام
مسلم كما قال ابن جريح ، ورأيا يقول بأنه جارية أى بنت ، وهذه البنت قيل : إنها ولدت
نبيا كما قال الكلبي وابن عباس ، وقيل : ولدت اثني عشر نبيا كما قال قتادة ، وقيل :
سبعين كما فى رواية عن ابن عباس . وذكر الخازن فى تفسيره ذلك أيضا . وتضارب هذه
الأقوال فى نوع البدل وفى عدد الأنبياء المولودين منه يدل على أنه ليس هناك دليل
صحيح يعتمد عليه القائلون بذلك ، وبصرف النظر عن صحة هذه الأقوال وعدم
صحتها فإن الجدل فى ترجيح أحدها جدل عقيم لا يجوز فيه التعصب، مع العلم بأن
الجهل بذلك لا يضر ، والعلم به لا يفيد فائدة تذكر ، وينبغى الاهتمام بغير هذه المسائل
التي لاتعدو أن تكون ترفاذهنيا . وأحداث الحياة بإيقاعها الشديد أولى بالاهتمام .



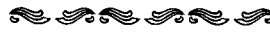
س : نرجو تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾
ومالمراد بالكتاب ومن هم المصطفون من العباد ؟

ج : يقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ
لِّنَفْسِهِ. وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ

الْكَبِيرُ ﴿ [فاطر : ٣٢] المراد بالكتاب جنسه وهو الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل ، وقيل : إن المراد بالكتاب القرآن فلفظ «ال» إما للجنس وإما للعهد .
والمصطفون من العباد الذين ورثوا الكتب السابقة قيل هم الأنبياء الذين نزلت عليهم هذه الكتب أو أمروا باتباعها ، لكن هذا يتنافى مع تقسيم العباد ، حيث جعل منهم الظالم لنفسه وهو الكافر الذى لم يؤمن ، أو العاصى ، والأنبياء منزّهون عن الكفر والعصيان .

وقيل هم عامة الناس الذين نزلت الكتب إليهم ، ويمكن أن يقسّموا إلى ظالمين لأنفسهم ومقتصدين وسابقين بالخيرات .

وإذا كانت «ال» للعهد ويراد بالكتاب القرآن الكريم . الذى هو جامع للأصول الموجودة فى الكتب السابقة فالمصطفون من العباد هم أمة محمد ﷺ الذين آمنوا به ، والظالم لنفسه هو المؤمن العاصى الذى زادت سيئاته على حسناته ، والمقتصد هو المؤمن الذى استوت حسناته وسيئاته ، والسابق بالخيرات هو الذى زادت حسناته على سيئاته .
هذا بعض ما قيل فى تفسير الآية ، وهناك أقوال أخرى يرجع إليها فى كتب التفسير .



س : لليهود دور كبير فى التاريخ من قبل الإسلام ومن بعد الإسلام ، وتحدث القرآن عنهم بأنهم أفسدوا وسيفسدون ، وقال «وإن عدتم عدنا» فما هى الصفات المتأصلة فيهم من وجهة نظر الدين ؟

ج : القرآن الكريم حدّد الشخصية الأخلاقية لليهود ، وتحدّث عنهم فى إنصاف ، فمدحهم حين يستحقون المدح ، وذمهم حين يارسون ما يذمون عليه ، وكان ذمهم طاغيا على مدحهم لما جبلوا عليه من أخلاق وما قاموا به من تصرفات منكرة ، فمما ورد فى مدحهم قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية : ١٦] أى على عالمى زمانهم .

ومن أخلاقهم المذمومة ما يأتى :

- ١- الكذب على الله ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥] ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١] ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ۖ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة: ١٨] .
- ٢- حبهم لسباع الكذب : قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ [المائدة: ٤١] ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة: ٤٢] .
- ٣- التمرد على الله : قال تعالى : ﴿ فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِمَّنْ قَبْلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣] وهو ميثاق مع الله بالصلاة والزكاة والإيمان بالرسول ومساعدتهم والقرض الحسن .
- ٤- التمرد على الرسل : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْسُكُ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَقٌّ نَرَى اللَّهَ جَهَنَّمَ ﴾ [البقرة: ٥٥] ﴿ كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠] ﴿ قَالُوا يَمْسُكُ إِنَّا لَنَدَخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] .
- ٥- الجدل والمراء : قال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ﴿ قَالُوا أَذْءُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة: ٧٠] .
- ٦- كتمان الحق والتضليل : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْسِنُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢] ﴿ يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [آل عمران: ٧٨] .
- ٧- النفاق : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤] ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة: ٤٤] .

- ٨- إيثار المنفعة الشخصية والأناية الطاغية : قال تعالى : ﴿ أَفَكَلَمَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [البقرة : ٨٧] ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِينَ سَكِيلٌ ﴾ [آل عمران : ٧٥] .
- ٩- حب الشر للناس والسعى في إفسادهم : قال تعالى : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .
- ١٠- كراهية الخير لغيرهم : قال تعالى : ﴿ إِن تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٥٤] .
- ١١- الكبر والتعالى على الناس : قال تعالى : ﴿ تَحَنُّنُ آبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ ﴾ [المائدة : ١٨] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ٤٩] ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِينَ سَكِيلٌ ﴾ [آل عمران : ٧٥] .
- ١٢- الاستغلال والانتهازية : قال تعالى : ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَلْهِمَهُمْ آمَوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء : ١٦١] ﴿ أَكْثَلُونَ لِلشُّحِّ ﴾ [المائدة : ٤٢] .
- ١٣- عدم الأدب في الخطاب : قال تعالى : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٤٦] .
- ١٤- سهولة الاغتيال : قال تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمُ الْحَقَّ ﴾ [البقرة : ٦١] .
- ١٥- قسوة القلب وجمود العاطفة : قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً ﴾ [البقرة : ٧٤] .
- ١٦- عدم الوفاء بالعهود : قال تعالى : ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة : ١٠٠] .

١٧- تبلد حسهم وموت ضميرهم الأدبي : قال تعالى : ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة : ٧٩] ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُزْعِرُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَأَكَلِهِمُ السَّحْتُ﴾ [المائدة : ٦٢] .

١٨- التحايل على المخالفة : قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة : ٦٥] ويفسر ذلك قوله تعالى : ﴿إِذْ
يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ
لَا تَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف : ١٦٣] .

١٩- الجبن : قال تعالى : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ لَا يَقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ
بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر : ١٣ ، ١٤] . ﴿لَا طَاقَةَ
لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى
حَيَوةٍ﴾ [البقرة : ٩٦] .

٢٠- البخل : قال تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾
[النساء : ٥٣] ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة : ٣٤] .

٢١- تحريف الكتب المقدسة : قال تعالى : ﴿قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ
يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة : ٧٩] . ﴿مِنَ الَّذِينَ
هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء : ٤٦] .

٢٢- استباحة الكفر في سبيل تحقيق أغراضهم : قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء : ٥١] . ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة : ٨٠] .

هذه صورة من أخلاق اليهود كما وصفها القرآن الكريم . تمردوا على تعاليم
اليهودية السماوية واستبدلوا بها تعاليم أخرى زعموا أنها أفضل من التوراة

«التلمود» ومن أجل هذا لفظتهم كل الدول التي يحلون بها وتاريخ طردهم من بلاد أوروبا مسطر في الكتب ، ويؤكد خبث نيتهم ما تركز أخيرا في صورة بشعة هي الصهيونية بأساليبها الوحشية المعروفة ، وإذا كان الله سبحانه قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله فما ظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، وإذا كان الله قد تأذن لبيعن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فذلك يعطينا الأمل في نصر الله لنا عليهم إن نصرناه بالإيمان القوى والتسلح بكل سلاح مادي ومعنوي ، مع وحدة تجمع الكلمة وتعمل للصالح العام ^(١) .



س : يقول الله سبحانه : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (١٧٦) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] فيمن نزلت ، وما كيفية الانسلاخ ، ولماذا شبه بالكل دون غيره ، وفي أي عصر كان يعيش هذا الرجل ؟

ج : اختلف في تعيين الرجل المذكور ، فقال ابن مسعود وابن عباس : هو بلعام ابن باعوراء ، وقيل تاعم ، وهو من بني إسرائيل ، عاش في زمن موسى عليه السلام وكان بحيث إذا نظر رأى العرش ، وهو المعني بقوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا ﴾ ولم يقل آية ، وكان في مجلسه اثنتا عشرة ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث إنه كان أول من صنف كتابا في أنه ليس للعالم صانع .

معنى هذا أنه كان صالحا ثم ضل ، وهو معنى الانسلاخ ، أي نزع الله منه العلم الذي كان يعلمه والإيمان الذي كان يلبس ثوبه .

وقيل : نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا في ذلك الوقت ، وتمنى أن يكون هو ذلك الرسول ، فلما أرسل الله

١ - انظر كتابنا : دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة .

النبي ﷺ حسده وكفر به ، وهو الذي قال فيه الرسول «آمن شعره وكفر قلبه» وهناك أقوال أخرى ذكرها القرطبي في تفسيره ، وليس لواحد منها سند صحيح يوثق به ، وقال : إن القول الأول أشهر وعليه أكثر المفسرين .

ولو أن هذا الرجل بقى على الهدى لأماته الله مؤمنا ورفع شأنه ، ولكنه اتبع هواه وسار مع الشيطان ورغب في الدنيا فكانت خاتمته سيئة ، وقد شبه الرجل بالكلب يلهث دائما على كل حال ، إن طرده أو لم تطرده ، يقول ابن جرير : الكلب منقطع الفؤاد ، لا فؤاد له [كذا] إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، كذلك الذي يترك الهدى لا فؤاد له ، وإنما فؤاده منقطع ، وقال القتيبي : كل شيء يلهث فإنما يلهث عن إعياء أو عطش ، إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال المرض وحال الصحة ، وحال الرى وحال العطش ، فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته ، فقال : إن وعظته ضل وإن تركته ضل ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٣] .

وهذا المثل في قول كثير من أهل العلم بالتأويل عام في كل من أوتى القرآن فلم يعمل به . هذا من أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية ، والأقوال كثيرة في كتب التفسير وهى اجتهدية ليست قاطعة ، وتكفيها العبرة من المثل .



س : من هم أصحاب السبت وما قصتهم ؟

ج : قال تعالى في حق اليهود ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة : ٦٥] . حَرَّمَ الله عليهم صيد السمك يوم السبت عقابا وامتحانا لهم ، فكثر السمك يوم السبت فلم يطبقوا الصبر على الامتحان ، فتحايلوا وحسوه إلى أن ينتهى اليوم فيصطادوه بعد ذلك . قال تعالى : ﴿ وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٣]

فمسخ الله المعتدين قردة وخنازير ، أى جعل أخلاقهم كأخلاقها ، وقيل : بل مسخهم الله شكلاً وموضوعاً ، فكانوا قردة وخنازير ، ثم قيل : إن الله أهلهم بعد ذلك حتى لا يتناسلوا ، وقيل ، بل بقوا وتناسلوا .

والقرية قيل : هى «أيلة» أو هى «مدين» بين أيلة والطور ، وقيل «طبرية» وقيل : هى سواحل الشام . وذلك لا يهم .

وذكر المفسرون أن هذه القصة كانت في زمن داود عليه السلام ، وأن إبليس أوحى إليهم فقال : إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت ، فاتخذوا الحياض ، فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء ، فيأخذوها يوم الأحد . وبهذه الحيلة كثر صيد الحيتان ، ورأى الناس أن من صنع هذا لا يبتلى ، فغمرت الأسواق بها ، وأعلن الفسقة بصيدها ، فقامت فرقة من بنى إسرائيل ونهت وجاهرت بالنهى واعتزلت ، وقيل : إن بنى إسرائيل افترقت ثلاث فرق ، فرقة عصت وصادت ، وكانوا نحواً من سبعين ألفاً ، وفرقة نهت واعتزلت ، وكانوا اثني عشر ألفاً ، وفرقة اعتزلت ولم تنه ولم تعص ، وأن هذه الفرقة قالت للناحية كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٤] .

ويكفى هذا القدر للإجابة على السؤال وفى كتب التفسير متسع لمن أراد أن يستزيد والمهم أن نأخذ العبرة فلا نعصى أوامر الله ، ولا نسكت عن النهى عن المنكر حتى لا نجازى بما يجازى به العاصون . قال تعالى عن هذه القصة : ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٦٦] وقال : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّرِّ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿

[الأعراف : ١٦٥ ، ١٦٦]



س : هل الأرض سبع كما أن السموات سبع ؟

ج : روى الحاكم في المستدرک وقال صحيح الإسناد ، وروى البيهقي في شعب الإيمان وقال : إسناده صحيح عن أبي الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] قال : سبع أرضين . في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وإبراهيم كإبراهيمكم وعيسى كعيساكم . قال البيهقي : إسناده هذا الحديث إلى ابن عباس صحيح ، إلا أنى لا أعلم لأبي الضحى متابعا ، فهو شاذ ، لأنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن كما تقرر في علوم الحديث ، لاحتمال أن يكون في المتن شذوذ أو علة تمنع صحته . وما دام الحديث ضعيفا فلا داعى للقول بأن سكان هذه الأرضين من البشر أم من غيرهم ، وهل الرسل فيها كانوا مقارنين لرسل هذه الأرض التى يسكنها بنو آدم .

هذا ، ومثلية الأرضين للسموات قد تكون مثلية كم أو كيف ، أى مثلية في العدد ، أو مثلية في إبداع الخلق ودقة الصنع والاحتواء على الآيات والدلائل الشاهدة على عظمة الخلق والخالق .

وندع العقل يجول في الكشف وفى الاستنتاج ، وإذا وصل إلى حقيقة مقررة ثابتة فإنها لا تتعارض أبدا مع كلام الله سبحانه ، وكلام الله هو الأصل ، وغيره يقاس عليه ويحاكم إليه ، إذا اتضح معنى النص ولم يحتمل عدة معان وتأويلات . والاحتياط واجب في عدم حمل آيات القرآن على ما يقال من كشوف لم تتعد حدود النظريات والافتراضات .

وقد تكون من الأراضى المريخ وزهرة وعطارد لتشابه العناصر المكونة لها مع عناصر الأرض .



س : هل يوجد سبع أرضين كما توجد سبع سموات ، وما الدليل على ذلك ؟

ج : قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] وجاء في الأحاديث « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين

السبع وما أقللن..» كما جاءت أحاديث أخرى تذكر أن الأرض سبع أرضين ، وللمفسرين في ذلك أقوال ثلاثة :

١- أن الأرض سبع طبقات بعضها فوق بعض ، وبين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء . وفي كل أرض سكان من خلق الله ، وهذا قول الجمهور كما ذكر القرطبي ^(١) .

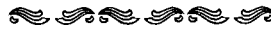
٢- أنها سبع طبقات بعضها فوق بعض ، من غير فتوق ومسافات ، بخلاف السموات ، وهذا قول الضحاك .

٣- أنها سبع أرضين منبسطة ، يعنى ليس فوق بعض ، وإنما تفرق بينها البحار وتظلمها سماء واحدة ، وقد تكون هى الأرض التى نعيش عليها مقسمة إلى قارات ، أى كتل منفصلة بالبحار والمحيطات ، يعرف منها آسيا وأوروبا «أوراسيا» وأفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، وأستراليا والقارة القطبية الشمالية ، والقارة القطبية الجنوبية .

هذا ، وقد روى الحاكم في المستدرک وقال صحيح الإسناد ، وروى البيهقي في شعب الإيمان وقال : إسناده صحيح عن أبى الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى معنى الآية : هناك سبع أرضين ، فى كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم ، وإبراهيم كإبراهيمكم وعيسى كعيساكم ، قال البيهقي : إسناده هذا الحديث إلى ابن عباس صحيح ، إلا أنى لا أعلم لأبى الضحى متابعا ، فهو شاذ ، وقد تكون مثلية الأرضين للسموات مثلية كم أو كيف ، أى مثلية فى العدد ، أو مثلية فى إبداع الخلق ودقة الصنع والاحتواء على الآيات والدلائل الشاهدة على عظمة الخلق والخالق .

وكل الأقوال اجتهادات فى التفسير ليس على أحدها دليل قاطع ، وذلك إذا أردنا بالرقم «٧» حقيقته العددية ، بخلاف ما لو أردنا التعبير عن الكثرة بصرف النظر عن حدودها . ولعلماء اليوم اجتهادات قائمة على ظنون وافتراضات ،

والقدر الواجب علينا معرفته هو أن الأرض سبع لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه ،
وقد ذكر القرآن عددها كما ذكر عدد السموات لبيان قدرة الله وسعة كونه ،
وإحاطة علمه بكل شيء ، وهذا القدر كاف في صحة الإيمان بما في القرآن مع
تشجيع العلم على مواصلة البحث للوصول إلى حقائق تؤكد أن القرآن حق كما قال
سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ
يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .



س : هل توصل العلماء إلى تحقيق أن الأرضين سبع كما قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ ؟

ج : إضافة إلى الإجابة السابقة نقول : كلام الله صادق لا ريب فيه ، ويجب
الإيمان به كما يجب الإيمان بالغيب الذي لم نره ، ولكن ذلك لا يمنع البحث في
تركيب الأرض لمعرفة طبقاتها ، وسواء وصل البحث بطريقة علمية ثابتة إلى أن
طبقات الأرض سبعة أم لم يصل فالإيمان بكلام الله واجب .

وقد نشر الدكتور محمود سراج الدين محمود عفيفي - بقسم الكيمياء بكلية
العلوم بجامعة الأزهر - بحثا قال فيه : أثبتت الدراسات الجيوفيزيائية أن الجسم
الصلب في الأرض مكون من :

- ١- القشرة الأرضية .
- ٢- طبقة من السليكات الخفيفة والثقيلة .
- ٣- طبقة من الأكاسيد والكبريتيدات .
- ٤- سائل من الحديد والنيكل .
- ٥- نواة الأرض المكونة أيضا من الحديد والنيكل ، فإذا أضفنا إليها .
- ٦- الغلاف الجوى .
- ٧- الغلاف المائى ، أصبح العدد سبعة .

وأيضاً : بما أن المادة مكونة من ذرات تحمل كل صفات المادة فإننا نرى وحدانية الخالق في مكونات الأرض وهى الذرات المختلفة للعناصر المكونة للأرضية ومن المعروف أن جميع الذرات تتكون من مدارات رئيسية هى : k. L. M. N. O. P. Q. هى أيضاً سبعة تتنقل بينهما الإليكترونات لتعطينا كل الصفات الكيماوية والطبيعية والرقم «٧» لا يتوقف عند هذا ، فإن جائزتى نوبل لعامى ٦٣ ، ١٩٧٥ م أعطيت لعلماء لأنهم اكتشفوا أموراً متعلقة بالتركيب المدارى لنواة الذرة ، ظهر فيها رقم «٧»^(١).



س : ما هى المناسبة بين خلق الإنسان من علق والتعليم بالقلم في قوله تعالى :

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ ﴾ ؟

ج : سورة ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ هى أول ما نزل من القرآن الكريم كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها ، ووجه المناسبة بين الخلق من علق والتعليم بالقلم وتعليم العلم أن أدنى مراتب خلق الإنسان كونه علقه ، وأعلاها كونه عالماً ، فهو سبحانه امتن على الإنسان بنقله من أدنى المراتب وهى العلقه إلى أعلاها وهى العلم ، قال الزمخشري : فإن قلت : لم قال «من علق» وإنما خلق من علقه واحدة كقوله تعالى ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ قلت : لأن الإنسان فى معنى الجمع كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ أى الناس والأكرم هو الذى له الكمال فى زيادة تكرمه على كل كريم ، ينعم على عباده النعم التى لا تحصى ، ويجلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى وإطراحهم الأوامر ، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقترافهم العظام ، فما لكرمه غاية ولا أمد ، وكأنه ليس وراء التكریم بإفادة الفوائد العظيمة تَكْرُم ، حيث قال ﴿ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فدل على كمال كرمه بأنه علّم عباده ما لم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم . ونبه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة التى لا يحيط

بها إلا هو ، وما دونت العلوم الأول ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضببت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا ، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به .

ويتصل بهذا السؤال عن العلقة السوداء التي أخرجت من قلب النبي ﷺ في صغره حين شق فؤاده ، وعن قول الملك : هذا حظ الشيطان منك ، وقد أجاب الشيخ تقي الدين السبكي بقوله : تلك العلقة التي خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها ، فأزيلت من قلبه عليه الصلاة والسلام ، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي الشيطان فيه شيئاً . هذا معنى الحديث ، ولم يكن للشيطان فيه ﷺ حظ قط ، وإنما الذي نفاه الملك أمر هو في الجبلات البشرية ، فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في قلبه عليه الصلاة والسلام .

فقليل له : لم خلق الله هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان يمكنه ألا يخلقه فيها؟ فقال : لأنه من جملة الأجزاء الإنسانية ، فخلقه تكملة للخلق الإنساني فلا بد منه ، ونزعه كرامة ربانية طرأت بعده .

انتهى «الدميرى العلق حياة الحيوان الكبرى» .



س : يقول الله تعالى في سورة الطارق ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ فكيف يتفق هذا مع ما هو معروف أن الماء الدافق هو في الخصية؟

ج : هذه الآية من الآيات العلمية التي ما كان العرب يعرفون عنها شيئاً ، وبالتالي لم يكن النبي ﷺ ليعلم عنها شيئاً لولا نزول القرآن عليه من الله «والله يعلم وأنتم لا تعلمون» وذلك من أدلة صدق النبي ﷺ في دعواه الرسالة .

وقد ظل الناس قروناً طويلة يجهلون كيف يتخلق الجنين في بطن أمه حتى نزل القرآن فبين ذلك بدقة في سورة «المؤمنون» ووضحه النبي ﷺ في حديثه ، وهو

لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . وبين أن الإنسان يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم أربعين يوما علقه ثم أربعين يوما مضغة . .

والمفسرون للقرآن والشارحون للأحاديث كانوا يوضحون ذلك حسب المعلومات التى كانت عندهم مع استعانتهم بمعانى الألفاظ العربية التى نزل بها القرآن ، والترائب هى عظام الصدر ، وهل المراد صدر الرجل ، أو صدر المرأة الذى يقابله الصلب فى الرجل ؟ رأيان

وإليك نموذجا من التفسير :

أ - جاء فى تفسير القرطبى أن الإنسان يخلق من ماء الرجل الذى يخلق من صلبه العظم والعصب ، ومن ماء المرأة الذى يخرج من ترائبها اللحم والدم ، وقيل من صلب الرجل وترائبها ، ومن صلب المرأة وترائبها . ولم يوضح كيف تم الخلق بهذه الصورة .

ب - جاء فى تفسير الجواهر للشيخ طنطاوى جوهرى معتمدا فيه على ما فى تفسير الفخر الرازى : أن الدماغ مركز الإدراك وخليفته فى الجسم النخاع الشوكى المخزون فى الصلب ، والنخاع له شعب كثيرة تصل إلى جميع أجزاء الجسم ولن يتم اجتماع الرجل بالمرأة إلا بقوة الحس عن طريق الدماغ والنخاع الذى فى الصلب ، وكذلك بوجود زينة المرأة التى يغلب أن تكون على ترائبها ، أى على صدرها ، ولذا عبر عن الرجل بالصلب وعن المرأة بالترائب وهذا فحوى كلام الرازى وجوهرى ، وهو تفسير سطحى لعملية تكوين الجنين .

ج - وجاء فى تفسير القاسمى : أن المنى باعتبار أصله وهو الدم يخرج من شيء ممتد بين الصلب - فقرات الظهر فى الرجل - والترائب أى عظام صدره ، وذلك الشيء الممتد بينهما هو الأبر «الأورطى» وهو أكبر شريان فى الجسم يخرج من القلب خلف الترائب ويمتد إلى آخر الصلب تقريبا . ومنه تخرج عدة شرايين عظيمة ، ومنها شريانان طويلان يخرجان منه بعد شريانى الكليتين

وينزلان إلى أسفل البطن حتى يصلا إلى الخصيتين فيغذيانهما ، ومن دمهما يتكون المنى في الخصيتين ويسميان بشرياني الخصيتين أو الشريانين المنويين ، فلذا قال تعالى عن المنى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ لأنه يخرج من مكان بينهما وهو الأورطى أو الأبر .

د - هذا بعض ما جاء في كتب التفسير ، وهى محاولات لتقريب المعنى إلى المعهود الآن مما وصل إليه العلم ، ولا شك أن الكشف العلمية تتقدم يوما بعد يوم ، ثم رأينا فى أبحاث للمتخصصين أن الغدد التناسلية فى الجنين تكون أصلا فى المنطقة الواقعة بين عظام الظهر «الصلب» وعظام الصدر «الترائب» وهذا ما يدل عليه قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ سواء منه الذكر والأنثى ، فهى تخلق فى نفس المكان ، ولعل مما يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فكلمة : «بنى آدم» تشمل الذكر والأنثى ، وتفصيل ذلك يرجع فيه إلى المختصين ، وبخاصة فى علم الأجنة .

هذه صور من محاولات تفسير ما ورد فى القرآن من الأمور العلمية . ولعل فى الكشف المستقبل ما يوضح ذلك أكثر وأكثر ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ .



س . ما هى الظلمات الواردة فى قوله تعالى ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر : ٦] ؟

ج : الكلام فى تفسير هذه الظلمات كثير ، وأحسن ما قيل فيها أنها ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة . وهو المنقول عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك . وقيل : ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم ، وهذا مذهب أبي عبيدة ، يقول القرطبى : أى لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين ، أى أن الله سبحانه يخلق الإنسان فى بطن أمه طورا بعد طور ، من نطفة إلى علقة إلى مضغة

إلى عظام إلى لحم ، وقيل في معنى ﴿خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾ [الزمر : ٦] خلقاً في بطون أمهاتكم من بعد خلقكم في ظهور آبائكم ، ثم خلقاً بعد الوضع ، كما ذكره الماوردي .



س : ما معنى قوله تعالى ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : ٢٩] ؟

ج : السيماء هي العلامة وقد جاء في المراد منها أقوال عدة ، بعضها يجعلها في الدنيا وبعضها يجعلها في الآخرة ، ومن الأولى قول ابن عباس : هي السمات الحسن ، وقال بعض السلف : «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» روى هذا على أنه حديث مرفوع إلى النبي ﷺ والصحيح أنه موقوف على جابر . وقد رواه ابن ماجه ، وقال ابن الحربي : إنه غير مرفوع . وقال بعضهم عن السيماء : إن للحسنة نوراً في القلب وضياء في الوجه وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الناس . ومنه قول عثمان : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفتلات لسانه . وقال عمر : من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ونقل عن مالك أن السيماء هي ما يعلق بجباههم من الأرض عند السجود .

وأما ما يقال إنها هي الأثر الظاهر في الوجه على العين فقد سئل عنه مجاهد ، وهو من كبار التابعين المفسرين ، فقال منكراً لذلك : ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركة العنز ، وهو أقصى قلبا من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع .

ومن الثاني : أي كون السيماء في الآخرة ، ما قاله الحسن : إنها بياض يكون في الوجه يوم القيامة . ففي الصحيح «أن الله يأمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ، فمن أراد الله أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود» ^(١) .



١ - ذكر هذه الأقوال ابن كثير والقرطبي في التفسير .

س . من هم أصحاب الرس ، ومن هو النبي الذي أرسل إليهم ؟

ج : قال تعالى ﴿كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَشُودُ﴾ [ق : ١٢] . جاء في تفسير القرطبي لسورة الفرقان : أن الرس في كلام العرب هو البئر التي تكون غير مطوية أى غير مبنية ، والكلام كثير في بيان أصحاب الرس ، ولا يوجد مستند صحيح لهذه الأقوال ، فقيل : هم أهل أنطاكية الذين قتلوا حبشيا النجار مؤمن آل يس وطرحوه في البئر ، وقيل قوم من ولد يهوذا كانوا يعبدون شجرة صنوبر قتلوا نبيهم ورشوه في البئر . وقال وهب بن منبه : أرسل الله شعيبا إلى قوم حول بئر فكذبوه ، وقال قتادة : أصحاب الرس وأصحاب الأيكة أمتان أرسل الله إليهما شعيبا ، وقيل أصحابها قوم باليامة ، وقيل هم أصحاب الأخدود ، وقد يكون رسولهم ممن لم يقصهم الله على نبيه ، وقيل هم قوم حنظلة بن صفوان .
وعلى كل حال لا يضر الجهل بهم فليس فيهم خبر صحيح .



س : في الآيات القرآنية أن كل شيء يسبح الله ، فبأي لغة يكون هذا التسبيح ؟

ج : التسبيح معناه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ، وقد يكون ذلك بالقول وبالفعل ، وبآية صورة تنبئ عن ذلك كالصلاة وذكر الله تعالى ، وهذا التسبيح يلزمه الإيمان بوجود الله وبألوهيته ، ومثله السجود بمعناه العام وهو الخضوع واللجوء إليه ، والكون كله ساجد لله ومسبح له بهذا المعنى ، والنصوص في ذلك كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلَّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ قَدْ﴾ [النور : ٤١] وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج : ١٨] وقوله تعالى ﴿وَلَا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء : ٤٤] والتسبيح الذي يعتمد على اللغة ليس كل إنسان قادرا على فهمه ، فلكل من المخلوقات لغته ، ولا يفهمها إلا من خصه الله من

عباده المقربين كداود وسليمان عليهما السلام ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦].

وبعض العلماء يقول : إن التسييح باللغة يكون من الأحياء النامية كالحيوان والنبات ، وأما تسييح غيرها كالجماد فهو بمعنى الدلالة على وجود الله ووجوب عبادته ، وقال بعض آخر : قد يكون تسييح الجمادات بلغة خاصة كما جاء في إكرام الله لداود بقوله تعالى : ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ [ص: ١٨، ١٩].

والمهم أن كل الكائنات تسبح وتسجد وتخضع لقدرة الله ، ولكل لغتها وطريقتها في ذلك ، ومما جاء من النصوص والأخبار في هذا الموضوع إلى جانب ما ذكر :

١ - روي البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «لقد كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل» وفي غير هذه الرواية عنه رضي الله عنه : كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسييحه . وهناك عدة روايات في تسييح الطعام^(١).

٢ - روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : وقال رسول الله ﷺ «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن» قيل هو الحجر الأسود . وهناك عدة حوادث في تسييح الحصا في يد الرسول وأبي بكر وعمر^(٢).

٣ - حنين الجذع الذي كان يخطب إليه ، رواه البخاري وغيره ، وقيل إنه متواتر ، وسمع لحنيه صوت كصوت الناقة العشاء ، والكلام طويل عنه^(٣).

٤ - أخرج النسائي في سننه عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ نهى عن قتل الضفدع وقال «نقيقها تسييح»^(٤).

١ - مذكورة في الزرقاني على المواهب «ج ٥ ص ١٢١» .

٢ - المرجع السابق ص ١٢٠ .

٣ - الزرقاني على المواهب ج ٥ ص ١٣٣ .

٤ - أخرجه ابن سبيع في «شفاء الصدور» كما ذكره الدميري .

٥ - روى ابن ماجه في سننه ومالك في موطنه قول النبي ﷺ «لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» .

٦ - ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ بعض أقوال منقولة عن عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك أن الجبال يكلم بعضها بعضاً ، كما ذكر ما تقوله بعض الطيور^(١) ، وليس لذلك سند صحيح يعتمد عليه ، ثم قال : الصحيح أن الكل يسبح ، للأخبار الدالة على ذلك ، ولو كان التسبيح تسبيح دلالة فأى تخصيص لداود؟ وإنما ذلك تسبيح المقال ، بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح ، وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شيء ، فالقول به أولى .

وأقول : لقد أثبت العلم أن للحيوانات والطيور لغات تتفاهم بها ، فلا استحالة في كون كل المخلوقات تسبح بحمد الله بلغة خاصة بها ، وإن كنا لانفهمها ، كما أنه لا مانع من تفسير التسبيح بأنه بلسان الحال ليعتبر الإنسان ويؤمن ويسجد لله ويسبّحه ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس : ١٠١] .



س : ما معنى قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأحزاب : ٧٢] وهل كان العرض تخيراً أو إلزاماً وكيف كان الإنسان ظلوماً جهولاً؟ .

ج : في تفسير الأمانة في هذه الآية أقوال كثيرة ، وأرجح منها أنها هي التكليف الإلهية التي لا تؤدي إلا عن إيمان بالله الذي أمر بها ويمجزي عليها ثواباً وعقاباً ، ويقرب من هذا أنها هي الإيمان الذي يدفع إلى أداء التكليف الإلهية . ولعل مما يؤيد هذا القول حديث حذيفة بن اليمان قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين ، قد رأيت

أحدهما وأنا أنتظر الآخر . . حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة»^(١) وكما يؤيده حديث «الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة»^(٢) .

وعرض الله الأمانة على السماوات والأرض والجبال : إن أدوها أثابهم ، وإن ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيماً لدين الله عز وجل ألا يقوموا به . ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها ، قال النحاس : وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير .

ولعل إباء السموات والأرض والجبال للأمانة أساسه - كما قال ابن عباس - خشية التقصير فيها ، لأنها مفطورة على الطاعة ، راضية بما هيئت له من رسالة في الحياة ويوضحه قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت : ١١] وهذا يلتقي مع الرأي القائل بأن العرض معناه مقايضة التكاليف بجهد السموات والأرض والجبال وطبيعتها ، فلم يكن هناك تناسب . أما الإنسان ففي طبيعته تناسب لحمل الأمانة مع ما يلزمها من ثواب على الطاعة وعقاب على المعصية وقد قبل الإنسان هذه الأمانة دون أن تعرض عليه ، فلم يصرح القرآن بذلك كما قاله بعض المفسرين ، ولعل مبادرته للقبول كانت تفاؤلاً بالتوفيق لأدائها وأملا في عدم التقيد فيها ، ولأن طبيعته التي خلقه الله عليها تناسب مع قبول هذه التكاليف .

ثم قال العلماء : إن عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال كان عرض تخيير أما عرضها على الإنسان فكان عرض إلزام ، وعبرت الآية عن الإنسان الذي حمل الأمانة بأنه ظلم جهول ، لأنه كان ظلوماً لنفسه بالتقصير الذي آل إليه أمر الكثيرين ، وجهول حين خاطر بحمل الأمانة ولم يدر ما سيكون عليه مستقبل حاله من التقصير الذي يعرض له كل إنسان بدافع من الغرائز التي فطر عليها .



١- رواه البخاري ومسلم .
٢- رواه أحمد والبيهقي موقوفاً على ابن مسعود .

س : نرجو تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

ج : فى تفسير هذه الآية كلام كثير ، وبخاصة فى بيان المقصود من الأمانة ، لكن الجمهور على أن الأمانة تعم جميع التكاليف الشرعية ، عرضها الله على السموات والأرض والجبال : إن أدوها أثابهم ، وإن ضيعوها عذبهم ، فكروها ذلك وأشفقوا ، ليس معصية الله ولكن تعظيما لدين الله ألا يقوموا به .

ويروى فى ذلك أثر عن الترمذى الحكيم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « قال الله تعالى لآدم : يا آدم إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تقطعها ، فهل أنت حاملها بما فيها ؟ فقال : وما فيها يا رب العالمين ؟ قال : إن حملتها أجرت ، وإن ضيعتها عُدَّتْ . فاحتملها بما فيها ، فلم يلبث فى الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولى إلى العصر حتى أخرجته الشيطان منها » .

فالأمانة هى التكاليف ، وترتب الثواب على أدائها والعقاب على تضييعها لا بد له من حرية واختيار والمخلوقات غير الإنسان ليست لها هذه الحرية ، فهى مسيرة بقوانين ثابتة لا تملك الخروج عليها ، ولا تتحقق بها الطاعة والمعصية . ومن هنا كان الإنسان أصلح المخلوقات للعيش على الأرض ، ومتناسبا مع ما فيها من ماديات ومعنويات متقابلة بالتضاد أو التناقض . وهذا تكريم من الله للإنسان حيث اختاره لحمل هذه الأمانة .

وليس قوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ نقضاً لهذا التكريم ، فإن مجرد استعدادة لتلقى التكاليف دون غيره من المخلوقات هو مناط التكريم ، وكونه يفى بالعهد أو ينقض هو مظهر من مظاهر الاستعداد الذى ليس لغيره . فهو ظلم إن تعدى حدود التكليف وهو يعلم بها ، وجهول إن كان لا يعلمها وعنده أمانة العقل الذى يهديه إلى علمها ، وليس هناك كائن غير الإنسان يوصف بالظلم والجهل ، لأنه لا يعرف

حدا يقف عنده . وما وصف الإنسان بالظلم والجهل إلا لأنه يصح أن يوصف بضدهما من العدل والعلم كما قال المحققون . هذا بعض ما قيل في تفسير الآية . ولعل فيه الكفاية .



س : كيف يأمر الله نبيه بقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فهل وقع منه خطأ أو تقصير حتى يقول الله له ذلك ؟

ج : قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب : ١] .

المراد بالأمر هنا هو المداومة على التقوى ، ولا يقصد بها أن الرسول كان غير متق لله فأمره الله بالتقوى . ومثل ذلك كثير في القرآن الكريم .



س : قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝١٥ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝١٦﴾ [الفرقان ٤٥ ، ٤٦] نريد توضيحاً لذلك على ضوء العلم الحديث ؟

ج : المراد بالظل هو الجزء من الليل من طلوع الفجر إلى شروق الشمس على أصح الأقوال عند المفسرين كما قال القرطبي ، وذلك نعمة من الله سبحانه ، لأنها ساعة طيبة كما قالوا .

ولو شاء الله لأبقى هذه المدة ومنع الشمس من الطلوع ، لكنه سبحانه أذن للشمس أن تنسخ هذا الظل ، ونستظل بها على أنها نعمة ، فبضدها تتميز الأشياء ، ثم قبض الله هذا الظل بسهولة ، لأن كل أمر سهل ويسير على الله .

يقول القرطبي : فإذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضاً وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فأشرق على الأرض وعلى الأشياء إلى وقت غروبها .

واتجاه المفسرين في ذلك اتجاه امتنان من الله بالنعمة على عباده ، واتجه بعض المحدثين من العلماء في ذلك اتجاهها يبين قدرة الله سبحانه وسيطرته على الوجود كله يخلق الليل والنهار ، ويسير الكواكب والشموس والأقمار بنظام بديع لا يقدر عليه غيره سبحانه وتعالى .

والآيتان تحملان كل ذلك ، فكل ما في الكون دليل على قدرة الله ، وكل ما نتمتع به هو نعمة منه سبحانه ، يشدنا هذا كله إلى الإيمان به وإلى شكره وطاعته .

يقول الخبراء المشرفون على «منتخب التفسير» الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : هذه الآية تظهر عناية الخالق وقدرته . فمد الظل يدل على دوران الأرض وعلى ميل محور دورانها ، ولو أن الأرض سكنت بحيث إنها ظلت غير متحركة حول الشمس وكذلك انعدم دورانها حول محورها لسكن الظل ولظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الأرض ، بينما يظل النصف الآخر ليلاً ، مما يحدث اختلاف التوازن الحرارى ، ويؤدى إلى انعدام الحياة على الأرض ، وكذلك إذا كان هذا هو حال الأرض فإن الظل يظل ساكناً . وهذا أيضاً يحدث إذا كانت فترة دوران الأرض حول محورها هى نفسها فترة دورانها من حول الشمس ، أى أن اليوم يصبح سنة كاملة ولكن لا يمكن أن يفعل ذلك غير الله . هذا فضلاً عن أن الظل ذاته نعمة من نعم الله ، ولو أن الله خلق الأشياء كلها شفافاً لما وجد الظل ولا نعدمت فرص الحياة أمام الكائنات التى تحتاج إليه . انتهى .



س . أرجو تفسير الآيتين ١٠ ، ١١ من سورة الدخان ؟

ج : الآيتان هما قوله تعالى ﴿ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَغْشَى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ ﴾ .
الدخان هنا فيه ثلاثة أقوال :

الأول : أنه من علامات الساعة ، ولم يحنى بعد ، وفي صحيح مسلم أن النبى ﷺ ذكر من علامات الساعة الدخان . وهذا الدخان أربعين يوماً ، أما المؤمن فيصبيه

منه شبه الزكام ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران ، يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينه وأذنيه ، ودبره .

والقول الثاني : أنه ما أصاب قريشا من الجوع بسبب دعاء النبي ﷺ حتى كان الرجل يرى السماء والأرض دخانا ^(١) .

والقول الثالث : أنه يوم فتح مكة ، لما حجبت الغبرة السماء . وكتب التفسير فيها توضيح لذلك فيرجع إليها من أراد .



س . هل معنى قوله تعالى : ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة : ١٠١] أننا لانسأل عن أمور ديننا ما دمنا لا نعرفها؟

ج : روى البخارى ومسلم أن رجلا اسمه عبد الله بن حذافة هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا وكانت فيه دعاية سأل النبي ﷺ عن أبيه ، فقال له : «أبوك فلان» ولما علمت أمه بسؤاله عن أبيه قالت : ما سمعت بابن أعق منك ، آمنت أن تكون أمك قارفت ما يقارف النساء في الجاهلية فتفضحها على أعين الناس ؟ فقال : والله لو ألحقني بعبد أسود للحقت به ، فنزلت هذه الآية تنهى عن مثل هذه الأسئلة .

وروى الترمذى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٧] قالوا : يا رسول الله أفي كل عام ؟ فسكت ولما كرروا السؤال قال «لا» ، ولو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت ما أطقتموها ، ولو لم تطيقوها لكفرتم . فأنزل الله هذه الآية للنهى عن تكلف الأسئلة ما دام القرآن لم يبين أكثر مما نزل ، وذلك كله في أيام نزول الوحي ، حتى لا يكون المسلمون كبنى إسرائيل حينما أمرهم الله أن يذبحوا بقرة ، فأخذوا يسألون عن سننها وأوصافها حتى شدد الله عليهم فاشتروها بثمن كبير .

أما اليوم - وقد انتهى الوحي - فيجوز بل يجب أن نسأل عما نهجه لأنه من باب التفقه في الدين ، وقد كان النهى رحمة بالمسلمين فقد صح في مسلم أن

١ - ذكره البخارى ومسلم .

النبي ﷺ قال «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين ، فحرم عليهم من أجل مسأله .»

فعلى كل مسلم يجهل أمراً من أمور الدين - لم يستطع أن يعرفه من مصادره - أن يسأل عنه العلماء المختصين كما قال تعالى : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأنصح كل طالب علم أيّاً كان نوعه أن يسأل عن حكم الدين في كل ما يعين له ، فذلك دليل على اليقظة حتى لا يزل ، ولا يعد ذلك جبناً منه ، بل هو الحكمة عين الحكمة ، فليس التفلت من الدين شجاعة بل هوثور يؤدي إلى التهلكة .



س : أرجو تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ وكيف يكون هذا النقص ؟

ج : هذه الآية من سورة الرعد : ٤١ وقيل في تفسيرها : إن المراد بالنقص من أطرافها هو موت العلماء والصالحين ، فالأطراف هم الأشراف ، كما قال ابن عباس والقشيري .

وقيل المراد ما يغلب عليه المسلمون مما في أيدي المشركين كما في رواية عن ابن عباس ، وعنه أيضاً هو خراب الأرض حتى يكون العمران في ناحية منها . وقال عطاء بن أبي رباح : المراد ذهاب الفقهاء وخيار أهلها ، وهو موافق لرأى لابن عباس . وارتضاه كثير من المفسرين .

ومعنى الآية : أو لم تر قريش هلاك من قبلهم وخراب أرضهم بعدهم ، أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ذلك . وقيل المراد نقص بركات الأرض وثوارها ، وذلك بجور أهلها ، والقرطبي صحح هذا القول ، لأن الظلم يخرّب البلاد بقتل أهلها وانجلائهم عنها ورفع البركة من الأرض .

وما يقال الآن : إنه دليل على أن كروية الأرض ليست تامة ، بل هي مفلطحة من الجانبين فهو غير قطعي . وليس مناسباً للمقام حيث تتحدث الآيات عن وعيد

الله للكافرين ، وعما حدث للماكرين الكافرين من قبلهم فأولى أن يفسر النقص من أطراف الأرض بإهلاك الكفار والجبابة في أية بقعة من بقاع الأرض .



س : ما هي الآيات التسع التي آتاها الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام ؟

ج : قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَنْ يَسْتَلْ يَسْتَلْ بَيِّنَاتٍ إِنْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠١] . اختلف المفسرون في المراد بهذه الآيات ، ف قيل : هي بمعنى آيات الكتاب كما روي الترمذي والنسائي أن يهوديين سألا رسول الله ﷺ عنها فقال « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تنزوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسرقوا ، ولا تسخروا ، ولا تمشوا بيريء إلى السلطان فيقتله ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا محصنة ، ولا تفروا من الزحف » .

وقيل : إن الآيات بمعنى المعجزات والدلالات ، هي :

- ١ - العصا : قال تعالى ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] .
- ٢ - اليد : قال تعالى ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾ [الشعراء : ٣٣] .
- ٣ - اللسان : قال تعالى ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨ ﴾ [طه : ٢٧ ، ٢٨] .
- ٤ - البحر : قال تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] .

٥ - الطوفان . ٦ - الجراد .

٧ - القمل . ٨ - الضفادع .

- ٩ - الدم : قال تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ [الأعراف : ١٣٣] .
- وقيل غير ذلك ^(١) .



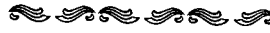
١ - انظر تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٣٥ .

س : ما تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك : ٥] وبأي شكل ثبت الله الكواكب في السماء وهي جرم غير قابل للخرق والالتئام ، وكيف أمكن وصول الإنسان إلى القمر وهو في السماء ذات الجرم الصلب كما وصفها حكماء اليونان ؟

ج : ورد هذا السؤال من طالب من البلاد الإسلامية مقيم في مدينة البعوث بالأزهر سنة ١٩٧٢م وكانت الإجابة : إن الآية واضحة المعنى ، فالله سبحانه قد جعل في السماء الدنيا نجوماً مضيئة وكواكب سيارة تزينها ، وجعلها رجوماً للشياطين إذا حاولوا أن يسترقوا السمع ، على ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَمَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحِذِّهُ شَهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾ [الجن : ٨ ، ٩] .

والسما الدنيا إحدى السموات السبع التي قال الله فيها ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩] وقال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] وإذا كانت السماء سقفاً للأرض كما قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء : ٣٢] وإذا كانت الأرض كروية فالسموات أيضاً كروية والسماء الدنيا أي القريبة من الأرض أصغرهما ، وما بعدها أكبر منها وهكذا . وكل هذه المصاييح الإلهية في السماء الدنيا أى الأولى ، ووجودها محفوظ بقدرة الله كما رفع السماء بغير عمد ، فلله تعالى قوانين ، بها وضع كلاً في موضعه ، وجعل له مداراً معيناً لا يتعداه : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٣] وتثبيت هذه المصاييح في أماكنها لا يلزم أن يكون بحبل أو سلاسل مادية ، فقدرة الله أكبر من ذلك ، فلا تتصور تثبيتها كما تتصور ثريات المنازل وهي معلقة في السقف ، ولا تنزل عمل الله وقدرته على ما تعهده في عالمك الناقص العاجز ، وحقيقة السموات ومادتها لا يعلمها إلا الله سبحانه ، وكل ما قاله الباحثون ظنون لا تعتمد على دليل صحيح ، وقد آمن كثير من الباحثين المتعمقين بوجود الله عندما عجزوا عن متابعة الكشف عن هذا الكون الواسع ذي الأبعاد التي تعجز عن تحديدها أساليب العلم البشري الحديث .

ومهما يكن من شيء أيها الطالب العزيز فإن الله لم يكلفنا بمعرفة كيفية تثبيت الكواكب والنجوم ولا بهادة السماء ، وهي ليست من العقائد التي تسأل عنها . والبحث فيها متروك لكل إنسان حسب طاقته واستعداده وسيصل عند تعميق النظر إلى الإيوان الراسخ بوجود الله وقدرته ، وكل حقيقة ثابتة فالقرآن متفق معها ، ولا يجوز أن نقارن بين ما في القرآن وبين الظنون والافتراضات والنظريات التي لم يثبتها الدليل الصحيح .



س : ما معنى قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ وما هي الصلاة السرية والصلاة الجهرية ، وما هي الحكمة في ذلك ؟

ج : قال تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] قال بعض المفسرين : إن المراد بالصلاة هنا الدعاء بدليل الفقرة السابقة عليها ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ والمراد أن يكون الدعاء وسطاً بين الجهر الذي يوقظ النائم ويزعجه أو يجر إلى الرياء ، وبين الإسرار الذي لا يسمعه الداعي ، ويكون أشبه بالهمس غير المفهوم . وهذا ما رواه مسلم . وأخرج البخاري ومسلم أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه ورفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ عن أصحابك . أي أسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر وابتغ بين ذلك سبيلاً هو بين الجهر والمخافة .

وهذان السببان أصح ما ورد في نزول الآية . وروى أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ مر ليلة بأبي بكر وهو يصلي يخفض صوته ، ومر بعمر وهو يصلي رافعا صوته . فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قال «يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك» فقال : يا رسول الله قد أسمعت من ناجيت . وقال لعمر

«مررت بك وأنت تصلي رافعا صوتك» فقال يا رسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان . فقال ﷺ «يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً» وقال لعمر «اخفض من صوتك شيئاً» ولعل هذه المحادثة كانت بعد نزول الآية ، فأراد النبي ﷺ أن يرشدهما إلى تطبيقها .

أما الصلاة المفروضة التي يجهر فيها فهي الصبح والجمعة والركعتان الأوليان من المغرب والعشاء ، والتي يسر فيها ما عدا ذلك ، وهي الظهر والعصر والركعة الثالثة من المغرب والركعتان الأخيرتان من العشاء .

والجهر يكون في قراءة الفاتحة وفي السورة أو الآية التي تليها ، أما الأذكار والأدعية فيها فهي سرية إلا في قنوت الصبح ، والذي يجهر هو المنفرد وكذا الإمام ، أما المأموم فهو يسر أبداً في قراءته .

والحكمة في السر في الصلاة ما كان عليه الحال في مكة من إيذاء المشركين لمن كانوا يصلون ويجهرون بالقراءة فيها ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين ، فبقيت في السفر على ذلك وزيدت في الحضر .

والكفار كانوا مشغولين عن المصلين قبل طلوع الشمس لأنهم نائمون ، فبقي الجهر في صلاة الصبح كما كان . وكذلك كانوا مشغولين بعد غروب الشمس بالنوم أو السهر الخاص ، فبقي الجهر في المغرب والعشاء كما كان .

وصلاة الظهر وصلاة العصر في وضح النهار فشرع السر فيهما خشية إيذاء الكفار أما الجمعة فشرعت صلاتها في المدينة أو بعد الهجرة وكان شرعها بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] والنداء لها وللصلوات الأخرى بالأذان شرع في المدينة .

على أن كثرة عدد المصلين للجمعة فيها قوة ترهب عدوهم أن ينالهم بسوء كما كان الحال في مكة وإذا كان الأمن قد استتب في المدينة ولم يعد هناك خوف من المشركين عند الجهر بالقراءة نهاراً فإن التشريع بقى كما كان تسجيلاً لفترة من

التاريخ ، وشكرا لله على النعمة كلما تذكرنا ما كان عليه المسلمون في مكة وما آل إليه الإسلام بعد ذلك من نصرة وقوة .



س : ما معنى قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]؟

ج : معنى «قَاب» قدر أو مقدار ، والقوس قيل : هو آلة الصيد والحرب المعروفة عند العرب ، وقيل : المراد به الذراع التي يقاس بها ، وهي لغة بعض الحجازيين وقيل : هي لغة أزد شنوءة أيضاً ، والمراد بالقوسين الاثنان ، وقيل المراد ، قوس واحد كما قال الكسائي ، يقال بين الشيئين قَاب قَوْسٍ أى قدره ، وفي الحديث الصحيح «ولقَاب قَوْسٍ أَحَدَكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» .

والآية تتحدث إما عن قرب الله سبحانه من النبي ﷺ والمراد قرب المكانة لا المكان ، فهو قرب عطف ولطف وإيناس ، وإما عن قرب جبريل من الله ، وهو قرب منزلة أيضاً كما روى في الحديث «إن أقرب الملائكة من الله جبريل عليه السلام» وإما عن قرب جبريل من النبي ﷺ عند نزوله بالوحي عليه .

والسورة في أولها تؤكد صدق النبي ﷺ في نزول الوحي عليه من الله . فهو ما ينطق عن الهوى ، نزل به جبريل شديد القوى ، من الأفق الأعلى ، ودنا وتدلّى فكان قريباً جداً من الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى بلغه ما أوحى به ، فما يقوله من عند الله حق «ما كذب الفؤاد ما رأى» ثم تتحدث الآية عن رؤية النبي ﷺ لجبريل مرة أخرى ، غير التي جاءه فيها في الغار ، وعلى أثرها كذب المشركون ما ادعاه من رؤيته . وهذه المرة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى . ويقول المفسرون : إن ذلك كان ليلة المعراج وكلامهم هناك كثير يمكن الرجوع إليه ، وفيما ذكرته كفاية .



س: ما المراد بالصلاة والنحر في قوله تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]؟

ج: اختلف العلماء في نزول سورة الكوثر ، هل كان بمكة أو المدينة . فعلى القول الأول بنزولها في مكة يكون المراد بالصلاة المفروضة ، سواء منها ما كان قبل ليلة الإسراء حيث قيل : إن الصلاة كانت ركعتين أول النهار وركعتين آخره ، وما كان بعد ليلة الإسراء ، وهى الصلوات الخمس . والمراد بالنحر هو الذبح ، بذكر اسم الله أو التقرب إليه . والمعنى : اجعل صلاتك ونحرك يا محمد لله لا لغيره كما يفعل المشركون ولا يصح أن يراد بالصلاة هنا صلاة العيد ولا بالنحر تقديم الأضاحى أو الهدى ، فذلك لم يشرع إلا فى المدينة بالإجماع كما حكاه ابن عمر .

وعلى القول الثانى بنزولها فى المدينة ، يحتل رأى غير الرأى الذى سبق ، وهو أن المراد بالصلاة صلاة العيد وبالنحر ذبح الأضحية ، كما رآه قتادة وعطاء وعكرمة .

قال أنس : كان النبى ﷺ ينحر ثم يصلى ، فأمره الله أن يصلى ثم ينحر ، وقال سعيد بن جبیر : المراد بالصلاة صلاة الصبح المفروضة بالمزدلفة والنحر يكون بمنى ، وجاء عنه أنها نزلت فى الحديبية للتحلل من الإحصار .

والقول الأول هو الراجح ، لأن أقوى الروايات فى سبب النزول تدل على أنها نزلت بمكة ، حين عاب المشركون موت ولد النبى وقالوا : صار أبتر ، على ما كان من عادتهم فيمن يموت وليس له ولد - وما قيل من أن ذلك كان بالمدينة عند موت ولده إبراهيم ضعيف - فالله سبحانه يسلى نبيه ﷺ بأنه أعطاه الكوثر ، أى الخير الكثير ، وهذا الخير الكثير على أرجح الأقوال هو نهر فى الجنة كما جاء فى رواية البخارى ، أو الحوض الذى يكون فى الموقف قبل دخول الجنة كما جاء فى رواية مسلم ، أو هو النبوة .

وفى مقابل هذا الخير الكثير يجب أن يشكر النبى ربه عليه بأن تكون صلاته كلها ونحره كله لله وحده وليس لغيره ، والمراد أن يستمر فى دعوته ويثبت على عقيدته وسلوكه غير عابى بما يقوله المشركون ، فالأبتر فى الحقيقة هم هؤلاء الذين قطع الله عنهم الخير بسبب كفرهم .

فالأيات ذمت عدم ثبات الشعراء على مبدأ واحد ، وتكسبهم بالشعر دون اهتمام بصدق ما يقولون وكذبه ، ومدحت الآية الأخيرة من يتقون الله في أقوالهم واستهدفوا الدفاع عن الحق والتبرئة مما ينسب إليهم من باطل .

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع أبياتا كثيرة من شعر أمية بن أبي الصلت ، وقال «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» وروى البغوى في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابغة ، واسمه قيس بن عبد الله . أنه أنشد الرسول ﷺ شعرا فدعا له بقوله «لا يفضض الله فاك» وروى الحاكم أنه قال ذلك للعباس عندما استأذنه في مدحه .

وكان الرسول إلى جانب سماع الشعر والثناء على قائله يثيب عليه ويجازى عند الاقتضاء . فقد روى مسلم أنه ﷺ لما قسم الغنائم يوم حنين ، ولم يعط العباس ابن مرداس مثل ما أعطى أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن - قال شعرا مدح به نفسه ويبين استحقاقه كغيره ، أتم له الرسول مائة من الإبل ، وقال العراقي في تحريج أحاديث الإحياء : إن زيادة «اقطعوا عني لسانه» ليست في شيء من الكتب المشهورة . وذكر السفاريني في كتابه «غذاء الألباب» ^(١) ، هدية الرسول إلى كعب بن زهير على قصيدته «بانت سعاد» عندما سمع قوله :

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

وهى بردة لم يستطع معاوية أن يشتريها منه ، فاشتراها من ورثته ، ثم قال : وأما خبر «الشعر مزامير الشيطان» وخبر «إنه جعل له كالقرآن» فواهيان . وعلى فرض ثبوت ذلك فالمراد به الشعر المحرم . . . وأن عائشة رضى الله عنها كانت أعلم بالشعر والفريضة من غيرها ، وأن النبي ﷺ قال في حسان «والله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام وتحفظ بيتي فيهم» فقال : والذي بعثك بالحق نبيا لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، ثم أخرج لسانه فضرب به

أرنبه أنفه وقال والله يا رسول الله إنه ليتخيل لى أنه لو وضعت على حجر لفلقته ، أو على شعر حلقتة فقال رسول الله ﷺ «أيد الله حسناً بروح القدس» سمع النبي ﷺ الشعر من وفد بني تميم ورد حسان عليهم .



س : أرجو تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؟

ج : تبديل الأرض والسموات يكون يوم القيامة ، وقيل : إن المراد تبديل الصفات لا تبديل الذوات ، بمعنى أن تبديل الأرض يكون بمدّها أو بسطها كالأديم. وتبديل السموات يكون بتكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها .

وقيل : يكون التبديل بتبديل ذواتها أى إزالتها ، وصححه القرطبي في تفسيره ، حيث يخلق الله أرضاً أخرى ليحشر عليها الناس . ففى صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقيّ ، ليس فيها علم لأحد» والنقي هو الدقيق الأبيض كما فى نهاية ابن الأثير .

وقال ابن مسعود : تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة ، وقال علي رضي الله عنه : تبدل الأرض فضة والسماء ذهباً .

هذه بعض أقوال المفسرين ، وفى الكتب متسع لمن أراد ، وما جاء فى الأحاديث الصحيحة أفضل فى التفسير .



س : أرجو تفسير الآية الكريمة ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]؟

ج : هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة حيث يقوم الناس من القبور ويساقون إلى المحشر ويحاسبون .

والقرطبي يقول فى التفسير : اختلف فى السائق والشهيد فقال ابن عباس : السائق من الملائكة والشهيد هو أنفسهم هو الأيدى والأرجل .

وقال أبو هريرة : السائق الملك والشهيد العمل .

وقال الحسن وقتادة : المعنى سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها .

وقال ابن مسلم : السائق قرينها من الشياطين ، سمى سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحثها .

وقال مجاهد : السائق والشهيد ملكان .

وعن عثمان بن عفان : ملك يسوقها إلى أمر الله وشهيد يشهد عليها بعملها .

ورجح القرطبي هذا الرأي ، وساق عليه حديثاً لا يعتمد عليه في العقائد ، فهما ملكا الحسنات والسيئات ، واحد يسوقها وواحد يشهد ، والآراء الاجتهادية غير ملزمة .



س . ما المقصود بقوله تعالى ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] ؟

ج : السيدة مريم عليها السلام لما حملت بأمر ربها بعيسى عليه السلام وولدت اتمهما الناس بالفاحشة ، وتعجبوا كيف تقع فيها وهى من نسل طاهر من جهة الأب والأم ، وقولهم لها «يا أخت هارون» معناه يا شبيهة الرجل الصالح المعروف فى زمانهم بالطهر والعفاف ، واسمه هارون . وكانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين .

والأقوال فى ذلك كثيرة ذكرها المفسرون ، ولكن أقربها إلى الصحة هو ما ذكرته . فقد روى مسلم عن المغيرة بن شعبة قال : لما قدمت نجران سألتونى ، فقالوا : إنكم تقرأون ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمت على النبى ﷺ سألته عن ذلك فقال : «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» .



س : أرجو تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ١] وماذا كان هذا الفتح ، والذنب الذي تأخر وتقدم للرسول ﷺ ؟

ج : الفتح المذكور في الآية هو صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة لأنه كان مقدمة لفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة ، وهو قول كثير من المفسرين .
والذنب الذي غفره الله للرسول مختلف فيه كثيرا ، فالتقدم منه ما كان قبل الرسالة ، والمتأخر ما كان بعدها ، أو المتقدم ما كان قبل الفتح والمتأخر ما كان بعده .
والكلام كثير في وقوع الذنب من الرسول .

فالإجماع على أن الكبائر لم تقع منه أو من الرسل الآخرين بعد تشریفهم بالرسالة ، أما الصغائر فقليل تقع منهم بشرط ألا تكون فيها خسة لا تليق بمقامهم .
وقيل : إن ما يقع منهم هو صورة الذنب وليس ذنبا ، بل هو من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

والمهم هو بيان الربط بين الفتح والمغفرة للذنوب وأثرها في نفس الرسول .
وقد ثبت أن الرسول فرح بتزول هذه الآية ، كما رواه الترمذی بسند صحيح عن أنس أنه قال : أنزلت على النبي ﷺ « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » . مرجعه من الحديبية فقال : « لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على وجه الأرض » ثم قرأها .

وفي الربط بين الفتح والمغفرة قال الزمخشري : لم يجعل الفتح علة للمغفرة ، ولكن لاجتماع ما عدّد من الأمور الأربعة وهي : المغفرة ، وإتمام النعمة ، وهداية الصراط المستقيم ، والنصر العزيز ، كأنه قال : يَسِّرْنَا لَكَ فَتْحَ مَكَّةَ وَنَصَرْنَاكَ عَلَى عَدُوِّكَ لِيَجْمَعَ لَكَ عِزُّ الدَّارَيْنِ وَأَعْرَاضُ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ .

ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سبباً للغفران والثواب .
ويكفي هذا القدر ، ومن أراد الزيادة فعليه بكتب التفسير .



س : وردت آيات في القرآن تدل على أن اليهود أفسدوا مرتين ، نريد تفسير هذه الآيات ، وهل إفسادهم انتهى بالمرتين أم يمكن أن يستمر ؟

ج : قال الله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝١ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٢ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٣ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٤ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَلَنُجْعِلَنَّ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝٥ ﴾ [الإسراء : ٤-٨] .

المهم في هذه الآيات هو معرفة المرتين اللتين أفسد فيهما بنو إسرائيل ، وهناك كلام طويل وخلاف كبير بين العلماء في ذلك ، ومن أقرب الأقوال أنهم أفسدوا أولاً بقتل النبي زكريا عليه السلام كما قال ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ، أو بقتلهم النبي أشعيا كما يقول ابن إسحق ، أو بتكذيب النبي أرميا كما نقل عن ابن عباس ، فأرسل الله عليهم غزاة من فارس «سنحاريب أو بختنصر» فعذبهم وأسروا منهم كثيراً وساقوهم إلى بابل . ولما تابوا خلصهم الله من الأسر ، وأمدهم بالنعيم والقوة ، محذراً لهم من العودة إلى الإفساد فأفسدوا مرة ثانية ، وذلك بقتل النبي يحيى بن زكريا ، فسلط الله عليهم من انتقم منهم ، واختلف في الذى انتقم منهم ، فقيل : أحد ملوك بابل «خردوس» ! وقيل كما في حديث نسب إلى الرسول - قيصر الروم ، حيث سبى منهم وقتل ، وأخذ النساء والأموال ، وأودع حُلَّى بيت المقدس في مكان ينتظر من يرده قرب قيام الساعة .

هذا ما في تفسير القرطبي ، ويدل على أن المرتين اللتين أفسد فيهما بنو إسرائيل قد انتهتا قبل ظهور الإسلام المرة الأولى كانت قبل رسالة عيسى ، والثانية بعدها .

ويا ترى هل المكتوب عليهم من الإفساد هو مرتان فقط ، أو سيكون منهم إفساد آخر ، لأن العبارة لا تقتضى الحصر؟ قيل بالثانى أى سيحصل منهم إفساد آخر بدليل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ۝٥ ﴾ .

وقيل في تفسيرها : إنهم أفسدوا فسلط الله عليهم محمداً ﷺ وأجلاهم المسلمون عن جزيرة العرب ، وامتلكوا بيت المقدس ، وفر اليهود تائهي في أقطار الأرض .
وعلى فرض أنهم سيعودون كما عادوا من قبل إلى بيت المقدس فإن القرار الإلهي ﴿وَلِنْ عُدَّتُمْ عِدَّتَنَا﴾ باق ، فإن أفسدوا فسيسلط الله عليهم من ينتقم منهم من عباد الله أولى البأس الشديد .
لكن من هم أولو البأس الشديد؟ هل يكونون هم العرب والمسلمون أو غيرهم؟
الله أعلم .



س : يقول الله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون : ١٤] فهل هناك خالقون غير الله وهو أحسنهم ؟

ج : كان المشركون يزعمون أن الأصنام شركاء لله في الخلق وفي كل شيء ، فتحداهم الله بآيات كثيرة بينت أنهم عاجزون لا يضررون ولا ينفعون ، وعبر عنهم بصيغة العقلاء على زعمهم .

ومع اعترافهم بأنه لا يقدر على خلق السموات والأرض وعلى خلق الإنسان إلا الله كما قال سبحانه ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر : ٣٨] .
وكما قال : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف : ٩] وكما قال ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف : ٨٧] مع اعترافهم بهذا كانوا ينسبون إلى الأصنام بعض الأعمال ويتقربون إليها بالقرابين لتستجيب لما يطلبون .

وذكر الله الآية التي في السؤال بعد ذكر خلق الإنسان في الأطوار المعروفة ، وعبر بأحسن الخالقين ، وهذه الصيغة المفيدة للتفضيل تبدو منها مشاركة الأصنام لله في الخلق وهو سبحانه يزيد عليهم ويفضلهم ، لكن صيغة التفضيل تأتي أحيانا من غير أن تفيد مشاركة بين المفضل والمفضل عليه ، وقد مثل علماء النحو لذلك بقولهم :

العسل أحلى من البصل ، فهما لا يشتركان أصلاً في الحلاوة حتى يكون العسل أحلى ، وإنما المعنى : العسل في بابهِ ونوعه أحلى من البصل في بابهِ ونوعه .

وتفيد صيغة أحسن الخالقين أيضاً أنه يوجد خالق غير الله ، أى فاعل أى شيء ومبتكر لأى شيء ليس له مثال سابق ، لكن خلق الله وإبداع صنعته وانفراده بأشياء لا يقدر عليها غيره تجعله أفضل الخالقين .

وبعد ، فإن في مرونة اللغة العربية من حيث معانى الألفاظ ودلالة الأساليب ما يجعل هذا التعبير مستساغاً ومقبولاً بالمعنى اللائق لكل من يوصف به ، فكما يقال مثلاً : الله رب العالمين ، يقال للمالك للعبد رب العبد ، وللمالك لأى شيء ، ربه كما يطلق الرب على المربى .



س : نريد توضيحاً لقوله تعالى ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ وصلته بانتفاع الأموات بأعمال الأحياء؟

ج : ذهب المعتزلة إلى أن أية قرينة يهديها الحى إلى الميت لا تنفعه ، بناء على قولهم بوجوب العدل ، واستدلوا على رأيهم هذا بقوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى ﴾ (٣٧) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَا نُرِثُ وَارِثَةً وَرَثَتُهُ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) [النجم : ٣٦ - ٤١] أما أهل السنة فقالوا : هناك قُرْبٌ يجوز للحى أن يفعلها ويستفيد منها الميت ، بل وسع بعضهم الدائرة حتى شملت كل القرب ، قال في شرح الكنز : إن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره ، صلاة كان أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة قرآن أو غير ذلك من جميع أنواع البر ، ويصل ذلك إلى الميت ، وينفعه عند أهل السنة ^(١) ودليلهم على ذلك عدم ورود نص مانع ، وكذلك الرجاء في رحمة الله وفضله أن يفيد الميت بعمل الحى في النوافل ، كما أفاده في الفرائض المقضية عنه ، فضلاً عن الأدلة الواردة في

بعض القرب من حيث ندب عملها ليفيد منها الميت كما سيأتى بيانه . وردوا دليل المعتزلة بما يأتى :

- ١- أن الآية المذكورة منسوخة بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ١٢١] كما قاله ابن عباس ، فإن الكبار يلحقون بأبائهم فى الجنة وإن لم يكونوا فى منزلتهم إكراما للأباء باجتماع الأولاد إليهم ، وضعف ابن القيم هذا القول فى كتابه «الروح» .
- ٢- أن هذه الآية خاصة بشريعة موسى وإبراهيم ، وأما فى شريعتنا فالحكم بخلاف ذلك .

- ٣- أن عدم انتفاع الإنسان بعمل غيره مخصوص بالكافر ، أما المؤمن فيجوز أن ينتفع بسعى غيره من المؤمنين .

- ٤- أن اللام فى «للإنسان» بمعنى «على» مثل قوله تعالى ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أى عليهم ، والمعنى أن الإنسان ليس عليه إلا عمله ، أى أن ذلك فى العقاب ، أما الثواب فليس هناك ما يمنع انتفاع الإنسان بعمل غيره وهذه الردود يمكن أن تناقش .

- ٥- أن الآية تبين أنه ليس للإنسان إلا عمله استحقاقا بطريق العدل ، أما تفضلا من غيره فلا مانع من أن ينتفع به ، فالدعاء والشفاعة عمل الغير ويستفيد منه الميت . وهذا الجواب هو أصح الأجوبة ، وركز عليه ابن تيمية فى فتاويه ^(١) حيث قال ما ملخصه :

الاتفاق على وصول ثواب العبادات المالية ، كالصدقة والعق ، كما يصل إليه الدعاء والاستغفار . أما الأعمال البدنية كالصلاة والصيام والقراءة فاختلّفوا فيها . والصواب أن الجميع يصل إليه . . . إلى أن قال : وهذا مذهب أحمد وأبى حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعى . وأما احتجاج بعضهم بأن ليس للإنسان إلا ما سعى فيقال ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأئمة أنه يصلى ويستغفر له ويدعى له ،

١- ج ٢٤ ص ٣٦٦ .

وهذا من سعى غيره . والجواب الحق أن الله لم يقل إن الإنسان لا ينتفع إلا بسعى نفسه وأنه قال ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ فهو لا يملك إلا سعيه ، ولا يستحق غير ذلك . وأما سعى غيره فهو له ، كما أن الإنسان لا يملك إلا مال نفسه ونفع نفسه ، فمال غيره ونفع غيره هو كذلك للغير ، لكن إذا تبرع له الغير بذلك جاز . هـ . وقد ارتضى هذا القول ابن عطية في تفسيره .

هذا ، وقد جاء في معجم الفقه الحنبلي ^(١) أن أية قرينة يفعلها الحى ويهب ثوابها للميت تنفعه إن شاء الله ، وقال ابن قدامة في «المغنى» قال أحمد بن حنبل : الميت يصل إليه كل شيء من الخير ، للنصوص الواردة فيه . لأن المسلمين يجتمعون في كل مصر يقرأون ويهدون لموتاهم من غير نكير فكان إجماعا . وإن كان هذا العمل لا يعتبر حجة والإجماع عليه ليس دليلا كما رأى بعض العلماء .

وقال ابن القيم : والعبادات قسمان : «مالية ، وبدنية» وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول سائر العبادات المالية ، ونبه بوصول ثواب الصيام على وصول سائر العبادات البدنية ، وأخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية ، فالأنوع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار .

هذا هو الحكم الإجمالى فى إهداء القرب ، وإليك شيئا من التفصيل .

أخرج أبو داود وابن عباس عن أبى أسيد مالك بن ربيعة قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بنى سلمة ، فقال : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال : «نعم الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما من بعدهما» .

١ - الصلاة عليهما .

قال بعض الشراح : إن المراد بالصلاة عليهما فى هذا الحديث صلاة الجنائزة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا ﴾ [التوبة : ٨٤] وقيل المراد

١ - ص ٩٤١ طبعة أوقاف الكويت .

بها الدعاء كما في قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ ﴾ [التوبة : ١٠٣] أى ادع الله لهم بالنماء والبركة .

ويرجح أن يراد بها هنا الدعاء لأن رواية البخارى في «الأدب المفرد» لم يرد فيها ذكر الصلاة بل ورد (الدعاء لهما) .

والدعاء مجمع على جوازه وعلى نفع الميت به إن قبل ، ومعنى نفع الميت به حصول المدعو به إذا استجيب ، واستجابته محض فضل من الله ، ولا يسمى في العرف ثوابا، أما الدعاء نفسه وثوابه فهو للداعى ، لأنه شفاعة أجرها للشافع ومقصودها للمشفوع له .

وأدلة مشروعية الدعاء للميت كثيرة ، فصلاة الجنائز نفسها تشتمل على دعاء له ، ودعاء الولد الصالح لأبيه مما يفيد به نص الحديث الذى رواه مسلم ، وقد تقدم ، ومن آداب زيارة القبور الدعاء للأموات ، كما روى مسلم فى تعليم النبى ﷺ لمن يزورون القبور أن يدعوا للأموات ، ومما جاء فيه «ونسأل الله لنا ولكم العافية» وكذلك «ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين» . . وروى أبو داود عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه أنه قال : كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال «استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل» .

أما حكم الصلاة للوالدين فقد جاء فى رواية الدارقطنى «إن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك ، وأن تصوم لهما مع صيامك » وتعدية فعلى الصلاة والصيام باللام تشعر بأن ذلك فى النوافل المهداة لا فى الفروض من حيث قضاؤها ، وقد مر ذلك ولو لم يرد هذا الحديث أو لم يصح فليس هناك نص يمنع إهداء الصلاة للميت وقد تقدم كلام ابن تيمية وغيره فى ذلك .

ب - الاستغفار لهما :

الاستغفار هو دعاء بطلب المغفرة من الله للميت ، وأدلة الدعاء عامة تشهد لمشروعيته ، وقد دعا الأنبياء وغيرهم بالمغفرة لغيرهم ، فقال نوح ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ

بَيِّنُوا مَوَدَّةَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ [نوح : ٢٨] وقال إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٤١] وروى مسلم أن النبي ﷺ دعا لأهل بقيع الغرقد بالمغفرة وسبق طلبه من المسلمين الاستغفار لأخيهم بعد دفنه ، وروى أحمد وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة بسند صحيح مرفوع أو موقوف عليه «أن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول : أنى هذا؟ فيقال : باستغفار ولدك لك» .

ج - إنفاذ عهد الأبوين وصلة الرحم وإكرام الصديق :

كل ذلك قرب بدنية أو مالية يقوم بها الولد فيؤجر عليها ، ويصل أثرها للوالدين برا وإكراما وإحسانا ، وقد تقدم قول شارح الكنز في هذه القرب وغيرها ، وما جاء في معجم الفقه الحنبلي عن ذلك .

د - الصيام لها :

يدل حديث الدارقطني السابق على جواز التنفل بالصيام وإهدائه إلى الميت ، وقد شرط العلماء لذلك ولغيره من القرب أن يكون بنية سابقة أو مقارنة للفعل ، لا أن تكون النية بعد الانتهاء منها .

هـ - الصدقة عليها :

روى أحمد والنسائي وغيرهما أن أم سعد بن عباد لما ماتت قال : يا رسول الله ، إن أُمى ماتت ، أفأتصدق عنها ؟ قال (نعم) قلت : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : (سَقْيُ الْمَاءِ) .

قال الحسن : فتلک سقایة آل سعد بالمدينة ، والظاهر أن هذه الصدقة ليست واجبة ، وإلا لكانت متعينة ولم يسأل سعد عن أفضلها ، وهذا الحديث وإن كان لبعض المحدثين فيه مقال فإن كثيرا من النصوص تشهد بأن الصدقة تفيد الميت سواء أكانت واجبة أم مندوبة .

قال الشوكاني : أما صدقة الولد فلا كلام فيها لثبوتها بالنص ، ولأن الولد من كسبه فلم يصل إليه عمل غيره ، بل عمله هو ، مثل الصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به ودعاء الولد الصالح ، فلا حاجة لوصول صدقته إلى وصية ، أما الصدقة من الأجنبي فالظاهر من العموميات القرآنية أنه لا يصل ثوابها إلى الميت ، فيوقف عليها حتى يأتى دليل يقتضى تخصيصها . ٢ هـ . لكن الرافعى والنووى من الشافعية قالوا : يستوى في الصدقة الوارث وغيره ، وحكى النووى الإجماع على أن الصدقة تقع عن الميت ويصل ثوابها من الولد وغيره ^(١) .

هذا ، ويجب أن يفهم أن ما جاء في كلام الشوكاني وغيره من أن الذى وصل إلى الميت من ولده هو عمله وليس عمل الولد ، ليس المراد به أن كل ما يعمله الولد لأبيه محسوب لأبيه وليس محسوباً للولد ، وإلا لضاع الولد وحرم ثواب عمله البدنى بالذات ، بل المراد وصول مثل ثوابه لأبيه ، كما سيأتى في كلام العلماء عن القراءة للميت .

و - الحج للوالدين :

مر جواز قضاء الحج عن الوالدين بعد الموت ، ولم يرد ما يمنع برهما بالحج أو بغيره من القرب كما تقدم .

ز - قراءة القرآن :

في قراءة القرآن للميت خلاف للعلماء بين المنع من استفادته بها بناء على أنها عبادة بدنية لا تقبل النيابة ، وبين الجواز بناء على رجاء رحمة الله وما ورد من بعض النصوص ، ومن تتبع أقوال الكثيرين يمكن استنتاج ما يلي :

١ - إذا قرئ القرآن بحضرة الميت فانتفاعه بالقراءة مرجو ، سواء أكان معها إهداء أم لم يكن ، وذلك بحكم المجاورة ، فإن القرآن إذا تلى ، وبخاصة إذا كان في اجتماع ، حفت القارئ الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، روى مسلم قول النبى ﷺ « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يقرءون كتاب

١- نيل الأوطار ج ٤ ص ١٤٢ .

الله ويتدارسونهم بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة! والقرآن ذكر بل أفضل الذكر ، وقد روى مسلم وغيره حديث : «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» . بل لا يشترط لنزول الملائكة وغيرهم أن تكون القراءة أو الذكر في جماعة ، فيحصل ذلك للشخص الواحد ، روى البخارى ومسلم حديث أُسَيْد بن حُضَيْر الذى كان يقرأ القرآن فى مربده وبجواره ولده وفرسه ، وجاء فيه . فإذا مثل الظلة فوق رأسى ، فيها أمثال السُّرَج عرجت فى الجو حتى ما أراها ، فقال له رسول الله ﷺ (تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستر منهم) .

على أن النص قد جاء بقراءة «يس» عند الميت ، روى أحمد وأبو داود والنسائي واللفظ له ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحاحه أن النبى ﷺ قال : «قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم» وقد أعل الدارقطنى وابن القطان هذا الحديث ، لكن صححه ابن حبان والحاكم ، وحمله المصححون له على القراءة على الميت حال الاحتضار ، بناء على حديث فى مسند الفردوس «ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس إلا هون الله عليه» لكن بعض العلماء قال : إن لفظ الميت عام لا يختص بالمحتضر ، فلا مانع من استفادته بالقراءة عنده إذا انتهت حياته ، سواء دفن أم لم يدفن ، روى البيهقى بسند حسن أن ابن عمر استحب قراءة أول سورة البقرة وخاتمتها على القبر بعد الدفن . وابن حبان الذى قال فى صحيحه معلقا على حديث «اقرءوا على موتاكم يس» أراد به من حضرته المنية لا أن الميت يقرأ عليه رد عليه المحب الطبري ، بأن ذلك غير مسلم له وإن سلم أن يكون التلقين حال الاحتضار .

قال الشوكانى : واللفظ نص فى الأموات ، وتناوله للحنى المحتضر مجاز فلا يصار إليه إلا لقريته^(١) والنووى ذكر فى رياض الصالحين تحت عنوان : الدعاء

١- نيل الأوطار ج ٤ ص ٥٢ .

للميت بعد دفنه والقيود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة «الباب الحادى والستون بعد المائة» ذكر أن الشافعى قال : يستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن « وإن ختموا القرآن كان حسناً ، وجاء فى المغنى لابن قدامة : ^(١) تسن قراءة القرآن عند القبر وهبة ثوابها ، وروى أحمد أنه بدعة ، ثم رجع عنه . وكره مالك وأبو حنيفة القراءة عند القبر حيث لم ترد بها السنة . لكن القرافي المالكي قال : الذي يتجه أن يحصل للموتى بركة القراءة ، كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده .

٢ - إذا قرئ القرآن بعيداً عن الميت أو عن القبر وامتنع انتفاعه به بحكم المجاورة وحضور الملائكة ، اختلف الفقهاء فى جواز انتفاع الميت به ، وهناك ثلاث حالات دار الخلاف حولها بين الجواز وعدمه :

الحالة الأولى :

إذا قرأ القارئ ثم دعا الله بما قرأ أن يرحم الميت أو يغفر له ، فقد توسل القارئ إلى الله بعمله الصالح وهو القراءة ، ودعا للميت بالرحمة ، والدعاء له متفق على جوازه وعلى رجاء انتفاعه به إن قبله الله ، كمن توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فانفجرت عنهم الصخرة التى سدت فم الغار ، وفى هذه الحالة لا ينبغى أن يكون هناك خلاف يذكر فى عدم نفع الميت بالدعاء بعد القراءة .

الحالة الثانية :

إذا قرأ القارئ ثم دعا الله أن يهدى مثل ثواب قراءته إلى الميت ، قال ابن الصلاح : وينبغى الجزم بنفع : اللهم أوصل ثواب ما قرأناه ، أى مثله ، فهو المراد ، وأن يصرح به لفلان ، لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعي فما له أولى ، ويجرى ذلك فى سائر الأعمال . ومعنى كلام ابن الصلاح أن الداعي يدعو الله أن يرحم الميت : والرحمة ليست ملكاً له بل لله ، فإذا جاز الدعاء بالرحمة وهى ليست له فأولى أن يجوز الدعاء بما

له هو وهو ثواب القراءة أو مثلها . وكذلك يجوز في كل قرينة يفعلها الحى من صلاة وصيام وصدقة ، ثم يدعو بعدها أن يوصل الله مثل ثوابها إلى الميت . وقد تقدم كلام ابن قدامة فى المغنى عن ذلك . والدعاء بإهداء مثل ثواب القارئ إلى الميت هو المراد من قول المجيزين : اللهم أوصل ثواب ما قرأته لفلان .

الحالة الثالثة :

إذا نوى القارئ أن يكون الثواب ، أى مثله ، للميت ابتداء أى قبل قراءته أو فى أثناءها يصل ذلك إن شاء الله ، قال أبو عبد الله الأبى : إن قرأ ابتداء بنية الميت وصل إليه ثوابه ، وإن قرأ ثم وهبه لم يصل ، لأن ثواب القراءة للقارئ لا ينتقل عنه إلى غيره . وقال الإمام ابن رشد فى نوازلہ : إن قرأ وهب ثواب قراءته لميت ، جاز وحصل للميت أجره ، ووصل إليه نفعه ، ولم يفصل بين كون الهبة قبل القراءة أو معها أو بعدها ، ولعله يريد ما قاله الأبى .

هذا ، وانتفاع الميت بالقراءة مع الإهداء أو النية هو ما رآه المحققون من متأخري مذهب الشافعى ، وأولوا المنع على معنى وصول عين الثواب الذى للقارئ أو على قراءته لا بحضرة الميت ولا بنية ثواب قراءته له ، أو نيته ولم يدع له ، وقد رجح الانتفاع به أحمد وابن تيمية وابن القيم ، وقد مر كلامهم فى ذلك .

قال الشوكانى ^(١) المشهور من مذهب الشافعى وجماعة من أصحابه أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن . وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعى إلى أنه يصل ، كذا ذكره النووى فى الأذكار ، وفى شرح المنهاج : يصل إلى الميت عندنا ثواب القراءة على المشهور والمختار الوصول إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته ، وينبغى الجزم به لأنه دعاء ، فإذا جاز الدعاء للميت بما ليس للداعى فلأن يجوز بما هو له أولى ، ويبقى الأمر فيه موقوفا على استجابة الدعاء . وهذا المعنى لا يختص بالقراءة ، بل يجرى فى سائر الأعمال . والظاهر أن الدعاء

١- نيل الأوطار ج ٤ ص ١٤١ .

متفق عليه أن ينفع الميت والحي ، والقريب والبعيد ، بوصية وغيرها وعلى ذلك أحاديث كثيرة ، بل كان أفضل الدعاء أن يدعو لأخيه بظهر الغيب . ٢ هـ .
هذا ، وقد قال الأبي : والقراءة للميت ، وإن حصل الخلاف فيها فلا ينبغي إهمالها فلعل الحق الوصول ، فإن هذه الأمور مغيبة عنا ، وليس الخلاف في حكم شرعي إنما هو في أمر هل يقع كذلك أم لا .

وأنا مع الأبي في هذا الكلام ، فإن القراءة للميت إن لم تنفع الميت فهي للقارئ ، فالمستفيد منها واحد منهما ، ولا ضرر منها على أحد . مع تغليب الرجاء في رحمة الله وفضله أن يفيد بها الميت كالشفاعة والدعاء وغيرهما .

وهذا الخلاف محله إذا قرئ القرآن بغير أجر ، أما إن قرئ بأجر فالجمهور على عدم انتفاع الميت به . لأن القارئ أخذ ثوابه الدنيوى عليها فلم يبق لديه ما يهديه أو يهدى مثل ثوابه إلى الميت ، ولم تكن قراءته لوجه الله حتى يدعوه بصالح عمله أن ينفع بها الميت ، بل كانت القراءة للدنيا ، ويتأكد ذلك إذا كانت هناك مساومة أو اتفاق سابق على الأجر أو معلوم متعارف عليه ، أما الهدية بعد القراءة إذا لم تكن نفس القارئ متعلقة بها فقد يرجى من القراءة النفع للميت . والأعمال بالنيات ، وأحذر قارئ القرآن من هذا الحديث الذى رواه أحمد والطبرانى والبيهقى عن عبدالرحمن ابن شبل «اقرأوا القرآن واعملوا به ، ولا تجفوا عنه ، ولا تغلوا فيه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به»^(١) .

وقد قال الشيخ حسنين محمد مخلوف فى أخذ الأجرة على قراءة القرآن : مذهب الحنفية لا يجوز أخذها على فعل القرب والطاعات كالصلاة والصوم وتعليم القرآن وقراءته ولكن المتأخرين من فقهاء الحنفية استثنوا من ذلك أموراً ، منها تعليم القرآن فقالوا : بجواز أخذ الأجر عليه استحساناً ، خشية ضياعه ، ولكن بقى حكم أخذ الأجرة على قراءة القرآن على ما تقرر فى أصل المذهب من عدم الجواز ،

١ - قال الهيثمى : رجال أحمد ثقات ، وقال ابن حجر فى الفتح : سنده قوى . وفسر الأكل به بأخذ الأجرة عليه ، كما فسر بالاستجداء به والتسول .

ومذهب الحنابلة لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ولا على قراءته ، استنادا إلى حديث «اقرأوا القرآن . . . » الذى تقدم . مذهب المالكية لا يجوز أخذ الأجرة على ما لا يقبل النيابة من المطلوب شرعاً كالصلاة والصيام ، ولكن يجوز أخذ الأجرة على ما يقبل النيابة ، ومنها تعليم القرآن وقراءته ، ومذهب الشافعية يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعليمه ، سواء أكانت القراءة عند القبر أو بعيدة عنه ، مع الدعاء بوصول الثواب إلى الميت . ٢هـ .



س : لماذا قدم الله السجود على الركوع فى قوله تعالى ﴿يَمْرُئٍ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران : ٤٣] ؟

ج : قال القرطبى : قدم السجود هنا على الركوع لأن الواو لا توجب الترتيب فإذا قلت : قام زيد وعمرو جاز أن يكون عمرو قام قبل زيد ، فعلى هذا يكون المعنى واركعى واسجدى . وقيل كان شرعهم السجود قبل الركوع . انتهى .
هذا بعض ما قيل وفيه كفاية .



س : أرجو تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾

[مريم : ١٨] ؟

ج : قالت مريم ذلك لجبريل عليه السلام ، وبيان المعنى مرتبط بالمراد من كلمة «إن» فإن كانت للشرط فالمعنى : إذا كنت تقيا تخشى الله وتجله فأنا ألتجئ إلى الله وأستعيذ به منك حتى لا تمسنى بسوء ، وبالتالي من لم يكن متقيا لله لا يأبه لاستعاذتها .

وإن كانت «إن» للنفي كان المعنى : أنت شخص غير تقى ، حيث جئتنى وأنا وحيدة ليس معى أحد ، وليس لى إلا الله سبحانه أستعيذ به وألتجئ إليه .

واختيارها لاسم الرحمن بدلاً من اسم آخر لأن المقام يقتضى الرحمة ، فهى ضعيفة بشخصها وبوحدتها أمام رجل قوى بشخصه ولا تعرفه .



س : يقال إن الشمس عند الغروب تسجد تحت العرش ، فهل هذا صحيح ؟

ج : قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُو فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ﴾ [الكهف : ٨٦] المعروف أن الأرض كروية ، ولها دورتان ، دورة حول نفسها ينتج عنها الليل والنهار ودورة حول الشمس ينتج عنها الفصول الأربعة ، والشمس هى أيضا لها دوران حول نفسها ، على ما يفيد قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس : ٣٨] فى أحد التفاسير ، وكانت هذه الحقيقة مجهولة إلى وقت قريب ، سبق بها القرآن المنزل من عند الله .

ومشرق الشمس ومغربها هو فى حقيقته ظهور جزء من الأرض فى مقابلها واختفاؤه عنها ، فحركة الشروق والغروب حركة ظاهرية فى رأى العين للشمس ، وهى فى الحقيقة لنا ، وعندما تغيب الشمس عنا أو نغيب عنها يراها الناظر إليها وهو على شاطئ البحر أو المحيط أنها تغوص فى الماء كأن عينا ابتلعها أو سقطت هى فيها .

ووصف العين فى الآية أنها حمئة ، قال بعض المفسرين : إنها ذات حمأة وطين ، وفى قراءة . . حامية أى حارة ساخنة ، وذلك كله تخيل وتصور للناظر يعطيه لون الماء فى زرقته التى تميل من بعد إلى السواد ، أو توهج الشمس عن طريق تفرق أشعتها عند الغروب كأن ناراً توقد فى هذه الماء ، فالتصوير كله بحسب ما يراه الناظر بصرف النظر عن الحقيقة .

ذلك ما يعطيه لنا العلم الحديث ، الذى يقول إن نصف الكرة الأرضية يكون نهراً حين يقابل الشمس ، والنصف المقابل يكون ليلاً حين تغيب عنه .

لكن ورد فى البخاري حديث عن أبي ذر يقول فيه : كنت مع النبي ﷺ فى المسجد عند غروب الشمس ، فقال «يا أبا ذر تدري أين تغرب الشمس» ؟ قلت :

الله ورسوله أعلم . قال «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش» ، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ . وأخرجه النسائي بلفظ فإنها تذهب حتى تنتهي تحت العرش عند ربها ثم تستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها ، وتطلب ، فإذا كان ذلك قيل لها : اطلعي من مكانك ، فذلك قول الله ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ .

فكيف يستقيم الإخبار عن سجودها تحت العرش عند مغيبها ، ومع قول القرآن إنها تغرب في عين حمئة ؟ ولم يفت شراح الحديث القدامى هذا السؤال ، فقد قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري «فتح الباري» لا تخالف بين الحديث والقرآن ، فإن المراد بالآية نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب ، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب .

وقال الخطابي : يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر استقراراً لا نحيط به نحن ، وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعوقها عن دورانها في سيرها ، وهناك أقوال أخرى لا يوجد لها سند صحيح .

وقال بعض العلماء : إن المراد بسجودها تحت العرش خضوعها لله وانقيادها للنظام الذي وضعه لها .

وهذا أمر يجري على كل كائن في الوجود مهما تصور الإنسان عظمتة وفتن بقوته وأثره ، فهو تحت حكم الله يتصرف فيه كيف يشاء ، وكل حركة في الكون فهي بأمره سبحانه .

وعند نهاية العالم سيغير الله نظام الكون المشاهد لنا ، فتشرق الشمس من حيث غربت . والله على كل شيء قدير .

وبهذا لا يوجد تعارض بين مقررات العلم وبين القرآن والحديث ، فالكل من الله سبحانه والله حكيم خبير .



س : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [يس : ٣٨]
مما يدل على أن الشمس تتحرك وليست ثابتة ويقول بعض العلماء إن
الشمس ثابتة والأرض هي التي تدور حول نفسها مرة في اليوم ؛ وحول
الشمس مرة كل سنة فما مدى صحة كلامهم ؟

ج : الظاهر من كلمة (تجري) التحرك والانتقال من مكان إلى آخر . كما أن
الظاهر من كلمة (تدور) اللف حول شيء معين ، وهذا الشيء المعين قد يكون هو
المحور مع عدم الانتقال منه ، وقد يكون فيه انتقال من مكان إلى آخر مع الالتزام
بمركز يحدث حوله هذا الانتقال .

وكلمة (الفلك) معناها المسار أو المدار الذي يتحرك فيه الشيء ، وقد يكون
التحرك في خط مستقيم أو خط دائري يكون محيطاً له مركز ، قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٣] .

والظاهر أن كلمة (كل) تعني مجموع الليل والنهار والشمس والقمر بدليل
الجمع في قوله (يسبحون) فكيف نتصور الفلك الذي يسبح فيه الليل والنهار؟

إن معرفتنا لا تزال محدودة ، وكلما اكتشف علماء اليوم جديداً عرفوا أنهم كانوا
يجهلون كثيراً ، وألفاظ اللغة العربية فيها من المرونة والصلاحية ما لا يستطيع
الإنسان معه أن يجزم بمعنى ينطبق على شيء نجهل من حقيقته كثيراً .

إن «المستقر» الذي تجري له الشمس في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ
لَهَا ﴾ [يس : ٣٨] .

هل المراد به المحور الذي تدور حوله الشمس كما تدور الأرض حول محورها ،
أو المراد به المدار والمسار الذي تلتزمه وهي تتحرك من مكان إلى آخر ، وإلى أين هذا
التحرك ، هل هو محيط أو في خط مستقيم .

كل ذلك قال به المفسرون والعلماء . دون جزم بأحد هذه المعاني .

وقد يقال : إن المستقر هو نهاية الحركة والجري ، فالشمس سيأتي عليها وقت تقف فيه عن الجري وهو يوم القيامة ، فاللام في (لمستقر) بمعنى «إلى» التي تفيد الغاية . . قال تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبَلَدُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٤٠] .

وهذا يدل على أن لكل من الشمس والقمر سَبْحاً وجرياناً في مدار وسار وانتقال من مكان إلى مكان : ثم قال بعد ذلك : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس : ٣٨]

فالظاهر أنها تلتزم مسارها وهو الفلك بحيث لا تتجاوزه إلى مسار آخر حتى لا تصطدم بالكوكب أو النجم الذي يجري في هذا المسار ، وحتى لا تدرك القمر إن جرت في مداره ، فالكل يتحرك بنظام ثابت دقيق .

وقد يراد أن الشمس على الرغم من كبر حجمها والجد في جريانها بحيث لا تدرك القمر سيأتي عليها وقت تكف فيه عن إدراكه بأمر الله الذي يقع كل شيء تحت سلطانه وقهره .

هذا تفسير بالمعقول ، أما التفسير بالمنقول فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس : ٣٨] . فقال : «مستقرها تحت العرش» وفي رواية لمسلم عن أبي ذر أيضاً أن النبي ﷺ قال : «أتدرون أين تذهب هذه الشمس» ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «إن هذه الشمس تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ، ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش ، فيقال لها : ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها» فقال رسول الله ﷺ «أتدرون متى ذلكم» ؟

«ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» .
وجاءت هذه الرواية في صحيح البخاري عن أبي ذر أيضاً بما يفيد أن مستقر
الشمس كل يوم هو تحت العرش حيث تسجد وتستأذن ربها بالجري فيأذن لها حتى
يكون آخر إذن لها بالشروق من المغرب .

إن الإنسان لا يستطيع بسهولة أن يفهم معنى الاستقرار تحت العرش ،
فالشمس دائماً في حركة إن غابت عن بعض أجزاء الأرض فهي ظاهرة للبعض
الآخر ، ولم يشاهد أحد من الدنيا أنها توقفت عن الحركة . أو لا يجوز أن نفسر
استقرارها تحت العرش ، بأنها في كل أوقاتها خاضعة لأمر الله ، لا تتحرك إلا بإذنه ،
وتستمر حركتها إلى أن تستقر نهائياً في آخر الدنيا ؟ .



س : ما تفسير قوله تعالى في سورة الرحمن ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ؟

ج : يقول الله تعالى ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن : ٢٩]
هذه الآية فيها جملتان ، الأولى «يسأله من في السموات والأرض» ومعناها أن كل
المخلوقات محتاجة إليه ، تطلب منه بلسان حالها أو مقالها كل ما تريده من رزق
ورحمة ومغفرة وما إلى ذلك ، والجملة الثانية هي ، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والكلام في
تفسيرها كثير ، ولكن يجب أن نعلم أن الله سبحانه علم كل شيء قبل أن يخلقه ،
وكتب في اللوح المحفوظ ما يكون عليه كل مخلوق وما يجري على العالم كله ، فعلمه
سبحانه لا يتغير في أي يوم من الأيام ، أي مطلقاً ، سواء أردنا بالأيام أيام الدنيا ،
أو أردنا أنها يومان ، يوم للدنيا ويوم للآخرة وهو بقدرته سبحانه ينفذ مضمون
علمه ، وذلك يقتضي إشرافه الدائم على شئون خلقه ، لا يشغله شأن عن شأن ، فهو
ليس مثلنا إذا شغلنا بشيء شغلنا عن الآخر في اللحظة الواحدة ، على حد قوله
تعالى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب : ٤] وهو بوجوده الدائم
وألوهيته المستمرة حاضر لا يغيب ، المسيطر على الكون كله ، ومتصرف فيه بقدرته

والإله الذي بهذا الوصف لا يمكن حصر أفعاله ولا أوامره التي ينفذ بها مقاديره ، قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧] وقال ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩] وهو وحده القادر على السيطرة على العالم كله ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٤١] .

وبعد ، فإن قوله تعالى ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يقوي فينا الإيمان بالحاجة الدائمة إليه ، فلا نرجو أحداً سواه ، لأنه حاضر لا يغيب ، يحيب المضطر إذا دعاه ، ويستجيب لمن ناداه ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَسْتُمُ الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر : ١٥] ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس : ٨٣] .



س . يقول الله تعالى لإبليس حين امتنع عن السجود لآدم ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ المعنى الظاهر من هذا التعبير أن إبليس سجد ، والله يسأله عن السبب في عدم السجود . نريد أن نعرف المعنى ؟ .

ج : قال المفسرون إن لفظ «لا» زائد ، والمعنى ما منعك أن تسجد ، كما جاء في موضع آخر ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص : ٧٥] واستشهد القرطبي على زيادة «لا» بقول الشاعر :

أَبَى جُودَهُ لَا الْبَخْلَ فَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ
نَعَمْ مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الْجُودَ نَائِلُهُ

والمعنى أبى جوده البخل . فزاد «لا» . وقيل : ليست زائدة ، فإن المنع فيه طرف من القول والدعاء ، فكأنه قال : من قال لك ألا تسجد؟ أو من دعاك إلى ألا تسجد؟ كما تقول : قد قلت لك ألا تفعل كذا . وقيل : فى الكلام حذف ، والتقدير : ما منعك من الطاعة وأحوجك إلى ألا تسجد . انتهى .

هكذا خرجوا اللفظ عن المعنى الصحيح ، ولو حذف «لا» لكان المعنى واضحا كما حذف فى سورة «ص» لكن تواتر القرآن بالتلقى عن رسول الله ﷺ وفيه «لا» فى هذه الآية . ولو كان القرآن عرضة لحذف شيء من نص ليلتئم ويتفق مع نص آخر لحذفوا هذا الحرف الزائد ، ولكن أبقوا عليه كما أنزل وحاولوا - على قواعد اللغة العربية التى نزل بها - أن يوفقوا بينه وبين النصوص الأخرى ، وهو دليل على حرص الصحابة والتابعين ومن بعدهم على نقل القرآن الكريم كما تلقوه عن الرسول ﷺ .



س : يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤] وفى الآية التى بعدها ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وفى الآية رقم ٤٧ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فهل تصدق هذه الآيات على الذين يحكمون بقوانين وضعية؟

ج : هذا الموضوع مستوفى فى الجزء الأول من كتاب «بيان للناس من الأزهر الشريف» والحكم بغير ما أنزل الله ليس قاصرا على الحكام والقضاة ، وإنما هو شامل لكل إنسان يعطي حكما لأي شيء غير حكم الله ، سواء فى فتوى أو قضاء أو غير ذلك ، كالذى يشرب الخمر ويقول إنها حلال ، ويتعامل بالربا ويقول إنه حلال وهكذا .

وإذا كان الحكم على من لم يحكم بما أنزل الله بأنه كافر أو ظالم أو فاسق ، فهو حكم صادق ، لأن الفسق خروج عن المشروع ، وكذلك الظلم تجاوز للحد المشروع ، والكفر تجاوز الإيمان إلى غير الإيمان .

وإن رأى بعض المفسرين أن الحكم بالكفر يكون على من أنكر حكم الله أو استهزأ به ، وهو مناسب في الآية الأولى لرفض اليهود حكم الله في التوراة ، وأن الحكم بالظلم يكون على من تجاوز القصاص في الأمور التي ذكرتها الآية ﴿ أَلْتَفْسَ بِالْظُلْمِ وَالظُّلْمِ ﴾ إلى آخره ، والظلم واضح في ذلك . وأن الحكم بالفسق على أهل الإنجيل يشمل الكفر عند إنكار حكم الله ويشمل الظلم عند تجاوز الحد .

ومهما يكن من شيء فإن كلام المفسرين في هذه الآيات كثير ، ويلتقى كله على أن إنكار حكم الله أو الاستهزاء به كفر ، وأن عدم الإنكار وعدم الاستهزاء مع تجاوز الحد في التطبيق أو التقصير ليس كفرا وإنما يكون ظلما ويكون فسقا .

وعليه فإنه لا يصح أن يتعجل بالحكم بالكفر على من لم يحكم بشريعة الله فردا أو جماعة أو دولة إلا بعد التأكد من أن ترك حكم الله كان عن إنكار له أو استهزاء به ، وذلك أمر باطنى لا يمدح به غالبا ، فإن صرح به دون تأويل جاز الحكم بالكفر ، وإن لم يعلم ذلك على وجه اليقين فالواجب هو عدم الحكم بالكفر ، والحديث يقول : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه »^(١) .

وإليك نماذج من أقوال المفسرين القدامى والمحدثين ، وتتفق كلها مع ما تقدم ، ومع ما هو مسطر في «بيان للناس» .

ذكر الفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ خمسة أجوبة ارتضى منها ما قاله عكرمة من أن الحكم بالكفر يكون عند الجحد والإنكار ، أما المؤمن بحكم الله لكنه خالفه فهو عاص ، وقال : إن الكفر يكون بالتقصير في حق الله ، أما الظلم فهو تقصير في حق النفس .

وذكر البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ما نصه : فكفرهم لإنكاره ، وظلمهم بالحكم على خلافه ، وفسقهم بالخروج عنه .

وقال الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ : من جحد حكم الله كفر ، ومن لم يحكم به وهو مقر - يعنى به - فهو ظالم فاسق .

١ - رواه مسلم بعبارات متقاربة .

وقال الآلوسی المتوفى سنة ١٢١٠هـ : ولعل وصفهم بالأوصاف الثلاثة باعتبارات مختلفة ، فلاإنكارهم ذلك وُصفوا بالكافرين ، ولوضعهم الحكم فى غير موضعه وُصفوا بالظالمين ، ولخروجهم عن الحق وُصفوا بالفاسقين .



س : أرجو تفسير قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ .

وهل من الحديث ما يقال : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، وهل هناك تناقض بين الآية والحديث ؟

ج : هذه الآية تنص على أن الإنسان لا يتحمل وزر غيره إذا كان هو مهتديا لكن الاهتداء لا يكون إلا بالقيام بالواجبات ومنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالسكوت على المنكر ممنوع ولا بد من تغييره بإحدى الوسائل الممكنة ، ففى الحديث الشريف « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيـان » فمن لم ينكر المنكر لا يكون مهتدياً ، والإنكار يتفق مع الحديث « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

فلا يوجد تناقض بين الآية والحديث ، ويوضح هذا ما رواه أبو داود والترمذى وغيرهما عن قيس قال : خطبنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : إنكم تقرأون هذه الآية وتناولونها على غير تأويلها :

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] .

وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » وهو حديث حسن صحيح .

وروى أبو داود والترمذى وغيرهما عن أبى أمية الشعبانى قال : أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له : كيف تصنع بهذه الآية ؟ فقال : أية آية ؟ قلت : قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل اثمروا بالمعروف وتناهوا

عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل
 ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة ، فإن من ورائكم أياما
 الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون
 مثل عملكم» .

والكلام كثير في هذا الموضوع .

وخلاصته : أنه لابد من الاهتمام بأمر المسلمين ، ومنه الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر ، فمن فعل ذلك فقد اهتدى ، وبالتالي لا يقع عليه وزر من ضلوا
 الطريق .



س : ما هي الباقيات الصالحات الواردة في قوله تعالى ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف : ٤٦] ؟

ج : الباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحة التي يكون لها ثواب في الآخرة ،
 فهي كالشجرة المثمرة التي تبقى ثمرتها بعد انتهاء هذه الدنيا .

جاء في تفسير القرطبي أن العلماء اختلفوا في المراد بهذه الأعمال الصالحة على أقوال
 كثيرة ، فقليل هي الصلوات الخمس ، وقيل : كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى
 للآخرة ، وهو الصحيح . وقال الجمهور : هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
 والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، كما أخرجه مالك في الموطأ ،
 ووردت في هذا الذكر آثار كثيرة تؤكد أنها المراد من الباقيات الصالحات منها حديث
 «استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال «التكبير
 والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله» ^(١) . وحديث «خذوا
 جُنتكم» قالوا : يا رسول الله : عدوُّ حضر؟ قال : «لا ، ولكن جنتكم من النار ، قولوا
 سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإنهن يأتين يوم القيامة مجنبات

١ - رواه أحمد وأبو يعلى والنسائي واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وصححه .

ومعقبات ، وهن ، الباقيات الصالحات» ^(١) ، والجنة ما يسترويقى ، ومعنى المجنبات :
 المتقدّمات أمامكم ، وفي رواية منجيات ، وفي رواية للطبراني بإسناد جيد الجمع بين
 اللفظين «مجنّبات ومنجيات» ومعنى معقبات تأتي من ورائكم . والمراد أن هذه
 الكلمات تكون حارسه يوم القيامة للإنسان من خلفه ومن أمامه .
 وجاءت أحاديث كثيرة في فضل هذا الذكر أو بعضه يرجع إليه في «الترغيب
 والترهيب» للحافظ المنذري ^(٢) .



س : ما المراد بقوله تعالى ﴿الْخَيْثُوثُ وَالْخَيْثُوثُ وَالْخَيْثُوثُ لِلْخَيْثُوثِ
 وَالطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ﴾ [النور : ٢٦] ؟
 ج : هذه الآية مختلف في تفسيرها ، فقليل : المعنى أن الكلمات الخيثة تكون
 للخيثين من الرجال ، والخيثون من الرجال يستحقون الخيثات من الكلام .
 وكذلك يقال في الطيبين والطيبات .

وقيل في معناها أن النساء الخيثات لا تقاتل للخيثين من الرجال ، أى يملن إلى
 الزواج منهم أو مصاحبتهم ، وكذلك الخيثون من الرجال لا تقون للخيثات من النساء
 أى يميلون إلى الزواج منهن أو مصاحبتهم ، وكذلك يقال في الطيبين والطيبات .
 على حد المثل القائل : إن الطيور على أشكالها تقع .

وهذه الآية جاءت إثر الحديث عن اتهام بعض الناس للسيدة عائشة رضى الله عنها
 بالإفك ، فهى طيبة لا يليق وصفها إلا بالطيب من الأوصاف ، وكذلك لا يبحث عنها
 ويتزوجها إلا الطيبون من الرجال .

فالآية إما حديث عن طبائع الناس ، وإما تشريع في صيانة الألسنة عن
 الاتهامات الكاذبة ، والبحث في الزواج عن الدين والخلق .



١- رواه النسائي والحاكم والبيهقى . ٢- ج ٢ ص ١٦٥ وما بعدها .

س: أرجو تفسير قوله تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَفْنَيْنِ﴾ [غافر: ١١]؟

ج: قال المفسرون: الموتان هما:

الأولى: ما قبل خلقهم وتكوينهم في بطون أمهاتهم.

والثانية: خروج الروح بعد الحياة.

أما الحياتان:

فالأولى: بنفخ الروح في الجنين.

والثانية: بالبعث يوم القيامة، وقيل غير ذلك. وكله اجتهد.

وفي كتب التفسير متسع لمن أراد أن يستزيد.



س: نرجو تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ

الْفَيْكَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

[الإسراء: ٥٨]؟ وهل المقصود في الآية قرية معينة؟

ج: ليس المراد في هذه الآية قرية بعينها، فإنها - كما يقول العلماء - نكرة في سياق النفي فتعم - أى لا توجد قرية إلا والله سيهلكها قبل يوم القيامة، جاء في تفسير القرطبي عن مقاتل: أن هلاك القرية الصالحة يكون بالموت، والقرية الطالحة يكون بالعذاب.

وقيل: المراد بالقرية هى الظالمة، ويقوى ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩] أى فليتق المشركون ربهم فإنه ما من قرية كافرة إلا سيحل بها العذاب، والعذاب إما إبادة كاملة وإما مصائب ومتاعب شديدة، كان ذلك مسطوراً أى مكتوباً في اللوح المحفوظ، قال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا فَنَلَكْ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِهَا إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٨) ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يُلَوِّعُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٥٩) [القصص: ٥٨، ٥٩].



س . قال تعالى ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ ماهي هذه الليالي وما هو الفضل الذى امتازت به حتى يقسم الله بها؟

ج : قال الله تعالى فى سورة الفجر ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ الليالي العشر تختلف فى تعيينها ، فقليل هى العشر الأواخر من رمضان كما فى رواية عن ابن عباس ، وقيل العشر الأول من المحرم كما فى رواية أخرى عنه ، وقيل هى العشر الأول من شهر ذى الحجة ، وهو القول الراجح ، وقد ذكر القرطبى حديثا عن جابر أن النبى ﷺ قال ذلك .

وقد ورد فى فضلها حديث رواه البخارى يقول ﷺ «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» يعنى العشر الأوائل من ذى الحجة قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال «ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا رجل خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع من ذلك بشىء» وحديث رواه الترمذى ، وقال عنه : غريب ، وفيه كلام : «صيام يوم يعدل صيام سنة ، والعمل يضاعف بسبعمائة ضعف» وحديث قال أنس غير مرفوع إلى النبى ﷺ كان يقال فى أيام العشر بكل يوم ألف يوم ، ويوم عرفة بعشرة آلاف يوم . وكلام قاله الأوزاعى - كما رواه البيهقى - : بلغنى أن العمل فى اليوم كقدر غزوة فى سبيل الله ، يصام نهارها ويحرس ليلها ، إلا أن يختص امرؤ بشهادة .

وإذا كان العمل فيها بهذه المنزلة العالية ، فما هو نوع العمل ؟ ليس هناك نص يخصص عملا معيناً لنيل هذه المنزلة ، فكل الطاعات تدخل فى هذا المعنى ، والصيام - وإن كان حديث السيدة عائشة فى صحيح مسلم يقول إنها لم تر النبى ﷺ صام هذه العشر - فعدم رؤيتها لا ينافى صيامه ، والإجماع على سنية الصيام فيها ، وورد فى فضل الذكر بصيغة «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» حديث رواه الطبرانى بإسناد جيد ، بل جاء فىمن يريد أن يضحي أنه يسن له عدم قص الشعر والظفر ، تشبهاً إلى حد ما بالمحرمين بالنسك ، وأن كل جزء من بدنه يعتق بالأضحية .

ثم يقال : لماذا كان لهذه الأيام هذا الفضل العظيم ؟ قال العلماء : لأنها متصلة بالحج ، وفي نهايتها يوم عرفة ، وفضل هذا اليوم عظيم ، وكذلك فضل يوم العيد فهو أعظم حرمة عند الله ، لأن فيه الحج الأكبر ، وكذلك من دواعي التفضيل العمل على إشاعة الأمن في البلاد عامة ، لتهيئة الجو للمسافرين والحجاج ، وكذلك لمن خلفوهم وراءهم ، وذلك بالانشغال بالعبادة والذكر ، وكذلك هذه الأيام فرصة لأداء كل العبادات من صلاة وصيام وصدقة وحج .



س : نريد تفسير قوله تعالى ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [التوبة : ٩٧] .

ج : يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية ما ملخصه : أن العرب جيل من الناس ، والنسبة إليهم عربى ، وهم أهل الأمصار ، والأعراب منهم سكان البادية خاصة ، وجاء في الشعر الفصيح «أعاريب» والنسبة إلى الأعراب أعرايى ، لأنه لا واحد له ، وليس الأعراب جمعاً للعرب ، كما كان الأنباط جمعاً لنبط ، وإنما العرب اسم جنس ، والعرب العاربة هم الخُلَص منهم ، والمستعربة هم الذين ليسوا بخُلَص ، وكذلك المستعربة . والأعرايى إذا قيل له : يا عربى فرح ، والعربى إذا قيل له يا أعرايى غضب . والمهاجرون والأنصار عرب لا أعراب . وسميت العرب عرباً لأن ولد إسماعيل نشأ من عربة وهى من تهامة فنسبوا إليها ، وأقامت قريش بعربة ، وهى مكة ، وانتشر سائر العرب في جزيرتها .

وقد وصفت الآية الأعراب بأن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر العرب ونفاقهم ، لأنهم أبعد عن معرفة السنن ، ولأنهم أقسى قلباً وأجفى قولاً وأغلظ طبعاً .

ورتب القرطبي على ذلك أحكاماً منها : أن شهادة أهل البادية على أهل الحضر تسقط ولا تقبل ، وأجازها أبو حنيفة ، كما أجازها الشافعى إذا كان الأعرايى عدلاً مرضياً ، وهو الصحيح ، ومنها أن إمامة البدوى لأهل الحضر ممنوعة ، يعنى

لا يصح أن يكون البدوى إماما فى الصلاة للمؤمنين من أهل الحضر ، لجهله بالسنّة ، وقال مالك : لا يؤم وإن كان أقرأهم ، وقال سفيان الثوري والشافعى وإسحاق وأصحاب الرأى - الحنفية - الصلاة خلف الأعرابى جائزة ، واختاره ابن المنذر إذا أقام حدود الصلاة .

يغرف من هذا أن البيئّة لها أثر على الإنسان فى عقله وفى سلوكه ، وأن الجامدين على بيئّة واحدة يتأخّر تطوّرهم وتغيّر أحوالهم ، وأن الاختلاط بالبيئات الأخرى يؤثّر على الفكر والسلوك ويساعد على التطور ، وكلما كان التطور نحو الأفضل وهو هدى الله لعباده كان ممدوحاً .



س : ما هو الطاغوت الذى تكرر ذكره فى آيات القرآن الكريم ؟

ج : و رد لفظ الطاغوت فى القرآن ثمانى مرات : فى سورة البقرة : الآيتان : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، وفى سورة النساء : الآيات : ٥١ ، ٦٠ ، ٧٦ ، وفى سورة المائدة : الآية : ٦٠ ، وفى سورة النحل : الآية : ٣٦ ، وفى سورة الزمر : الآية : ١٧ .

قال الراغب الأصفهاني فى مفردات القرآن : الطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله ، ويستعمل فى الواحد والجمع ، ولما تقدم سمي الساحر والكاهن والمارد والجن والصارف عن طريق الخير طاغوتا . انتهى .

ولو تتبعنا تفسير الآيات المشار إليها فى مواضعها ما رأيناها تخرج عن ذلك ، جاء فى تفسير الجلالين فى الآية الأولى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾ والثانية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلَىٰ أُولَٰئِكَ أَهْمُ الطَّاغُوتِ﴾ أن الطاغوت هو الأصنام أو الشيطان ، وفى الآية الثالثة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَّتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أن الجبت والطاغوت صنمان لقريش . وفى الآية الرابعة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ أنه كثير الطغيان وهو كعب ابن الأشرف . وفى الخامسة ﴿يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ أنه الشيطان ، وفى السادسة ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أنه الشيطان ، وفى السابعة ﴿وَابْتَدَنُوا الطَّاغُوتَ﴾ أنه الأوثان ، وفى الثامنة ﴿وَالَّذِينَ ابْتَدَنُوا الطَّاغُوتَ﴾ أنه الأوثان أيضاً .

ويظهر معنى الطاغوت فيما يعبد من دون الله من أصنام ومخلوقات أخرى إذا ذكر معه الإيمان وعبادة الله والكفر بالطاغوت . وهو يطلق على الباطل مطلقاً ممن يعقل وما لا يعقل ، فإذا عبد من دون الله أو مع الله فذلك كفر أو شرك ، وإذا فتن به دون عبادة له كان عصياناً وفسوقاً ، كالذى يفتنه الشيطان أو السلطان أو المال أو الذهب أو المرأة أو غير ذلك ، فتنة تلهيه عن الواجب وتغريه بالسوء ، وقد يطلق عليه أنه يعبد أي يحبه حباً شديداً ويطيعه طاعة العبد لسيده ، ومنه حديث «تعس عبد الدينار والدرهم»^(١) .



س : يقول بعض الناس إن «طه ويس» ليسا من أسماء النبي ﷺ وورودهما في القرآن جاء على أنهما من الحروف المقطعة في أوائل السور ، مثل : حم ، طس ، فهل هذا صحيح؟

ج : أولاً : طه : جاء في تفسير القرطبي^(٢) أن هناك خلافاً في معناها ، فقال أبو بكر : هو من الأسرار ، وقال ابن عباس : معناه يا رجل ، وهى لغة معروفة فى «عكل» وقال عبد الله بن عمر : معناها بلغة «عك» يا حبيبي ، وقيل : هو اسم من أسماء الله تعالى وقسم أقسم به وهو مروي أيضاً عن ابن عباس وقيل : هو اسم للنبي ﷺ سمى الله به كما سمى محمداً ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «لي عند ربى عشرة أسماء» فذكر أن فيها طه ويس ، وقيل إنها حروف مقطعة كالتى فى أوائل بعض السور وقيل : إن معناها : طأ الأرض ، وذلك أن النبي ﷺ كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورمان ويحتاج إلى الترويح ، فقيل له : لا تتعب حتى تحتاج إلى الترويح ، ويناسب ذلك قوله تعالى بعد ذلك مباشرة ﴿ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ أى ما أنزلناه لترهق نفسك بالقيام به فى الصلاة .

١- رواه البخارى ، يراجع كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف ، ج ١ ص ١٧٦ .

٢- ج ١١ ص ١٦٥ .

هذا مختصر مما جاء في تفسير القرطبي من كلام طويل فيه من أراد الاستزادة فليرجع إليه .

ثانيا : يس . جاء أيضاً في تفسير القرطبي ^(١) أن هناك خلافا في معناها فقليل : معناها يا إنسان أو يا رجل ، وقيل : اسم من أسماء النبي ﷺ أو من أسماء الله تعالى ، وكما طال الكلام في طه طال في يس فيرجع إلى القرطبي ، وذكر الزرقاني في شرح المواهب ^(٢) أن الحديث ، الذي ذكره ابن مردويه في أن طه من أسماء النبي ﷺ ضعيف واعتمد أنه من الحروف المقطعة ^(٣) .



س : ما معنى قوله تعالى ﴿وَأَيُّلَ إِذَا عَسَّسَ ۖ وَالصُّبْحَ إِذَا نَفَسَ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝﴾ [التكوير : ١٧-١٩] .

ج : هذا قسم من الله سبحانه بالليل والصبح ، كما أقسم بأشياء كثيرة ، على أن القرآن الكريم موحى به من الله سبحانه بوساطة جبريل الأمين ، إلى النبي ﷺ .

ومعنى عسس الليل أقبل من أوله وأظلم ، أو أدبر من آخره وولى ، فهو من الأضداد التي تستعمل في الإقبال والإدبار ، ومعنى تنفس الصبح امتد حتى صار نهارا واضحا فالله يقسم بالليل في ظلامه وبالصبح في نوره على أن القرآن حق من عنده سبحانه ، فكأنه يقول : كما أن هناك فرقا واضحا بين الظلام والنور هناك فرق واضح بين كلام الله وكلام غيره ، فكلامه هو الحق ، وكلام غيره هو الباطل الذي زعموه ، وكلامه نور يهدي وكلام غيره ظلام يضل .

أو كأنه يقول : إن الذي قدر على أن يمحو النهار بالليل ، ويمحو الليل بالنهار ، قدر على أن يجعل من محمد الأُمى العادى رسولا يتلقى الوحي ويبلغه ، ويصير به

٢- ج ٣ ص ١٣٧ .

١- ج ١٥ ص ٣ .

٣- ج ٣ ص ١٧٥ .

معلما للإنسانية ما لم يكن تعلمه من قبل ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] .



س : نريد توضيحاً لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] ؟

ج : من أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية ما جاء عن عكرمة أنه قال : جاء نفر من أهل اليمن إلى ابن عباس رضى الله عنهما فسألوه عن هذه الآية فقال : اقرءوا ما قبلها من قوله تعالى ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٦ - ٧٠] قال ابن عباس من كان أعمى عن هذه النعم والآيات التى رآها فهو عن الآخرة التى لم يعاينها أعمى وأضل سبيلا .

إن الذين لا يشكرون هذه النعم المحسوسة التى لا تحتاج إلى نظر دقيق أو عقل واسع قد عميت بصائرهم عن الحق ، وغفلت عنه قلوبهم كالذين فقدوا أبصارهم فلا يرون شيئا من المحسوسات ، بل هم أضل من الأنعام التى تسيرها الغرائز ، لأنها معذورة حيث لا يوجد لها عقل كعقل بنى آدم . أما من له عقل وعطلة فهو متعمد للضلال فكان أضل من الأنعام .

ولقد عبر الله سبحانه عن الذين لم يتبينوا له عقيدة وسلوكا بأنهم عمى فقال : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١١٦) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١١٧) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ إِذْ كُنْتَ رِيءَ (١١٨) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ (١١٩) [طه : ١٢٤-١٢٧] فالذين عميت بصائرهم هم فى الحقيقة عمى عن الهدى ، ولا مانع أن يحشرهم الله يوم القيامة عمى الأبصار ، جزاء وفاقا بما كانوا عليه فى الدنيا من عمى البصائر .

أما من فتح الله بصائرهم فاتبعوا الحق فإنهم يحشرون يوم القيامة بيض الوجوه، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم حتى لو كانوا في الدنيا ممن امتحنهم الله في أبصارهم لكنهم رأوا قدرته وأحسوا نعمه بقلوبهم وبصائرهم ، وكم في الحياة من مكفوف الأبصار هداهم الله إلى الحق وأعلى منزلتهم ، وفي التاريخ قديمه وحديثه علماء وصالحون من هذا النوع .



س : هناك آية تنسب الحسنة إلى الله ، والسيئة إلى الإنسان وآية أخرى تقول إن السيئة من الله ، فكيف نوفق بينهما ؟

ج : قال الله تعالى ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] وقال ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [التغابن : ١١] الموضوع في الآيتين مختلف ، ففي الآية الأولى بيان الجزاء على ما يعمله الإنسان ، وفي الثانية بيان علم الله وإرادته ، فالله يجازينا على الحسنة فضلاً منه وكرماً وعلى السيئة رحمة منه وعدلاً ، إذا أعطى الله إنساناً ثواباً على حسنة فالثواب منه تفضل ، لأننا عباد مفروض أن نطيعه ولا نطلب على طاعتنا أجراً شأن العبد مع سيده ، يؤمر فيطيع ولا يطلب من سيده جزاء لأنه مملوك له ، فإذا أعطاه سيده أجراً كان تفضلاً منه ، وهو إن قل يعد كثيراً ، ومع ذلك ففضل الله واسع يعطي الحسنة ثواباً هو عشر أمثالها وإذا عصى العبد ربه وعاقبه على سيئته كان المفروض أن يأخذه ربه بالشدة كالعبد العاصي لسيده ، ولكن عدل الله تشوبه الرحمة أيضاً فيعطي سيئة على سيئة .

ولا يجوز أن ينسب العبد إلى ربه ظلماً على عقابه ، فهو المتسبب فيه ، ولم يبدأ الله معاقبته بدون سبب ، فذلك في عرف الناس ظلم والله أولى بالعبد عنه «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» ^(١) ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

١ - رواه مسلم .

أما قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيفسره قوله في آية أخرى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] فكل ما يحدث في الكون معلوم له قبل أن يحدث وهذا معنى ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي نخلقها ، فالإيمان بأن كل شيء في علم الله يعطي النفس توجيهاً طيباً ، فما يحدث من خير يشكره عليه ، وما كان من سوء يصبر عليه ويرضى ، وفي الحديث «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» ^(١) . ويلتقى هذا مع قوله بعد الآية السابقة ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي فلا تجزعوا على المصيبة ولا تطغينكم النعمة .



س : ما التهلكة الواردة في قوله تعالى ﴿وَلَا تُنْفِقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتِهْلُكَةِ﴾ ؟

ج : هذا جزء من الآية ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُنْفِقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْتِهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] جاءت هذه الآية بعد آيات تتحدث عن الجهاد في سبيل الله ، وفيها أمور ثلاثة ، أولها الأمر بالإنفاق في سبيل الله ، وثانيها النهي عن الإلقاء بالأيدى إلى التهلكة ، وثالثها الأمر بالإحسان ، أما الإنفاق في سبيل الله فمعناه واضح وإن كان سبيل الله واسع الميدان فمن أهمه الجهاد وكذلك الإحسان واضح المعنى فهو يلتقى مع الإنفاق في سبيل الله في أكثر مظاهره وإن كان من معانيه الإجادة والإتقان والإخلاص في أى عمل . على ما جاء في الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

وأما الإلقاء بالأيدى إلى التهلكة ففي تفسيره عدة أقوال : لا تتركوا النفقة ولا تخرجوا إلى الجهاد بغير زاد ولا تتركوا الجهاد ، ولا تدخلوا على العدو الذى لا طاقة لكم به ولا تياسوا من المغفرة وقد قال الطبرى : هو عام في جميعها ، كما ذكره ابن العربى في أحكام القرآن .

١ - رواه مسلم .

ومن الوارد في ذلك ما رواه البخارى عن حذيفة أن الآية نزلت في النفقة وكذلك قال ابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد وجهور الناس كما ذكره القرطبي ، وقال المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة ، في سبيل الله وتحافوا العيلة فيقول الرجل : ليس عندي ما أنفقه وذكر القرطبي خمسة أقوال في تفسير هذه الآية . وقال : روى الترمذى عن يزيد بن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران أنهم في غزو القسطنطينية حمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس : إنه يلقي بيديه إلى التهلكة ، فصاح لهم أبو أيوب الأنصارى معنى الآية بأنها نزلت في الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر دينه قالوا : هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها لأنها ضاعت فالتهلكة هي الإقامة على الأموال وإصلاحها وترك الغزو .

ثم تحدث القرطبي عن حكم اقتحام الرجل في العرب وحمله على العدو وحده . وقال : إن بعض العلماء المالكية أجازوا أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة وكان لله بنية خالصة ، فإن لم تكن فيه قوة فذلك من التهلكة ، وقيل : إذا طلب الشهادة وخلصت النية فليحمل ، لأن مقصوده واحد منهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَلْتَمَسْ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ وقال ابن خوير منداد : فأما أن يحمل الرجل على مائة أو على جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج فلذلك حالتان : إن علم وغلب على ظنه أنه سيقتل من حمل عليه وينجو هو فحسن ، وكذلك لو علم وغلب على ظنه أن يقتل ولكن سينكى نكابة أو سيبل أو يؤثر أثرا ينتفع به المسلمون فجائز أيضا ، وقد بلغنى أن عسكر المسلمين لما لقي الفُرس نفرت خيل المسلمين من الفيلة ، فعمد رجل منهم فصنع فيلا من طين وأنس به فرسه حتى ألفه ، فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل ، فحمل على الفيل الذى كان يقدمها فقبل له : إنه قاتلك ، فقال لا ضير أن أقتل ويفتح للمسلمين ، وفعل البراء بن مالك حيلة في حرب بنى حنيفة حتى دخل حصنهم وفتح الباب فدخل المسلمون .

وذكر القرطبي ما رواه مسلم في دفاع رجل من الأنصار عن النبى ﷺ يوم أحد فقاتل العدو حتى قتل ، وفعل مثله العدد القليل الذين أحاطوا بالرسول ، وهذا

دليل على أن المخاطرة التي فيها منفعة للمسلمين لا بأس بها ولا تعد من الإلقاء باليد إلى التهلكة ، كما ذكر القرطبي عن محمد بن الحسن أن المخاطرة بالنفس إذا كان فيها طمع في النجاة أو النكاية في العدو لا بأس بها ، وإلا كانت مكروهة لأنه عرض نفسه للتلف في غير منفعة للمسلمين إلا إذا قصد تشجيع المسلمين حتى يصنعوا مثله فلا بأس بها لأن فيها منفعة لهم على بعض الوجوه .

ثم تطرق القرطبي من حكم المخاطرة في الجهاد إلى المخاطرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال : إنه متى رجا نفعاً في الدين فبذل نفسه حتى قتل كان في أعلى درجات الشهداء قال تعالى ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان : ١٧] وفي حديث النسائي وابن ماجه بسند صحيح «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وجاء مثل ذلك في أحكام القرآن لابن العربي.



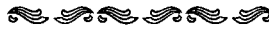
س : نرجو تفسير قوله تعالى ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْشفقِ﴾ ١٦ ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ١٨ لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ١٩ ﴿ [الانشقاق : ١٦-١٩] .

ج : في هذه الآيات مقسم به وهو الشفق والليل والقمر ، ومقسم عليه وهو تغير الأحوال للإنسان في دنياه وفي أخراه ، وبيان ذلك أن الشفق هو الحمرة التي تكون في الجو عند مغيب الشمس على المختار من الأقوال في المراد به ، ومعنى وسق جمع وضم وحمل ، فإذا جاء الليل جمع الظلام تحت سلطانه كل كائن غابت عنه الشمس ، وأوى إلى حيث يبيت ويستريح ومعنى اتسق كمل واستوى ، وذلك حين يكون القمر بدرًا .

إن هذه الأمور تبدو فيها ظاهرة التغير والتحول ، فبعد ضوء النهار إما يبعث فيه من حركة ونشاط تحت سلطان الشمس بقوتها ، تغيب تلك الشمس وتتوارى ، ويحيى الليل بظلامه فيحد من الحركة ويقلل من النشاط ، وتصير الكائنات في حالة أشبه بالموت بعد الحياة .

۲۸۶

الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَلْذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿[الحج : ١٧٣] .



س : ما معنى النسيء الذى قال الله عنه إنه زيادة فى الكفر ؟

ج : يقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٣٧] .

النسيء على وزن فَعِيل بمعنى مفعول ، مأخوذ من نسأت الشيء إذا أخرته ، فهو منسوء ونسئ كمقتول وقتيل ، أو مأخوذ من نسا إذا زاد ، وكان العرب فى الجاهلية وهم أصحاب حروب يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية بدون إغارة وهى أشهر الحج : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، فكانوا يحلون المحرم ويؤخرون تحريم القتال إلى صفر ، ويجعلونه بدله من الأشهر الحرم وهكذا كانوا يفعلون كل عام بتأخير شهر عن مواعده ، وكان يقوم بذلك واحد منهم لا يرد له قضاء اسمه «الْقَلَمَس» .

ولما جاء الإسلام رجع شهر المحرم . إلى موضعه الذى وضعه الله ، وهذا معنى قوله ﷺ فى حجة الوداع «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم» وصادف حج رسول الله ﷺ موضعه الحقيقى من الشهور التى غيروها ، فكان تحريم الشهور وتحليلها بحسب حاجتهم ، وذلك كله ضلال ، ومظهر من مظاهر كفرهم ، يضم إلى ما سبق أن ارتكبه من مخالفات لدين الله .

ولو كان للناس الحرية فى تنظيم أمورهم وتوقيتها فإنها حرية مقيدة بما حدده الله سبحانه ، فللصلوات وللصيام وللحج وغير ذلك أوقات محددة اختارها بعلمه وحكمته ، لتدور مع الظروف ، ولينسجم المسلمون مع سنن الله الكونية ، وليظهر إيمانهم المطلق بشريعة الله مهما كان فيها من امتحانات .



س : ما المراد بالصابرين في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؟

ج : الصبر في اللغة إمساك في ضيق ، أى امتناع عن شىء مع معاناة ، والصبر المحمود شرعا هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقتضيان حبسها عنه ، وهو لفظ عام يفسر معناه بحسب اختلاف مواقعه من الآيات والسور ، وقد ورد بمشتقاته في القرآن أكثر من مائة مرة ، وتدور معانيه حول ثلاثة أمور :

أولها : الصبر على المصيبة ، وهو المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ [البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦] .

وثانيها : الصبر على الطاعة ، بمعنى تحمل ما يكون فيها من تعب يقصد به تهذيب النفس وترويضها على تخطى العقبات ، كالصبر على الجوع والعطش في الصيام ، وقد جاء فيه « الصوم نصف الصبر » ^(١) ، وجاء أيضاً عن شهر رمضان « وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة » ^(٢) ، ومنه الصبر على مشاق الحج وعلى أداء الصلوات في أوقاتها ، وعلى الجهاد في سبيل الله ، وعلى قضاء مصالح المسلمين وعلى طلب العلم وكسب العيش ، يقول الله تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

وثالثها : الصبر عن المعصية أى عن المحرمات ، ذلك أن النفس لها مطالب ونزعات ، وقد حَرَّمَ الله بعضها لأن في التحريم خيرا لها ولغيرها ، كالتعدى على الحرمات وتناول المسكرات والاختلاس وغيرها ، فالذى يمنع نفسه عنها يسمى صابرا عن المعصية ، وفي هذا الصبر معاناة شديدة ، لأنها معركة مع أعدى الأعداء وأخطر الخصماء ، وهى النفس التى بين الجنين ، مع الشيطان الذى قرر الله أنه عدو مبين .

والامتناع عن هوى النفس وإغواء الشيطان في ظاهره عمل سلبي لكنه في الحقيقة عمل إيجابى كبير ، وهو ليس استسلاما للواقع ولو كان مرأ ، إنما هو نقطة انطلاق إلى الأمام من أجل العمل الطيب .

١- رواه ابن ماجه . ٢- رواه ابن خزيمة في صحيحه .

وعلى الصبر بأنواعه الثلاثة يمكن حمل النصوص من القرآن والسنة عليها ،
وهي كثيرة ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان : ٧٥] .



س : ما معنى قوله سبحانه عن الذى يدخل النار ، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ؟

ج : يقول الله سبحانه ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۖ سِيَذَّرَكُم مِّنْ يَحْشَى ۖ وَنَجِّنَهَا ۖ الْأَشْقَى ۖ﴾ [الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ۖ] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ﴾ [الأعلى : ٩ - ١٣] .

المراد بالأشقى فى هذه الآية هو الكافر الذى لا يستفيد من الدعوة وسيدخله الله
نارا كبرى يستمر عذابه فيها ولا ينقطع أبدا . وعلى الرغم من شدة النار التى
وقودها الناس والحجارة لن يموت ، كما قال سبحانه : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِى النَّارِ لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۖ﴾ [خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ
لِّمَا يَرِيدُ] [هود : ١٠٦ ، ١٠٧] .

وكما قال فى كيفية العذاب ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَلِمًا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ بِذَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۖ﴾ [النساء : ٥٦] .

ويتمنى الكافرون أن يخرجوا من النار ، ولكن لا يجابون لما يتمنون .

قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ ۖ﴾ [وَلَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ] ﴿فَكَيْفَ يَكُونُ الْكَافِرُ غَيْرَ مَيِّتٍ وَغَيْرِ حَيٍّ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؟
ظَلَّنْتُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۖ﴾ [وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ مَّنَكُوتٌ] [الزخرف : ٧٤-٧٧] ومالك هو خازن النار .

وإذا كان الكافر لا يموت فى النار فلا بد أن يحيا ، لكن الآية تنفى عنه الحياة حيث
تقول ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ﴾ فكيف يكون الكافر غير ميت وغير حى فى وقت واحد؟
قال العلماء : المراد بقوله تعالى ﴿وَلَا يَحْيَى ۖ﴾ يحيا حياة طيبة ، فالثابت له عدم الموت ،
والمنفى عنه هو الحياة الطيبة ، فهو حى معذب شقى وذلك على مثال قول الشاعر :

ألا ما لنفس لا تموت فينقضى عنها ولا تحيا حياة لها طعم

وإذا كانت دقائق العذاب لا تعرف إلا بالنص الصحيح فإن العصاة المؤمنين أملا في أن يكون عذاب النار هينا عليهم في درجة خاصة بهم ، يأخذون قسطهم من العذاب في شبه موت حتى يأذن الله بخروجهم من النار ، كما جاء في صحيح مسلم أن الموحدين من المؤمنين إذا دخلوا جهنم احترقوا وماتوا إلى أن يشفع فيهم . وبعد إخراج عصاة المؤمنين من النار يكتب الخلود لأهل النار فلا يموتون ، كما يكتب الخلود لأهل الجنة فلا يموتون . جاء تصوير ذلك في رواية للبخارى ومسلم تمثل قضاء الله على الموت بصورة كبش يذبح ثم ينادى «يا أهل الجنة خلودوا بلا موت ويا أهل النار خلودوا بلا موت» .

وإذا كنا ندعو الله أن يغيرنا من النار ويدخلنا الجنة فليكن مع الدعاء عمل صالح كما قال سبحانه في المتخاصمين المتجادلين : أَيْهِمْ تَكُونُ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٣٢) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا ﴿٣٣﴾ [النساء : ١٢٣ ، ١٢٤] .

وحتى نشط لعمل الخير نذكر ما رواه مسلم عن ثواب أدنى أهل الجنة منزلة ، وهو آخر من يدخلها وآخر من يخرج من النار ، أن الله سبحانه يقول له «أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت يا رب فيقول له : لك مثله وعشرة أمثاله » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .



س : أرجو تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الطور : ٣٦] ؟
ج : هذه آية من سورة الطور جاء قبلها قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿٣٦﴾ [الطور : ٣٥ ، ٣٦] .
وهما من ضمن الأساليب التي ترد على المشركين الذين كذبوا الرسول ﷺ في دعوته أن هناك إلهاً واحداً خلقهم جميعاً ، وأن الأصنام التي يعبدونها عاجزة عن خلق أى شيء .

فتنكر الآية الأولى أنهم خلقوا من غير شيء أى من غير إله خلقهم وقدرهم كما قال ابن عباس ، ولم يعرفوا المادة التى خلقوا منها وهى ماء مهين سواه الله ونفخ فيه من روحه ، فهل خلقوا هم أنفسهم أو خلقتهم الأصنام التى يعبدونها .

والآية الثانية تستنكر أن الأصنام خلقت أى شيء ، بل هى نفسها مخلوقة وصنعها من يعبدونها بأيديهم ، وأين كان هؤلاء الأصنام حين خلق السموات والأرض ، وما داموا لم يخلقوا السموات والأرض ولم يخلقوا أنفسهم فبأى شيء يستحقون العبادة ؟

إن المشركين لا يؤمنون بالحق الذى جاءهم به محمد ﷺ ولا يوقنون بإجابة صحيحة عن هذه التساؤلات .



س : ولد لى ولد له إصبع فى يده زائدة وتركته حتى بلغ خمس سنوات فرأيت الصبيان يهزءون به من أجلها ، فهل لو قطعها يكون ذلك حراما ؟

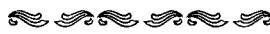
ج : يقول الله تعالى عن إبليس ﴿وَأَمْرُهُمْ فليُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] تحدث علماء التفسير عن معنى هذه الآية وتطرقوا إلى الكلام عن الإصبع الزائدة وعن اللحية إذا نبتت للمرأة ، وقال جماعة من الفقهاء : لا يجوز تغيير ذلك مطلقا لنص الآية ، وقال آخرون بالجواز مستندين إلى أمرين : الأمر الأول أن معنى تغيير خلق الله لم يتفق عليه ، فإن بعض المفسرين قالوا : المراد منه ما تدل عليه الآية ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيِّعَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾ [المائدة : ١٠٣] وعلى هذا فهى ليست نصا قاطعا فى الدلالة على التحريم ، والأمر الثانى أن إزالة الإصبع أو السن الزائدة ليس المراد به تغيير خلق الله ، بل المراد التحسين والتجميل لما خلق الله ، وذلك غير حرام .

وإذا كان الحديث الشريف لعن الواصلة والمستوصلة والنامصة والمنتمصة . . . وجاء فيه «المغيرات خلق الله» فإن اللعن يجوز أن يكون منصبا على التغيير

والتدليس الذى يظهر به الشيء وقتا حسنا ثم يظهر قبيحا وقتا آخر ، فيحصل به الغش ، أو يراد به السوء والفتنة . وإذا انتفى ذلك فلا مانع .

والإصبع الزائدة لاشك أنها تؤذى صاحبها بدنيا أو نفسيا ، وليس فى إزالتها تدليس ولا تغرير لأنها لا تنبت بعد ذلك ، وهى ظاهره مكشوفة للناس .

ثم قالوا لو أن إنسانا خلق وقلبه خارج صدره فهل يحرم إجراء عملية تعيد القلب إلى وضعه الطبيعى ؟ أو لو خلق توأمان متصلان وأمكن فصلهما بدون ضرر على أحدهما هل يحرم ذلك : إنها حالات استثنائية ليس هناك ضرر من معالجتها ، بل فى ذلك نفع وفائدة ومن هنا أختار الرأى القائل بإزالة الإصبع الزائدة ، وقد نص على ذلك ابن حجر فى فتح البارى ^(١) .



س: نريد تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوَّالْكُفْرِ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ وكيف يتناسب ذلك مع ما ورد فى الزواج من سكن ومودة ورحمة ؟

ج : الأسرة تقوم على الزوج والزوجة والأولاد ، وهى إذا أحسن توجيهها حققت السكن والمودة والرحمة ، لكن ليست كل الأسر تستطيع الالتزام بتوجيهات الدين ، ومن هنا يأتى القلق والبغض والقسوة ، وتكون المسألة الشديدة أمام الله سبحانه ، ولذلك أوصى الإسلام ببناء الأسرة على أسس القيم الرفيعة الموجودة فى الرجل والمرأة ، فتمتثل المرأة ذات الدين والخلق ، ويختار الرجل ذو الدين والأمانة كما جاء فى السنة النبوية .

وإذا وجب على الأسرة أن تتعاون لتحقيق أهدافها فكيف تكون العداوة أو من أين تأتى ؟ إن الآية الكريمة تبين أن بعض الأزواج -الزوجات - وبعض الأولاد

قد يكونون أعداء للزوج والوالد ، وليس الكل أعداء ، وإلا ما كانت هناك حاجة إلى الزواج ، ولذلك عبرت الآية بلفظ «مِنْ» التي تفيد التبعية .

والعداوة تأتي من مخالفة الوصية بحسن المعاشرة ، وعدم التزام أفراد الأسرة بالواجبات المفروضة عليها ، والاهتمام بالحقوق أكثر من الواجبات ، قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء : ١٩] وقال : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة : ٢٢٨] وقال ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] وقال : ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء : ٣] إلى غير ذلك من النصوص التي تبين الحقوق والواجبات .

جاء في سبب نزول الآية التي في السؤال أن بعض الرجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا الهجرة إلى النبي ﷺ في المدينة ، فأبى أزواجهم وأولادهم ، فلما أتوا النبي ﷺ ورأوا الناس قد تفقهوا في الدين هموا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم ^(١) ، فنزلت الآية ولذلك جاء في آخر الآية ﴿وَأِنْ تَعَفُّواْ وَنَصِفْحوْاْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والعفو هو ترك المؤاخذة بالذنب ، والصفح هو إزالة أثره من النفس ، يقال : صفح عنه أعرض عن ذنبه ، وضرب عنه صفحاً أى أعرض عنه وتركه ، والغفر هو الستر .

وقيل : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ، كان إذا أراد الغزو بكت الزوجة والأولاد ورققه قائلين : إلى من تتركنا؟ فتركهم . وفي حديث ضعيف «يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأولاده ، يعبرونه بالفقر فيركب الصعب من أجلهم» . ومن جهاد الزوج لهم ما في البخاري أن الشيطان قعد لابن آدم - وسوس أو أغرى زوجته وأولاده ليقولوا له - في طريق الإيمان فقال : أتؤمن بالله وتذر دينك ودين آبائك ؟ فخالفه فأمن ، فقعد له في طريق الهجرة فقال : أتهاجر وتذر مالك وأهلك ؟ فخالفه فهاجر ، فقعد له في طريق الجهاد فقال : أتجاهد فتقتل نفسك وتنكح زوجاتك

١- رواه الترمذى بسند حسن صحيح .

ويقسم مالك ؟ فخالفه وجاهد ، فحق على الله أن يدخله الجنة ، وفي الحديث «الأولاد مجبنة مبخلة» أو «مُجَبَّنَةٌ مُبَخَّلَةٌ»^(١) . وأخرج الترمذى عن خولة بنت حكيم قالت : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو مُحْتَضِنٌ أحد ابني بنته وهو يقول «إنكم لتبخّلون وتجبّون وتجهلون ، وإنكم لمن ريجان الله» . أى تحملون على البخل على غيركم إيثارا لكم ، وتحملون على الجبن والقعود عن الجهاد ، وتحملون على الاعتداء على غيركم دفاعا عنكم^(٢) .



س : أرجو تفسير قوله تعالى : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] ومتى ينشق القمر ؟

ج : اقتراب الساعة حقيقة كما فى الحديث «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى ، ومن أجل ذلك كان الرسول خاتم الأنبياء ، لانبى بعده حتى تقوم الساعة وانشقاق القمر هو المعجزة القوية التالية لمعجزة القرآن (وإن كانت معجزة القرآن للتحدى) ومعنى انشق القمر : انشق بالفعل ، وعليه جمهور العلماء ، وثبت ذلك فى البخارى وغيره . يقول الترمذى فى حديث حسن صحيح عن أنس : : سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين ، فنزلت ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] إلى قوله تعالى : ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ٢] .

ولفظ البخارى عن أنس قال : انشق القمر فرقتين . يقول القرطبي فى تفسيره^(٣) ثبت بنقل الأحاد العدول أن القمر انشق بمكة ، وهو ظاهر التنزيل ، ولا يلزم أن يستوي الناس فيه - أى فى رؤية ذلك - لأنها كانت آية ليلية ، وأنها كانت باستدعاء النبى ﷺ من الله للتحدى ، وما يؤكد أنه وقع قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر : ٢] .

١- رواه البغوى .

٢- والموضوع مبسوط فى كتابنا «تربية الأولاد فى الإسلام» وفى هذا القدر كفاية .

٣- ج ١٧ ص ١٣٦ .

وقال قوم : لم يقع انشقاق القمر وسينشق عند قرب قيام الساعة . والتعبير بالفعل الماضي بدل المضارع يدل على التأكيد ، كما في قوله تعالى في النحل : ﴿ أَفَأَمْرٌ أَنَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] .

وإذا قامت الساعة انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره ، وكذلك قال القشيري ، وذكر الماوردي أن هذا قول الجمهور ، وقال : لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه لأنه آية والناس في الآيات سواء .

وقيل : « انشق القمر » . أى وضح الأمر وظهر ، والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح ، وقيل : انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها ، كما يسمى الصبح فلماً لانفلاق الظلمة عنه .

ولكن رأى الجمهور هو الصحيح في حدوث انشقاق القمر بالفعل ، وكان ليلة البدر ، وكان نصفه ، على جبل أبى قبيس ، والنصف الآخر على جبل قعيقعان .



س : ما معنى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْكَوْفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥] ؟

ج : الكلام في هذا النور كثير ، فقليل : المراد مدح الله ذاته بأنه خالق الكون ، ونور جميع الأشياء منه ، وأن وجوده ظاهر واضح كالنور ، من السهل جداً أن يؤمن به كل من ينظر ويتأمل بديع صنعه ، فلا عذر لأحد في عدم الإيمان به بعد هذه الأدلة الواضحة ، فهي تسمى نوراً يستدل بها عليه سبحانه كما قال عن القرآن ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] وكما قال عن نبيه ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ

مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكُتِبَ مُبِينٌ ﴿ [المائدة : ١٥] وضرب مثلاً لقوة هذا النور بما هو معهود عند العرب ، كالمصباح الموضوع في مشكاة - وهي الطاقة أو الكوة في الحائط غير النافذة - والمصباح في زجاجة تزيد ضوءه قوة كأنها كوكب درى ، والزيت الذى يوقد هو أعلى صنف وهو زيت الزيتون المأخوذ من شجرة مزروعة في جو معتدل لا حار ولا بارد . ولصفاء هذا الزيت يكاد يضىء ولو لم تمسه نار ، فهو مضىء ومع النار يزيد النور ، وهذه الأدلة الواضحة على وجوده وألوهيته يهdy الله لها من وفقه وبارك له في عقله وبصره وحواسه لتدرك ذلك بسهولة . هذا تقريب للمعنى والكلام كثير يرجع إليه في كتب التفسير .



س : ماذا يعنى التضاد في أسماء الله الحسنى ، مثل الأول والآخر والظاهر والباطن ؟

ج : ليس هنالك تضاد في أسماء الله الحسنى ، فمعنى «الأول» الذى لم يسبقه شىء في الوجود ، وهو ما يشير إليه الحديث «كان الله ولا شىء معه» ، ومعنى «الآخر» ، الذى يبقى بعد فناء الخلق ، كما قال سبحانه ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن : ٢٦ : ٢٧] ومعنى «الظاهر» ، الذى يدرك وجوده كل من نظر في الكون وتدبّر الخلق ، فهو ظاهر بوجوده وليس بذاته ، كما يشير إليه قوله ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور : ٣٥] على بعض التفاسير . ومعنى «الباطن» الذى لا يرى ذاته أحد ، بل يرى آثاره فقط ، كما يشير إليه قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

هذا ، وقد جاء في تفسير القرطبي ^(١) : اختلف في معاني هذه الأسماء وقد بينهاها في الكتاب الأسبق ، وقد شرحها رسول الله ﷺ شرحاً يغني عن قول كل قائل ، فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ،

وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء . اقض عنا الدين وأغننا من الفقر» عني بالظاهر الغالب، وبالباطن العالم، والله أعلم .



س: قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] .

ج : يقول أبو جعفر النحاس فيها خمسة أقوال ملخصها :

- ١ - من قال بنسخ القرآن بالسنة نسخها قوله ﷺ « لا وصية لوارث » .
- ٢ - ومن قال بنسخ القرآن بالقرآن قال نسخها قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] .
- ٣ - نسخت الوصية للوالدين ، وثبتت للأقربين الذين لا يرثون .
- ٤ - نسخ وجوب الوصية وبقي ندها .
- ٥ - الوصية واجبة للوالدين والأقربين إذا كانوا لا يرثون ، قال طاووس : من أوصى لأجنبي وله أقرباء انتزعت الوصية فردت إلى الأقرباء ، وقال الحسن : إذا أوصى رجل لقوم غرباء بثلثه وله أقرباء أعطى الغرباء ثلث الثلث ورد الباقي على الأقرباء . هـ . وجاء في بعض المصادر أن الوالدين يكونان غير وارثين إذا كانا كافرين أو عبيدين .

جاء في تفسير القرطبي ^(١) : أن العلماء أجمعوا على أن الوصية واجبة على من عنده ودائع وديون ، أما غيره فالأكثر على عدم وجوبها وهو قول مالك والشافعي ، موسرا كان أو فقيرا ، وقالت طائفة بوجوبها لظاهر القرآن، ولحديث «ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته

١- ج ٢ ص ٢٥٩ وما بعدها .

مكتوبة عنده» وفي رواية «ثلاث ليال» وأجاب غير الموجبين بأن الحديث رد الأمر إلى إرادة الموصي ، فلا تلزم الوصية من لم يُرْذها ، قال النخعي : مات رسول الله ﷺ ولم يوص ، وقد أوصى أبوبكر ، فإن أوصى فحسن وإن لم يوص فلا شيء عليه .

وذهب الجمهور إلى أنه لا تجوز الوصية بأكثر من الثلث إلا أبا حنيفة وأصحابه حيث قالوا : إن لم يترك ورثة جاز له أن يوصي بهاله كله ، فلاقتصار على الثلث لمن له ورثة يتركهم أغنياء خير من أن يتركهم فقراء كما في حديث النبي لسعد . وروى هذا القول عن مالك في أحد قوليه .

وأجمعوا على أن من مات وله ورثة لا يجوز أن يوصي بجميع ماله .

وأجمعوا على أن للإنسان أن يغير وصيته ويرجع فيها شاء منها ، ما عدا المدبر ففيه خلاف .

ثم قال القرطبي : اختلف العلماء في هذه الآية هل هي منسوخة أو محكمة ، وأورد قريباً مما سبق من الكلام . ف قيل : إنها محكمة في الوالدين والأقربين غير الوارثين ، وقيل محكمة في الجميع لمدة ثم نسخت بآية الموارث مع حديث الترمذي وهو حسن صحيح «إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» فالنسخ بالسنة لا بالآية ، على أصح الأقوال . ومع ذلك انضم إلى هذا الحديث الإجماع على عدم الوصية لوارث . وقيل نسخت للوالدين وثبتت للأقربين غير الوارثين ، وقيل نسخ الوجوب وبقي الندب .

ثم قال عن المريض إنه لا يوصى بأكثر من الثلث وإن أجازها الورثة وذلك عند أهل الظاهر ، أما الكافة فأجازوها إن أجازها الورثة وهو الصحيح . لحديث الدارقطني «لا تجوز الوصية لوارث إلا أن يشاء الورثة» .



س: لماذا فزع الصحابة عند قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ؟

ج: في صحيح مسلم عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية دخل قلوب الصحابة منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء - يعني شيء كبير - فقال ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» فألقى الله في قلوبهم الإيذان، وأنزل ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا. قال: قد فعلت «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» قال: قد فعلت، فلما فعلوا ذلك نسخها الله ثم أنزل «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها».

وقد اختلف المفسرون في نسخ هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] أو عدم نسخها ورجح الطبري أنها محكمة، وقال ابن عطية: هو الصواب، لأن المحاسبة تكون على ما في وسع الإنسان وتحت كسبه. والخواطر ليست مرادة، ودفعها ليس في الواسع، بل هو أمر غالب. وهو يتفق مع الحديث «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم».



س: أرجو تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ؟

ج: هذه الجملة فقرة من آية سبقتها تتحدث عن عجب صنع الله في السموات والأرض، من إنزال المطر من السماء، وإخراج النبات المختلف الألوان، وطبقات الأرض بألوانها ومعادنها وأحجارها، واختلاف الناس والحيوانات في الأحجام والألوان والاستعدادات وغيرها، والذين ينظرون في هذه العجائب نظرة تأمل هم العلماء بأسرارها من رجال الفلك والطبيعة والكيمياء والنبات والجيولوجيا

والأطباء والمؤرخين وعلماء الحياة بوجه عام ، ولذلك إذا كانوا منصفين انتهوا إلى الإيمان ، وإذا كانوا مؤمنين زاد إيمانهم عمقا ورسوخا ، ولذلك هم يخشون الله أن يخالفوه فيعاقبهم ، فإن الخشية لا تكون إلا بمن له هيئته وعظمته وقدرته ، والعلماء هم الذين أدركوا عظمة الله عن طريق تخصصاتهم المختلفة ، ولذلك يخشونه ، ومن هنا أمر الله بالنظر في الكون والتدبر والتفكر ، وقد ساعد على ذلك قراءة كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» .

هذا ، والقراءة الصحيحة للآية هي بنصب لفظ الجلالة «الله» ورفع لفظ «العلماء» فالعلماء هم الذين يخشون الله . أما ما يقرؤه البعض من رفع اسم الجلالة ونصب لفظ العلماء يجعلهم يستغربون كيف يخشى الله من العلماء ويخاف منهم ، والأمر ليس كذلك ، ولا داعي للتأويل لصحة هذا النطق .



س: أرجو تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [المائدة: ١٠٣] ؟

ج : البحيرة هي الناقة التي يخصص لبنها للأصنام ، أو الناقة المشقوقة الأذن ، والسائبة هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهم ذكر ، لم يركب ظهرها ولم يُجَزَّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى سَقَّتْ أذنها وخُلِّيَ سبيلها مع أمها ، فهي البحيرة ابنة السائبة . وقال الشافعي : إذا نتجت الناقة خمسة أبطن إناثاً بُحِرَتْ أذنها فحرمت .

والوصيلة والحام ، كان أهل الجاهلية يعتقدون الإبل والغنم يسيبونها ، فأما الحام من الإبل كان الفحل إذا انقضى ضرابه جعلوا عليه من ريش الطواويس وسيبوه . وأما الوصيلة فمن الغنم إذا ولدت أنثى بعد أنثى سيبوها . وقيل : إن الوصيلة هي الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبح وأكل منه الرجال والنساء ، وإن كان أنثى تركت في الغنم ، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا : وصلت

أخاها فلم تذبح لمكانها ، وكان لحمها حراماً على النساء . ولبن الأنثى حراماً على النساء إلى أن يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء ، والحامي هو الفحل إذا ركب ولد ولده ، وقيل : إذا نتج من صلبه عشرة أبطن يقال : حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلاً وماء . تفسيرات مختلفة لهذه الأشياء ملئت بها الكتب ، وخلاصتها أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون بعض الحيوانات المأكولة حسب هواهم ومواضعاتهم دون وحي من الله ، فأبطل الإسلام كل هذا . لأن ختام الآية ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة : ١٠٣] .



فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب بقلم الناشر	٣
مقدمة الكتاب بقلم المؤلف	٩
التعريف بأصحاب المذاهب الأربعة	١١
الاصطلاحات الفقهية	١٤
التقليد والتلفيق	١٦
بعض رجال الحديث و مصطلحاتهم	١٧

العقائد

الإيمان بالله

(٢١ - ١٣٩)

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
دليل وجود الله ورسالة النبي	٢١	حديث وضع قدم الله في جهنم ...	٢٩
الرب والإله والفرق بينهما	٢٣	أسماء الله الحسنى وثواب من أحصاها	٣١
تفسير «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله»	٢٤	كتابة أسماء الله على المحلات التجازية	٣٢
ابن الله وإطلاقه قديماً على غير المسيح	٢٤	اسم الله الأعظم	٣٢
أنا ونحن ، هل قول الله نحن يفيد الشريك	٢٥	الرحمن الرحيم والفرق بينهما	٣٤
ليس كمثله شيء ، والنصوص التي تثبت أن الله يداً ورجلاً	٢٦	الله جميل ، وهل هو من أسمائه	٣٤
تفسير «الرحمن على العرش استوى»	٢٧	تفسير: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً»	٣٥
حديث نزول الله إلى السماء الدنيا ..	٢٨	رؤية الله وهل هي ممكنة في الدنيا ..	٣٨
		رؤية الله يوم القيامة	٣٩
		اقتران صفات الله بلفظ «كان» ...	٤٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
معنى «تخلَّقوا بأخلاق الله».....	٤١	اختلاف أيام الله في بعض الآيات ..	٧٦
معنى «ومكروا ومكر الله».....	٤٢	أول ما خلق الله في الوجود	٧٨
حديث في مظاهر فضل الله	٤٣	هل صحيح أن الله سبحانه كان	
العلم اللدني.....	٤٤	وحده ولا شيء معه	٨٠
حديث «عبي أطعني تكن		عرض الأعمال على الله	٨٤
ربانيًا...»	٤٦	تفسير «ولو شئنا لأتينا كل نفس	
الشرك الخفي.....	٤٦	هداها»	٨٥
قول: الله ورسوله أعلم.....	٤٧	المشيئة الربانية	٨٦
السجود لغير الله وسجود الملائكة		القضاء والقدر ومحنة آدم وموسى ..	٨٦
لآدم وإخوة يوسف	٤٨	القضاء والدعاء وعمل البر	٨٨
سب الدهر.....	٥٠	هل الإنسان مسير أم مخير	٨٩
سب الديك بدل سب الدين	٥١	عقاب الإنسان على الضلال	٩٠
عبارة: أكون على غير الإسلام إن		معنى «وقني شر ما قضيت»	٩٢
فعلت كذا	٥١	هل الإيمان وهبي أو كسبي	٩٣
من قال لأخيه: يا كافر	٥٢	حديث «اعملوا فكل ميسر لما	
الوسيلة والتوسل وصلة ذلك		خلق له»	٩٤
بالتوحيد.....	٥٢	علم الغيب، الكهانة والتنجيم	
التسمية بعبد النبي وعبد الرسول ..	٦٦	والطيرة وغيرها	٩٥
قول: مولانا - للعالم وحامل		المقتول ميت بأجله	١٠٨
القرآن	٦٧	علم ما في الأرحام والتقدم العلمي ..	١٠٩
قول: مدد يا حسين	٦٩	قراءة الكف	١١٠
قول: ما شاء الله وشاء فلان	٧٠	الرقى بين الحل والحزمة	١١١
قول: باسم الله وباسم الشعب ..	٧٠	التنائم.....	١١٤
زيارة الأضرحة ومشروعيتها	٧١	العدوى.....	١١٥
معنى الكفر والشرك	٧٢	الحسد بالعين.....	١١٦
الإيمان والخواطر الشيطانية	٧٣	النبؤات الفلكية وحوادث العالم ..	١١٨
كلام الله للبشر كيف يكون	٧٥	أبراج المواليذ	١٢٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
السحر.....	١٢١	لماذا خلق الله الدنيا	١٣١
المطر الصناعي وآية «وينزل الغيث» ..	١٢٥	داروين وأصل الإنسان.....	١٣٢
الفرق بين التوكل والتواكل.....	١٢٦	أهل الفترة ، هل هم مسلمون....	١٣٦
التوكل على الله	١٢٨	حكم من لم تبلغه الدعوة	١٣٧
حمد الله بأحسن الصيغ.....	١٢٩		

الملائكة

(١٤٠ - ١٥٩)

التفاضل بين الملائكة	١٤٠	إحساس الحيوانات بالملائكة	
التفاضل بين الملائكة والبشر.....	١٤٠	أورؤيتهم.....	١٤٩
هاروت وماروت	١٤٢	هل نزل جبريل على الأرض بعد	
إبليس وهل كان من الملائكة.....	١٤٣	وفاة النبي	١٥٠
قياس سرعة الملائكة	١٤٥	ملك الموت من يقبض روحه ،	
هل الملائكة ترى ربنا	١٤٦	وهل استأذن النبي	١٥١
هل استحيا جبريل من السيدة خديجة ..	١٤٦	ملك الموت وحواره مع موسى ..	١٥٤
حكم تصوير الملائكة	١٤٧	مصير الملكين بعد موت الإنسان ...	١٥٦
سؤال الملائكة عن خلق آدم	١٤٨	قتال الملائكة يوم بدر	١٥٧

الكتب

(١٦٠ - ١٧٣)

الإسرائيليات في الكتب الدينية ..	١٦٠	صحف إبراهيم	١٦٥
هل نزل جبريل بكل الكتب		إنجيل برنابا.....	١٦٧
السماوية	١٦١	التلمود ، هل هو من الكتب المنزلة ..	١٦٨
كتب الأديان السابقة والأخذ		التوراة والإنجيل ومعرفة الجن	
بنصائحتها.....	١٦٢	لها.....	١٦٩
كتاب داود	١٦٤	الجفر ومصحف السيدة فاطمة ...	١٧٠
كتاب يحيى	١٦٤	كتب الإمام علي ومعرفة الغيب ..	١٧١

القرآن الكريم

(١٧٤ - ٤٠١)

القرآن عربي ودعوة الإسلام	١٧٤	حديث في فضل القرآن
عالمية	٢١١	الفرق بين القرآن والحديث
الرحمن علم القرآن خلق الإنسان ..	٢١٢	القدسي والنبوي
الشيعه والقرآن	٢١٢	تنزيلات القرآن ، وهل نزلت كل
الحروف المقطعة في أوائل السور ..	٢١٥	الكتب في رمضان
عظمة القرآن في أواخر سورة		أول وآخر ما نزل من القرآن
الحشر	٢١٥	حفظ الله للقرآن من التحريف ...
الضاد والطاء	٢١٩	ما معنى خلق القرآن
قراءات القرآن ، الصحيح منها		سر نزول القرآن منجها
والشاذ	٢٢٠	هل نزل بعض القرآن بغير جبريل ..
الجمع بين القراءات في آن واحد ...	٢٢١	أوجه الإعجاز القرآني
القراءة بالقراءات الشاذة	٢٢٢	التفسير العلمي للقرآن
قول الله واحد بدل «الله أحد»	٢٢٤	هل القرآن كتاب علمي
قراءة غير مشروعه في «إنما يخشى		من بلاغة القرآن في «المال
الله من عباده العلماء»	٢٢٤	والبنون ...»
قراءة «عاهد عليه الله» بضم الضمير ..	٢٢٥	من بلاغة القرآن في «وما خلقت
القراءة بدون تجويد	٢٢٦	الجن والإنس ...»
خطاب الاثنين للواحد «ألقيا في		من بلاغة القرآن في «وجاء رجل
جهنم ...»	٢٢٨	من أقصى المدينة ...»
المشرق والمغرب ، والمشرقان		حول نظم القرآن في «رب موسى
والمغربان والمشارق والمغارب	٢٢٨	وهارون»
المعوذتان من القرآن الكريم	٢٣٠	حكمة تكرار الآيات في القرآن ..
قراءة البسملة في الفاتحة في الصلاة ...	٢٣٢	حكمة تكرار القصة في القرآن ...
سورة التوبة بدون البسملة	٢٣٣	أساليب الاستفهام في القرآن
الاستعاذة عند القراءة	٢٣٣	القرآن كله عربي

٢٧٠	رسم المصحف والرسم العثماني ..
٢٧٣	كتابة القرآن بالرسم الإملائي
٢٧٥	كتابة المصحف بحروف غير عربية ..
٢٧٦	كتابة القرآن بالدم
٢٧٦	الأكل على صحف فيها قرآن
	كتابة القرآن على الجدران والملابس
٢٧٧	وغيرها
٢٧٨	كتابة القرآن للتداوي والشفاء ...
٢٨٠	ترجمة القرآن
	أحاديث في فضائل سور القرآن
٢٨٣	ودور أبي عصمة فيها
٢٨٤	عديّة يس وقراءتها على الظالم
	قراءة سورة يس على الميت قبل
٢٨٦	الدفن وبعده
٢٨٦	فضل قراءة سورة يس
	فضل قراءة سورة الكهف يوم
٢٨٧	الجمعة
٢٩٠	قراءة القرآن بصوت مرتفع
٢٩٠	الاقتباس من القرآن
٢٩٢	قول «الفاتحة» بعد قراءة القرآن ..
٢٩٢	حكم الدين في قراءة الفاتحة للنبي ...
٢٩٣	قول «الفاتحة» زيادة في شرف النبي ..
٢٩٤	قراءة القرآن للموتى
٢٩٩	فضل قراءة سورة الواقعة في منع الفقر ..
	فضل سورة الأنعام ، وهل نزلت
٢٩٩	مرة واحدة
٣٠١	سبب نزول «عبس وتولى»
٣٠١	السبع المثاني ، ما هي

	حديث «اقرأوا القرآن بلحون
٢٣٤	العرب ..»
٢٣٥	تحسين الصوت بالقرآن
٢٣٦	قراءة القرآن في المواصلات العامة ..
	قراءة القرآن بالأجر ، وأجر
٢٣٧	تعليمه
٢٥٠	حكم الاستماع إلى القرآن
	اللهو بالتدخين والقهوة والقرآن
٢٥١	يتلى
٢٥٢	أيهما أفضل : سماع القرآن أو قراءته
	هل ثواب الحفظ مثل ثواب
٢٥٣	القراءة
	ختم القرآن هل له دعاء
٢٥٣	مخصوص
	قول : صدق الله العظيم بعد
٢٥٤	التلاوة
٢٥٥	التنكير في قراءة القرآن
٢٥٦	البكاء عند قراءة القرآن
٢٥٧	الجنب لا يقرأ القرآن
	قراءة غير المسلم للقرآن وحمل
٢٥٩	المصحف
٢٦٠	رفع القرآن آخر الزمان
	نسيان القرآن وما يساعد على عدم
٢٦١	نسيانه
٢٦٢	دعاء وصلاة لحفظ القرآن
٢٦٣	نسخ القرآن ، وهل يكون بالسنة ...
٢٦٤	قصة الغرائق وعصمة الرسول ..
٢٦٧	جمع القرآن وترتيبه

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
خواتيم سورة الحشر وثواب قراءتها ..	٣٠٢	أصحاب الرس ومن أرسل إليهم ..	٣٣٠
الهداية ومعانيها في القرآن	٣٠٣	تفسير « وإن من شيء إلا يسبح بحمده »	٣٣٠
تفسير « لا يمسسه إلا المطهرون » ...	٣٠٥	عرض الأمانة على الأرض والسموات	٣٣٢
حمل المصحف المسجل بدون طهارة ..	٣٠٧	بين التخيير والإلزام	٣٣٢
دخول الخلاء بالمصحف وما فيه قرآن ..	٣٠٨	تفسير « إنا عرضنا الأمانة ... » ...	٣٣٤
وضع المصحف تحت الوسادة ...	٣٠٩	تفسير « يا أيها النبي اتق الله ... » ..	٣٣٥
وضع المصحف فوق التلفزيون ..	٣٠٩	تفسير « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل »	٣٣٥
وضع المصحف مع الميت في القبر ..	٣١٠	تفسير « يوم تأتي السماء بدخان مبين »	٣٣٦
حديث فضل النظر في المصحف ..	٣١٠	تفسير « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم .. »	٣٣٧
إحراق أوراق المصحف لصيانتها ..	٣١١	تفسير « نأتي الأرض نقصها من أطرافها »	٣٣٨
أخذ الفأل من المصحف	٣١٢	تفسير « ولقد آتينا موسى تسع آيات »	٣٣٩
الغلام الذي قتله الخضر والتعويض		تفسير « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح »	٣٤٠
بفتاة صالحة	٣١٤	تفسير « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها »	٣٤١
تفسير « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا ... »	٣١٤	تفسير: رؤية الله يوم القيامة « فكان قاب قوسين .. »	٣٤٣
أخلاق اليهود من القرآن	٣١٥	تفسير « فضل لربك وانحر »	٣٤٤
تفسير « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ... »	٣١٩	تفسير « والشعراء يتبعهم الغاؤون » ..	٣٤٥
القرية حاضرة البحر وعدوان اليهود يوم السبت	٣٢٠	تفسير « يوم تبدل الأرض ... » ...	٣٤٧
هل الأرض سبع والسموات سبع ..	٣٢٢	تفسير « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد »	٣٤٧
الأرضون السبع	٣٢٢		
ومن الأرض مثلهن	٣٢٤		
خلق الإنسان من علق « تفسيرها » ..	٣٢٥		
يخرج من بين الصلب والترائب « تفسيرها »	٣٢٦		
خلق الإنسان في ظلمات ثلاث ...	٣٢٨		
سيماهم في وجوههم من أثر السجود ..	٣٢٩		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير «يا أخت هارون ...»	٣٤٨	تفسير «والليل إذا عسعس ...» ..	٣٧٨
تفسير «إنا فتحنا لك ...» ومغفرة		تفسير «والليل إذا عسعس ...» ..	٣٧٩
ذنب الرسول	٣٤٩	تفسير «ومن كان في هذه أعمى ...» ..	٣٨٠
تفسير «لتفسدن في الأرض مرتين» ...	٣٥٠	تفسير «وما أصابك من حسنة	
تفسير «فتبارك الله أحسن		فمن الله»	٣٨١
الخالقين» وصلتها بالشرك	٣٥١	تفسير «ولا تلقوا بأيديكم إلى	
تفسير «وأن ليس للإنسان إلا		التهلكة»	٣٨٢
ما سعى» وصلتها بالأموال	٣٥٢	تفسير «والليل وما وسق»	٣٨٤
تفسير «يا مريم اقنتي لربك»	٣٦٢	تفسير «يخرج الحي من الميت ...» ..	٣٨٥
تفسير «إني أعوذ بالرحمن منك» ..	٣٦٢	تفسير «إنما النسيء زيادة في الكفر» ..	٣٨٧
سجود الشمس تحت العرش	٣٦٣	تفسير «وبشر الصابرين»	٣٨٨
تفسير «والشمس تجري لمستقر لها» ..	٣٦٥	تفسير «ثم لا يموت فيها ولا يحيا» ..	٣٨٩
تفسير «كل يوم هو في شأن»	٣٦٧	تفسير «أم خلقوا من غير شيء» ..	٣٩٠
تفسير «ما منعك ألا تسجد ...» ..	٣٦٨	تفسير «ولأمرنهم فليغيرن خلق	
تفسير «ومن لم يحكم بما أنزل الله ...» ..	٣٦٩	الله» وحكم قطع الأصابع	٣٩١
تفسير «لا يضركم من ضل إذا		تفسير «إن من أزواجكم وأولادكم	
اهتديتم»	٣٧١	عدوا لكم»	٣٩٢
تفسير «والباقيات الصالحات» ...	٣٧٢	تفسير «اقتربت الساعة وانشق	
تفسير «الحيثات للخبثين»	٣٧٣	القمر»	٣٩٤
تفسير «امتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» ..	٣٧٤	تفسير «الله نور السماوات والأرض» ..	٣٩٥
تفسير «وإن من قرية إلا نحن		تفسير «هو الأول والآخر ...» ...	٣٩٦
مهلكوها»	٣٧٤	تفسير آية الوصية	٣٩٧
تفسير «والفجر وليال عشر»		تفسير «ان تبدوا ما في أنفسكم ..» ..	٣٩٩
ورؤية الله يوم القيامة	٣٧٥	تفسير «إنما يخشى الله من عباده	
تفسير «الأعراب أشد كفراً ونفاقاً» ..	٣٧٦	العلماء»	٣٩٩
معنى الطاغوت الموجود في عدة		تفسير «ما جعل الله من بحيرة ..» ..	٤٠٠
آيات	٣٧٧		
الفهرس			٤٠٢

الطبعة الشرعية
يأذن من الورثة

لفضيلة الشيخ
عَظِيمٌ تَصِفُ

مَوْسُوعَةٌ

أَحْسَنُ الْكَلَامِ

فِي الْفَتَاوَى وَالْأَحْكَامِ

حظيت هذه الطبعة بتصحيحات
وتنقيحات بالغة الأهمية

الجزء الثاني

العقائد

مَكْتَبَةُ وَهْبَةٍ

١٤١٤ هـ / الجمهورية / القاهرة / القسامة
٢٢٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٢٩٠٣٧٤٦